التفسير الحبير (٢)

القول المبين

في إيجاز معاني يس

من سورة يس إلى سورة الفتح

تأليف الدكتور

خالد بن محمد أحمد عطيه

المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة سابقاً

عضو هيئة التدريس كلية الدعوة وأصول الدين جامعة أم القرى سابقاً

أستاذ مشارك جامعة مينيسوتا الإسلامية

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين أجمعين

(ح) _ خالد محمد أحمد عطيه ، ١٤٤٦هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عطية، خالد بن محمد بن أحمد

التفسير الحبير (٢) القول المبين في إيجاز معاني يس . من سورة يس إلى سورة الفتح . / خالد محمد أحمد عطيه - ط١ . - مكة المكرمة ، ١٤٤٦هـ

٧٧٣ ص ؛ ١٧×٢٤ سم

رقم الإيداع : ١٧٦٥٤/ ١٤٤٦

ردمك : ٩ ــ ٦١٨٨ ــ ٠٥ ــ ٦٠٣ ــ ٩٧٨

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال

(من أراد خير الأولين والآخرين فليثوِّر القرآن، فإن فيه خير الأولين والآخرين)

[الطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان

والتثوير : طلب معانيه وعلومه ومقاصده]

كتاب فصلت آياته

قرآناً عربياً لقوم

يعلمون

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين المنعم المتفضل لا سواه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له المصرف المدبر، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المصطفى المختار، به ختمت النبوات وتمت الرسالات، وعليه نزل خير كتاب جامع بخاتمة الشريعات، ﷺ وبارك وبالخير أنعم وأتم، وعلى الآل والصحب الكرام والتابعين لهم بإحسان، وتابعيهم إلى يوم الوقوف بين يدي الملك العلام . ثم أما بعد :

الحمد لله رب العالمين على نعمة القرآن الكريم، الحبل الممدود والخير الموجود، بين الخلق وخالقهم سبحانه وتعالى، فيه الشريعة الغراء بتعاليمها السمحة، والمنهج الحق بحدوده وأحكامه، يهدي به الله جل جلاله من استمسك به واعتصم، ويحفظه ويحميه من كل شر وسوء وبلاء محتم، بما حوى من تعاليم وتشريعات، وتوجيهات وإرشادات، تحقق للخلق السعادة في الدارين، لو لذلك فطنوا وتفطنوا .

وقد وفقني الله تعالى ومنَّ عليَّ بإتمام الجزء الثاني من التفسير، وقد أسميته بـــ (القول المبين في إيجاز معاني يس)، جاء على غرار الجزء الأول والمسمى بـــ (القول الأمثل في إيجاز معاني المفصل)، ابتدأته بعنونة لمقطع الآيات الكريمات المختارة ذات الموضوع الواحد، تلا ذلك تفسيراً موجزاً

لمعاني مقاصدها إجمالاً، تبع ذلك بيان عام لفوائد وهدايات السورة الكريمة، سواء كانت توجيهات ظاهرة، أم إشارات خفية، أم لطائف أخفى، ثم بيان للأحكام الشرعية إن وجد، ثم ذِكرٌ لما في السورة الكريمة من أزمنة وأمكنة وأعلام .

أسأل الله العظيم بكرمه ومنِّه أن يبارك في هذا العمل المتواضع، وأن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يعفو عني إن زل قلمي أو أخطأ كلمي، فهو الرحمن الرحيم . والحمد لله رب العالمين .

د . خالد محمد أحمد عطيه

مكة المكرمة . في ١٤٤٦/٢/٥هـ

جوال : ٠٥٠٤٧٩٩٥١١

الصفحة الرسمية : Maalem11.com

تتمة

ربع يس

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

احصاءات عامة

- رقم الجزء : الثالث والعشرون .
- اسم الجزء : يس .
- عدد سوره : (٤) .
- بداية الجزء : الآية (٢٨) من سورة يس .
- نهاية الجزء : الآية (٣١) من سورة الزمر .
- عدد السور المكية : (٣) .
- عدد السور المختلف فيها : (١) .
- عدد آيات الجزء إجمالاً : (٣٧٠) .
- عدد كلمات السور كاملة : (٣٤٩٣) .
- عدد حروف السور كاملة : (١٤٨٠١) .

جزء يس : الثالث والعشرون :

(١) سورة يس . قلب القرآن

- مكية بالإجماع .
- عدد آياتها (٨٣) آية مختلف فيه، فقيل (٨٢) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿يسٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ آية واحدة .
- كلماتها (٧٢٩) كلمة . وحروفها (٣٠٠٠) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٤١) . نزلت بعد سورة الجن .
- رقمها في المصحف الشريف (٣٦) .
- سميت بـــ (يس) لبدء اللفظ بها . وقد اختلف في تسمية رسول الهدى ﷺ بـــ (يس)، فقيل أنه من أسمائه الشريفة، ووردت عدة أقوال في ذلك، لم يثبت منها شيء أبداً على الصحيح .
- محور حديث السورة الكريمة : إرساء معالم العقيدة (التوحيد والنبوة والبعث) .
- مجمل موضوعاتها : (٩) موضوعات : تأكيد بعثة رسول الهدى ﷺ، وتثبيت فؤاده الطاهر بذكر بعض قصص الأنبياء والمرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام، والتخويف بيوم الدين، وبذكر بعض مشاهده، ولفت النظر لبعض المعجزات الكونية، ولبعض معالم القدرة الربانية، والتشويق

إلى الجنة ونعيمها، والتخويف من النار وجحيمها، وتقرير عقيدة البعث والنشور .

- الأحاديث الواردة في السورة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**اقرءوا يس على موتاكم**)[أبو داود وابن ماجة . على موتاكم : من حَضَره الموت] .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٣٧) مرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

– (إعجاز غيبي تضمن بياناً ربانياً) : استفتح سبحانه وتعالى هذه السورة الكريمة بحرفين من الحروف المقطعة[1]، دالة على غاية إعجاز هذا الكتاب الحكيم بما حوى من تشريعات وتعاليم، شاملة خيري الدنيا والآخرة،

[1] في القرآن الكريم (٢٩) سورة ابتدأت بأحرف مقطعة، منها ثلاث سور ابتدأت بحرف واحد وهي : (ص، ق، ن) . وتسع سور ابتدأت بحرفين وهي : (طس من سورة النمل، طه، يس، حم) . والسور التي بدأت بـــ (حم) عددها سبع سور تسمى بالحواميم منها ست بدأت بحرفين وهي : (غافر وفصلت والزخرف والدخان والجاثية والأحقاف) يستثنى منها سورة الشورى لأن بدايتها تحسب بخمسة أحرف وليس بحرفين . وثلاث عشرة سورة ابتدأت بثلاثة أحرف، منها ست سور ابتدأت بـــ (ألم) وهي : (البقرة وآل عمران والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة) . ومنها خمس سور ابتدأت بـــ (ألر) وهي : (يونس وهود ويوسف وإبراهيم والحجر) . وسورتان ابتدأتا بـــ (طسم) وهما : (الشعراء والقصص) . وسورتان ابتدأتا بأربعة أحرف وهي : (ألمص الأعراف، ألمر الرعد) . وسورتان أيضاً ابتدأتا بخمسة أحرف هي : (كهيعص مريم، حم عسق الشورى) .

ومؤكدة صدق نبوة رسول الهدى ﷺ وما جاء به من منهج حق، يهدي إلى الصراط المستقيم، المنزل من لدن ربنا سبحانه العزيز في ملكه، الرحيم في تعامله بعباده، آمراً رسوله الأكرم ﷺ بإنذار قومه، الغافلين عن حقيقة الإيمان والبشارة والنذارة، إذ لم يسبق أن خرج في آبائهم نذير، فلما بُعث فيهم استنكروه ورفضوا ما جاءهم به من الحق والهدى والنور المبين، وأصروا على الكفر فاستحقوا العذاب المهين، يوم تحيط الأغلال بأعناقهم قد بلغت من عِظمها أذقانهم، فشخصوا إلى السماء لا يستطيعون خفض أبصارهم، فبعنادهم واستكبارهم واستنكافهم عن الحق، مُنعوا قبوله والإذعان له، وحُجبوا عن رؤية نور الإيمان، وغَشِي أبصارهم ما غشي من ضلال الكفر وظلام الجحود والاستكبار جرَّاء الحرمان، كأن من أمامهم ومن وراء ظهورهم حجاباً حاجزاً يمنعهم من إدراك الحقائق، فلسان حالهم حينها كالعُمي لا يبصرون، قد قيدهم حُجُب الكفر والجحود والضلال عن الإيمان والتصديق، كما قيدت تلك الأغلال أصحابها من الحركة والنظر والالتفات .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- حق القول : وجب العذاب .
- أغلالاً : جمع غل، قيود وأصفاد من حديد، يُربط بها الإنسان .
- الأذقان : جمع ذقن، العظم الذي ينبت عليه شعر اللحية .

– مقمحون : جمع مُقمح، رافعوا رؤوسهم إلى السماء قسراً، من ارتفاع القيد حول العنق .

– من بين أيديهم : من أمامهم .

– سداً : حجاباً حاجزاً، يمنعهم من رؤية الحق .

– أغشيناهم : حجبنا أبصارهم، فصاروا كالعمي لا يبصرون .

توجيهات الآيات :

١– غاية إعجاز آيات القرآن الكريم، الدالة على أنه من لدن حكيم خبير سبحانه .

٢– وصف القرآن بالحكيم، دالة على احتوائه غايات الحكمة الربانية في كل تعاليمه وتشريعاته، وآدابه وفضائله، وحدوده وأحكامه، بما يحقق كل الخير للعباد، لو كانوا يعلمون .

٣– تأكيد أنه ﷺ من جملة رسل الله عز وجل، عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٤– بيان أن الله جل في علاه قبل أن يبعث رسول الهدى ﷺ أعد المنهج الحق للخلق، ليسيروا عليه فيسعدوا في دنياهم وأخراهم .

٥– ذلك القرآن الكريم الذي حوى المنهج الحق، هو تنزيل من ربكم، العزيز في ملكه فلا غالب له ولا منازع، والرحيم بكم حين شرع ما لا مشقة فيه عليكم، ولا عنت يواجهكم .

٦- أساس منهج الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، البشارة بالجنة، والنذارة من النار .

٧- ما من أمة إلا خلا فيها نذير، بمبعثه يقيم الله تعالى عليهم الحجة بالبلاغ .

٨- وقوع العذاب على كل من أعرض عن الحق واعترض، واستكبر واستنكف عن قبوله .

٩- أكثر الناس منصرفون عن الحقائق، لاهون عنها، غافلون لا يهتمون لها .

١٠- أغلال الأعناق من أشد صنوف العذاب والنكال ولا ريب، ولا سيما متى بلغت الأذقان، فحالت حينها دون تحريك الإنسان رأسه ليرى ما حوله .

١١- غاية التكبر والاعراض عن الحق، يمنع من إدراكه، كغطاء يتغشَّاه فلا يكاد يرى الحق إلا باطلاً، والباطل إلا حقاً، جزاءً وفاقاً لكل ضالٍ متكبر، معرض معترض .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ . التأكيد في الآية على رسالته ﷺ بمؤكدين اثنين : (إن) المؤكدة، و(لام) التعليل .

٢- إشارة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ . كافة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، بعثوا على صراط مستقيم، هو المنهج الحق من لدن عليم حكيم جل جلاله .

٣- إشارة : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ ﴾ . تأكيد أن القرآن الكريم منزل من علو، وليس بمخلوق أبداً كما زعم البعض . هذا هو المنهج الحق .

٤- لطائف : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ . تأثير جيل الآباء على جيل الأبناء، من حيث المعتقدات والأفكار والسلوكيات، كبير جداً ولا يمكن إغفاله بحال، في أي زمان ومكان . وأخرى الغفلة قد تكون عن تفريط، تتمثل في (المنصرف عن الشيء بقصد)، وقد تكون عن غير تفريط، تتمثل في (عدم علم الإنسان بالشيء أصلاً)، وعدم بلوغه إياه .

٥- إشارات : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾ . لفظ (حق القول) تعني (وجب العذاب)، وعائدها في سورة (السجدة) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ

﴿ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ . وأخرى كلمة (أكثرهم) يخرج منها أقلهم قطعاً، كذلك هو شأن سائر الأمم، بين مدرك للحق قابلاً له، وبين منصرف عنه رافضاً إياه، وبين حيران فيه تائه باحثاً عنه، لم يتبين حقيقة أمره بعد .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٨) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِيَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ ﴾ . الخطاب بصيغة الماضي (جعلنا) وكأن الأمر قد تم وانتهى قبل أن يكون، والعلة أن ما حكم تبارك وتعالى وقضى أزلاً، تحقق مستقبلاً حتماً، إذ لا راد لما أراد جل جلاله ربنا العظيم .

٧- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٩) قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ . جهتا الإدراك (المعنوية) في الإنسان؛ اثنتان : الأولى من أمامه قد يدرك خلالها الإنسان الشيء الذي كان يبحث عنه، والثانية من خلفه قد يدركه الشيء ويوفَّق له وهو منصرف عنه تماماً، فمتى حُجب الإنسان عن ذلك، فقد حيل بينه وبين الإدراك تماماً . ولطيفة قد تعمى البصيرة دون البصر، والعبرة بسلامتها قطعاً قبل سلامته، فكم من بصير أعمى البصيرة، وكم من أعمى البصر نافذ البصيرة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يس : الأصل أنها من جملة الأحرف المقطعة التي تظهر إعجاز القرآن الكريم، وفي أقوال بعض المفسرين اجتهاداً؛ هو اسم للنبي الأكرم ﷺ .

٢- المرسلين : جمع مرسل، وهو من بعث برسالة سماوية من الله تعالى إلى خلقه، يبلغهم منهجه الحق، فهم الدعاة إلى دينه وشرعه القويم، الذي ارتضاه لعباده أجمعين، وهم خلق كثير، عليهم جميعاً الصلاة والسلام . في الأثر عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله : كم الأنبياء ؟، قال : (مائة ألف وعشرون ألفاً، قلت : يا رسول الله، كم الرسل من ذلك ؟، قال : ثلاث مائة وثلاثة عشر، جماً غفيراً)[ابن حبان وغيره] .

٣- قوماً : مأخوذة من القِوامة، وهو لفظ يطلق عادة على الرجال دون النساء .

٤- آباؤهم : جمع أب . وهو والد الإنسان الذي أنجبه من صلبه، وأجداده وما علو .

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُوٓاْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾

- (بيان تضمن التخويف والترهيب) : ما زال سياق الحديث عن القوم الكافرين، مبيناً سبحانه لرسوله الأكرم ﷺ أن أكثرهم لن ينتفعوا بالنذارة، ولن يؤمنوا به جل شأنه، لن يوفق لذلك إلا من صدَّق بهذا القرآن الكريم، وخشي بالغيب ربه الرحمن الرحيم، أولئك بشِّرهم يا رسولنا بالمغفرة والأجر الكريم، مخوِّفاً عز وجل عباده بيوم البعث والنشور، حيث الجزاء والحساب والعقاب، وبما رُصد في صحائف الأعمال، التي أحصت على الإنسان كل شيء اقترفه في دنياه، وبه سيجازى في أخراه .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- الذِّكر : القرآن الكريم، سُمي بالذكر لأنه كتاب يُتلى ويُتعبد له لله جل جلاله .

- آثارهم : الأعمال التي كتبت بعد موتهم، مما سنّوه في حياتهم وبقي من بعدهم .

- إمام : كتاب رصد الأعمال : (صحائف الأعمال، واللوح المحفوظ) .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- ظلمة الكفر والعناد والاعراض عن الحق، تحجب رؤية نور الإيمان والهدى، وإن وجد النذير .

٢- بالنذارة تقام الحجة على الناس ولا عذاب قبل مبعث البشير النذير .

٣- القلوب الحية هي التي تنتفع بالنذارة، وتتأثر بالقرآن الكريم، وبما فيه من مواعظ وتعاليم .

٤- الخشية بالغيب من أقوى أسباب إدراك الحقائق، ومن أهم أساليب تعميق الإيمان في القلوب .

٥- البشارة لمن آمن بالله تعالى، بمغفرة ذنوبه والأجر الكريم في الدنيا، وبالجنة في الآخرة .

٦- تقرير عقيدة البعث النشور، والجزاء والحساب والعقاب، ليستعد الإنسان للقاء ربه الكريم، يوم الحساب العظيم .

٧- يُكتب على الإنسان عمله كله، ما تقدم منه وما تأخر، خيره وشره، ما عمله بنفسه وبجوارحه هو، وما كان سبباً فيه مما دعا إليه، وسيجازى بكل ذلك يوم القيامة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من سن في الإسلام سنة حسنة، فعمل بها بعده، كتب له مثل أجر من عمل بها، ولا ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، فعمل بها بعده، كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولا ينقص من أوزارهم شيء**)[مسلم] .

٨- النون في قوله تعالى : (إنا، نحن، نحيي . نكتب) دالة على التعظيم، وإلا فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ . الهداية والضلال مكتوبة على الإنسان قبل أن يولد، بتقدير الله جل جلاله لعلمه الشامل بخلقه وبحقيقة مآلهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة، قالوا : يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ ﴾، إلى قوله : ﴿ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾**)[متفق عليه] . ولطيفة وجوب بذل الجهد في إيصال الدعوة إلى كافة الناس، بغض النظر عن مسألة قبولهم لها من رفضها .

٢- إشارات ولطيفة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾ . كلمة (الذكر) هنا دالة على أن القرآن الكريم كما أنه دستور ومنهج حياة، هو كتاب تعبدي يتلى ويتقرب به إلى الله سبحانه

. وأخرى كلمة (الرحمن) دالة على غاية رحمة الله جل شأنه، ولطفه بخلقه وعباده في كل شؤونهم . وثالثة كلمة (أجر) دالة على أنه نعيم كبير في الدنيا، ونعيم آخر في الجنة في الآخرة . ولطيفة كلمة (كريم) دالة على أنه أجر لا حدود له، لأنه من لدن رب كريم حقاً .

٣- إشارة ولطائف : جاء في الآية (١٢) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾ . جملة (ما قدموا وآثارهم) دالة على أن عمل الإنسان أطول من عمره، بما عمل قبل الموت، وبما تركه من بعده من آثار . ولطيفة كلمة (إمام) دالة على أن كل ما فيه من أعمال مرصودة مسبقاً في عالم الغيب، قبل وقوعها من البشر في عالم الشهادة . وأخرى كلمة (مبين) دالة على أن كل ما فيه ظاهر لا لبس فيه، فلا ظلم لأحد مطلقاً .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الموتى : جمع ميت، وهو كل من فَقَد الحياة الدنيا بخروج روحه، وانتقاله إلى الآخرة .

﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَـٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم

مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

- (قصة تضمنت بياناً بتوجيه) : ضرب سبحانه مثلاً يظهر موقف القوم الكافرين من دعوة رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، بقرية جاءها ثلاثة من المرسلين تباعاً، مبشرين ومنذرين بدين الله جل في علاه إلى خلقه، فاعترضوا عليهم قائلين : ما أنتم إلا بشر مثلنا، فكيف ينزل عليكم خبر من السماء، فما أنتم إلا كاذبون، فأكَّد لهم رسلهم أنهم مبعوثون من عند الله سبحانه، وأن مهمتهم الأولى هي البلاغ عنه جلت قدرته، بلاغاً مبيناً لدينه الحق وشرعه الصدق، فرد قومهم عليهم قائلين إنَّا قد تشاءمنا بكم وبما جئتم به، فانتهوا عنه، وإلا رجمناكم ولحقكم منا عذاب أليم، فأجابوهم : أتشاءمتم أن جاءكم الحق من ربكم، إن أنتم إلا قوم على أنفسهم مسرفون، وما الشؤم الذي أصابكم إلا جرَّاء كفركم وعنادكم، وما كنتم به تكذبون، عن دين ربكم الحق معرضون، وبالرسول الذي بعث فيكم تستهزئون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- تطيرنا : تشاءمنا، والتطير التشاؤم، مأخوذ من حركة الطير من اليمين إلى الشمال .
- أئن ذكرتم : آنَ وعظتم .
- مسرفون : جمع مسرف، من تجاوز الحد في الشيء، وبالغ فيه .

توجيهات الآيات :

١- إيراد القصص بضرب المثل، مما يعمق المفاهيم، ويرسخ القيم في نفوس البشر .

٢- لم يذكر في الآيات الكريمات اسم القرية، لتبقى العبر والمواعظ منها مضطردة إلى يوم القيامة، في كل قوم طابقوهم مواقفهم وشابهوهم أحوالهم في الكفر والاعراض .

٣- قد يرسل الله سبحانه أكثر من رسول واحد إلى قوم معنيين، بقصد تحقق الغرض من إرسالهم، وإقامة الحجة البالغة عليهم .

٤- أكبر الشبه التي تواطأت على ألسنة عامة الأمم بقصد رد دعوة الرسل، هي أنهم من جملة البشر، قائلين : كيف ينزل الله تعالى رسالاته على بشر من عامة الناس !، بحسب زعمهم .

٥- تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام عاقبته وخيمة ولا شك، في الدنيا بالهلاك وفي الآخرة بالنار، والناس في العادة أعداءٌ لما جهلوا .

٦- ما على الرسل عليهم الصلاة والسلام، إلا البلاغ المبين عن ربهم سبحانه، الذي يتولى العقاب حال تكذيبهم، هذه هي سنة الله عز وجل في الأمم السابقة .

٧- تكرر لفظ (المرسلون) في الآيات الكريمات، ثلاث مرات .

٨- قيل في اسم القرية أنها (أنطاكية) والله تعالى أعلم، وأن الرسل الثلاثة كانوا زمن المسيح عيسى عليه السلام، بعثهم إلى أقوام من لدنه ليبلغوا رسالته، وبالتالي فمبعوث الرسول رسول .

٩- العناد والاستكبار ومخالفة الحق، قد تورث انغلاق القلب وغمته عن رؤية الحقائق، لدرجة الحنق على دعاة الحق، ونفورهم منهم، بل والتشاؤم لرويتهم وسماع أقوالهم، كذلك هو شأن كل مفسد فاسق، مكذب معرض معارض .

١٠- مسألة تهديد الرسل عليهم الصلاة والسلام، ودعاة الحق من بعدهم، والمحاولات الحثيثة لأهل الباطل في طمس معالم الحق ما استطاعوا، أمر حاصل في كل زمان ومكان .

١١- قد يورث التشاؤم الوقوع في المحظور فعلاً، كالجزاء الوفاق لصاحبه، يبتلى بما اعتقده، فليحذر المسلم من ذلك وليجتنبه، فمن تشاءم بشيء أو كرهه فليدع ربه عز وجل بما ورد . في الحديث النبوي الشريف لما ذكرت الطيرة عند النبي ﷺ قال : (**أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع**

السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)[أبو داود والنسائي في الكبرى] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**من ردته الطيرة من حاجة، فقد أشرك، قالوا : يا رسول الله، ما كفارة ذلك ؟ قال : أن يقول أحدهم : اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك**)[أحمد] .

١٢- التفاؤل في الأمور كلها أمر مطلوب، يعطى الإنسان بقدر تفاؤله في حياته وأمور، بخلاف التشاؤم المذموم والمنهي عنه تماماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا طيرة وخيرها الفأل، قيل : يا رسول الله وما الفأل ؟ قال : الكلمة الصالحة يَسمَعُها أحدكم**)[متفق عليه . والطيرة : التشاؤم] .

١٣- القلب المنغلق يرفض قبول الحق تماماً، ولا يراه إلا باطلاً، كلما سمع القرآن الكريم يتلى؛ اشمأز منه، ونفر واستنكف عنه، وصولاً لدرجة الإسراف في الكفر والاستكبار والإعراض والذنوب والمعاصي، بكثرة المعارضة للحق وأهله، ومحاربتهم والتحريض عليهم، ظلمات بعضها فوق بعض .

١٤- النون في قوله تعالى : (أرسلنا، فعززنا) دالة على التعظيم، وإلا فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ . جملة (أصحاب القرية) دالة على وحدة الفكر فيما بين أهلها، مما قد اجتمعوا عليه متآلفين، وإن كانت بلدة كبيرة المساحة، جاء ذلك مضطرداً في عامة آيات القرآن الكريم . وإشارة قد يُبعث الرسول في قومه نذيراً لهم، وقد يأتي من خارج القوم، ليبلغ دين الله جل جلاله لمن أرسل إليهم .

٢- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ . قد يترافق رسولان اثنان في وقت واحد لإنذار قوم معينين، وقد يؤيدون بثالث إن احتيج لذلك . ولطيفة مبدأ (التعزيز) متاح في الشرع المطهر بما يخدم الحال، ويؤيد الحق وأهله .

٣- إشارات : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ . الحكمة من جعل الرسل عليهم الصلاة والسلام من عامة البشر، ليكونوا أنموذجاً حياً يقتدى بهم، ولو كانوا من جنس الملائكة الكرام مثلاً، لعجز الناس عن الاقتداء بهم لاختلاف قدراتهم . وأخرى كلمة (الرحمن) هنا دالة على

غاية رحمة الله جل شأنه ولطفه بخلقه وعباده، وهذه هي المرة الثانية التي تكرر فيها الاسم في ثنايا آيات متتابعة .

٤- إشارة : ورد في الآيتين السابقتين لفظ (التكذيب) من القوم الكافرين، لرسلهم عليهم السلام، دالة على أن الناس أعداءٌ لما جهلوا، وأن الحق قد يُعارض في أول أمره، فليتسلح أهله بالصبر حتى يفتح الله تعالى لهم .

٥- لطيفة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ . الله سبحانه هو أول شاهد وشهيد، ينطق باسمه العبد ويفزع إليه، وجيء بلفظ (ربنا) لاستمالة القلوب وإذعان الخلق لمربيهم، المنعم المتفضل عليهم جل جلاله .

٦- لطائف : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ . مبدأ (المساومة) على الحق، مضطرد في كل الأمم، ليظفروا بشيء من الباطل، ويفوزوا به . وأخرى الصراع بين الحق والباطل قديم بقدم الإنسان . وثالثة ذكر (الرجم) تلاه (العذاب الأليم) دال على غاية الغل والعداء، الذي انطوت عليه قلوب من رفض الحق جملة وتفصيلاً، لدرجة أن أحدهم أصبح لا يستسيغ سماع صوت الحقيقة من أي وجه بتاتاً . ورابعة كلمة (ليمسنكم) دليل على إرادة غاية الإيلام بمن توُّعد إيقاع العذاب به .

٧- لطائف : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ . من رفض الحق وقَبِل الباطل، اختل ميزانه وانقلبت فطرته غالباً، وهذا أمر خطير للغاية، قد يورث الهلاك . وأخرى البلاء موكل بالمنطق، فمن نطق بكلمة ابتلي بها، فلا تقولن إلا خيراً، لذا جاء في الشرع المطهر الأمر بإمساك اللسان عن الكلام، حتى لا يبتلى المرء بما قال . في الأثر : (إن البلاء موكل بالقول)[مالك في الموطأ والبيهقي في شعب الإيمان] . وفي رواية : (موكل بالكلام) وفي رواية : (موكل بالمنطق) .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- القرية : مجمع من الناس في مكان واحد، تجمعهم ثقافة واحدة، وإن كثروا وكَبُر مجتمعهم .

٢- المرسلون : سبق الإيضاح .

٣- بشر : لفظ يطلق على عامة الناس، وهم (بنو آدم عليه السلام) .

﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾

ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ
عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ
﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ
قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ
وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ
إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾

– (قصة تضمنت بياناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً عن أولئك القوم الكافرين، واصفاً سبحانه مقدم أحد المؤمنين الصادقين، مسرعاً من طرف المدينة لنصرة أولئك الثلاثة المرسلين، واعظاً قومه إن اتبعوهم فهم قوم مهتدون، قد جاؤوا بالحق لا لأجر يبتغون، مقصدهم عبادة الذي فطر الناس والخلق إليه راجعون، فكيف يُترك من هذا شأنه، ويُعبد من دونه من لا يملك النفع أو الضرر، ذلك ولا ريب ضلال مبين، فاسمعوا يا قوم نصحي لكم، ولتفلحوا آمنوا بربي وربكم، لكنهم ردوا

دعوته تلك ورفضوا مقالته لهم، وانهالوا عليه ضرباً شديداً لمَّا صرح بمعبوده أمامهم، فلما أوشك على الموت رأى الجنة ونعيمها؛ فقال وقتئذٍ : يا ليت قومي يعلمون، بما غفر لي ربي وجعلني فيها من المكرمين، أما قومه الكافرون فمصيرهم أهون من إنزال جند من السماء لعذابهم وهلاكهم، فما هي إلا صيحة واحدة من مَلَكٍ أزهقت أرواحهم، فإذا هم جثث على الأرض هامدون، فيا لخسرانهم في الدنيا وطول حسرتهم في الآخرة، جرَّاء تكذيبهم المرسلين واستهزائهم بدين رب العالمين، لِمَ لم يتعظوا بما حصل للقرون السابقة لهم، وينظروا مصائر المكذبين من أمثالهم، لا رجوع لأيهم بعد هلاكه أبداً، وكل الخلق إلينا يوم القيامة راجعون، وبين أيدينا للجزاء والحساب والعقاب محضرون .

غريب الكلمات :

- أقصى المدينة : طرف المدينة، من مكان بعيد .
- فطرني : خلقني وأوجدني من عدم مطلق .
- صيحة واحدة : صيحة جبريل عليه السلام فيهم، فأهلكتهم .
- خامدون : صرعى ميتون .
- يا حسرة على العبادة : يا لخسرانهم وندامتهم، نتيجة غفلتهم وإعراضهم وتفريطهم .

توجيهات الآيات :

١- الجد والاجتهاد في النصح والتوجيه والإرشاد، والدعوة إلى الله تعالى ونشرها ولو واجه المرء في سبيل ذلك أنواع المشقة، وصنوف المتاعب .

٢- وجوب اتباع المرسلين عليهم الصلاة والسلام، أئمة الهدى ودعاة الحق المبين، قوم حق وصدق، لا يطلبون على دعوتهم تلك أجراً، بل ولا يطيقه أحد أصلاً، فأجرهم على الله جل في علاه .

٣- الأولى بالعبادة والطاعة والانقياد من بين سائر المعبودات، هو الله جل في علاه وذلك لحيثيتين اثنتين، الأولى : أنه هو الذي أوجد الخلق من عدم مطلق . والثانية : أن الكل إليه راجع، فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه جل جلاله .

٤- الشرك ضلال مبين، إذ كيف يُعبد من لا يضر ولا ينفع، ولا يملك من أمره شيئاً، فضلاً عن أن يملك من أمر غيره من سائر الخلائق شيئاً .

٥- الإيمان بالله جل وعز هو حبل النجاة في الدنيا، وهو الموجب للجنة ونعيمها في الآخرة، لا سبيل آخر لذلك إطلاقاً .

٦- لا نافع ولا ضار إلا الله جل في علاه، القادر القدير المقتدر، ومن اعتقد غير ذلك فهو في غفلة من أمره وضلال مبين، فليتنبه لذلك . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لابن عباس رضي الله تعالى عنهما : (**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو**

اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف)[الترمذي وأحمد] .

٧- غاية ما يسعى إلى تحقيقه وإلى الوصول إليه دعاة الحق والمصلحون، نجاة أقوامهم من الهلاك، يطلبون ذلك لكل أحد مهما كان، كما يطلبونه لأنفسهم تماماً وبكل صدق، لو علم الناس حقيقة أمرهم وغاية مقصدهم النبيل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يؤمن أحكم حتى يحب لأخيه كما يحب لنفسه**)[متفق عليه] .

٨- دخول الجنة يستوجب مغفرة الذنوب، وأهلها في كرامة يُنعَّمون، ويتقلبون في صور النعيم المقيم .

٩- في سكرات الموت حيث تلك اللحظات الحاسمة، تتكشف للمحتضر أمور لا يراها سواه .

١٠- العاقبة الحسنة الحميدة لكافة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وعامة الدعاة الصادقين والمصلحين العاملين، في الدنيا والآخرة .

١١- لله جلت قدرته جنود السماوات والأرض، يسلط ما شاء من جنده، على من شاء من عباده، والعاقبة الوخيمة للمكذبين المستهزئين، والمستكبرين المعاندين .

١٢- انتقام الله سبحانه لعباده الصالحين، ولو تأخر الجزاء والعذاب، فكل شيء عنده بأجل مسمى، يتقدم أو يتأخر لحكمة بالغة .

١٣- شؤون الخلائق أهون على الله سبحانه مما يتصور الإنسان، يقلِّب الأمور ويصرِّفها كيف يشاء، وفي لمح البصر تتغير الأحوال وتتبدل الأمور، فمتى ابتعد البشر عن دين الله جل جلاله لم يبالي في أي وادٍ هلكوا .

١٤- من جملة سنن الله جل وعلا في الأمم السابقة، عذابهم عن طريق الملائكة الكرام، كجبريل وغيره عليهم السلام، بالصيحة أو الرجفة أو غيرهما .

١٥- يا لخسران كثير من الناس في جنب الله سبحانه، جرَّاء الكفر والتكذيب، والاستهزاء بأمر دينه ورسله الكرام عليهم السلام، وما جاءوا به من أمور عظيمة الشأن، تحقق سعادتهم ونجاتهم لو فطنوا .

١٦- استحواذ الغفلة على جنس البشر من حيث العموم، لا يتعظون بمن مضى، ويعتبرون بمن سلف، فيأخذوا العبرة والموعظة مما آل إليه أمر السابقين . فرغم كثرة المواعظ؛ الغفلة فيهم أكثر .

١٧- تقرير عقيدة البعث والنشور، والجزاء والحساب والعقاب .

١٨- إنا لله وإنا إليه راجعون حقاً، وبين يديه واقفون وعن أعمالنا محاسبون صدقاً، لا مفر للخلق من ذلك في اليوم الموعود مطلقاً .

١٩- النون في قوله تعالى : (أنزلنا، كنا منزلين، أهلكنا، لدينا) دالة على التعظيم، وإلا فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطائف : جاء في الآية (٢٠) قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[1]. نصرة الحق تتطلب المبادرة ولو بجهد جهيد، ولو كان المرء وحيداً لا معين له، حسبه أن الله جل جلاله معه، مؤيداً ومعيناً ونصيراً . وأخرى كلمة (المدينة) دالة على تعدد أفكار أهلها وتوجهاتهم واختلاف سلوكياتهم، بين مؤمن وكافر، وبر وفاجر، كما هو شأن هؤلاء القوم .

٢- إشارة : جاء في الآية (٢٢) قوله تعالى : ﴿ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ . لما صرَّح بالعبادة قال (الذي فطرني)، ليقينه بذلك وريبة قومه في الأمر، لكنه لما ذكر الموت قال (وإليه ترجعون) لعجز البشر عن إنكار الموت، وأن الجميع حتماً إلى ربهم راجعون .

٣- إشارات : جاء في الآية (٢٣) قوله تعالى : ﴿ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا

[1] قال بعض المفسرين في شأن ذلك الناصح : هو حبيب النجار . لما جاء في الأثر : (الصديقون ثلاثة : حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال : ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ ﴿٢٨﴾ ﴾، وعلي بن أبي طالب الثالث، وهو أفضلهم)[أحمد في فضائل الصحابة] .

﴿ يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ ﴾ . كلمة (آلهة) بصيغة الجمع، دالة على تعدد المعبودات، كل معبود منها للقوم فيه اعتقادات ومقالات، في حقيقتها لا تضر ولا تنفع، وكفى بذلك التخبط دليلاً ظاهراً على الخطأ البيِّن . وأخرى كلمة (الرحمن) دالة على غاية رحمة الله عز وجل بخلقه وعباده، وهذه هي المرة الثالثة التي تكرر فيها هذا الاسم المبارك، في ثنايا الآيات الكريمات .

٤- لطائف : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . ما زال كثير من الناس في غفلة من أمره، حتى يحضره الموت، فيرى الحقائق حينها عياناً . وأخرى الإنسان بطبعه في غرر حقيقي، لا يقبل من غيره عادة، وإن كان على الحق البيِّن، وقد يقبل من غيره أحياناً ويتأثر به رغم كونه على باطل ظاهر . ولله في خلقه شؤون .

٥- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . كل الناس مثقل بالذنوب، لكنها رحمة الله سبحانه الرحيم الغفار للذنوب . وإشارة من الخلق من هو مُكرم بالإيمان والطاعة، ومن هو مُهان بالكفر والمعصية .

٦- إشارات : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ . قد تكون إقامة

الحجة بموت الداعي إلى الحق، حينها يحيق العذاب بالمكذبين من قومه، من بعده . وأخرى جملة (على قومه) دالة على أن نزول العذاب على المكذبين بالناصح، لا على المكذبين بالثلاثة المرسلين، لعظم موقفه في نصرة الدعوة وتأييدها، والتي هي امتداد لدعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٧- لطيفة : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ . الملائكة الكرام عليهم السلام من أعظم جنود الله جلت عظمته، وقدراتهم تفوق الوصف والتصور البشري، وإذا كانت قدراتهم كذلك وهم من جملة الخلق، فكيف بقدرة رب العزة والجلال، جل ربنا في علاه !.

٨- لطائف : جاء في الآية (٣٠) قوله تعالى : ﴿ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . عامة الناس لا يهتم لأمر دينه كما ينبغي، قد يستخف به ويستهزئ، ولا يبالي له ولا يهتم به، كما يبالي ويهتم لأمور دنياه . وأخرى كلمة (العباد) هنا للترقيق وتذكيرهم أنهم لله جل جلاله، المحب لهم الرؤوف بهم .

٩- لطائف : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ . جملة (ألم يروا)

يراد بها (ألم يعلموا) واستعيضت عنها لاستحضار حقيقة هلاك السابقين، كما لو أنهم شاهدوا ذلك عياناً، لأخذ العبرة والموعظة بأبلغ صورة . وأخرى قضى الله جل جلاله أن من مات لا يعود إلى يوم القيامة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لجابر رضي الله تعالى عنه : (**ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً، فقال : يا عبدي تمن علي أعطك، قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون**)[الترمذي وابن ماجة . كفاحاً : مواجهة] . وثالثة كلمة (إليهم) في جملة (أنهم إليهم لا يرجعون) كما لو أنها مزيدة، وكان يكفي قول : (أنهم لا يرجعون)، فيه دلالة على أن الرجوع يكون إلى الله جل وعز وحده، أما في الدنيا فمتى شاء أحيا من شاء لحكمة (كما أحيا قتيل البقرة ليدل على قاتله)، وأما في الآخرة ففي اليوم الموعود، للجزاء والحساب والعقاب .

١٠- إشارة : جاء في الآية (٣٢) قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ . تعدد ألفاظ الجمع : (كلٌ، جميع) دلالة على أنه لا مفر لأحد مطلقاً، ولا ملجأ له إطلاقاً، ولا منجى من الصيرورة إليه جلت عظمته، الكل في قبضته ويوم الحشر واقف بين يديه، ماثل برسم العبودية خاضع له .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المدينة : مجمع كبير من الناس، متباين الأفكار، والثقافات والمعتقدات والسلوكيات .

٢- رجل : جنس من البشر، وهو الذكر من بني آدم عليه السلام، ويقابله الأنثى .

٣- المرسلين : سبق الإيضاح .

٤- المكرمين : جمع مكرم، من كرمه الله تعالى بالعبادة والطاعة، والانقياد لمراده سبحانه .

٥- قوم : سبق الإيضاح .

٦- جند : جمع جندي، من أُعِد للقتال، والقيام بأعمال الجهاد، ويقصد به هنا الملائكة الكرام .

٧- العباد : جمع عبد، وهم عموم الخلق، من البشر المكلف، من الجن والإنس سواء .

٨- رسول : سبق الإيضاح .

٩- قرون : جمع قرن، وهو حقبة زمنية، الأصح أنها مائة عام، وقيل فيها أقل من ذلك .

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا

فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

- (إعجاز تضمن بياناً بتوجيه) : بعد إيراد القصة، لفت سبحانه أنظار خلقه لعجائب هذا الكون، وما فيه من معجزات دالة على قدرته، داعية إلى توحيده، انظروا مثلاً إلى هذه الأرض التي تروها ميتة، كيف أحياها بالماء، وأخرج منها أنواع الحبوب وصنوفه للبشر منه يأكلون، وفرشها بجنات من نخيل وأعناب، وفجر خلالها ينابيع الماء العذب والعيون، خيرات هيئت للخلق، مما اجتهدوا فيه ومما لم يجتهدوا فيه، أفلا يشكرون الله العلي

القدير على ذلك النعيم والخير الوفير تقدست اسماؤه، انظروا كيف خلق الأزواج كلها، من نبات وحيوان وإنسان، مما علم البشر ومما لا يعلمون، كل جنس فيما بينهم يتناسلون، استبقاءً للجنس والنوع، أليست كل مظاهر القدرة تلك الماثلة أمامكم، تستدعي التفكر والتدبر والتأمل !، ثم انظروا إلى هذا الليل كيف يغشى الكون فتظلم دنياكم، وانظروا إلى الشمس كيف تجري من الشرق إلى الغرب فوق رؤوسكم، وانظروا إلى القمر كيف يتنقل من منزلة إلى أخرى ثم يعود كما كان أول أمره، كلاهما يسيران في فلك واحد، فلا يدركان بعضهما ولا ليلكم يسبق نهاركم، وكلٌ أمام أعينكم في ملكوت هذا الكون الفسيح يسبحون، أفلا تفكرون وتتدبرون وتتأملون !، ثم ألا ينظرون إلى نعمة ركوب البحر، كيف حُملوا على ظهره بسفن مكتظة بالبشر وبمنافعهم، تشق عُباب الماء بكل سهولة ويسر، وكيف خلق لهم من أمثالها من مركوبات شتى متنوعة لراحتهم ونفعهم، فلو شاء جل جلاله لأغرقهم جرَّاء كفرهم وتكذيبهم وإعراضهم، ولكنها رحمته بخلقه، في كل شؤون حياتهم وتقلبات أحوالهم، أفلا يشكرون ! .

غريب الكلمات :

- آية : معجزة كونية ظاهرة .
- الميتة : اليابسة الجدباء .

- حباً : أنواع الحبوب والثمار (المحاصيل الزراعية) .
- جنات : جمع جنة، الحدائق والبساتين، والأراضي الزراعية الخضراء .
- العيون : جمع عين، هي ينابيع الماء العذب الزلال، تخرج من باطن الأرض .
- سبحان : تقدس وتبارك وتعالى شأنه .
- نسلخ : نُجلي منه ونُظهر وننزع .
- تجري لمستقر : تسير في مدار لها لا تحيد عنه .
- منازل : جمع منزل أو منزلة، وعددها (٢٨) منزلة ظاهرة ومنزلتان مظلمتان، بعدد أيام الشهر .
- العرجون القديم : عذق النخلة الأصفر، والمعنى يصغر الهلال حتى يكون كالعود اليابس المقوس .
- يسبحون : يسيرون، كلٌ في مداره الذي وضع فيه .
- حملنا ذريتهم : ممن حمل من ولد آدم في سفينة نوح، عليهما السلام .
- صريخ : مغيث لهم .

توجيهات الآيات :

١- دعوة للتفكر والتدبر والتأمل، بلفت النظر إلى هذه المعجزات الكونية، ومظاهر القدرة الربانية في هذا الكون الفسيح، الدالة على الخالق العظيم جلت قدرته، لإدراك الحقائق مجردة للعيان .

٢- حياة الأرض بالماء، تخرج به خيراتها، من حبوب وثمار وفواكه وخضار، ونعم كثيرة ومتعددة، منها حياة الناس، يأكلون ويشربون ويتمتعون .

٣- يخرج الماء العذب من جوف الأرض، عيوناً وينابيع كيفما شاء الله سبحانه وتعالى .

٤- خيرات الأرض نوعان : نوع يخرج من غير تعب ولا جهد للإنسان فيه، من عموم أنواع الزرع وصنوف النباتات، التي أوجدها سبحانه لخلقه ينتفعون بها، ونوع يخرج بجهد وتعب، وهي الأراضي التي يقوم الإنسان بزراعتها ليحصد جناها وثمارها .

٥- عامة الخلائق في الدنيا، تتكون من جنسين اثنين (ذكر وأنثى) يتناسلان ويتعاقبان، وفق السنن الربانية في الكون، لحكمة بالغة أرادها سبحانه من خلقه .

٦- من جملة تلك المعجزات، تعاقب الليل والنهار على البشر، لكل منهما منافع شتى للخلق .

٧- ومن جملتها أيضاً هذه الشمس تشرق وتغرب، وللناس في نهارهم سعي حثيث ومنافع شتى، والضرب في الأرض لتحصيل المعاش، وطلب الرزق وقضاء الحوائج .

٨- ومن جملتها هذا القمر يظهر ويغيب، عبر منازل مقدرة خلال الشهر، وللناس في ليلهم راحة وهجوع ومنافع شتى .

٩- ومن جملتها حركة الشمس والقمر، وما في منازلهما من معرفة للسنين والحساب، وانضباطهما في مسارات ومدارات لا تحيد عنها، ولا تتصادم ببعضها .

١٠- ومن جملتها استحالة تلاقي الليل والنهار، وتعاقبهما لحصول النفع العام من ذلك للبشر في هذا الكون الفسيح، الذي يسير وفق قدرة ربانية وحكمة بالغة . فسبحان ربنا العظيم وبحمده .

١١- من جملتها نعمة السفر عبر البحر، بسفن متنوعة الصنع ومراكب متعددة الأحجام والأشكال، تحمل البشر ومنافعهم إلى كل مكان حيث يريدون .

١٢- ومن جملتها تذليل سائر المركوبات للبشر، براً وبحراً سابقاً، وجواً حالياً لما تقدمت وسائل النقل الحديث، وتطورت أساليبه الأخرى البرية والبحرية .

١٣- لا راد لما أراد جل جلاله، فلو شاء لحمل الكفار في البحر ثم أغرقهم، متى شاء وكيفما شاء جلت قدرته، لا منقذ لهم ولا ملجأ لهم ولا منجى منه إلا إليه سبحانه .

١٤- واسع رحمة الله جلت عظمته بخلقه، في كل شؤون حياتهم رغم كفرهم وتكذيبهم، وإعراضهم عن دينه، وتقصيرهم في أمر عبادته .

١٥- إن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وما بعد فسحة الدنيا، إلا عذاب الآخرة العظيم الأليم .

١٦- النون في قوله تعالى : (أحييناها، وأخرجنا، وجعلنا، فجرنا، نسلخ، قدرناه، حملنا، خلقنا، نشأ نغرقهم، رحمة منا) دالة على التعظيم، وإلا فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٣٣) قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ . أثبت العلم الحديث أن الأرض اليابسة الجدباء تحيا بالماء، وبدونه تموت كل صور الحياة على وجهها، من نبات وحيوان وإنسان .

٢- لطائف وإشارة : جاء في الآية (٣٤) قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ ﴾ . ذِكر (النخيل والأعناب) دون باقي صنوف الفواكه، دال على كثرة الفوائد التي فيهما، وذكرهما بصيغة الجمع ليدل على أن أنواعهما كثيرة ومتنوعة وكلها مفيدة ونافعة . وأخرى ذَكَر شجر (النخيل) دون ذكر ثمرته، ليدل على كثرة منافعها للناس، كما أن لثمرتها منافع شتى . وإشارة أثبت العلم الحديث أن الماء الموجود على وجه الأرض، فعلاً ينبع منها ويتفجر من باطنها، من بين الصخور الصلبة، فسبحان ربنا العظيم .

٣- إشارة : جاء في الآية (٣٦) قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ . لا يعلم ما في هذا الكون الفسيح، من ملك ظاهر وملكوت خفي إلا الله جل ربنا في علاه، كان وما زال خالقاً على الدوام، حتى عالم الجمادات ظهر فيه مبدأ التزاوج، كالكهرباء (موجب وسالب)، فسبحانه وبحمده من خالق عظيم .

٤- إشارة ولطائف : جاء في الآية (٣٧) قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ . أثبت العلم الحديث أن عملية تعاقب الليل والنهار، حال انفصالهما كما لو أن شيئاً ما ينسلخ من آخر، فسبحان الله العلي العظيم . ولطيفة ذكر الليل والظلمة التي تكتنف الناس، دون ذكر النهار، دلالة على أن الأصل في الكون الظلمة، وقد أثبت العلم الحديث ذلك بالفعل، وكيف أن الكون ظلام دامس، تنيره الشموس . وأخرى قد يكون في الآية (تضمين) والتقدير : (والنهار نسلخ منه الليل فإذا هم مبصرون) .

٥- إشارات : جاء في الآية (٣٨) قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ . كلمة (تجري) تثبت أن للشمس حركة غير حركة الدوران المعتادة، وأنها في غاية السرعة

في هذا الكون وليس الأمر كما نرى ونشاهد، وقد أثبت العلم الحديث ذلك بالفعل وذكر أن سرعة حركتها حول المجرة تقدَّر بـــ (٢٣٠) كيلو متر في الثانية الواحدة . وأخرى الله سبحانه أعلم بمستقرها الذي تسير فيه وإليه . في الحديث النبوي الشريف قال ﷺ : (**أتدرون أين تذهب هذه الشمس ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، فلا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها : ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئاً حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها : ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة من مغربها، قال ﷺ : أتدرون متى ذاكم ؟ ذاك حين ﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾ ﴾**)[مسلم] . وثالثة جملة (ذلك تقدير العزيز العليم) دالة على غاية قدرة الله جل في علاه في كونه، وكيف أنه جعله ضمن نظام محكم تماماً، متناسق لا خلل فيه مطلقاً .

٦- إشارات : جاء في الآية (٣٩) قوله تعالى : ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾ . تشبيه القمر حال تقوُّسه أول الشهر

وآخره، بعود يابس مقوس . وأخرى جملة (حتى عاد) دالة على تكرار المشهد كل شهر، للعبرة والموعظة، فهل من متأمِّل مدَّكِر .

٧- لطائف وإشارة : جاء في الآية (٤٠) قوله تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ . استحالة تداخل مدار الشمس بمدار القمر، إذ لكل منهما مساره المحدد الذي وُضع فيه، لينتفع الخلق بذلك . وأخرى استحالة اجتماع الليل بالنهار، إذ لكل منهما وقته، وفي هذا دليل واضح على كروية الأرض، لأن الشكل الكروي هو الوحيد من بين الأشكال، الذي يستحيل فيه اجتماع الليل بالنهار في مكان واحد، وبالتالي فنصف الأرض يكون ليلاً، ونصفها الآخر يكون نهاراً، يتعاقبان على ذلك إلى ما شاء الله تعالى . وإشارة الكون في سبح دائم وحركة حثيثة، لا يعلمها إلا الله سبحانه، وقد أثبت العلم الحديث ذلك بالفعل بما لا شك فيه . فسبحان ربنا وبحمده .

٨- إشارة : جاء في الآية (٤١) قوله تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ . الفلك المشحون، لفظ يطلق على سفينة نوح عليه السلام، سمي بالمشحون لاكتظاظه بالكائنات، وكانت أول سفينة عرفها البشر . والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل

سفينة تئطُّ بحمولتها تسير على ظهر البحر بقدرة الخلاق العظيم، ورحمته ومنته، ويسره وتيسيره .

٩- لطيفة : جاء في الآية (٤٢) قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ . عبارة (من مثله ما يركبون) دالة على كل ما سيستجد من مركوبات ووسائل نقل متطورة، من سيارات وطائرات وقطارات، وسفن حديثة وهوائيات، وما إلا ذلك .

١٠- لطيفة : جاء في الآية (٤٣) قوله تعالى : ﴿ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ . الصريخ طلب النجاة، وهو أول وسيلة يلجأ إليها الغريق، لذلك كان أجره عظيماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الشهداء خمسة : المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله**)[البخاري . والمطعون : من مات بداء الطاعون . والمبطون : من مات بمرض يصيب البطن] . وفي رواية قوله ﷺ : (**الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله : المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجُمْع شهيد**)[أبو داود والنسائي وابن ماجة . والمرأة تموت بجمع : وهي حامل في بطنها الولد] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الأزواج : جمع زوج، والزوج لفظ يطلق على أحد الزوجين (ذكر وأنثى) يتزاوجان، كل منهما زوج الآخر، ويراد بذلك هنا عامة أصناف وأنواع المخلوقات الحية، من النبات والحيوان والإنسان .

٢- أنفسهم : جمع نفس، وهي جوهر الإنسان اللطيف، ويعبر عنها بالروح أحياناً .

٣- الليل : يقدر بنصف اليوم، وهو الجزء المظلم منه .

٤- النهار : يقدر بنصف اليوم، وهو الجزء المضيء منه .

٥- فلك : فضاء فسيح تدور فيه أجرام سماوية لا حصر لها، متفاوتة الأحجام، لا يحيط بحدوده إلا خالقه العظيم، جل ربنا في علاه .

٦- حين : مدة زمنية غير محددة، وقد تحدد بحسبه .

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيكُمۡ وَمَا خَلۡفَكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

– (بيان تضمن التخويف والترهيب) : ما زال سياق الحديث عن القوم الكافرين، مبيناً سبحانه غاية إعراضهم عن الحق، حين قيل لهم احذروا نكبات الزمان ونوازله، وحين قيل لهم احذروا يوم القيامة وأهواله، لعلكم بذلك ترحمون، فاحذروا يا هؤلاء الغفلة والاعراض، فقد جاءتكم من ربكم آيات بينات، ومعجزات ظاهرات، دالة على القدرة الربانية، واحذروا منع الانفاق مما رزقكم الله تعالى على الضعفاء والمستحقين، محتجين على ذلك، قائلين كيف نطعمهم وقد حرموا، لو استحقوا مثلنا لرُزقوا، احذروا كل ذلك، فهو ولا ريب ضلال مبين، واحذروا الاعراض والاستهزاء بيوم الدين، قائلين متى هو وعد القيامة هذا إن كنتم أيه الرسل صادقين !، والجواب لينتظروا قليلاً، فما هي إلا صيحة واحدة من الملك الموكل بذلك، تزهق لها أرواحهم وهم بأمور دنياهم منشغلون، فلا يستطيعون حينها منع الموت عن أنفسهم، أو تأخيره لحين كتابة وصاياهم، ولا هم إلى أهلهم بعدها يرجعون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– الوعد : يوم الجزاء والحساب والعقاب .

– صيحة واحدة : نفخة الصعق، بالبوق الموكل به الملك إسرافيل عليه السلام .

- يخصِّمون : جمع يخصِّم، يختصمون فيما بينهم، في البيع والشراء والمعاملات ونحوها .

- توصية : كتابة الإنسان وصيته التي يريد .

توجيهات الآيات :

١- التقوى السبيل الأول والأقصر إلى الرحمة الإلهية، لا سبيل آخر لذلك، بجعل العبد بينه وبين غضب ربه وقاية وحجاباً حاجزاً من العذاب .

٢- أخذ العبرة والموعظة مما يحصل للإنسان في حياته، من بلاءات ومصائب ونكبات تجري عليه .

٣- الحذر من عواقب الأمور ونهاياتها وخواتيمها، والتفطن لذلك، في الدنيا والآخرة سواء .

٤- دعوة للتدبر والتفكر والتأمل بصدق، في هذه الآيات الكونية والمعجزات الربانية .

٥- الإعراض يعني انغلاق العقل عن رؤية الحقائق على صورتها الحقيقية، وعاقبته الهلاك .

٦- الإنفاق في سبيل الله تعالى، واجب يبذل للمستحقين، يرقق القلب ويجعله يراجع حساباته .

٧- الرزق رزق الله جل شأنه، يقسمه بين خلقه بحكمة ولحكمة، يبتلي بعضهم ببعضهم ليرى كيف يصنعون، فلا يبخل مقتدر على مقتر،

فالإعراض ومنع الانفاق، من أكبر أسباب قسوة القلب، المؤدية إلى الضلال المبين .

٨- التخويف باليوم الموعود، حيث الرجوع إلى الله تعالى، للجزاء والحساب والعقاب .

٩- عاقبة التكذيب الوخيمة، تفوِّت على صاحبه إدراك الحقائق، والخير وما يترتب على ذلك .

١٠- نهاية الخلق في هذه الدنيا تكون بنفخة (إسرافيل) عليه السلام، النفخة الأولى المسماة بنفخة (الصعق) . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى له، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه فيصعق، ثم لا يبقى أحد إلا صعق،**)[أحمد . وأصغى له : سمع بفزع وهلع . ويلوط حوضه : يصلحه] .

١١- تقوم الساعة والناس في مشاغل دنياهم منخرطون . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**تقوم الساعة والرجل يحلب اللَّقحة، فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب، فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه، فما يصدر حتى تقوم**)[مسلم . واللحقة : الناقة . ويَلِطُ : يصلح] .

١٢- موت الفجأة يمنع صاحبه من الوصية، ومن ترتيب أموره، ولا سيما إذا كان مفرطاً في أمور دينه ودنياه، وهذا هو الخسران الكبير . في الحديث النبوي الشريف لما سئل ﷺ عن موت الفجأة قال : (**راحة للمؤمن،**

وأَخْذة أَسَفٍ للفاجر)[أحمد . وأخذة أسف : حسرة عليه لعدم استعداده للموت، بالتوبة والعمل الصالح] .

١٣- الواجب على المسلم المكثر صاحب الحقوق، تبرئة ذمته أول بأول، بكتابة وصيته قبل نومه، فإن فاجأه الأجل أي وقت، كان قد أصدرها لمن بعده . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما حق امرئ مسلم، له شيء يريد أن يوصي فيه، يبيت ليلتين، إلا ووصيته مكتوبة عنده**)[متفق عليه] .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٤٥) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُواْ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ . عمر الإنسان (الذي بين يديه) قصير ينتهي بأجله، لكن عمله قد يبقى من بعده مستمراً بدلالة (وما خلفكم)، خيراً كان أم شراً، فليحرص الإنسان على ألا يخلِّف من بعده إلا العمل الصالح، الذي يدركه ثوابه في قبره، وليحذر مما سواه .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٤٦) قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ . الإنسان صاحب العقل الفاسد والقلب المغلق، لا يرى إلا ما يريد، مهما كانت الأمور ظاهرة عياناً، هو من أغلق على نفسه ولوج باب الهداية والنور .

٣- لطائف : جاء في الآية (٤٧) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ . في الآية أمر للكافرين بالإنفاق على الفقراء المؤمنين، فيه دلالة على أن انفاق الغني على الفقير المحتاج، من أقوى روابط التكاتف الاجتماعي، ولا سيما متى وجدت القرابات بين الاثنين، حتى وإن اختلف الدين فالأخوة في الإنسانية باقية ومتحققة، ويجب العمل بموجبها فيما بين البشر، ولا سيما في الأزمات وأوقات النكبات . وأخرى إمساك الغني عن الإنفاق على الفقير بحجة أن الله سبحانه قد حرمه حجة واهية، إذ العلة أن الرزق مقسَّم بين الخلق بحكمة ولحكمة، ليترابطوا فيما بينهم ويكونوا في حاجة بعضهم، فلا يستنكف أي إنسان ويبخل بالإنفاق على أخيه المحتاج .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٤٨) قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ . تكررت هذه الآية الكريمة في القرآن الكريم (٦) مرات : هنا، وفي سورة يونس الآية رقم (٤٨)، وفي سورة الأنبياء الآية رقم (٣٨)، وفي سورة النمل الآية رقم (٧١)، وفي سورة سبأ الآية رقم (٢٩)، وفي سورة الملك الآية رقم (٢٥) . جميعها أتت في سياق التكذيب بيوم الدين والاستهزاء بالمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٤٩) قوله تعالى : ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ . هول صيحة الملك العظيم (إسرافيل) عليه السلام، التي تزهق منها قلوب الخلق، خوفاً وفزعاً وهلعاً، إلا من شاء الله تبارك وتعالى، ممن صدق إيمانه فأمَّنه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ينفخ في الصور فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله**)[مسلم] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ، قال المسلمون : فكيف نقول يا رسول الله ؟ قال : قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل توكلنا على الله ربنا**)[الترمذي وأحمد . والقرن : البوق الذي ينفخ فيه] . وفي الأثر : (فيأمر الله عز وجل إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه)[البيهقي في شعب الإيمان] .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٥٠) قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ . أهمية الأهل في حياة الإنسان، دالة على أنه بطبعه اجتماعي، يعيش ضمن أسرة تحتضنه وعائلة تؤويه، بهم ومعهم يباشر حياته بصورة اعتيادية، والشذوذ بخلاف ذلك ولا ريب، إلا من سبب يستدعيه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين كفروا : كل من رفض منهج الله تعالى، وأعرض عنه .

٢- الذين آمنوا : كل من قبل منهج الله تعالى وآمن به .

٣- أهلهم : جمع أهل، وهم أقارب الإنسان الذين يأوي إليهم، من أب وأم وزوجة وولد ...

﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾
قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ
ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ
لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ
إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ
فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾
لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾
وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ
أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾
وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾

– (بيان تضمن التخويف والترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه حال الناس يوم النفخ في الصور، فإذا هم يومئذ من قبورهم إلى ربهم يخرجون، فزعين متسائلين من أخرجنا من قبورنا هذه بعد طول رُقاد، أهذا ما وعد الرحمن وجاء به المرسلون !، يا ويلهم ويا لخسرانهم حينها، فليستعدوا إذن لذلك اليوم، فما هي إلا صيحة واحدة تأخذهم، فإذا جميع الخلائق على أرض الحشر محضرون، حيث لا ظلم ولا جزاء إلا بما كانوا يعملون، أما أصحاب الجنة من المؤمنين ففي شغل منعَّمون، بما آتاهم جل جلاله من نعيم مقيم، هم وأزواجهم في ظلال الجنة على سررها متكئون، لهم فيها أنواع الفواكه ومما هم فيه يشتهون، وزيادة عليه سلامٌ عليهم، تحية مباركة من ربهم الرحيم، وأما المكذبين المعرضين فويل لهم، يؤخذون جانباً ويحرمون من دخول الجنة، يوبخون ويعنَّفون ألم تأتكم النذر بالبلاغ، مبينة أني قد أخذت العهد على بني آدم ألا يعبدوا الشيطان الرجيم، إنه لهم عدو بيِّن العداء، ألم آمركم بعبادتي وطاعتي، ذلكم هو الحق المبين، ها قد أضل منكم أجيالاً كثيرة لو كنتم تعقلون، فذوقوا ما أنتم له تستحقون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– الصور : البوق أو القرن المعد للنفخ فيه، صوته مفزع يخلع القلوب .

- ينسلون : يخرجون إلى ربهم متتابعين مسرعين .
- صيحة واحدة : نفخة الفزع أو البعث، بالبوق الموكل به إسرافيل عليه السلام .
- محضرون : ماثلون على أرض المحشر، مجتمعون قائمون .
- فكهون : منعَّمون .
- الأرائك : جمع أريكة، وهي السرر المرتفعة المزينة .
- يدَّعون : يطلبون ما يشتهون .
- امتازوا : تميزوا وانفصلوا .
- أعهد : آخذ العهد عليكم .
- جبلاً : خلقاً كثيراً وأجيالاً عديدة .

توجيهات الآيات :

١- تقرير عقيدة البعث والنشور، والجزاء والحساب والعقاب .

٢- خروج الناس من قبورهم بالملايين، ليقفوا بين يدي ربهم سبحانه، للحساب والعقاب .

٣- يوم القيامة لا ريب فيه، فويل لمن كذب المرسلين، وفرط في الاستعداد للقاء رب العالمين .

٤- لا ينفع الندم بعد فوات الأوان، والكل إلى ربه سبحانه راجع، شاء من شاء وأبى من أبى .

٥- بداية يوم القيامة بمبعث الناس من قبورهم، تكون بالنفخ في الصور للبعث والحشر والنشور، وهي النفخة الثانية المسماة بنفخة (البعث) . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هم قيام ينظرون، قال : ثم يقال : يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون**)[أحمد] .

٦- لا نجاة يوم القيامة، إلا بالإيمان الحق، والعمل الصالح المصدِّق له، وإلا فهو الهلاك .

٧- لا ظلم لأحد ذلك اليوم مطلقاً، وكلٌ بعمله مرتهن، خيراً كان أم شراً .

٨- يوم القيامة يوم رهيب عصيب، فويل للكافرين المكذبين، والعصاة المفرطين .

٩- الملك الموكل بالنفخ في الصور، هو إسرافيل عليه السلام، كما ورد في الآثار .

١٠- نعيم الجنة المقيم يفوق الوصف والتصور . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (قال الله تعالى : **أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**)[متفق عليه] .

١١- أهل الجنة في شغل شاغل على الدوام، يتقلبون في ملذات النعيم، بشتى صوره وصنوفه .

١٢- يجمع الله جل في علاه المؤمن بأهله في الجنة، لتكتمل فرحتهم باجتماعهم فيها .

١٣- في الجنة ظل ظليل لا يعلمه إلا هو سبحانه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن في الجنة لشجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام، لا يقطعها**)[متفق عليه] .

١٤- في الجنة سرر مرفوعة، يتكئون عليها، ويأنسون ببعضهم في مجالسها متقابلين، وفيها من أنواع الفواكه مما لذ وطاب، وكل ما يخطر ببال أهلها فيها يؤتونه فوراً، لتتم فرحتهم من كل وجه .

١٥- تحية أهل الجنة السلام، يُلقى عليهم من الملائكة الكرام عليهم السلام، ويلقى عليهم من ربهم سبحانه تكريماً وتشريفاً، زيادة لهم في النعيم المقيم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**السلام تحية أهل الجنة**)[أحمد] .

١٦- السلام من أسماء الله جل شأنه، وهو تحية أهل الجنة، وهو شعار الإسلام وتحية أهله، ومن أكبر الأسباب المحققة للمحبة فيما بين المسلمين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم**)[مسلم] .

١٧- التفريق بين المؤمنين والكافرين المجرمين يوم القيامة، حين يؤخذ بهؤلاء إلى الجنة، ويؤخذ بهؤلاء إلى حيث النار .

١٨- أخذ الله جل شأنه العهد على بني آدم عليه السلام، بوجوب عبادته وطاعته، وحذر من عاقبة عبادة الشيطان الرجيم وطاعته، وبيَّن ذلك على ألسنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام .

١٩- عبادة الله عز وجل وطاعته هو الصراط المستقيم، الذي لا مرية فيه إطلاقاً، والذي جاء به عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٢٠- كثير من الناس لا يعقلون، اتبعوا الشيطان الرجيم، وعبدوه وأطاعوه، فالناس في الدنيا قسمان، قسم عبدوا الله تعالى فنجوا، وقسم عبدوا الشيطان فضلوا وهلكوا .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (٥١) قوله تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ . جاء الفعل (نفخ) بصيغة الماضي كما لو كان قد حصل، دلالة على أنه لا راد لما أراد الله جل في علاه الغالب على أمره، أو يراد به النفخ في حينه . وإشارة جملة (إلى ربهم) الرب هو المربي، الرحيم بخلقه المحب لهم، لو كانوا يعلمون .

٢- لطائف وإشارة : جاء في الآية (٥٢) قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ . عُبر عن القبر بالمرقد، فيه دليل على طول هجوع الإنسان داخله سنين

طويلة، كما لو كان مثواه الأخير، وهو ليس كذلك حتماً . وأخرى كل مكذِّب علم أن هناك بعثاً بمجرد موته، وسؤالهم هنا تعبيراً عن غاية هلعهم، وتقديره : (هل بدأ أوان الحساب الآن) ! . وإشارة كلمة (الرحمن) دالة على غاية رحمة الله عز وجل بخلقه، وهذه هي المرة الرابعة التي تكرر فيها هذا الاسم المبارك، في ثنايا الآيات في السورة الكريمة .

٣- إشارة : جاء في الآية (٥٣) قوله تعالى : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ . ما من إنسان إلا ويفزع من نفخة البعث الثانية، إلا من شاء الله تعالى، من هول صوتها المخيف المفزع . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**فيأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع، فينفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فيأمره فيمدها ويطيلها، ولا يفتر، وهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾**[ص])[البيهقي في البعث والنشور] .

٤- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٥٤) قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ . العمل الصالح هو المنجي لصاحبه يوم القيامة، وإيمان بلا عمل يصدقه، إيمان

ناقص قد يستوجب العقوبة . ولطيفة العمل أساس المؤاخذة في الدنيا وفي الآخرة، حتى فيما بين البشر، فليس شأن الملتزم بما كلف به، والواقف على الحدود الشرعية والمرعية، كشأن المعتدي على غيره بالسوء والظلم، وليس القائم بما يتوجب عليه نحو الآخرين من حقوق، كالمفرط في أدائها المستخف بها .

٥- لطائف : جاء في الآية (٥٥) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ . لفظ (أصحاب)، دال على غاية موافقة المؤمنين لما يستحقونه من ثواب الجنة، من باب المشاكلة، فالجزاء من جنس العمل . وأخرى لفظ (اليوم) بمعنى ابتداءً من يوم القيامة، ويستمر إلى ما شاء الله سبحانه . وثالثة غاية النعيم أن يكون شغل المرء، تنعُّمه بما لذ وطاب في دار جزائه .

٦- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٥٦) قوله تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ . أهمية (الزوج) في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة . ولطيفة من جملة صور النعيم المقيم ومتعه في الجنة، الاتكاء على السرر، وتبادل الأحاديث بين أصحابها، مسرورين منعَّمين .

٧- لطائف : جاء في الآية (٥٧) قوله تعالى : ﴿ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ . الفواكه من جملة نعيم الجنة، وهي أيضاً من جملة

نعيم الدنيا، لما فيها من منافع شتى وفوائد كثيرة، ومتنوعة ومتعددة للخلق . وأخرى نعيم الجنة لا يقف عند حدود معرفة الإنسان في دنياه، وإنما يتجاوز ذلك بكثير مما يفوق تصوره .

٨- لطيفة : جاء في الآية (٥٨) قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ . سلامه سبحانه وتعالى على أهل الجنة، دليل على غاية رضوانه عنهم .

٩- إشارة : جاء في الآية (٥٩) قوله تعالى : ﴿ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾ . يُفصل بين العباد يوم القيامة، ويؤخذ بالكافرين إلى النار، ولا يلتفت إلى أعمالهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة : ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله : فالشرك بالله، قال الله عز وجل ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ ﴿٧٢﴾ ﴾[المائدة]، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً : فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً : فظلم العباد بعضهم بعضا، القصاص لا محالة**)[أحمد] .

١٠- لطائف : جاء في الآية (٦٠) قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ . كان ذلك العهد وهم في أصلاب آبائهم، قبل أن يُخلق البشر، والحجة قائمة على الخلق ببيان الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ذلك لأممهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان، يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذَّر، ثم كلمهم قبلاً، قال** : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾)[النسائي في الكبرى وأحمد . ونعمان : وادي نعمان مما يلي عرفة . والذر : النمل] . وأخرى عبادة الشيطان هي إحدى العبادات الحاصلة في الدنيا للأسف، رغم كثرة التحذيرات الربانية للخلق والتنبيهات .

١١- إشارة : جاء في الآية (٦٢) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ . للشيطان الرجيم سلطة على بعض خلق الله جل جلاله، يستهويهم ويستولي على عقولهم وقلوبهم،

ويسير بهم إلى حيث الهاوية . وقد أُمرنا بالتعوذ منه، ومن جملة تلك الصيغ ما جاء في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشِركِه**)[أبو داود والترمذي] . وفي رواية : (وشَرَكه) أي خططه وخطواته . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفخه، ونفثه**)[أبو داود والترمذي وابن ماجة] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الأجداث : جمع جدث، هي القبور، وتأتي أحياناً بالفاء فيقال (جدف) وجمعها أجداف .

٢- مرقدنا : قبورنا، التي رقدنا فيها حيناً من الدهر طويل .

٣- اليوم : جزء من الزمن، مجموع من ساعات الليل والنهار، ويراد به هنا يوم القيامة .

٤- أصحاب : جمع صاحب، وهو الرفيق المصاحب للشيء المرحب به، والمقصود بهم هنا المستحقون للجنة من الصالحين المتقين .

٥- أزواجهم : سبق الإيضاح . ويراد باللفظ هنا : نساءهم .

٦- المجرمون : جمع مجرم، كل من عصى ربه سبحانه وتعالى، وتجاوز حدوده .

٧- بني آدم : نسل آدم عليه السلام وذريته .

٨- الشيطان : ذرية إبليس الأكبر، ممن كفر من جنس الجن، فمسخ شيطاناً رجيماً .

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

- (بيان تضمن التخويف والترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مخوفاً سبحانه بجهنم التي وُعدها الكافرون، حين يقاسون حرها جزاء ما كانوا يكذبون، وحين يختم على أفواههم فلا تنطق فتتكلم بدلاً عنها أيديهم، وتشهد عليهم أرجلهم، جرَّاء المعاصي والآثام التي كانوا يكسبون، فلو نشاء يومئذ لأعميناهم لما ابتدروا جواز الصراط، وأنى لهم جوازه ولا نور لهم به يهتدون، ولطريق النجاة يبصرون، ولو نشاء لبدلنا خلقتهم بما يمنع حركتهم، وحبسناهم على الصراط، فلا قدرة لهم حينها على المضي إلى الأمام أو الرجوع إلى الخلف هرباً من النار، فأحسنوا يا هؤلاء استغلال أعماركم في العبادات، وقبل ضعف الهرم وهزاله ووهنه

بادروا بالطاعات، ألا تدركون ذلك وبه تتعظون، وإلى ربكم تئوبون وبه تؤمنون .

غريب الكلمات :

- اصلوها : قاسوا حرها .
- نختم : نطبع ونغلق .
- لطمسنا : أعميناهم وأذهبنا أبصارهم .
- فاستبقوا : ابتدروا وسارعوا، محاولين جواز الصراط .
- لمسخناهم : بدلنا خلقتهم، نكالاً بهم .
- مكانتهم : أماكنهم .
- مضياً : مشياً إلى الأمام .
- نعمِّره : نُطل عمره، حتي يهرم .
- ننكسه : نردَّه من بعد القوة إلى الضعف، كما كان أول أمره .

توجيهات الآيات :

١- التخويف بجهنم وحرها، وما فيها من أهوال عظام، اتقاء غضب الله سبحانه بترك الكفر والتكذيب والإعراض والعصيان .

٢- شهود جوارح الإنسان عليه يوم القيامة، بما عمل بها في الدنيا، حجة دامغة عليه .

٣- يضرب جسراً على ظهر جهنم، يجوزه المؤمنون إلى الجنة، بنور إيمانهم وأعمالهم الصالحات . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ثم يؤمرون فيرفعون رءوسهم فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره دون ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك، حتى يكون آخر ذلك يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفئ مرة، فإذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام**)[الحاكم والطبراني في الكبير] .

٤- مسارعة الكفار والمكذبين يوم القيامة محاولين جواز الصراط، فيظلم عليهم حينها جرَّاء كفرهم ومعاصيهم في دنياهم، فلا يرونه ويسقطون في النار .

٥- الإيمان والعمل الصالح هما سبيل النجاة، وبهما يكون جواز الصراط إلى الجنة .

٦- إن الله تعالى يمهل ولا يهمل، لا يأخذ على حين غرة، ليتدارك الخلق أنفسهم، ويبادروا بالطاعات . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله عز وجل يملي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ وكذلك أخذ ربك، إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد**)[متفق عليه] .

٧- طول العمر ضعف ووهن وعجز . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم،**

وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات)[متفق عليه]، وفي رواية للبخاري : (**وأعوذ بك من أن أردَّ إلى أرذل العمر**) .

٨- لا فاعل في الكون على وجه الحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى، يفعل ما يشاء كيفما شاء، بمن شاء، متى شاء .

٩- الدنيا دار التغير والتبدل لا قرار لها، ولا خلود لشيء فيها على حاله، وهذا يستوجب المبادرة في كل شيء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**اغتنم خمساً قبل خمس : حياتك قبل موتك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وشبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك**)[النسائي في الكبرى والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان] .

١٠- النون في قوله تعالى : (نختم، تكلمنا، نشاء، لطمسنا، لمسخناهم، نعمره، ننكسه) دالة على التعظيم، وإلا فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٦٣) قوله تعالى : ﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ . التوبيخ والتنكيل بكل من كفر بالله جل شأنه وكذَّب وشكك فيه، بولوج دار الجحيم الجزاء الذي كانوا يوعدون، فهل صدق وعده سبحانه وأُدخِلتموها، فذوقوا ما تستحقون .

٢- لطائف : جاء في الآية (٦٤) قوله تعالى : ﴿ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ . التخويف والتهديد والوعيد الشديد بجهنم، قبل ورودها وصلاية حرها، الغرض منه تدارك الإنسان نفسه، واجتناب ولوجها والوقوع فيها . وأخرى بداية العذاب يوم القيامة أما نهايته فإلى ما شاء الله عز وجل .

٣- إشارة ولطائف : جاء في الآية (٦٥) قوله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ . يختلف شهود الآخرة عن شهود الدنيا، الشهود يومئذ جوارح الإنسان نفسه، حجج دامغة عليه . ولطيفة القدرة الربانية البالغة في إنطاق من لا ينطق لتقام الحجة على صاحبها، وكفى بذلك عدلاً ربانياً للخلق . وأخرى كل عمل ابن آدم في حقيقته هو كسب، إما له وإما عليه .

٤- لطائف : جاء في الآية (٦٦) قوله تعالى : ﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ . العلة بعين البصيرة لا البصر، فكم من بصير العين لكنه أعمى البصيرة . وأخرى نعمة البصر لا تقدر بثمن أبداً في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا ففي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يقول الله عز وجل : من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب لم أرض له ثواباً دون الجنة**)[الترمذي وأحمد] . وأما في

الآخرة فلمزيد من النكال والعذاب لمن كفر وكذَّب، تزيده فوق العذاب عذاباً .

٥- إشارة : جاء في الآية (٦٧) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

المسخ نوعان : الأولى في الخلقة بتغييرها إلى صورة أخرى لحكمة ربانية بالغة، والثانية في المكان الذي فيه الإنسان، فيقيد حركته تماماً .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- اليوم : سبق الإيضاح .

﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

– (بيان تضمن التوجيه) : بعد الترهيب والترغيب، جاء البيان عن حقيقة هذا القرآن الكريم، كلام الله تعالى شأنه، الذي نزل على خير الرسل الكرام ففتق لسانه به عن غير علم به، أو بغيره من عامة علوم البشر التي من جملتها الشعر، الذي حاشاه ﷺ أن يحويه قلبه الطاهر، بل وما ينبغي له أن يقف على شيء منه مطلقاً، حتى لا يختلط في جوفه بما نزل عليه من الذكر الحكيم، لينذر به غضاً طرياً عموم العالمين، ولا يحق القول حينها إلا على القوم الكافرين، المكذبين المشككين المعارضين، أو لم يعلموا أنا بقدرتنا قد خلقنا لهم أنعاماً ملكناهم إياها، منقادة لأمرهم قد سخرناها، يأكلون منها ويركبون عليها، ولهم فيها شراب سائغ من بطونها، وجلود في منافعهم يستعملونها، كل تلك نعم كبرى، أفلا يشكرون الله عز وجل عليها، ويؤمنون به، كيف عنَّ لهم أن يتخذوا من دونه آلهة يظنون أنهم بهم ينصرون، وهي عاجزة عن نصرة نفسها قد احتاجت هي لنصرتهم، فصاروا جنوداً لها يحرسون، فذرهم يا رسولنا الكريم ولا تحزن لقولهم فإنهم في قبضتنا، وعلى علم بما يسرون به القول وبما يعلنون .

غريب الكلمات :

– الشعر : كلام موزون مقفًّى، له أغراض وأساليب، ويعد أعلى صور البيان .

– وما ينبغي : لا يصح له ذلك، وحتى وإن طلبه فهو عنه محال، لحفظه سبحانه له من كل ما قد يشوبه .

– عملت أيدينا : خلقت بقدرتنا وتفردنا .

– أنعاماً : جمع نعم، وهي الماشية من البهائم، ويدخل في حكمها الدواجن وما شابهها .

– ذللناها : سخرناها، فانقادت لهم .

– منافع : انتفاع بالجلود والأعضاء والدهون، وما إلى ذلك من جملة حوايا الحيوان .

– محضرون : حارسون، عليها قائمون .

توجيهات الآيات :

١– محال أن يكون القرآن الكريم شعراً، من أي وجه كان، وما قالت العرب ذلك إلا لأن الشعر أعلى وأجود أنواع البيان، فلما فاق القرآن الكريم ذلك، وصفوه به وهو أبعد ما يكون عنه .

٢– عصمة رسول الهدى ﷺ من أن يقول شعراً أبداً، وما كان ينبغي له ذلك مطلقاً، حتى لا يختلط بالقرآن الكريم، ولو كان في جوف رسول الهدى ﷺ شيء من الشعر، لقال القائلون جادت قريحته بلون جديد من ألوان الشعر ومقاماته وأغراضه، لذا حفظه سبحانه من ذلك تماماً، حتى لا يجد المغرضون مطعناً فيه من أي وجه كان .

٣- القرآن الكريم هو الذكر الحكيم من لدن الرب العظيم، سبحانه وبحمده، هو الحجة البالغة، والقوة الدامغة، لذا كان الإنذار به هو الغاية السامية في الإنذار الحق .

٤- رسول الهدى ﷺ من جملة رسل الله تعالى المنذرين، ورسالته وجهت لعموم الثقلين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة**)[متفق عليه] . وفي رواية لمسلم : (**وبعثت إلى كل أحمر وأسود**) .

٥- حق القول على الكافرين، المعاندين المشككين، المعرضين عن هدي سيد المرسلين ﷺ .

٦- قدرة الله جلت عظمته على الخلق، وعلى تسجير ما شاء لهم، من أنعام وبهائم مذللة لأمرهم، خاضعة منقادة، ليس عن قدرة منهم، وإنما تسجير رباني لهم .

٧- الله جل جلاله الخالق لكل شيء في هذا الكون الفسيح، لا خالق سواه إطلاقاً .

٨- للبشر في البهائم منافع شتى، مآكل ومشارب، وانتفاع بالجلود والأعضاء والدهون، واتخاذها ركائب للتنقل والسفر .

٩- كل ما ذكر في الآيات الكريمات نعم كبرى، تستوجب شكر المنعم سبحانه عليها .

١٠- إثبات اليد لله سبحانه بما يليق به، ضمن القاعدة العقدية (ليس كمثله شيء)، من غير تأويل أو تحريف أو تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تعطيل .

١١- اتخاذ الكافرين الآلهة من لدنهم يعبدونها، كيف ! والأصل أن الإله يَجعل ويَخلق ولا يُجعل ولا يُخلق، وكفى بذلك غفلة وجهلاً ذريعاً .

١٢- طلب النصرة من أصنام وأوثان صماء، كيف عساها تنصرهم، وإذا بهم هم من ينصرها ويقوم على حراستها وحمايتها .

١٣- تسلية قلب رسول الهدى ﷺ وتطمينه، تجاه ما يفعله أولئك الكفرة الجاهلون، من كفر وتكذيب واعراض، واستكبار وعناد وجحود، وتمرد على الحق .

١٤- العلم الكامل لله تبارك وتعالى، المطلع على مكنون ما في القلوب، وسر ما تخفي الصدور، ومجازاة كل إنسان بعمله في اليوم المعلوم، الجميع بين يديه محضرون، وعما فعلوا سيسألون .

١٥- النون في قوله تعالى : (علمناه، خلقنا، أيدينا، ذللناها، إنا نعلم) دالة على التعظيم، وإلا فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (٦٩) قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ . الشعر أجود صور البيان وأساليبه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن من البيان لسحراً**)[متفق عليه] . وإشارة كلمة (ذكر) دالة على أنه كتاب تعبدي يتلى، ويتعبد به إلى الله عز وجل، وكلمة (قرآن مبين) دالة على أنه كتاب دستور ومنهج رباني، حوى جملة التعاليم المبينة للبشر كل شيء، خيراً كان أم شراً .

٢- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٧٠) قوله تعالى : ﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ . لا يقبل القرآن الكريم إلا القلب الحي، الذي يتذوقه ويتأثر بسماعه ويرق له، أما القلب الميت أو المريض فيرفضه ولا يستسيغه، ولا يراه إلا ثقلاً عليه، والعياذ بالله جل وعلا . ولطيفه القلوب ثلاث أنواع، قلب حي يتأثر بالحق ويذعن له، وقلب ميت لا يفقه ذلك ولا يعيه، وقلب مريض مضطرب، تارة يفيء وتارة يتيه .

٣- إشارات ولطيفة : جاء في الآية (٧١) قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ . فعلاً

لم ير الكافرون ذلك الخلق، والتقدير هنا (ألم يعلموا)، واستعيضت عنها لترسيخ المعنى في العقل، وكأن الأمر رأي عين وليس مجرد علم، فيتفكر الخلق في مظاهر القدرة الربانية . وأخرى خلق الله سبحانه النعم بيديه كما خلق البشر، كما ورد في بعض الأخبار . ولطيفة للإنسان بعض ملكٍ في الدنيا، وهو حتماً ملك زائل، بزواله وبزوالها .

٤- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٧٢) قوله تعالى : ﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ . من النعم المأكولة وهي الماشية (الإبل والبقر والغنم)، ومنها المركوب كالخيل والبغال والحمير . ولطيفة الإبل والبقر من الماشية، يجتمع فيهما الأمران سواء : (الأكل منها، والركوب عليها)، بالإضافة إلى الانتفاع بما ينتج عنها .

٥- إشارة : جاء في الآية (٧٤) قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾ . الأصل في الإله النصرة، فكيف يُتخذ من لا ينصر عجزاً، ويُترك من ينصر فعلاً .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٧٥) قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ . من ترك الحق وخضع لفكرة خاطئة، عادت عليه بالوهن والبلاء والأسف، كهؤلاء الكفار الذين طلبوا النصرة ممن لا يدرك معناها، فإذا بهم جند لنصرة من طلبوا نصرته أول الأمر .

٧- إشارات : جاء في الآية (٧٦) قوله تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ . عناية رب العالمين برسول الهدى ﷺ في كل مراحل الدعوة . وأخرى تحقق قاعدة : ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الكافرين : سبق الإيضاح .

٢- آلهة : جمع إله، كل ما عُبد من دون الله تعالى، واتخذ نظيراً له وندا، أو شريكاً، صرفت له كل أنواع العبادة أو بعضها .

٣- جند : سبق الإيضاح .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ

إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

– (استفهام تضمن بياناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث في معرض الرد على ذلك الإنسان، المعاند المجادل المكذب، أو لا يعلم أنا قد خلقناه من نطفة هينة لا تذكر، فلما كبر تمرَّد وخاصم واستكبر، عنيد أثيم متجبر، فويل لكل من جحد بآياتنا وكذب بها وكفر، وغفل عن ربه سبحانه وعن عبادته، ولطاعته اعرض وهجر، كيف يتساءل منكراً إمكانية إحياء الموات بعد أن تفتتت وبليت، ونسي خلقه من نطفة هينة الشأن، والجواب عليه أن القادر على ذلك هو رب العالمين، الذي خلق الخلق أول الأمر من عدم مطلق، وهو بحقيقتهم وخفايا نفوسهم عليم، والذي بقدرته جعل لهم من الشجر الرطب الندي ناراً تأجج، منه يوقدون وبنورها ينتفعون، أفلا يعتبرون بذلك، ولربهم القادر القدير يرجعون وبه يؤمنون، أليس الذي خلق الكون بما فيه من سماوات وأرضين، قادر على خلق مثلهم ! والجواب بلى قادر على ذلك ولا ريب، وهو الخلاق لكل شيء، العليم بمكنون الأمور والأشياء، وما حقيقة أمره إذا أراد شيئاً إلا الأمر بقول (كن)، فيكون ما أراد حالاً كما أراد تماماً، فتبارك وتعالى الذي له الملكوت بما وبمن فيه، وكل الخلق جميعاً إليه راجعون .

غريب الكلمات :

- خصيم : كثير الخصومة، والجدال والاعتراض والتمرد .
- رميم : بالية متفتتة .
- الأخضر : الرطب الندي، المليئة سيقانه بالماء .
- الخلاق : ما زال خالقاً جل ربنا في علاه، المتقن لخلقته .
- كن فيكون : كن بالأمر الرباني المباشر للشيء، فيكون فوراً بالقدرة الربانية كما أراد سبحانه .
- فسبحان : تنزه وتقدس ربنا العظيم .
- ملكوت : العالم الخفي من خلق الله تعالى، والملك هو العالم الظاهر .

توجيهات الآيات :

١- التذكير بأصل الخلقة من نطفة هينة، حتى لا يستمرئ الإنسان في طغيانه، وعتوه ونفوره .

٢- غاية جهل الإنسان وجحوده نعم ربه الكريم، وخصومته له بالكفر والتكذيب والاستكبار، والاعراض والعتو والنفور .

٣- الإنسان بطبعه خصم لما يجهل، خصيم لمن عاداه ورفضه وعانده، لا يقبل منه .

٤- تقلب الإنسان في هذه الدنيا، من حال الضعف إلى حال قوة، ومن ثم إلى الضعف والوهن .

٥- يراد بضرب المثل تقريب المعنى للعقول، لتدرك المضمون وتقف على المراد .

٦- من عادة الإنسان النسيان، وهو رحمة من الله سبحانه، وقد عذر ربنا تعالى شأنه المسلمين بذلك . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله قد تجاوز عن أمتي الخطأ، والنسيان، وما استكرهوا عليه**)[ابن ماجة] . فهو عذر شرعي مقبول ولا ريب .

٧- قدرة الله جل جلاله على الخلق من عدم، وعلى إحياء الموات بعد تفتت عظامها القوية، وذلك عليه هين ولا ريب .

٨- القدرة الربانية على أنشاء الخلق من أول ذراته، ودقائق مراحل خلقته الأولى، أصعب من إعادته، فكيف يعجز من خلق من عدم مطلق، عن تكرار ما أراد خلقه مرة أخرى، وعن إحياء الموات ومحاسبتهم عما عملوا في دنياهم .

٩- لا مستحيل على الله عز وجل، القادر على الجمع بين الأضداد بكل سهولة ويسر، كما أخرج من باطن الشجر الرطب الندي، المليئة سيقانه بالماء، ناراً توقدونها لمنافعكم .

١٠- نعم الله تعالى لا تعد ولا تحصى، لو علم البشر حقيقة الأمر .

١١- مخاطبة القرآن الكريم العقل البشري بمنطقيات ومسلمات لا تقبل التشكيك، منهج مضطرد فيه، لإدراك الحقائق مجردة من اللبس والشبه والارتياب .

١٢- قدرة الله عز وجل المطلقة في الكون، خلقاً وإيجاداً، تصريفاً وتدبيراً، فكيف يعجز من خلق أولاً من عدم، عن تكرار ما أراد خلقه وإحياء الموات، ثانياً .

١٣- أعظم المخلوقات هي السماوات والأرض، أيعجز من خلقها، عن خلق ما هو دونها ! .

١٤- قدرة الله تعالى وعظمته تقف على الأمر بكن، كلمة من حرفين اثنين، فيكون ما أراد مباشرة لا راد لما أراد جلت قدرته .

١٥- لله جل وعلا ملكوت كل شيء، أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً، سبحانه وبحمده لا مُعجز له .

١٦- التخويف بيوم الرجوع إلى الله تعالى، وما فيه من جزاء وحساب وعقاب، وإنا لله وإنا إليه راجعون، حقاً وصدقاً وعدلاً .

١٧- النون في قوله تعالى : (خلقناه، ضرب لنا) دالة على التعظيم، وإلا فالأمر كله لله وحده لا شريك له، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٧٧) قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ . عبارة (أولم ير)

تقديرها : (ألم يعلم)، استعيضت عنها لغاية ترسيخ المعنى في عقل الإنسان، وكأنه بالفعل يرى حقيقة الأمر رأي العين، وليس مجرد علم وحسب .

٢- إشارات ولطيفة : جاء في الآية (٧٨) قوله تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ . ضرب المثل بالمساواة بين قدرة الخالق والمخلوق محال قطعاً، إذ لا مساواة بينهما في أي شيء مطلقاً . وأخرى العظام أقوى أجزاء الإنسان، والقدرة على إعادة إحياءها بعد تفتتها، أقدر مما سواها (في تصور البشر) ولا ريب . ولطيفة الإنسان بطبعه لا يجيد اكتشاف عيوبه، لكنه ماهر في كشف عيوب الآخرين، والوقوف عليها .

٣- لطائف : جاء في الآية (٧٩) قوله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ . الإعادة أهون من الابتداء في كل شيء ولا ريب . وأخرى لفظ (قل) للنبي الأكرم ﷺ، تأتي في معرض الرد على كل مكذب ومعرض ومشكك، وإلى قيام الساعة .

٤- لطائف : جاء في الآية (٨٠) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ . بعض أنواع الشجر أسرع في الاشتعال من بعض كالمرْخ والعفار، والشجر بعضه رطب مخضر، وبعضه يابس مصفر . وأخرى قد يخرج الشيء من ضده،

وتلك دالة على العظمة الربانية، فسبحان القادر على ذلك . وثالثة أثبت العلم الحديث أن لون الشجر أخضر لوجود مادة تسمى (الكلوروفيل) وهي المسؤولة عن امتصاص الطاقة والحصول على العناصر الغذائية من أشعة الشمس، أثناء عملية تعرف بـــ (التمثيل الضوئي) . فسبحان الله العظيم .

٥- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٨١) قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ . عظم خلق السماوات والأرض، دال على أن ما سواها أهون (في عُرف البشر)، وإلا فكل شيء هيِّن عليه سبحانه . ولطيفة (الخلاق) من أسمائه جل شأنه، دال على معنيين اثنين . الأول : أنه دائم الخلق، وهذا متحقق فعلاً فكل لحظة من الدنيا لله تعالى فيها خلق جديد يظهر للوجود . والثاني : أنه متقن الخلق، وهذا متحقق أيضاً، فهو العليم بخلقه سبحانه، وبما ينفعهم وبما يضرهم، وبما يصلح شؤونهم .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٨٢) قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ . قد جعل الله جل شأنه للإنسان من ذلك شاهداً على نفسه، حين ملَّكه أمر جوارحه، يعمل بها ما يشاء ويحركها كيف شاء، وبمجرد الإرادة فقط تنفذ ما أراد، لا حاجة لئن

يصدر لها أمراً صريحاً بالتنفيذ، فكيف بقدرة العلي العظيم، القادر القدير المقتدر جلت عظمته .

٧- لطائف : جاء في الآية (٨٣) قوله تعالى : ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ . الملك كله لله سبحانه، الظاهر والخفي، والكل إليه راجع، فليستعد الإنسان للقاء ربه العظيم في الآخرة دار الجزاء، بصدق الإيمان وحُسن العمل في الدنيا، دار الإمهال . وأخرى إذا كان الملك الظاهر قد حارت العقول فيه وتحيَّرت، فكيف بالملك الخفي الذي لا يعلم حقيقته إلا الله تبارك وتعالى .

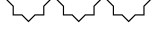

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الإنسان : جنس البشر، من بني آدم عليه السلام، ويتكون من ذكر وأنثى .

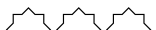

جزء يس : الثالث والعشرون :

(٢) سورة الصافات . سورة الزينة . الذبيح . الملائكة

- مكية بالإجماع .
- آياتها (١٨٢) آية باتفاق .
- كلماتها (٨٦٠) كلمة . وحروفها (٣٨٢٦) حرفاً وقيل (٣٨٢٩) .
- ترتيبها في النزول (٥٦) . نزلت بعد سورة الأنعام .
- رقمها في المصحف الشريف (٣٧) .
- سميت بـــ (الصافات) لبدء اللفظ بها .
- محور حديث السورة الكريمة : إرساء العقيدة عبر الإيمان بالملائكة الكرام، وبالبعث والنشور والحساب والعقاب .
- مجمل موضوعاتها : (١٠) موضوعات : الحديث عن الملائكة الكرام، وعن القدرة الربانية في الكون، وتقرير عقيدة البعث والنشور، والحديث عن الحشر، وعن نعيم الجنة، وعن سوء الخاتمة والعاقبة، وعن النار، وعن قصص بعض الأنبياء عليهم السلام، وعن مزاعم الكفار في الملائكة، وعن العاقبة الحسنة للمرسلين عليهم الصلاة والسلام والمتقين من بعدهم .
- الأحاديث الواردة في السورة : عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : (**كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات**)[النسائي في الكبرى] .

- مفارقات السورة : تكرر قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٥) مرات . وقوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ (٥) مرات . وقول تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴾ (٣) مرات . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣) مرات .
- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٥٠) مرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾

- (قسم تضمن بياناً بتوجيه) : استفتح عز وجل هذه السورة الكريمة بالقسم بثلاثة أحوال للملائكة الكرام عليهم السلام، وهم ماثلون بين يديه سبحانه لتلقي أوامره بما أراد، وهم حثيثون في تنفيذ ما قضاه كما أراد، وهم تالون لهذا القرآن الكريم خير شِرعة وضعت للعباد، والجواب على ذلك القسم إن إلهكم واحد لا سواه، هو ربكم ورب كل شيء، السموات التي تظلكم، والأرض التي تقلكم، وما بينهما من شتى خلائق هذا الكون الفسيح، ورب مطالع النجوم والكواكب، المزينة للسماء الدنيا كالمصابيح، والحائلة دون استراق الشياطين للسمع، حال تصنتهم على الملائكة الكرام حين تدبير شؤون الخلق، قد حيل بينهم وبين أولئك المردة بالشهب، تتبع كل من اختطف كلمة مدبرة لما قضى ربنا تبارك وتعالى

على خلقه، مسلطة عليهم بنار محرقة من لهب، ولهم يوم القيامة العذاب الأليم .

غريب الكلمات :

- مارد : متمرد خارج عن الطاعة .
- الملأ الأعلى : الملائكة الكرام عليهم السلام .
- دحوراً : مطرودين على الاستماع .
- واصب : موجع أليم دائم .
- خطف الخطفة : اختلس الكلمة .
- شهاب : جرم سماوي منقضّ على مسترق السمع .
- ثاقب : مضيء محرق .

توجيهات الآيات :

١- لله جل في علاه أن يقسم بما شاء من خلقه، وكل قسم دال على عظم المقسم عليه .

٢- ذكر بعض أعمال الملائكة الكرام عليهم السلام، ووصف كيفية استعدادهم التام للقيام بما أوكل إليهم من شؤون الخلائق والمهام، لكلٍ منهم عمله الخاص به، وهم في غاية الانكسار بين يدي ربهم العظيم . في الأثر قوله ﷺ : (مررت ليلة أسري بي بالملإ الأعلى، وجبريل كالحِلْس

البالي من خشية الله عز وجل)[الطبراني في الأوسط . الحلس : كساء رقيق يوضع على ظهر البعير، جلد مهترئ] .

٣- من جملة الملائكة الكرام عليهم السلام، من خصص للعبادة والذكر مذ خلق وإلى قيام الساعة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف، إلا وفيه ملك قائم أو ملك راكع أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً**)[الطبراني في الأوسط والكبير] .

٤- تقرير عقيدة التوحيد الخالص لله جل جلاله، وأنه هو الرب الخالق المدبر، لهذا الكون بما وبمن فيه، وهو الإله المشرع لعموم خلقه، ما شاء من شريعة حق .

٥- إثبات حيثية أن الأولى بالعبادة، هو الأقدر على الخلق والأمر والتصريف، وتدبير شؤون عباده وخلائقه ولا ريب .

٦- تعدد كلمة المشارق تتضمن عدة أمور : الأولى لكل قوم مشرق ومغرب، والثانية لكل نجم وكوكب (مطلع) مشرق ومغرب، وفي ذلك دعوة للتفكر والتدبر والتأمل .

٧- الحكمة من خلق النجوم والكواكب، تزيين السماء الدنيا بها كمصابيح معلقة فيها، ويهتدي بها المسافرون في الطرقات، ورجوماً للشياطين من مسترقي السمع .

٨- حماية السماء الدنيا بالشهب تسلط على كل من حاول استراق السمع، حفظاً لهذا الكتاب العزيز، وما فيه من شرع مبين لعموم الثقلين . في الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال : (**ما قرأ رسول الله ﷺ على الجن وما رآهم، انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب . فرجعت الشياطين إلى قومهم فقالوا : ما لكم، قالوا : حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا : ما ذاك إلا من شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها، فمر النفر الذين أخذوا نحو تهامة، وهو بنخل عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، وقالوا : هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا إلى قومهم، فقالوا : يا قومنا إنا سمعنا قرآنا عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً، فأنزل الله عز وجل على نبيه محمد ﷺ : قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن**)[متفق عليه] .

٩- النون في قوله تعالى (إنا زينا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطائف : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ ﴾ . جملة (السموات والأرض وما بينهما)، دالة على ما في هذا الكون الفسيح من خلائق لا حصر لها؛ الله سبحانه هو وحده العليم بها . ولطيفة جمع كلمة (المشارق) من ذلك، لينبه عز وجل عباده لما أراد منهم، من أنها مطالع للنجوم، التي تتحقق بها منافعكم . وأخرى في الآية تضمين، ففي كلمة (المشارق) دالة على أن ما يقبلها مغارب .

٢- إشارة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ ﴾ . جملة (السماء الدنيا)، دالة على وجود غيرها من سماوات علا .

٣- إشارة : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ ﴾ . كلمة (مارد)، دالة على أن عامة مسترقي السمع، من مردة الشياطين وعتاتهم، دون ضعفائهم .

٤- إشارة ولطائف : جاء في الآية (٨) قوله تعالى : ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ ﴾ .جملة (لا يسمعون) دالة على

انقطاع مسألة استراق السمع على ما كان عليه اعتياد الأمر، من قِبَل السحرة والكهنة، بمجرد مبعثه ﷺ، حفظاً للقرآن الكريم من كل وجه تماماً . ولطيفة شرف الملائكة الكرام عليهم السلام ورفعتهم بوصفهم بالملأ الأعلى . وأخرى جملة (من كل جانب) دالة على أن حركة النجوم والكواكب، في كل الاتجاهات دون تقييد لها .

٥- إشارة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ ﴾ . جملة (خطف الخطفة) دالة على استمرارية محاولات الشياطين في استراق السمع، ولو لكلمات قليلات، قد يفلح الشيطان في اختطافها، ومن ثم يلقيها للساحر والكاهن والعرَّاف، لحكمة أرادها جل شأنه من ذلك الأمر، ليبتلي به العباد .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المشارق : جمع مشرق، وهي مطالع النجوم والكواكب، ويقابلها المغارب .

٢- شيطان : سبق الإيضاح .

٣- الملأ الأعلى : (الملأ) أشراف القوم، ويراد بهم هنا الملائكة الكرام عليهم السلام، الموكلون بأعمال العباد .

٤- جانب : الجهة الدالة على المكان أو الاتجاه .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

- (أمر تضمن استفهاماً بتوجيه وتخويف) : بعد إرساء مسألة التوحيد الخالص، أمر تبارك وتعالى رسوله الأكرم ﷺ سؤال أولئك القوم الكافرين منكراً عليهم؛ أخِلقتكم من طين هين لزج، أعظم خلقاً أم تلك السموات والأرض وما بينهما من خلق عظيم، مظاهر قدرة ربانية عجيبة تدعو إلى التفكر فيها، ورغم ذلك ينكرون ويستهزؤون، فلا هم بالمواعظ يتعظون، ولا هم إذا رأوا المعجزات الدالات بها يؤمنون، بل ويزيدون في غيِّهم يتهكمون، واصفين تلك الحقائق الظاهرة بالسحر المبين، منكرين البعث والنشور والحساب والعقاب، فويل لهم يوم يؤتى بهم أذلاء صاغرين، لينتظروا إذن في دنياهم صيحة واحدة تأخذهم، جميع الخلائق بعدها إلى ربهم يبعثون .

غريب الكلمات :

- لازب : لزج ملتصق ببعضه .

- يستسخرون : يستهزؤون ويضحكون .
- داخرون : أذلاء صاغرون .
- زجرة : صيحة، أو نفخة واحدة في الصور .

توجيهات الآيات :

١- من جملة أساليب القرآن الكريم في الإقناع وإقامة الحجة، استعمال أسلوب الأدلة العقلية، المبنية على الشواهد الظاهرة بما لا يدع مجالاً للشك، ومن ذلك أسلوب الاستفهام الإنكاري (التقريري)، المقرر لما بعده، وأسلوب (التنزُّل والمجاراة)، المثبت لما يقتضيه الأمر من مقتضيات حتمية .

٢- خلق السموات والأرض أشد من خلق الإنسان (فيما يبدو للبشر)، وإلا فالكل هين على الله تبارك وتعالى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

٣- من جملة مراحل خلق الإنسان، الطين اللزج المتلاصق، قبل أن يجف ويصبح فخاراً يصلصل .

٤- مظاهر القدرة الربانية في الكون كثيرة جداً، وأكبر من أن يتغافل الإنسان عنها جميعاً، مهما بلغت درجة غفلته، فالمواعظ والعبر أكثر من أن تحصى .

٥- الناس في المعجزات الظاهرات، الدالة على الحقائق، قسمان : مؤمن بها وموقن مصدق، ومشكك فيها مرتاب مكذب .

٦- من أشهر أساليب رد الدعوة، التي تواطأت عليها عامة الأمم في تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام، رميهم بالسحر .

٧- تقرير عقيدة البعث والنشور، والجزاء والحساب والعقاب .

٨- من جملة أساليب تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام ورد دعوتهم، الاستشهاد بعدم عودة الآباء والأجداد للحياة بعد موتهم .

٩- التخويف باليوم الموعود، وبما فيه من أهوال جسام، وشدائد عظام .

١٠- بصيحة البعث، يخرج الناس من قبورهم إلى أرض المحشر، وقوفاً بين يدي الملك الديان، للجزاء والحساب والعقاب .

١١- عامة خطابات القرآن الكريم، وإن خوطب بها رسول الهدى ﷺ هي لكل إنسان عاقل من بعده، مما هو ليس من خصوصيات النبوة .

١٢- النون في قوله تعالى (أم من خلقنا، إنا خلقناهم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ ﴾ . للإنسان عقل يفرق به بين الأمور، به خوطب، وبه سيحاسب .

٢- لطيفة : جاء في الآيات (١٢-١٤) قوله تعالى : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ . فرق كبير بين من ينظر للأمور بإيجابية، للاستفادة منها، وبين من ينظر لها بسلبية، متغافلاً عنها .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ ﴾ . وصف الكفار (القرآن الكريم) بالسحر، فاعرضوا عنه، و لم يؤمنوا به .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ . العظام أقسى جزء في الإنسان، يبقى من بعد موته مدة طويلة حتى يبلى ويتفتت .

٥- لطيفة : جاء في الآية (١٧) قوله تعالى : ﴿ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ . عقدة تقليد الآباء والأجداد، ما زالت في البشر، قلَّ من ينفك منها، ويتخلى عنها .

٦- لطيفة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ . الثبات على المنهج الحق أمر مطلوب، ولو وصل الأمر لدرجة التحدي، بغرض إحقاق الحق بأقوى عبارة وأصدقها .

٧- لطيفة : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ . عامة الناس يستخفون بأمور الدين، ويستهزؤون بها، وما ذاك إلا لغفلتهم الكبرى في دنياهم، حتى يفجأهم الأجل، ولا ينفع حينها الندم، للأسف .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- آباؤنا : جمع أب، سبق الإيضاح، ويراد بهم هنا كل من سبق في الخلق من (السابقين الأولين) .

﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

- (بيان تضمن ترهيباً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه حال القوم الكافرين، حين يبعثون من قبورهم، ويجدون أنفسهم على أرض المحشر قائمين، يوم الفصل بين العباد، الذي كانوا به يكذبون، يا ويلهم حين يساقون إلى النار، هم وذويهم وأنصارهم وأشياعهم وما كانوا من دون الله تعالى يعبدون، سوقاً عنيفاً يستوقفون خلاله للسؤال

عن حقيقة ما عبدوا في دنياهم، وما عملوا في حياتهم، فما لهم يومئذ كما كانوا في الدنيا من ناصرين، قد استسلموا لربهم منقادين، لا حيلة لهم ولا خلاص، أذلاء صاغرين .

غريب الكلمات :

- فاهدوهم : سوقوهم إلى النار بعنف وشدة .
- قفوهم : استوقفوهم واحبسوهم للسؤال .

توجيهات الآيات :

١- الدنيا دار عمل وإمهال، والآخرة دار جزاء لا إقالة فيها، مما يقتضي الاستعداد للقاء رب العالمين قبل فوات الأوان، إذ لا حسرة ولا ندامة .

٢- من جملة أسماء يوم القيامة (يوم الفصل)، فيه يفصل بين العباد، ويقضى لهم إما إلى الجنة وإما إلى النار، وفيه يؤدي كل ظالم لصاحب المظلمة حقه بالوفاء والتمام . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**)[البخاري] .

٣- التخويف من عاقبة الظلم الوخيمة، التي أكبرها ظلم الإنسان لنفسه، بالكفر والتكذيب لما جاء به المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٤- الاستعداد ليوم الحشر والنشور، واتقاء ما فيه من أهوال عظام، بالإيمان والعمل الصالح ولو بأقل القليل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**)[متفق عليه] .

٥- يجمع يوم القيامة بين المرء وأشباهه ونظرائه في العمل، الذين كان يخالطهم في الدنيا ويأنس بهم . في الحديث النبوي الشريف : عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن أعرابياً قال لرسول الله ﷺ متى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ : (**ما أعددت لها ؟ قال : حب الله ورسوله، قال : أنت مع من أحببت**)[مسلم] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل**)[أبو داود والترمذي] .

٦- الناس يوم القيامة صنفان : أهل الجنة يزفون إليها زفاً، ببهجة وفرح وسرور وحبور، وأهل النار يساقون إليها سوقاً عنيفاً، بخزي وذل وهوان وانكسار .

٧- الهداية في الأصل الدلالة والإرشاد، فمن الناس من يهدي إلى الخير والبر والحق والنور والصلاح والهدى، ومنهم من يهدي إلى الشر والفجور والباطل والظلام والفساد والضلال .

٨- ليوم القيامة أهوال عظام، من جملتها مناقشة الحساب قبل ولوج النار . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من حوسب يوم القيامة، عذب، قالت عائشة رضي الله عنها : أليس قد قال الله عز وجل : ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ ؟ فقال : ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**)[متفق عليه] .

٩- شؤم المعصية يحيق بالظالم وأشياعه معه، في الدنيا والآخرة سواء، ويجمع بهم في النار .

١٠- لا حيلة منجية لأحد يوم الدين إطلاقاً، ولا نصرة ولا خلاص ولا مناص أبداً، إلا من جاء ربه الرحيم بقلب سليم، وإيمان حق وصدق، وعمل صالح مستقيم .

١١- لا مكان للتناصر يوم القيامة بين الناس، إذ الكل فيه مستسلم بين يدي ربه العظيم .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢٠) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ ﴾ . لا قيمة للإقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ بعد فوات الأوان، وما ذكر ذلك هنا وقبل حصول الأمر، إلا للتنبيه عليه بأبلغ عبارة وأصدق لهجة، تجنباً للوقوع فيه والصيرورة إليه .

٢- لطائف : جاء في الآيات (٢٢-٢٣) قوله تعالى : ﴿ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ ﴾ . مكانة الأزواج من الإنسان في الدنيا والآخرة، ومدى تأثيرهم عليه وعلى سلوكه وتصرفاته، سواء كانت (امرأته)، أم من اقترن بهم من جملة الأصحاب والأصدقاء ممن زاوجه في العمل الفاسد . وأخرى صراط الجحيم يقابله الصراط المستقيم، يطلبه كل فاسق فاسد ضال مضل، جزاء ما طلب في دنياه وسعى إليه .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ . صعوبة حال الوقوف للسؤال، والاستجواب عما فعل الإنسان واقترف .

٤- إشارة : جاء في الآيات (٢٥-٢٦) قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . هول الموقف العظيم يوم القيامة وشدته . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلاً، قلت : يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض، قال ﷺ : يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**)[متفق عليه . غرلاً : غير مختونين] .

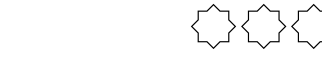

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يوم الدين : من أسماء القيامة، فيه يدان كل إنسان بما عمل .

٢- يوم الفصل : من أسماء القيامة، حيث الفصل بين العباد .

٣- وأزواجهم : جمع زوج، سبق الإيضاح . ويراد بهم هنا أقرانهم ومن شاكلهم في العمل الفاسد .

٤- اليوم : سبق الإيضاح .

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً حال الكافرين يوم القيامة، حين يُقبلون على بعضهم يتلاومون فيما بينهم،

عما آل إليه حالهم، فيقول الضعفاء لكبرائهم إنكم أنتم المسؤولون، وبالقوة والتسلط زينتم لنا الكفر ونفرتمونا عما جاء به المرسلين، فرد الكبراء ما كنتم أصلاً بمؤمنين، وما كان لنا عليكم من سلطان قهر، بل كنتم مثلنا للحق منكرين وبالدين كافرين، فاستحق جميعنا العذاب الأليم، وكما كنا في الدنيا في الغواية مشتركين، ها نحن اليوم كذلك في العذاب مشتركون، ذلك هو الجزاء الوفاق للمجرمين، الذين استنكفوا عن قبول الحق وكفروا به، عاكفين على آلهتهم، واصمين رسول الهدى ﷺ تارة بالشاعر وتارة بالمجنون، كيف وقد جاءهم بالحق المبين، الذي جاء به كافة المرسلين، فجرَّاء الكفر والتكذيب والجحود والاعراض، والغواية والمنكرات واتهامه ﷺ بأنواع التهمات، ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون .

غريب الكلمات :

- طاغين : متجاوزين الحد، مستنكفين مستكبرين .
- أغويناكم : ضللناكم، وزينا لكم الباطل فاتبعتموه، وقبَّحنا لكم الحق فرفضتموه .

توجيهات الآيات :

١- لا قيمة للتلاوم والتحسر بعد فوات الأوان، والعاقل من حسب ذلك قبل الصيرورة إليه، كذلك هو شأن أهل الضلال، والفسق والفساد .

٢- منطق الحق والدين، منطق قوي جداً، وله تأثير بالغ، تُسلم له النفس وتنقاد لغاياته .

٣- عظم الندم يوم القيامة، جرَّاء التفريط في الإيمان بالله تبارك وتعالى، والاستخفاف بدينه .

٤- الإنسان في حقيقة أمره بصير على نفسه، لا قدرة تحكمه، ولا سلطان يلزمه، ما لم يقتنع بالشيء ويسلم له طواعية، وإن أبدى المعاذير والمسوغات، وبالتالي عليه تحمل تبعات اختياراته في كل الأحوال لا مناص له من ذلك .

٥- السلطان على الإنسان، نوعان : الأول سلطان قهر وإرغام وهذا محال حصوله، لأن الإنسان وإن أرغم على الشيء باستطاعته إظهار ما لا يبطن لينفك منه، والثاني سلطان رغبة وميول، وهذا هو الذي تزل به الأقدام وتهلك فيه النفوس .

٦- قسَّم الله تعالى عباده في الدنيا والآخرة، فريق في الجنة وفريق في السعير، وما الغواية إلا لسان صدق لحال أولئك المفرطين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أي عمل، ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما، ثم قال : فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير**)[الترمذي وأحمد . نبذهما : طرح ما فيهما] .

٧- كما اجتمع أهل الباطل عليه في دنياهم، سيجمعهم الله تعالى ليعذبهم عليه في أخراهم، من باب الجزاء من جنس العمل، خيراً كان أم شراً .

٨- لا ينفك من عذاب الله تعالى أحد أبداً، فويل للمجرمين مما كانوا يعملون .

٩- لفظ المجرم يصح إطلاقه، على كل فاسق فاسد ضال مضل .

١٠- لا إله إلا الله، كلمة التوحيد ومفتاح الجنة وسبيل النجاة، والكبر والجحود أكبر الصواد عن دين الله تعالى والانقياد للحق والتصديق به، وأكبر دواعي التقليد والبقاء على الضلالة والجهالة .

١١- اتهامه ﷺ بأنواع التهم استخفافاً بقدره، وبما جاء به من حق مبين، وذلك هو الهلاك والضلال المبين ولا ريب، فالإنسان بطبعه عدو لما يجهل من أمور .

١٢- دعوة عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، واحدة من حيث المنهج والمعتقد، وإن اختلفت من حيث الشرائع والحدود والأحكام والتعاليم .

١٣- محمد ﷺ رسول الحق، جاء بالكتاب الحق (القرآن الكريم)، الناطق بالحق، بما جاء فيه من حقائق وتعاليم، ومن سير وقصص صدّق بها المرسلين عليهم الصلاة والسلام وأيدهم به . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت ؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون لا ما جاءنا من نبي،**

فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴿١٤٣﴾ ﴾، والوسط العدل)[البخاري] .

١٤- كل إنسان مجازى بما عمل، وفي الآخرة عذاب أليم، لمن كفر وكذب وفرط في أمر دينه .

١٥- النون في قوله تعالى (إنا كذلك نفعل) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعـــل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . كذلك هو شأن الأصحاب والأصدقاء، يتناقشون ويتلاومون في موضوعاتهم، متى اجتمعوا فيما بينهم، هذا في الدنيا، وكذلك هو الأمر في الآخرة .

٢- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ﴾ . تأثير بعض الناس على بعض، أمر واقع في حياة الناس في كثير من الأمور، لا مفر من ذلك ولا محالة من ذلك .

وإشارة تستعمل كلمة (اليمين) للدلالة على معاني كثيرة، منها الدين والحق، والقوة والغلبة .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٣٠) قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . طغيان النفس، أقوى من أي سلطان عليها، يجعلها تنفر منه مهما كانت قوته .

٤- إشارة : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ . قضاء الله سبحانه وتعالى أنفذ من كل شيء، لا راد لما أراد إطلاقاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا : يا رسول الله فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال : لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾**[الليل])[متفق عليه] .

٥- إشارات : جاء في الآية (٣٢) قوله تعالى : ﴿ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ . كل إنسان معرَّض للغواية . وأخرى انطواء بعض النفوس على الغواية، واستعدادها لتكون غاوية مغوية .

٦- إشارة : جاء في الآية (٣٥) قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ . جملة (لا إله إلا الله) تقرر توحيد الألوهية، الذي هو أساس العبادة والطاعة لله جل ربنا في علاه، المشرع الأعلى .

٧- إشارات : جاء في الآية (٣٦) قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ . كلمة (آلهتنا) دالة على تعدد الآلهة، مما يعني الاختلاف بينها، وهذا في حد ذاته ضلال مبين . وأخرى محال أن يستوي عقل شاعر مدرك بلغ الذروة في الفهم، مع عقل مجنون لا يدري ما حقيقة أمره، فكيف يطلق عليه ﷺ اللفظان تارة وتارة، فالشاعر مدرك والمجنون غير مدرك .

٨- لطيفة : جاء في الآية (٣٨) قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ . وصف الإحساس بعذاب أليم بطعم يتذوقه الإنسان، تصوير بليغ للحال، بغرض التخويف من الصيرورة إلى ذلك المصير .

٩- إشارة : جاء في الآية (٣٩) قوله تعالى : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ . العمل الصالح هو فرس الرهان المنجي، بعد الإيمان الصادق الحق .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- اليمين : جهة من الجهات، ويقابلها الشمال، ويراد بها هنا الجهة المعنوية (القوة والتمكين) .

٢- يومئذ : يوم القيامة العظيم .

٣- آلهة : سبق الإيضاح .

٤- شاعر : من يقول الشعر وينظمه، ويجيد وزنه ويعرف قوافيه، وأغراضه، وقد يعرف بحوره .

٥- مجنون : الجنون اختلال العقل، يمنع الإنسان من أهلية التصرف الواعي الرشيد .

٦- المرسلين : سبق الإيضاح .

﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم
مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم
بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا
يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ
﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى
قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا
لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ

﴿ ٥٥ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦ وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٥٧ أَفَمَا نَحۡنُ بِمَيِّتِينَ ٥٨ إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٠ لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ ٦١ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترغيب وترهيب) : بعد الترهيب جاء الترغيب، مبيناً سبحانه حال عباده الصالحين، المخلصين له في العبادة؛ الطائعين، قد استحقوا بصدق إيمانهم وصلاح أعمالهم أن يكونوا من المنعَّمين، في الجنان بين الفواكه مما لذ وطاب، على السرر متقابلين، يُسعى عليهم بكؤوس الخمر المترعة بيضاء نقية، لا تزيل العقل ولا تكدر النفس متعة للشاربين، من حولهم حور عين متعففات لأبصارهن حافظات، من حسنهن كأنهن بيض في محاضنه مصون، يتجاذبون أطراف الحديث مما كان في دنياهم، فيذكرون أقران سوء زامنوهم ممن كذب بالدين وبيوم يبعثون، فيقال لهم حينها انظروا إلى وسط الجحيم، لتروا حال الهالكين، ممن حاول غوايتكم، وكيف أنه عز وجل بعصمته على الحق ثبتكم، ومن هلاك يوم الدين نجاكم، فلا موت بعدها أبداً، ذلك هو الفوز العظيم، ولمثل هذا المصير السعيد ليعمل العاملون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- المخلَصين : أخلصوا العبادة فاختصهم بالعناية (الصادقين المصدقين) .

- رزق معلوم : ما لذ وطاب من طعام الجنة وشرابها .
- من معين : أنهار جارية لا تنقطع ولا تتوقف .
- غول : ما يذهب العقل ويُسكره .
- ينزفون : ما يضر بالأبدان ويكدر الخواطر .
- قاصرات الطرف : حور عفيفات، لا يصرفن أنظارهن إلى غير أزواجهن إطلاقاً .
- بيض مكنون : بيض مصون، لم تسمه الأيدي .
- لمدينون : لمحاسبون ومجزون .
- سواء الجحيم : وسط الجحيم .
- كدت لتردين : أوشكت على غوايتي وإهلاكي .
- المحضرين : الحاضرين في العذاب، والهالكين في جهنم .
- موتتنا الأولى : موتة الدنيا، لا موتة بعدها .

توجيهات الآيات :

١- لله عز وجل عباد مُخلِصون، بصدقهم وصلاحهم صاروا مُخلَصين (مصطفين) .

٢- في الجنة نعيم مقيم، لا يعلم حقيقته إلا الله جل في علاه، ولأهلها رزق معلوم مقدر، عطاء دائم من الله جل جلاله لهم .

٣- وفي الجنة مجالس أُنس لأهلها، على سرر مرتفعة يتكئون متقابلين .

٤- وفي الجنة خدم لأهلها، يطوفون عليهم بأنواع الشراب المستطاب، ولا سيما خمرٌ في غاية اللذة، يستمتع بشربه أهلها، أبيض نقي، صافٍ من كل أوصاف الكدر والضرر، وكل طعام الجنة وشرابها هبةٌ لهم لا عن جوع أو عطش، وإنما عن متعة ولذة مستطابة .

٥- وفي الجنة حور عين عفيفات، في غاية الحسن والجمال، لا يرغبن إلا في أزواجهن .

٦- وفي الجنة مجالس عامة، يتذاكر فيها أهلها ما كان منهم في دنياهم، ليزدادوا شكراً لله جل جلاله على ما آتاهم .

٧- تقرير عقيدة البعث والنشور، والجزاء والحساب والعقاب .

٨- القرين هو الصاحب المقرب والصديق الملازم، في الخير وفي الشر، قد يؤثر على قرينه في الخلق والسلوك، وقد يوبق حياته، فهو إما باب إلى الجنة أو إلى النار، والمؤمن الحق لا يصادق إلا من كان خيِّراً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**مثل الجليس الصالح والسوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك : إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير: إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة**)[متفق عليه . ويحذيك : يهبك] .

٩- التكذيب بالدين وبأمور الآخرة، فتنة كبرى، يستخف بها كثير من الناس للأسف، ولا يعيرونها الاهتمام المطلوب، والعاقبة ولا ريب للبوار والهلاك .

١٠- يرى أهل الجنة أهل النار وهم يقاسون جحيمها، فيعظم في نفوسهم ما هم فيه من نعيم مقيم، ويدركون أن النجاة من العذاب وحده فوز كبير حقاً، وما الجنة وما فيها من نعيم إلا مزيد فضل من الله جل في علاه، المنعم المتفضل على عباده الصالحين .

١١- عصمة الله جل شأنه لعباده الصالحين الصادقين، ممن لجأ إليه، ورحمته بهم من محاولات إغواء الفاسدين وإضلالهم، سواء من شياطين الإنس أو الجن . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**)[الترمذي وأحمد] .

١٢- لا موت بعد موتة الدنيا، وفي الآخرة خلود أبدي، زيادة في نعيم أهل الجنة، وزيادة في عذاب أهل النار، فليعمل الإنسان إذن في دنياه قليلاً ليظفر ويفوز بنعيم كثير دائم .

١٣- دخول الجنة هو الفوز العظيم بحق، من أراد الظفر بها والتمتع بما فيها من نعيم مقيم أبدي، فليؤمن حقاً، وليعمل صالحاً صدقاً، ليفوز بذلك عطاءً من ربه وفضلاً .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٤٠) قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ . الاصطفاء أمر رباني بحت، لمن علم سبحانه صدق نيته وصلاح سريرته، لا يتحصَّل عليه العبد بكثرة عبادة .

٢- لطيفه : جاء في الآية (٤٢) قوله تعالى : ﴿ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ . الفواكه من جملة نعيم الجنة، كما أنها من جملة نعم الدنيا، فيه دلالة على مدى الفوائد الغذائية التي تحتوي عليها .

٣- إشارات : جاء في الآيات (٤٨-٤٩) قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ . قصور طرف الحور العين في الجنة على أزواجهن، دالة على غاية رضاهن بهم لا يبتغين سواهم أبداً . وأخرى تشبيه طهارتهن بالبيض المحفوظ من المساس، وهن في الجنة دار الجزاء التي لا فتنة فيها، للدلالة على ما هو أولى منه، في شأن وجوب تحقق طهر نساء الدنيا وعفتهن، وهنَّ في دار الفتن .

٤- لطيفة : جاء في الآيات (٥٢-٥٣) قوله تعالى : ﴿ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾ . مسألة إنكار البعث والنشور، والجزاء والحساب والعقاب، قديمة جداً، وأصلها

قائم على التشكيك بيوم القيامة، وبدعوة المرسلين عليهم الصلاة والسلام . في الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنها قال : : (**جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه، يعرض بالشيء، لأن يكون حُممة أحب إليه من أن يتكلم به، فقال : الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**)[أبو داود وأحمد . يعرض بالشيء : يجد في قلبه وسوسه في أمور دينه . وحممة : الفحم] .

٥- إشارة ولطائف : جاء في الآيات (٥٤-٥٧) قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ . يُطلع عز وجل عباده من أهل الجنة على من شاءوا من أهل النار، ويخاطب بعضهم بعضاً، بما كان بينهم في الدنيا، الله تعالى أعلم بكيفية تلك المحادثة بينهما، وهؤلاء في الجنة منعَّمون وأولئك في النار يعذبون، فسبحان الله العلي العظيم . ولطيفة النار من هولها كما لو كانت كلها وسط، فمن نظر فيها وجد أهلها في السواء، قد أحاطت بهم من كل مكان، أقصاها كأدناها . وأخرى لا حلف إلا بالله جل وعلا، وما سوى ذلك فلغو باطل وشرك حاصل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**)[البخاري] .

٦- إشارة : جاء في الآية (٥٨) قوله تعالى : ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ . الهمزة في قوله (أفما) للاستفهام، والتقدير (فما نحن بميتين) .

٧- لطيفة : جاء في الآية (٦١) قوله تعالى : ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ . طلب المعالي شرف، ويوجب الفوز وتحقيق الآمال، وطلب المخازي سفه، ويوجب الندامة والخسران .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عباد : جمع عبد، كل مخلوق لله تعالى، خاضع له .

٢- قرين : هو صاحب مقرب، وصديق ملازم يقترن بالشخص، ويشابهه في سلوكه عادة، أو هو المشاكل للإنسان في بعض أوصافه وأموره .

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم

مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾
إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

– (استفهام تضمن تخويفاً بتوجيه) : عاد الحديث مرة أخرى إلى الترهيب، مخوفاً سبحانه ببعض أهوال النار، مقارناً لخلقه أذلك النعيم المقيم آنف الذكر خير نُزُلٍ، أم النار وما فيها من نكال، أمَّا طعام أهلها فشجرة خبيثة هي الزقوم، ابتلي الناس بخبرها للتصديق بما جاء من الحق أم التكذيب، منبعها قعر الجحيم، وفروعها قبيحة كرؤوس الشياطين، يملؤون بطونهم منها، ويشربون من الماء الحار عليها، خالدون فيها لا يخرجون منها هم وآباءهم، الذين اقتفوا آثارهم بها مستمسكون عليها حريصون، جزاءً وفاقاً لانصرافهم عن الحق، هم وكل من كذب المنذرين، عاقبة وخيمة جرَّاء الكفر والتكذيب، إلا عباد الله تعالى الذين أخلصوا، فاختارهم سبحانه وأيدهم بتأييده، وجعلهم من المصطفين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– شجرة الزقوم : شجرة أهل النار، ملعونة خبيثة الأوصاف .

– فتنة للظالمين : ابتلاء للمكذبين والمشككين .

– أصل الجحيم : قعر جهنم .

– طلعها : ثمرها .

- رؤوس الشياطين : تشبيه بغرض غاية التبشيع .
- شوباً من حميم : شراب حار، يخلط ويمزج بطعامها، من نار .

توجيهات الآيات :

١- التخويف بالنار وأهوالها، للحيلولة دون وقوع الناس فيها، فالإعذار يكون بالإنذار .

٢- المقارنة منهج قرآني مضطرد، ليقف الإنسان على الأضداد، فيكون التفريق عليه أسهل .

٣- الشجرة الملعونة في القرآن هي الزقوم، تنبت من قعر جهنم وتتفرع فيها عبر الدركات، أوصافها مخيفة مفزعة كما ورد في الآيات الكريمات، منها يأكل أهل النار زيادة لهم في النكال، أما شرابهم فالماء الحار، الحميم لمزيد من العذاب .

٤- يلقى الجوع والعطش على أهل النار، فيرغمون على الأكل والشرب مما فيها، لمزيد من العذاب، لهم فيها حياة كاملة، قد كتب الخلود على أهلها، لا يخرجون منها أبداً، جزاء كفرهم وعنادهم وجحودهم واستكبارهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا**

بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم ...)[الترمذي وابن أبي شيبة] .

٥- عقدة التقليد بين الأجيال، مشكلة حقيقية قلَّ من البشر من ينفك منها ويتخلى عنها .

٦- تأثير موروثات الآباء على جيل الأبناء خطيراً جداً، قد يلغي فكرة التفكير الجاد، ولو كان معتقد الآباء مليء بالعيوب والأخطاء الظاهرة .

٧- كلمة (أكثر الأولين) دالة على أن عامة الأمم هالكة، إلا من شاء الله تعالى وعصم وهدى .

٨- ما خلت أمة من نذير ينذرها، ويبين لها منهج الله جل في علاه، ومراده من خلقه وشرعه المنزل إليهم .

٩- الناس قسمان : صنف مدرك للحق متبع له، وصنف غافل منصرف عنه، ولكلٍ مصيره .

١٠- الاصطفاء أمر رباني لمن شاء سبحانه، ممن رضي عنه ووفقه لكل خير وعصمه من كل شر .

١١- النون في قوله تعالى (إنا جعلناها، ولقد أرسلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٦٢) قوله تعالى : ﴿ أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ ﴾ . لما سمع كفار قريش بها استخفوا واستهزأوا . في الأثر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (قال أبو جهل لما ذكر رسول الله ﷺ شجرة الزقوم تخويفاً لهم يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد ؟ قالوا لا، قال عجوة يثرب بالزبد، والله لئن استمكنا منها لنتزقَّمنها تزقُّماً، فأنزل الله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم وأنزل الله والشجرة الملعونة في القرآن)[البيهقي في البعث والنشور والسيوطي في الدر المنثور وغيرهما] .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٦٣) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ . لما سمع الكفار أن في النار شجرة كذبوا، وقالوا النار تحرق كل شيء فكيف يكون فيها شجر، فكان ذكرها هنا فتنة للظالمين المكذبين .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٦٥) قوله تعالى : ﴿ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ . يكون التشبيه بين شيئين أحدهما مجهول والآخر معلوم ليعرف هذا بذاك، أما التشبيه هنا فمجهول بمجهول، والمقصد منه غاية التبشيع بين شيئين، أحدهما محسوس والآخر متخيَّل .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٦٦) قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾ . قد يرغم الإنسان على ما يضره في دنياه، ولا يجد مساغاً عنه، ولا مهرباً منه، وقد يصرَّ على الشيء بعلمه وإرادته، ولو كان في ذلك ضرره وهلاكه .

٥- إشارة : جاء في الآيات (٦٩-٧٠) قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ . استفادة كل جيل ممن سبقه إيجاباً كان ذلك أم سلباً، وتلك سنة بشرية، والتفكير في الموروثات والتغيير والتبديل للأحسن سنة كونية، وسنن الكون أكبر من سنن البشر ولا ريب .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٧٢) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ . لا عقوبة إلا بجريمة، ولا جريمة إلا بتجريم، ولا تجريم إلا بقانون، ولا قانون إلا بمنهج وشرع، ولا منهج ولا شرع إلا بمشرِّع، ولا مشرع إلا الله جل في علاه، حتى البشر في دنياهم وجدوا أنفسهم مضطرين لتقنين حياتهم حتى لا تصبح فوضى عارمة، فبحثوا عما يمكن أن يكون مرجعاً لتلك القوانين فلم يجدوا سوى معالم الفطرة المطمورة فيهم، والتي عرفت فيما بينهم بالقيم الإنسانية المشتركة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه،**

أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء)[متفق عليه . جدعاء : مقطوعة الأذن أو الأنف] .

٧- لطيفة : جاء في الآية (٧٣) قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٧٣ ﴾ . قانون الجزاءات حتمي ولا بد منه، فإذا كان في عرف البشر مقرر العمل به في كل شؤون حياتهم، فكيف لا يكون ذلك في الشرع الرباني القويم، والتصديق بأن هناك جنة للمطيعين، ونار للعصاة المارقين المكذبين .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- للظالمين : جمع ظالم، من وضع الشيء في غير محله، وتجاوز الحدود، فظلم نفسه والآخرين .

٢- الشياطين : جمع شيطان، سبق الإيضاح .

٣- آباءهم : جمع أب . سبق الإيضاح .

٤- ضالين : جمع ضال، من انحرف عن طريق الهداية والصراط المستقيم، فلم يعرف الحق .

٥- الأولين : جمع أول، المتقدمون السابقون من الأمم .

٦- منذَرين : جمع منذَر، ويراد به هنا من وصلته الدعوة فاعرض عنها، وانصرف عن منهجها .

٧- المخلَصين : جمع مخلَص، المصطفين الأخيار من عباد الله تعالى، ممن خلص لوجه ربه الكريم .

﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾

- (قصة تضمنت توجيهاً) : بعد الترغيب والترهيب جاء القصص، مؤيداً سبحانه مراده من خلقه، بادئاً بذكر قصة نوح عليه السلام، حين دعا على قومه بالهلاك، بعد طول مُكث فيهم بشيراً ونذيراً، فاستجاب جل شأنه له، وأهلكهم بإغراقهم جميعاً بالطوفان العظيم، ونجاه هو ومن معه من المؤمنين، وجعل نسل ذريته هم الباقين، فسلام على نوح في الأمم أجمعين، قد استحق الثناء العاطر إلى يوم الدين، لأنه كان من جملة عبادنا المؤمنين، الصالحين المحسنين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- الكرب العظيم : الغرق في الطوفان العظيم .
- وتركنا عليه : أبقينا له ثناءً عاطراً (السلام عليه) عبر الزمان .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- ذكر طرف من قصة نوح عليه السلام، لأخذ العبرة والموعظة منها .

٢- مكث نوح عليه السلام في قومه طويلاً، ورغم ذلك كفروا به و لم يستجيبوا دعوته، فأهلكهم سبحانه إغراقاً في الطوفان العظيم .

٣- نجاة المؤمنين الصادقين مع نوح عليه السلام، ومن ضمنهم أولاده الثلاثة، الذين تناسل منهم الأمم، لذا كان عليه السلام أبا البشر الثاني .

٤- استحق نوح عليه السلام الثناء العاطر إلى يوم يبعثون، جرَّاء صبره على قومه واجتهاده في مجال الدعوة طويلاً، يقاسي غاية عتوهم ونفورهم وفجورهم، يتوارثون الكفر عبر الأجيال، فسلام عليه في الأولين والآخرين

٥- جزاء المحسنين عند الله سبحانه كبير ولا شك، لصدق إيمانهم وغاية إحسانهم .

٦- العذاب محيط بالكافرين حتماً، وما إمهال الله عز وجل لهم، إلا لحكمة بالغة إلى حين .

٧- الإحسان مرتبة تعلو الإيمان، الذي يعلو الإسلام، هذه هي مراتب الدين الثلاثة .

٨- النون في قوله تعالى (نادانا، المجيبون، نجيناه، جعلنا، تركنا، إنا كذلك نجزي، عبادنا، أغرقنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآية (٧٥) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ . نداء الله سبحانه بالدعاء، الذي يسمعه ويلبيه، صلة مباشرة للعبد مع ربه، ينبغي ألا يقطعها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة، وما سئل الله شيئاً يعني أحب إليه من أن يسأل العافية**)[الترمذي] . وأخرى إجابة الدعاء حتمٌ على الله جل ذكره، عاجلاً أم آجلاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث : إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها**)[أحمد] .

٢- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٧٦) قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ ﴾ . للأهل مكانة كبرى في حياة الإنسان، عظيمة في نفسيته ولا ريب . ولطيفة الناجين الذين كانوا مع نوح عليه السلام، من أهله ومن غير أهله ممن آمن بالله عز وجل، فيه دليل على أن الأهلية هنا أهلية إيمان وتصديق، وليست أهلية نسب وارتباط، تلك هي روابط النبوة الحقة .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٨٠) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ . للمحسنين عند ربهم مراتب علا، سواء كانوا من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بالدرجة الأولى، أم من غيرهم من سائر البشر الصالحين بالدرجة الثانية .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٨١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ . مرتبة الإيمان هي أول درجات الولاية، بدلالة قوله (من عبادنا)، فنسبة الشيء إليه سبحانه شرف ومكانة قطعاً .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٨٢) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ . إغراق كل من كان على وجه الأرض بالطوفان العظيم، بدلالة قوله (الآخَرين) أي كل الآخرين ممن لم يكن مع نوح عليه السلام، من جملة المؤمنين .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- نوح : أبو البشر الثاني، نوح بن لامك بن متوشلخ بن إدريس، عليهما السلام، وهو أول رسل الله جل في علاه إلى أهل الأرض، بعث في بني راسب من أرض العراق، الذين عبدوا الأصنام الخمسة : (ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر)، ورد ذكره في القرآن الكريم (٤٣)

مرة، ودفن في مكة المكرمة على الصحيح، عن عمر (١٣٥٠) سنة على الراجح .

٢- أهله : أهل بيته (زوجته وأولاده)، وكل من آمنوا به واتبعوه .

٣- ذريته : نسله الذين من عقبه، (أولاده) وهم (سام وحام ويافث) .

٤- الباقين : جمع باق، هو الممد نسله، ومن سواه اندثر نسله وانقرض .

٥- الآخِرين : جمع آخِر، وهم الأمم التي جاءت من بعد .

٦- العالمين : جمع عالم وعوالم، وهم الأمة الواحدة من الخلق، كالناس عالم، والطير عالم، وهكذا، ويراد بهم هنا جميع شعوب الأرض من البشر، وأممها إلى يوم الدين .

٧- المحسنين : جمع محسن، من استحضر مراقبة الله تعالى له في كل أعماله، فحجزه ذلك عن العصيان .

٨- عبادنا : سبق الإيضاح .

٩- المؤمنين : جمع مؤمن، كل من صدق بربه الكريم والتزم منهجه .

١٠- الآخَرين : جمع آخَر، وهم جملة الكافرين، الذين لم يؤمنوا مع نوح عليه السلام .

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ

إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا
تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾
فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾
فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

- (قصة تضمنت توجيهاً) : ثنَّى سبحانه بقصة الخليل إبراهيم، مبيناً أنه من جملة اتباع نوح عليهما السلام، في النبوة والرسالة والدعوة إلى الحق، قد جاء ربه بقلب نقي طاهر، موقناً بربه عز وجل، رافضاً الشرك ومنكراً على أبيه وقومه عبادة الأصنام، التي اتخذوها آلهة من دونه سبحانه، مخاطباً إياهم متسائلاً ما الذي صرفكم عن عبادة رب العالمين، لكنهم تركوه وذهبوا لعيد لهم، حين نظر إلى النجوم وقال متعللاً أني مريض، فلما خلا بنفسه انسل إلى آلهتهم تلك وبدأ يخاطبها ساخراً متهكماً ألا تأكلون ! ألا تنطقون ! ثم حطمها بشدة وانصرف، فلما علم قومه بفعلته تلك جاءوا إليه سراعاً عليه منكرين، ففاجأهم بالسؤال، أتعبدون ما تنحته أيديكم، وتتركون الله الذي خلقكم، فأعرضوا عنه، وقالوا ابنوا حوله بناءً عظيماً محكماً وأضرموه ناراً ثم ألقوه فيها، ففعلوا فكانت برداً وسلاماً عليه، ونجاه جل جلاله بقدرته منها، وكانوا هم الخاسرين المخذولين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- شيعته : أتباعه .
- أئفكاً : كذباً وبهتاناً مختلقاً .
- نظر نظرة : رفع بصره ناظراً في النجوم، مفكراً في الاعتذار عن الخروج معهم .
- سقيم : مريض عليل .
- مدبرين : منصرفين عنه .
- فراغ : انسل بخفية وسرعة .
- يزفون : يمشون نحوه مسرعين بغلبة وجلبة .
- تنحتون : تشكلون بأيديكم .
- ابنوا عليه بنياناً فألقوه في الجحيم : أحيطوه بنار عظيمة تحرقه، لا يخرج منها .

توجيهات الآيات :

١- الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، هم دعاة الله تعالى إلى عباده، منهجهم واحد هو توحيد الخالق لا سواه .

٢- القلب السليم يدرك الحق والنور، وصلاحه يعني صلاح الجوارح، بخلاف القلب المريض الغافل، المنصرف عنه، والذي بفساده تفسد الجوارح . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ألا وإن في الجسد**

مُضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)[متفق عليه . مضغة : قطعة لحم] .

٣- توجيه الدعوة يبدأ بأقرب الناس، كما بدأ الخليل عليه السلام بأبيه ثم قومه .

٤- الاستفهام وسوق الحجج العقلية المنطقية، من جملة أساليب القرآن الكريم في الإقناع .

٥- كل عبادة لغير الله تعالى هي إفك حقاً، إذ لا مستحق لذلك سواه تبارك وتعالى .

٦- حيثية صدق عبادة الله عز وجل أنه رب العالمين، الخالق الرازق، المصرف المدبر للجميع .

٧- استعمال الخليل عليه السلام منطق قومه الذي يصدقونه وبه يقتنعون، حين نظر إلى النجوم، ليسوق لهم عذراً يقبلونه، لأنهم كانوا عُبَّاد نجوم وكواكب، لكلٍ منها صنم معين، وكأن النجوم أسقمته أو أعلمته أنه سقيم .

٨- دعوى الخليل عليه السلام أنه سقيم، ليقنع قومه لينصرفوا عنه، فيجد حينها الفرصة سانحة لتحطيم آلهتهم تلك، وتحقق ما أراد بالفعل، فكانت كذبة لمصلحة الدعوة ولا ريب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله، قوله : إني سقيم، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في**

شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس)[متفق عليه][1].

٩- انتقام القوم الكافرين من الخليل عليه السلام، بإضرام نار عظيمة وقذفه فيها لتحرقه فتنتهي دعوته، لكن إرادة الله جل شأنه فوق كل إرادة، فكان ما أراد سبحانه لا ما أراد القوم الكافرون، الذي خابوا وخسروا وخُذِلوا .

١٠- إقامة الخليل عليه السلام الحجة على القوم الكافرين، حين علموا بتحطيم الأصنام وحضروا إليه ليسألوه، وهنا وجد الفرصة سانحة لذلك،

---

[1] والحديث بتمامه : (لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام، قط إلا ثلاث كذبات، ثنتين في ذات الله، قوله : إني سقيم، وقوله : بل فعله كبيرهم هذا، وواحدة في شأن سارة، فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها : إن هذا الجبار، إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك، فإن سألك فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك، فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، أتاه فقال له : لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأتي بها فقام إبراهيم عليه السلام إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقُبِضت يده قبضة شديدة، فقال لها : ادعي الله أن يطلق يدي ولا أضرك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، ففعلت، فعاد، فقبضت أشد من القبضتين الأوليين، فقال : ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله أن لا أضرك، ففعلت، وأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها فقال له : إنك إنما أتيتني بشيطان، و لم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي وأعْطِها هاجر . قال : فأقبلت تمشي، فلما رآها إبراهيم عليه السلام انصرف، فقال لها : مَهْيَم ؟ قالت : خيراً، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادماً)[وقُبِضت يده قبضة شديدة : يبست فلم تتحرك، كأنما شُلَّت . ومهيم : ما خبرك . وأعطاها جاهر : خادمة لها] . والكذبة هنا من باب التورية، لقوله عليه الصلاة والسلام : (فأخبريه أنك أختي، فإنك أختي في الإسلام) .

وخاطبهم بمنطق العقل الرشيد : أتعبدون ما تصنعونه بأيديكم، وتتركون عبادة ربكم الذي خلقكم وما تصنعون، ألا تعقلون ! .

١١- استعمال الخليل عليه السلام، أساليب الإقناع كثيراً، في مواجهة قومه ليردهم إلى الصواب .

١٢- يختلف الناس في إدراك المنطقيات والمسلمات رغم وضوحها كالشمس، فيه دليل على أن شُبَه القلوب تغطي وتحجب منطق العقول الراجحة .

١٣- نُصرة الله جل وعلا لعباده الصالحين ، أسرع من طرفة عين، في المكان والزمان المناسبين . في الخبر : (لما جيء بإبراهيم عليه السلام فخلعوا ثيابه، وشدوا قماطه، ووضع في المنجنيق، بكت السماوات والأرض والجبال والشمس والقمر والعرش والكرسي والسحاب والريح والملائكة، كل يقولون : يا رب إبراهيم عبدك يحرق بالنار، فائذن لنا في نصرته، فقالت النار وبكت : يا رب سخرتني لبني آدم، وعبدك يحرق بي، فأوحى الله عز وجل إليهم : إن عبدي إياي عبد، وفي جنبي أوذي، إن دعاني أجبته، وإن استنصركم فانصروه، فلما رمي استقبله جبريل عليه السلام بين المنجنيق والنار فقال : السلام عليك يا إبراهيم أنا جبريل، ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا، حاجتي إلى الله ربي، فلما قذف في النار كان سبقه إسرافيل فسلط النار على قماطه، وقال الله عز وجل : ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا

﴿ وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ فلو لم يخلطه بالسلام لكزَّ فيها برداً)[أبو نعيم في الحلية . وقماطه : قيده . ولكز : لبقي] .

١٤- النون في قوله تعالى (فجعلناهم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٨٤) قوله تعالى : ﴿ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ ﴾ . اعتراض الخليل عليه السلام على عبادة أبيه وقومه، قبل أن يوحى إليه، دلالة على أن القلب السليم يدرك الحقائق من أول وهلة، وبدون مقدمات، وهذا في حد ذاته دالة على أن الحقائق واضحة ومجردة للعيان، ولا تحتاج لمزيد إثبات، فقط قليل من التفكر والتدبر لمن تأملها بصدق .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٨٥) قوله تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ . قد يكون الأب من جملة المعارضين للشخص في توجهاته، وقد يكون المعارض الأول له .

٣- إشارة : جاء في الآية (٨٦) قوله تعالى : ﴿ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ . اتخاذ الآلهة من دون الله سبحانه، أكبر دليل على فساد

الشرك، إذ الأصل أن الإله هو الذي يخلق ويجعل ليُعبد، وليس العكس، يُجعل ويُتخذ ومن ثم يُعبد .

٤- لطيفة : جاء في الآيات (٨٨-٩٠) قوله تعالى : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ . النظرة كانت في النجوم، وليست إلى النجوم، وكأن الخليل يقرأ ما في تشكيلاتها من مدلولات، فيه دليل على أن التنجيم علم، ومنه جزء مباح . ففي مجموع فتاوى الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى قوله : (علم النجوم ينقسم إلى قسمين : القسم الأول . علم التأثير، وهو أنواع : الأول . وهو أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث والشرور، فهذا شرك أكبر . والثاني أن يجعلها سبباً يدعي به علم الغيب، فيستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها، فهذا كفر مخرج من الملة . والثالث أن يعتقدها سبباً لحدوث الخير والشر، فإذا وقع شيء نسبه إلى النجوم بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر . والقسم الثاني . علم التسيير، وهو نوعان : الأول . أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية، فهذا مطلوب، كأن يستدل بالنجوم على جهة القبلة . والثاني : أن يستدل بسيرها على المصالح الدنيوية، فهذا لا بأس به، كأن يستدل بها على الجهات والفصـــول وما إلى ذلك)[مجموع الفتاوى . باب ما جاء في التنجيم، ج٩، ص٥٨٤-٥٨٥] .

٥- لطيفة : جاء في الآيات (٩١-٩٢) قوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ . المقصد الرئيس من مخاطبة الخليل عليه الصلاة والسلام لتلك الآلهة قبل تحطيمها : ألا تأكلون ! ألا تنطقون ! بغرض إظهار حقيقتها لاحقاً للقوم الكافرين خاصة، وللعالم أجمع من بعد عامة، من أنها جمادات شأنها أقل من شأن الحيوانات التي تأكل وتنطق، فكيف تسنى لأولئك الأقوام عبادتها، وهي دونهم في كل شيء ولا ريب، بل هي دون الحيوانات أصلاً، لأنها جمادات لا روح لها ولا فيها .

٦- إشارة : جاء في الآية (٩٣) قوله تعالى : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ . تستعمل كلمة (اليمين) للدلالة على معاني كثيرة، يحددها سياق الكلام، منها القوة والنشاط والهمة والعزيمة، كما في هذه الآية . وهذه هي المرة الثانية التي استعملت فيها هذه الكلمة في السورة الكريمة، وقد جاءت بمعنى آخر، مغاير للأول .

٧- إشارات : جاء في الآية (٩٥) قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾ . صناعة الآلهة عن طريق نحت الحجارة، مسألة قديمة جداً وليست حديثة كما يعتقد كثيرون . وأخرى معرفة الإنسان لعملية النحت قديمة في حد ذاتها .

٨- إشارة : جاء في الآية (٩٦) قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ . أولوية عبادة الله سبحانه وتعالى عن كل معبود، ودون منازع بما لا شك فيه إطلاقاً، لأنه خالق الأكوان، والأقدم فيه من كل شيء، وما سواه طارئ محدث، فيكف يُعبد المحدث ويترك الأول الأقدم، الذي هو أساس الوجود وكل شيء فيه ! هذه حيثية عقلية مهمة، من باب تقريب الأفهام .

٩- إشارة : جاء في الآية (٩٧) قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ . جملة (ابنوا له بنياناً) دالة على أنه سبق البنيان؛ إشعال النيران، التي من شدتها لم يستطع أحد الاقتراب منها، فصنعوا آلة ليقذفوه بها في النار من بعيد .

١٠- إشارة : جاء في الآية (٩٨) قوله تعالى : ﴿ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾. كلمة (الأسفلين) دالة ولا ريب على أنهم الأخسرون، والأذلاء المقهورون، والمغلوبون في كل شيء، في الحجج العقلية حيث غلبهم الخليل عليه السلام بحجته، وفي محاولة قتله حيث جُعلت النار برداً وسلاماً عليه فلم تضره بشيء أبداً، فكان هو المنتصر عليهم في كلتا الحالتين .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- إبراهيم : هو أبو الأنبياء وخليل الرحمن، بن تارح (آزر) بن ناحور ساروغ، أرسل إلى قومه (الكلدانيون) ببابل من أرض العراق، ورد ذكره في القرآن الكريم (٦٨) مرة، ودفن بمدينة الخليل من أرض فلسطين، عن عمر (١٧٥) سنة .

٢- أبيه : آزر أو (تارح) بن ناحور من ذرية سام بن نوح عليه السلام .

٣- قومه : آلهة . العالمين : سبق الإيضاح .

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾
فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ
فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ
سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾
وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ
﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾
كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾
وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ

﴿إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾

– (تمام القصة) : ما زال السياق حول قصة الخليل عليه السلام، مبيناً سبحانه موقفه حين هاجر مفارقاً قومه جرَّاء كفرهم، قائلاً : إني ذاهب إلى ربي ليهديني سواء السبيل، داعياً مولاه عز وجل أن يرزقه الولد الصالح، فبُشر من فوره بولد وصفه حليم، فلما شبَّ واستوى قال الخليل عليه السلام له إني رأيت في منامي أني أذبحك قرباناً لله تبارك وتعالى، فأسلم الولد البار لأبيه، لعلمه أن رؤيا الأنبياء حق، وقال يا أبت سمعاً وطاعة إني إن شاء الله من الصابرين، فأسلما لربهما سبحانه وأضجع الوالد ولده للذبح كما أُمر، وهنا جاء النداء الإلهي : أن يا إبراهيم قد امتثلت لما أمرت به من بلاء مبين، وافتدينا ولدك بكبش عظيم، جزاء إيمانكما الكامل وامتثالكما التام، واستحقيتما بذلك الثناء العاطر إلى يوم الدين، فسلام عليكم، وذلك جزاء المحسنين ومن كان من جملة عبادنا المؤمنين الصادقين، ومنَّة أخرى عليك يا خليلنا، بشارة ثانية بولد سمى إسحاق معدود من الأنبياء الصالحين، فبركاتنا عليك وعلى ولدك إسحاق وعلى كثير من ذريتكما ممن أحسن لنفسه، وكثير منهم آثمين لأنفسهم ظالمين .

غريب الكلمات :

– بلغ معه السعي : شب واستوى أمره على مراد الله تعالى .

– أسلما : امتثلا واستسلما .

- تله للجبين : أضجعه على الأرض على شقه الأيمن لذبحه .
- البلاء المبين : الاختبار الشاق الكبير .
- بذبح عظيم : كبش عظيم، نزل من الجنة .

توجيهات الآيات :

١- هجر كل ما يسخط الله تعالى ويغضبه، ولو صدر من أقرب الناس وأحبهم إلى الشخص .

٢- من طلب الهداية من الله سبحانه أعطاه إياها ووفقه لها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ عن الله تبارك وتعالى : (**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**)[مسلم] .

٣- دعاء الله جل جلاله بصدق ويقين وإقبال عليه، يقتضي الإجابة ولا ريب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه**)[الترمذي وأحمد] .

٤- خير ما يؤتاه الرجل في دنياه ولد صالح بار به، يعينه ويعاونه على أمور الدين والدنيا في حياته، ويدعو له بخير بعد مماته، ويصله بعمل صالح لا ينقطع .

٥- الحلم من خير صفات الرجل وأمثلها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لأشج عبد القيس : (**إن فيك لخصلتين يحبهما الله : الحلم**

والأناة)[مسلم . والأشج هو الصحابي الجليل : المنذر بن عائذ رضي الله تعالى عنه] .

٦- رؤيا الأنبياء عليهم السلام حق، وأمر رباني بما أراده سبحانه منهم . وهي من المبشرات . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا : وما المبشرات ؟ قال : الرؤيا الصالحة**)[البخاري] . وفي رواية : (**أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو ترى له**)[مسلم] .

٧- حسن خلق الخليل عليه السلام، بدى ذلك حين استأذن ابنه في ذبحه، كي لا ينفر منه، يستفاد منه وجوب التلطف في التعامل مع الأبناء، واستمالة قلوبهم للحق والخير والبر .

٨- الذبح في المنام يعني القربان، يؤدَّى إلى الله تعالى شأنه .

٩- الصبر خلق جميل وعاقبته حسنة، وجب التحلي به في كل أحوال المسلم .

١٠- تقديم المشيئة في الأمور مهم جداً، وفي كل شيء، فلا راد لما أراد الله جل جلاله .

١١- الامتثال لأمر الله جلت عظمته، عاقبته الرضا والتوفيق والسداد والرشاد .

١٢- علو مرتبة الإحسان في مراتب الولاية والقرب، لا يصل إليها كل أحد من الناس .

١٣- المؤمن مبتلى، والبلاء يحيط به من كل مكان، فليصبر وليحتسب .

١٤- فداء إسماعيل عليه السلام بكبش عظيم نزل من الجنة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ في حديث طويل : (**فالتفت إبراهيم، فإذا هو بكبش أبيض أقرن أعين**)[أحمد والحاكم] .

١٥- استحقاق إبراهيم وابنه إسماعيل الثناء العاطر عبر الزمان، فسلام عليهما إلى يوم يبعثون .

١٦- تكررت عبارة (كذلك نجزي المحسنين) في شأن الخليل مرتين، وما ذاك إلا لرفعة شأنه بين الأنبياء، عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

١٧- بُشِّر الخليل عليه السلام في هذه الآيات الكريمات، ببشارتين اثنتين، جاءتا في سياق متتابع، البشارة الأولى بولد لم يسم فيها صريحاً، ذكرت قصة ذبحه، تلاها مباشرة البشارة الثانية بإسحاق والتصريح بنبوته، وهذا يثبت قطعاً أن الذبيح هو إسماعيل وليس إسحاق عليهما السلام، كما قال بعض أهل العلم .

١٨- بركات ربنا تبارك وتعالى، على إبراهيم وإسحاق عليهما السلام .

١٩- من ذرية إبراهيم وإسحاق عليهما السلام، محسن لنفسه، وظالم أثيم، كذلك هو حال الناس في الدنيا، صنفان اثنان، مؤمن وكافر، بَرٌّ وفاجر .

٢٠- النون في قوله تعالى (بشرناه، ناديناه، إنا كذلك نجزي، فديناه، تركنا، نجزي، عبادنا، بشرناه، باركنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله

سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكـــة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٩٩) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾ . جملة (ذاهب إلى ربي) تنمُّ عن إعراض تام عن الدنيا، والهجرة إلى حيث الرضا الحقيقي، مهما كان الثمن، ما دام في ذات الله جل في علاه .

٢- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٠٠) قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ . الولد الصالح في حقيقته هبة من المولى عز وجل . ولطيفة لفظ (من الصالحين) يقتضي الولد الصالح، ذكراً كان أم أنثى، المهم في الأمر الصلاح .

٣- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٠١) قوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ . البشائر من الأمور المفرحة للمسلم، ولها طرق كثيرة، جميعها يجب أن يشكر عليها ربنا سبحانه . ولطيفة البشارة كانت بغلام، وليس بـــ (ولد)، وارتبط وصف الغلام بأنه حليم، فيه دلالة على أن علامات الحلم بدت عليه وهو غلام .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٠٢) قوله تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴿١٠٢﴾ ﴾ . في الآية (نظر، ورؤية)، فيه دلالة على أن في الإنسان عينين، عين بصر، وعين بصيرة، بهما معاً يرى الحقائق، ومن ثم يوازن بين الأمور، ويفكر بمنطق حكيم .

٥- لطيفة : جاء في الآيات (١٠٣-١٠٥) قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ . الامتثال الحقيقي يكون بالمبادرة بالفعل كما أمر ربنا، ومن ثم ترك الأمور بيده سبحانه، وليس بالقول المجرد .

٦- إشارة : جاء في الآية (١٠٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾ . وُصف البلاء بأنه (مبين) وليس (عظيم)، ليظهر سرعة امتثال الخليل عليه السلام ومبادرته في تنفيذ مراد ربه منه، فهو بلاء يسير عليه وليس عظيماً قط، ما كان ليقف عنده ويتردد في تنفيذه مطلقاً .

٧- لطيفة : جاء في الآية (١٠٧) قوله تعالى : ﴿ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ ﴾ . الذبح شعيرة دينية، وقربة إلى الله جل وعز، لا تُصرف إلا له سبحانه، وكلما عَظُم الذبيح وغلا ثمنه، كان عند الله تعالى أفضل وأكبر أجراً ولا ريب .

٨- إشارة : جاء في الآية (١١٢) قوله تعالى : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ . هذه البشارة أثبتت أن المبشر به الأول (الغلام الحليم) هو إسماعيل قطعاً، وليس هو إسحاق كما قيل، عليهما السلام، لأن سياق الآيات متتابع، وبالتالي فلا مجال للتشكيك أو الارتياب .

٩- لطيفة : جاء في الآية (١١٣) قوله تعالى : ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ . حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، من نسلهم من هو ظالم لنفسه، فاسق، فاجر، كافر، وبالتالي فلا عصمة لنسب من الكفر والفجور مطلقاً، أياً كان . في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : (**دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فاجتمعوا فعم وخص، فقال : يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها**)[مسلم . سأبلها ببلالها : سأصلها] . وفي رواية عنده : (**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا**

بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً) .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- غلام : الطفل دون سن البلوغ، من سن الرابعة إلى الخامسة عشرة .

٢- بُني : لفظ يطلق على الذكر من الولد، ويقابله من الإناث (بنتاه، وبنيَّتي) .

٣- أبتِ : الأب . عبادنا : سبق الإيضاح .

٤- إسحاق : هو الولد الثاني لإبراهيم، وأمه سارة زوجة الخليل الأولى، عليهم جميعاً السلام، بعث في قومه الكنعانيين في العراق، ورد ذكره في القرآن الكريم (١٦) مرة، ودفن بمدينة الخليل من أرض فلسطين، عن عمر (١٨٠) سنة .

٥- نبياً : من بُعث بشرع سابق، لينذر به القوم الذين بُعث فيهم .

٦- ذريتهما : الذرية هي عقب الإنسان الذين من صلبه، أولاده (البنين والبنات) .

٧- قومه . الآخرين : سبق الإيضاح .

تحقيق :

- عامة المفسرين قالوا في معنى قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ . أي لما بلغ سن المشي على قدميه، ومنهم من قال سن الثانية عشرة، ومنهم من قال لما بلغ أشده بسن الثامنة عشرة، ومنهم من قال غير ذلك من أقوال، وفي كل هذه الأقوال والله تعالى أعلم، ضعف ظاهر لأسباب عدة، وهي :

١- معلوم باتفاق افتراق إبراهيم عن ابنه إسماعيل وهو رضيع، فهو لم يتربّ في حجره، بل و لم يره إلا بعدما كبر . جاء في حديث نبوي شريف طويل قوله ﷺ : (**وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته**)[البخاري] . إلى أن قال : (**ثم جاء بعد ذلك، وإسماعيل يبري نبلاً له تحت دوحة قريباً من زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد**)[تعانقا بحرارة بعد طول فراق] . فلا يُترك هذا النص الصحيح الصريح، ومن ثم يلتفت إلى آثار لعل أغلبها مأخوذ من الإسرائيليات، تشير إلى أن الخليل كان يتردد على إسماعيل وأمه، عليهم جميعاً السلام .

٢- الأمر الرباني لإبراهيم ببناء الكعبة المشرفة وطلبه من إسماعيل مساعدته في ذلك، عليهما السلام، جاء وهو في تمام الرجولة، ولعله كان قد نُبئ حتى، وليس وهو صغير أو في مقتبل العمر .

٣- أمر الذبح جاء بعد بناء الكعبة المشرفة وليس قبلها، من باب شكر الله تعالى على إتمام بنيانها، وعلى النداء بنسك الحج، وأن الله جل جلاله قد جعلهما أمامي الدعوة الربانية، ولذلك كان الذبح (تقديم الأضاحي لله تعالى) هو من جملة مناسك الحج في شريعة الإسلام، وهي مأخوذة من فعل الخليل وابنه عليهما السلام، ولو وقع الأمر بالذبح قبل ذلك التوقيت، لما كان الأمر يشير إلى رمزيته كنسك متعلق بفريضة الحج في شريعتنا المطهرة[1].

بذلك يكون المعنى (لما بلغ معه موضع السعي) والمعروف بالمسعى؛ حيث الصفا والمروة، و لم تسم في الآية باسمها صريحة، لأن مكانها آنذاك لم يكن قد عُيِّن بذاته، و لم تخصص للسعي إلا لاحقاً . والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم .

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ ﴾

---

[1] وهذا الذي اختياره الإمام السعدي في كتابه (قصص الأنبياء)، من أن الأمر بذبح إسماعيل عليه السلام، كان بعد الانتهاء من بناء الكعبة المشرفة وليس قبلها .

- (قصة تضمنت توجيهاً) : ما زال سياق القصص، ذاكراً سبحانه منته على عبديه الأخوين، موسى وهارون عليهما السلام، حين نجاهما؛ وقومهم من الاستعباد أولاً، ومن الغرق المؤكد ثانياً، وأغرق عدوهم ونصرهم عليه فكانوا هم الغالبين، وآتاهم كتابه الذي حوى شرع لا لبس فيه مبين، وهداهما الصراط الحق المستقيم، وجعل لهما الثناء العاطر عبر الزمان إلى يوم يبعثون، فسلام عليهما وذلك جزاء المحسنين، إنهما من عبادنا المؤمنين الصادقين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- الكرب العظيم : استعباد فرعون وقومه، والغرق المؤكد في البحر قبل أن ينفلق .

- الكتاب المستبين : التوراة فيها شرع الله تعالى الحق ومنهجه الصدق .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- موسى وهارون، من جملة المرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٢- منَّة الله تعالى على عبديه موسى وهارون عليهما السلام، ونجاة بني إسرائيل من قهر فرعون وقومه سنين طويلة، وإغراقهم في البحر .

٣- النصر والظفر لعباد الله تعالى الصالحين، ولو تأخر إلى حين، فالغلبة والتمكين لهم .

٤- إنزال التوراة على موسى عليه السلام، بالشريعة اليهودية .

٥- صراط الله تعالى واحد، هو عبادته كما أمر، وطاعته بما أراد، بالتزام منهجه الحق، الذي جاء به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٦- سلام الله تعالى على أنبيائه ورسله، العباد الصالحين المحسنين، والدعاة المصلحين .

٧- النون في قوله تعالى (مننا، نجيناهما، نصرناهم، آتيناهما، هديناهما، تركنا، إنا كذلك نجزي، عبادنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (١١٤) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ . قد يبعث الله سبحانه أكثر من رسول واحد لقوم، بحسب ما تقتضي الحاجة .

٢- إشارة : جاء في الآية (١١٥) قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ ﴾ . تسلط فرعون على قوم موسى وهارون عليهما السلام كرب أول، نجاهم الله سبحانه منه، ثم لما أرادوا الهرب قابلهم البحر معترضاً وهو الكرب الثاني، ففلقه جل جلاله لهم ونجاهم منه أيضاً .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١١٦) قوله تعالى : ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ ﴾ . الدنيا دول، فكم من مغلوب غلب، وكم من مهزوم انتصر، والأمور بيد الله سبحانه يقلبها كيف شاء .

٤- إشارة : جاء في الآية (١١٧) قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ . كافة الكتب السماوية، تغني عما سواها مما يقدسه الناس ويعظمونه، وفيها الشرع الرباني المطهر المتكامل، لو فقه العباد ذلك والتزموا به .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- موسى : هو كليم الله تعالى عليه السلام، ابن عمران بن قاهث بن عازر بن لاوي بن يعقوب عليه السلام، بعث في فراعنة مصر، ثم في بني إسرائيل، ورد ذكره في القرآن الكريم (١٣٦) مرة، ودفن بجزيرة سيناء، عن عمر (١٢٠) سنة .

٢- هارون : بن عمران، شقيق موسى الأكبر عليهما السلام، ورد ذكره في القرآن الكريم (٢٠) مرة، ودفن بجزيرة سيناء، عن عمر (١٢٢) سنة.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ

ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

– (قصة تضمنت توجيهاً) : ما زال سياق القصص، مورداً سبحانه قصة عبده إلياس عليه السلام وأنه من جملة المرسلين، ذاكراً موقف قومه منه ومن عبادة الله جل شأنه، حين حذرهم من عاقبة الشرك، وهم عاكفون على عبادة صنمهم (بعل) تاركون الخالق العظيم، ربهم ورب الناس أجمعين، الأولين منهم والآخرين، فبدلاً من الانصات لما يقوله محذراً ومنذراً كذبوه فويل لهم، يوم يمثلون بين يدي ربهم، لا خلاص فيه حينها إلا لعباد الله المؤمنين الصادقين، أما إلياس عليه السلام، فقد استحق الثناء العاطر عبر الزمان، فسلام عليه وآله، ذلك جزاء المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– بعلاً : الصنم الذي عبده قوم إلياس عليه السلام .

– لمحضرون : لموقوفون بين يدي ربهم سبحانه، للحساب والعقاب .

– المخلَصين : الصادقين المصدقين .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إلياس عليه السلام من جملة المرسلين، عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٢- إنذار إلياس عليه السلام، قومه من عاقبة الشرك الوخيمة، لكنهم لم يرعووا بل كفروا وكذبوا وطغوا وعتو .

٣- أولى الوصايا الجامعة لكل خير، هي ولا ريب (الوصية بالتقوى) .

٤- عَبَد قوم إلياس عليه السلام، صنم يقال له (بعل) .

٥- حيثية الإيمان الأولى هي، عبادة الرب الخالق القادر، المصرف المدبر .

٦- عاقبة التكذيب وبال وخسران، في الدنيا وفي الآخرة .

٧- الإخلاص مرتبة عليا، ضمن مراتب الولاية الحقة، ترفع شأن صاحبها إلى حيث منازل القبول، والرضا واليقين التام .

٨- النون في قوله تعالى (تركنا، إنا كذلك نجزي، عبادنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (١٢٥-١٢٦) قوله تعالى : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ . جملة (أحسن الخالقين) دالة أن هناك خالقين غير الله سبحانه،

لكنه أحسنهم منهم، لأنه يخلق من عدم وعلى غير مثال سابق وبقدرة مطلقة، أما هم فيخلقون من موجود وعلى مثال سابق وبقدرة محدودة، شبيهاً بخلق الله جل جلاله .

٢- إشارة : جاء في الآية (١٣٠) قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ . جملة (إل ياسين)، لغة في تسمية إلياس عليه السلام، عائدة عليه وعلى من تبعه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- إلياس : عليه السلام، ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، بعث في قومه (الفينيقيون) بمدينة بعلبك من أرض لبنان، ورد ذكره في القرآن الكريم (٢)، ورفعه الله تعالى إليه .

٢- قومه : سبق الإيضاح .

٣- الأولين . الآخرين : سبق الإيضاح .

٤- إل ياسين : إلياس واتباعه وأشياعه .

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

– (قصة تضمنت توجيهاً) : ما زال سياق القصص، ذاكراً سبحانه عبده لوطاً عليه السلام وأنه من جملة المرسلين، قد نجاه وأهله جميعاً من القوم المجرمين، إلا امرأته العجوز التي لم تؤمن بربها، فكتب عليها الشقاء فكانت مع الهالكين، وتلك ديارهم بقيت من بعدهم شاهدة على هلاكهم، معلماً لكل الأمم، عليها تمرون، في سفركم بالليل والنهار، أفلا يدركون ذلك وبه يتعظون .

توجيهات الآيات :

١– لوط عليه السلام من جملة المرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٢– دعوة لوط عليه السلام لقومه ليؤمنوا بربهم، لكنهم كفروا و لم يمتثلوا لمراده سبحانه .

٣– نجاة لوط عليه السلام ومن آمن معه، وهلاك قومه المجرمين .

٤– هلاك امرأته مع جملة الهالكين، لأنها لم تكن قد آمنت بربها العظيم جل جلاله .

٥– بقاء ديارهم شاهدة عليهم، في طريق المسافرين، لأخذ العبرة والموعظة مما آل إليه أمرهم .

٦– الكفر والمعاصي يستوجبان العقاب الشديد في الدنيا والآخرة، وعذاب الدنيا لا ينجي الإنسان مما أعد له يوم القيامة من عذاب مقيم ولا يعفيه منه .

٧- النون في قوله تعالى (نجيناه، دمرنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله تعالى سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكـــة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٣٤) قوله تعالى : ﴿ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ . مكانة الأهل من الإنسان، في كل شؤون الحياة، وهم الأولى بكل خير ومعروف قبل أي أحد من الناس . ولطيفة (الأهلية) في شأن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، يراد بها كل من آمن بهم وصدقهم واتبعهم، فيه أهلية إيمان، وليست أهلية نسب وحسب .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٣٥) قوله تعالى : ﴿ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ . (العجوز) مرحلة عمرية لمن تقدم في السن، فعجز عن القيام بأموره الحياتية بصورة طبعية معتادة، ومن المفترض على من وصل إلى هذ المرحلة من العمر، أن يعيد محاسبة نفسه والتفكر في حقيقة دنياه . في الأثر : (إذا بلغ الرجل المسلم أربعين سنة، آمنه الله من أنواع البلايا : من الجنون، والبرص، والجذام، وإذا بلغ الخمسين ليَّن الله عز وجل عليه حسابه، وإذا بلغ الستين، رزقه الله إنابة يحبه عليها، وإذا بلغ السبعين،

أحبه الله وأحبه أهل السماء، وإذا بلغ الثمانين، تقبل الله منه حسناته ومحا عنه سيئاته، وإذا بلغ التسعين، غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسُمي أسير الله في الأرض وشُفِّع في أهله)[أحمد وغيره] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- لوطاً : عليه السلام، ابن هاران بن آزر، ابن أخ إبراهيم عليه السلام، بعث في قرى سدوم وعمورة من أرض الأردن، ورد ذكره في القرآن الكريم (٢٧) مرة، ودفن في قرية في الشام .

٢- أهله : سبق الإيضاح .

٣- عجوزاً : هي والهة وقيل والعة، كانت تدل قومها على أضياف لوط عليه السلام، بإيقاد النار في الليل علامة على وجودهم عنده، وبإشعال الدخان نهاراً .

٤- الغابرين : جمع غابر، هم الهالكون في العذاب .

٥- الآخرين : جمع آخر، هم الكافرون من قوم لوط عليه السلام .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً

مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

- (قصة تضمنت توجيهاً) : ما زال سياق القصص، مورداً سبحانه قصة عبده يونس عليه السلام وأنه من جملة المرسلين، ذاكراً حاله حين فارق قومه غاضباً آسفاً، فركب سفينة ثقلت بحمولتها قد أوشكت على الغرق، فاقترعوا أن يلقوا بعضهم لتخف، فوقعت القرعة عليه فكان من المغلوبين، فلما أُلقى في البحر ابتلعه الحوت وهو لنفسه لائمٌ، فلما استقر في بطنه ذكر ربه في غيابت الظلمات هناك مسبحاً، ولولا تسبيحه ذاك وأنه من جملة الصالحين، لقُبر في بطن الحوت إلى يوم يبعثون، لكن العناية الربانية تداركته فطرحه الحوت بأرض فلاة وهو هزيل، وأُنبتت عليه شجرة القرع تغذيه وهي له ظل ظليل، فلما قَوِي عاد إلى قومه الذين تجاوز تعدادهم مائة ألف بقليل، وقد آمنوا بربهم وصدقوا دعوته، فمتعوا إلى أجل؛ الله سبحانه به عليم .

غريب الكلمات :

- أبق : فرَّ هائماً من غير وجهة يقصدها .
- الفلك المشحون : السفينة المكتظة بحمولتها .
- فساهم : من الاستهام، اقترع فوقعت القرعة عليه .

- المدحضين : المغلوبين (منكسر النفس والخاطر) .
- فالتقمه : ابتلعه .
- مليم : ما يلام عليه .
- بالعراء : أرض فلاة خالية .
- يقطين : شجرة القرع (الدباء) .

توجيهات الآيات :

١- يونس عليه السلام من جملة المرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٢- خروج يونس عليه السلام من عند قومه، وركوبه البحر بغير إذن ربه سبحانه .

٣- الاقتراع في الأمور التي تستدعي ذلك، دفعاً للخلاف والتنازع، وبالتالي فنتائجه حتمية لا تقبل النقاش، إما الفوز وإما الخسارة، ليسلم الإنسان عما سيسفر عنه الأمر .

٤- ابتلاع الحوت ليونس عليه السلام، من غير أن يؤديه لحكمة بالغة . في الخبر : (لما وقع يونس في بطن الحوت ظن أنه الموت، فحرك رجليه فإذا هي تتحرك فسجد وقال : يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يسجد فيه أحد قط)[الحاكم] .

٥- ذكر العبد لربه عز وجل في الرخاء، يستجلب ذكر الله تعالى له في الشدة، وتداركه برحماته . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من**

سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب، فليكثر الدعاء في الرخاء)[الترمذي] .

٦- الرجوع إلى الله تعالى مباشرة، ينقذ الإنسان من كل مصيبة وقع فيها، أو بلاء أحاط به .

٧- تولي ربنا جل جلاله عباده الصالحين بالعناية، تحيط بهم في كل وقت وحين .

٨- لا خير في الغضب، بل الشر كل الشر فيه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لمن جاء طالباً الوصية فقال له : (**لا تغضب، فردد مراراً، قال : لا تغضب**)[البخاري] .

٩- فضل الشجر، وما فيه من (ظل وثمر) مما يستوجب المحافظة عليه والعناية به .

١٠- تجاوز تعداد قوم يونس عليه السلام، المائة ألف مؤمن بالله تعالى، جم غفير . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**عرضت علي الأنبياء بأممها، وأتباعها من أممها، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة من أمته، والنبي معه العصابة من أمته، والنبي معه النفر من أمته، والنبي معه الرجل من أمته، والنبي ما معه أحد من أمته ...**)[أحمد][1].

---

[1] والحديث بتمامه : (عرضت علي الأنبياء بأممها، وأتباعها من أممها، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة من أمته، والنبي معه العصابة من أمته، والنبي معه النفر من أمته، والنبي معه الرجل من أمته، والنبي ما معه أحد من أمته حتى مر علي موسى بن عمران ﷺ في كَبْكَبة من بني إسرائيل، فلما رأيتهم

١١- من ثمرات الإيمان بالله جل جلاله، السعادة والنجاة في الدنيا، والفوز في الآخرة والظفر بالجنة .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١٤٠) قوله تعالى : ﴿ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ ﴾ . الفرار يكون إلى الله جل في علاه، وليس منه إلى سواه مطلقاً، فلا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه، من علم ذلك عرف كيف يفر إلى ربه سبحانه .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٤١) قوله تعالى : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ . لا قيمة للفروق بين المقترعين حال الاقتراع، الكل في الميزان سواء .

أعجبوني، قلت : يا رب من هؤلاء ؟ فقال : هذا أخوك موسى بن عمران ومن معه من بني إسرائيل، قلت : يا رب، فأين أمتي ؟ قال : انظر عن يمينك، فإذا الظراب ظراب مكة، قد سُد بوجوه الرجال، قلت : من هؤلاء يا رب، قال : أمتك، قلت : رضيت رب، قال : أرضيت ؟ قلت : نعم، قال : انظر عن يسارك، قال : فنظرت، فإذا الأفق قد سُد بوجوه الرجال، فقال : رضيت ؟ قلت : رضيت، قيل : فإن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة، لا حساب لهم، فأنشأ عكاشة بن محصن، أحد بني أسد بن خزيمة، فقال : يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال : اللهم اجعله منهم، ثم أنشأ رجل آخر منهم، فقال : يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال : سبقك بها عكاشة)[والظِّراب : جمع ظَرِب وهو الجبل الصغير . وكبكبة : جماعة] .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٤٣) قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ . عظم منزلة ذكر الله تعالى، وفضل التسبيح في كل وقت وحين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن – أو تملأ – ما بين السماوات والأرض**)[مسلم] .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٤٤) قوله تعالى : ﴿ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ . لو لبث يونس عليه السلام في بطن الحوت، ومات هناك ومات الحوت بعد ذلك، لظلت ذراته مختلطة بذرات الحوت إلى يوم يبعثون، يسمى هذا علمياً بنظرية الاحتواء .

٥- إشارة : جاء في الآية (١٤٥) قوله تعالى : ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ﴾ . طرح الحوت يونس عليه السلام في أرض فلاة بعيداً عن الناس، حتى يستصح بدنه كما أراد سبحانه له، دون تدخل البشر في ذلك، فلا يكون لأحد فضل عليه، قد يؤثر على مسار دعوته مستقبلاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا ينبغي لعبد أن يقول : أنا خير من يونس بن متى . ونسبه إلى أبيه**)[متفق عليه] . فمكانة النبوة والرسالة محفوظة تماماً ومن كل وجه، ليس لأحد أن يستخف بها، أو أن يظن أفضليته في شيء إطلاقاً .

٦- إشارة : جاء في الآية (١٤٦) قوله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ ﴾ . فضل شجر اليقطين وما فيه من فوائد كثيرة، فمن جهة ورقها بارد، ومن جهة أخرى لا يقع عليه الذباب، كما أن لثمرتها فوائد غذائية وصحية عديدة، لذا كان يحبها ﷺ . في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (**رأيت رسول الله ﷺ يتتبع الدباء من حوالي الصحفة، قال : فلم أزل أحب الدباء منذ يومئذ**)[متفق عليه] . رحمات أحاطت بالعبد الصالح يونس عليه السلام، كذلك هي عناية المولى بعباده الصالحين .

٧- لطيفة : جاء في الآية (١٤٧) قوله تعالى : ﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ . هذا العدد في تلك العصور القديمة يعد عدداً كبيراً، وهذا ينم عن مجتمع كبير، أرسل إليهم يونس عليه السلام، أجرهم جميعاً له عليه السلام .

٨- لطيفة : جاء في الآية (١٤٨) قوله تعالى : ﴿ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ ﴾ . دعوة يونس عليه السلام، قاصرة على قومه، بدلالة قوله (متعناهم إلى حين)، وليس (إلى يوم الدين)، كذلك هو شأن سائر الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، باستثناء النبي الأكرم ﷺ صاحب الدعوة العالمية إلى يوم الدين، وإلى عموم الثقلين . في الحديث النبوي

الشريف قوله ﷺ : (**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**)[البخاري] . وفي رواية لمسلم : (**وبعثت إلى كل أحمر وأسود**) .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يونس : عليه السلام، (يونان)، ابن (متى) وهي أمه، من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام، أرسل إلى قومه الآشوريين، من أهل نينوى بالموصل من أرض العراق، ورد ذكره في القرآن الكريم (٤) مرات، ودفن في ذات المدينة (نينوى) .

٢- المرسلين : سبق الإيضاح .

٣- المسبحين : جمع مسبح، من لزم ذكر الله تعالى كثيراً .

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾
أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾
أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾
أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾
فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ ﴾

– (أمر تضمن توجيهاً بتوبيخ) : بعد سرد بعض القصص، انتقل الحديث إلى تقرير مسألة مهمة جداً، تواطأت عليها ألسنة أمم كثيرة، جاء التقرير بصيغة استفهام إنكاري لأولئك الكافرين، أن يا رسولنا الكريم استفتهم، ألربك بنات قد اصطفاهم وهم لهم البنين، من أعلمهم أن الملائكة الكرام من جملة البنات ! أشهدوا خلقهم ! أم تجاوز افتراءهم الذات العلية جل جلال ربنا، فنسبوا له الولد زوراً وبهتاناً، وخصصوا له من ذلك البنات !، يا لكذبهم، وما أجور حكمهم، وأقبح فعلهم، ألا يُعمِلون عقولهم فيما يقولون، أم لهم بينة على ذلك وحجة ظاهرة، فليأتوا بها إذن، إن كانوا حقاً صادقين .

غريب الكلمات :

– إفكهم : كذبهم وافتراءهم .

– اصطفى : اختار .

– سلطان مبين : حجة ظاهرة .

– بكتابكم : بيانكم على ما قلتم .

توجيهات الآيات :

١– من أساليب القرآن الكريم الرد على الشبهة المثارة من قِبل المشككين، وكشف أباطيلها .

٢- استعمال القرآن الكريم الأساليب المنطقية العقلية، في إثبات الحقائق بأبسط الطرق .

٣- من جملة أكبر الشبهة المثارة قديماً، نسبة الولد إلى الله جل جلال ربنا العظيم، كذباً وزوراً وبهتاناً، وهذا افتراء محض لا مرية فيه، ولا حجة عليه إطلاقاً .

٤- ومن جملة تلك الشبهة وصف الملائكة الكرام أنهم بنات الله جل جلاله، زوراً وبهتاناً أيضاً .

٥- كلتا الشبهتين محض خيال بحت، وإلا كيف حكم البشر بها، ولا وجود لأدنى حجة تثبت ذلك من أي وجه كان، ولو كانت حجة واهية حتى .

٦- من باب المسايرة في القول والمجاراة في الحديث، ما الذي حمل أولئك الأقوام على تخصيص البنات لله تعالى، على فرض أنه سبحانه فعلاً له ولد، لماذا اختاروا له وحكموا بأضعف الجنسين، واختاروا لأنفسهم أفضلهما، بحسب تصوراتهم .

٧- اعتقاد كثير من الناس أن البنين مصدر قوة وعزة يعتمد عليهم، وأنهم بكل حال خير من البنات، اللواتي يحتجن إلى الحماية والرعاية والعناية أكثر، مع أنهن خير وبركة في كثير من الأمور .

٨- الحذر من الافتراء والكذب والبهتان، ولا سيما فيما يخص أمور الدين والعقيدة والشريعة .

٩- كثير من الناس لا يعقل، ولا يعرف كيف يحكم، ويتأثر بقول القائلين من غير بينة ولا حجة، والحكم على الأشياء يكون ببينة، ووعي وفهم وإدراك، وإلا كان حكماً جائراً .

١٠- تعظيم الله جل جلاله أمر مطلوب، ولا يقبل النقاش مطلقاً، سبحانه على كل شيء قدير .

١١- في الدعاوى لا بد من إقامة الحجج، ظاهرة بيِّنة لا لبس فيها، وإلا بطلت وكانت كلاماً فارغاً، لا يستند إلى قوة، ولا شهادة إلا بما يعلم الإنسان حقيقته . في الأثر لما سئل ﷺ عن الشهادة قال : (هل ترى الشمس ؟ قال : نعم، قال : على مثلها فاشهد أو دع)[البيهقي في شعب الإيمان] .

١٢- كل إنسان مطالب بالتفكر والتدبر والتأمل، ومن عطَّل عقله عن ذلك، تاه في خضم الظلمات، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث العقل على ذلك، ليدرك الحقائق بعينيه مجردة من اللبس .

١٣- من أساليب القرآن الكريم في النقاش، استفراغ حجج الخصوم، لدحض الباطل من كل وجه تماماً، فلا يبقى بعدها مجال للتشكيك أو الارتياب في الحق .

١٤- النون في قوله تعالى (أم خلقنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (١٤٩) قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ . خطابات القرآن الكريم للنبي الأكرم ﷺ وللأمة من بعده، في معرض الرد على كل من وقع في ذات الخطأ وتلك الشبهة .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٥٠) قوله تعالى : ﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ . لفظ السياق جاء بـــ (أم خلقنا) وليس بـــ (أم ولدنا)، لتحقيق أمرين اثنين : الأول نفي أن يكون له ولد سبحانه أصلاً، والثاني نفى أن يكون الملائكة الكرام إناثاً من حيث الأصل، لأنهم خلقوا من غير توالد بين زوجين اثنين كالبشر .

٣- لطيفة : جاء في الآيات (١٥١-١٥٢) قوله تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ ﴾ . من اجترأ على نسبة الولد لله سبحانه من غير علم، فهو لما سوى ذلك أجرأ، ممن افترى الكذب المحض، ونسبه إلى الدين والعقيدة والشريعة .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٥٣) قوله تعالى : ﴿ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ . البنات والبنين، كلاهما خير، وهبة من الله سبحانه لمن

شاء من عباده فوهبه إياهم، ولا مجال للتفرقة بينهما بتفضيل البنين المجرد، ولا سيما أن البنات سبب في دخول الجنة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من ابتلي من البنات بشيء، فأحسن إليهن كن له ستراً من النار**)[متفق عليه] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخرة قوله ﷺ : (**من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو ابنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة**)[أبو داود والترمذي وابن ماجة] . وفي رواية : (**من كان له ثلاث بنات فصبر عليهن، وأطعمهن، وسقاهن، وكساهن من جِدَتِه كن له حجاباً من النار يوم القيامة**)[وجدته : قدر جهده] .

٥- لطيفة : جاء في الآية (١٥٤) قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾ . ليس كل إنسان مؤهلاً لأن يكون حكماً، له القدرة التامة على التمييز بين الأمور، والمقارنة بينها .

٦- لطيفة : جاء في الآية (١٥٦) قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ ﴾ . السلطان نوعان : الأول سلطان حجة وإقناع، وهذا متعذر هنا، إذ لا حجة إطلاقاً على ما يزعمون، والثاني سلطان قهر وقوة، وهذا لا مجال له هنا أيضاً، إذ لا سلطة على كافر ليكفر أو فاجر ليفجر، وهو المختار لعمله عن طواعية تامة منه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- البنات : جمع بنت، وتقابل الابن، وكلاهما يعد ولداً أنجب من زوجين (ذكر وأنثى) .

٢- البنون . البنين : جمع ابن، ويقابل البنت، وكلاهما يعد ولداً أنجب من زوجين .

٣- الملائكة : جمع ملك، مخلوقات من نور، موكل إليهم القيام بتدبير شؤون الخلق، بحسب مراد ربنا تعالى شأنه، لكل منهم عمله الخاص به .

٤- إناثاً : جمع أنثى، ويقابلها الذكر، وكافة البشر (الإنس)، من ذكر وأنثى يتناسلان .

٥- ولد : نتاج الزوجية، من ذكر وأنثى ينجبانه، وقد يكون الولد ابناً وقد يكون بنتاً .

﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ
﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ
مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾
وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾
لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُواْ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بتنبيه) : ما زال سياق الحديث حول نفي الشبه وتقرير مسألة التوحيد، ذاكراً سبحانه زعم الكافرين بأن بينه وبين الجن نسباً، والجن أنفسهم يعلمون أنهم بين يديه يوم القيامة واقفون، فتعالى ربنا عن افتراء المكذبين، الذي برئ منه المخلصون، أما الكافرون فما كذبهم ذاك ولا عبادتهم تلك بمضلين بها أحداً، إلا من كتب عليه الشقاء فكان من جملة أصحاب الجحيم، أما الملائكة الكرام الذي زعموا أنهم بنات الله جل جلاله فما منهم إلا وله رتبة معلومة، يقوم عبرها بما أوكل إليه من مهام، ماثلون بين يديه جل وعلا لتلقي أمره بما أراد وكيفما شاء، مسبحون له في كل الأحوال بما يليق به على الدوام، ثم رد سبحانه على زعم أولئك المشركين حين قالوا، لو كان لدينا كتاب سماوي كغيرنا من الأمم لكنا مهتدين بربنا مؤمنين، فلما جاءهم الحق والرسول الصدق والكتاب المبين، كفروا بكل ذلك، فذرهم فسوف يعلمون عاقبة ما كانوا به يكذبون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– بفاتنين : بمحدثي فتنة .

– صال الجحيم : وارد النار ومقاسي جحيمها .

– مقام معلوم : مكانة ومرتبة مخصصة، منهم المدبرة، ومنهم العالون، ومنهم حملة العرش .

- الصافون : جمع صاف، وهو حال الملائكة الكرام عليهم السلام، بين يدي ربهم العظيم .

- المسبحون : جمع مسبح، وهو حال الملائكة الكرام عليهم السلام، في ذكرهم لربهم الكريم .

- ذكراً من الأولين : خبراً علمناه من السابقين .

توجيهات الآيات :

١- افتراء الكافرين بأن بين الله تعالى وبعض خلقه (الجن) نسباً، تعالى سبحانه عما يقولون، والجن أنفسهم يقرون بأنهم من جملة خلق الله عز وجل، وأنهم عما فعلوا محاسبون .

٢- وجوب تنزيه الله تبارك وتعالى عن كل نقص، من أوصاف وأقوال وأفعال لا تليق به .

٣- وُفِق عباد الله المخلَصون لتعظيمه حق التعظيم، وتقديسه كما ينبغي، سبحانه وبحمده .

٤- كُتب على الإنسان حظه من الدنيا، مؤمن أم كافر، برٌّ أم فاجر، بما جرى به القلم، في علم الله جل جلاله الأزلي، قبل أن يخلق البشر . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**)[مسلم] .

٥- قد يتأثر الإنسان بما يرى ويسمع، لذا عليه الابتعاد عن مواطن الشبه والضلالات، حتى لا يقع في شيء منها، ويتعلق قلبه بها .

٦- الملائكة الكرام خلق من جملة خلق الله تعالى، لهم مقامات متفاوتة ومراتب معلومة، وعمل خاص بهم لا يتجاوزوه، وحالهم أمام ربهم صفوف كصفوف الصلاة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها ؟، فقلنا يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال : يتمون الصفوف الأول ويتراصون في الصف**)[مسلم] .

٧- من آكد صفات الملائكة الكرام التسبيح لربهم جل جلاله، في كل وقت وحين، لا يفترون .

٨- الإنسان أكثر شيء جدلاً، دائماً يدعي ما لا يطيق، ومعرفة ما لا يعلم، فما أن يتحقق له ذلك، إلا وينكص على عقبيه .

٩- توارث الأمم والشعوب العلم والتأريخ عن بعضهم، فيما يقيم الحجة عليهم، سنة كونية لله تعالى في خلقه، يستفيدون من بعضهم ويفيدون .

١٠- الكتب السماوية، منهج رباني حق ممدود بين الله تعالى وبين خلقه، لو كانوا يعلمون حقيقة ذلك على الوجه الصحيح .

١١- التجرد من المسؤولية بعد تحققها، وتخلي الإنسان عما يتوجب عليه، خذلان مبين .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١٥٨) قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُواْ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ . قد يدعي الإنسان شيئاً ويؤكده، وصاحبه الأصيل لا يقر به أصلاً، لعلمه الحقيقي ببطلانه، كما زعم الكفار النسب بين الله سبحانه وبين الجن، الذين لا يقررون بذلك قطعاً، بل ويؤكدون بطلانه .

٢- إشارة : جاء في الآيات (١٦١-١٦٣) قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ . لا فاعل في هذه الدنيا على وجه الحقيقة إلا الله جل جلاله، النافع الضار، الهادي المضل، لا حاصل فيها إلا ما أراد، متى شاء وكيفما شاء .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٦٥) قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ . من أوجب صفات العبد نحو ربه جلت عظمته، الامتثال التام له، والاستعداد لتلقي أمره، وتنفيذه فوراً كما يحب ربنا ويرضى، وفي كل الأحوال .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٦٦) قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ . جملة (لنحن المسبحون)، أي على وجه الحقيقة، لا يفترون،

وليس شأنهم شأن البشر، الضعيف المقصر المنقطع المفرط . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطَّت السماء، وحق لها أن تَئطّ ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله**)[الترمذي وابن ماجة . أطت، وتئط : ثقلت بمن فيها فأصدرت صوتاً] .

٥- إشارة : جاء في الآيات (١٦٧-١٧٠) قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ . علم الكفار بمسألة الإيمان والرسل عليهم السلام والكتب السماوية قبل مبعثه ﷺ، لذا قالوا ما قالوه، لكن العبرة بالفعل حال حصوله، وليس بالقول المجرد قبل حصوله، ومن ثم التنصل منه، والكفر به وتكذيبه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الجِنة : أو الجن، خلق من البشر الشفاف، أصل خلقتهم من نار، مؤمنهم يطلق عليه جان أو جن، وكافرهم مسخ شيطاناً رجيماً .

٢- نسباً : روابط العلاقة بين الناس، من صلب واحد، كالأجداد والآباء والأولاد والأحفاد ...

٣- عباد . الأولين : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بتخويف) : ختم سبحانه السورة الكريمة بإعلام لجميع خلقه، بأن رسله عليهم السلام واتباعهم هم المنصورون، وعد منه جل في علاه نصرة عباده المؤمنين الصادقين، فاترك يا رسولنا الكريم أولئك الكفار لملاقاة مصيرهم، وانتظر عذابهم وهم يرونه يحلُّ بهم، الذي من غيِّهم يستعجلون وقوعه، وحينها يا لشؤم صباحهم، ونزه ربك سبحانه وبحمده رب العزة المطلقة، قاهر أعدائه ومعز أوليائه، وسلام منه على دعاة الحق المرسلين، والحمد له كما يحب ويرضى، هو رب العالمين الذي قضى وقدر، وأهلك أعداءه ونصر أولياءه الصالحين، فله الحمد كله أولاً وآخراً ظاهراً وباطناً .

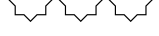

غريب الكلمات :

- سبقت كلمتنا : نفذ حكمنا .
- تول عنهم : اتركهم وشأنهم .
- وأبصرهم فسوف يبصرون : انتظر عذابهم قريباً .
- بساحتهم : بأرضهم ومكانهم .
- حتى حين : أجل معلوم .
- سبحانه : تنزه وتقدس ربنا العظيم عن كل نقص .
- رب العزة : صاحب العزة المطلقة، جل جلاله .
- يصفون : يقولون ويتخوَّضون .

توجيهات الآيات :

١- قضاء الله جل جلاله بنصرة عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وعد حق أن العاقبة لهم ولاتباعهم المتقين، ومهما تأخر النصر فلحكمة بالغة من ذلك .

٢- الجندية الحقيقية، هي أساس نصرة أهل الحق، متى تمسكوا بها، أما متى تخلو عنها فلا ضمان لنصرتهم أبداً .

٣- مهما طال الباطل واستطار واستطال، واستفحل خطره فإلى زهوق لا محالة .

٤- سبحانه يمهل ولا يهمل، وإذا وقع المحظور لا حسرة حينها أو ندم .

٥- عذاب الله جل جلاله آت في أوانه مهما تأخر، وهو محيط بالقوم الكافرين المجرمين .

٦- نزول العذاب في عقر دار المجرمين المكذبين، إذ القوة لله جل وعلا لا راد لما أراد .

٧- لا داعى لاستعجال العذاب وحلوله بالقوم المجرمين، إذ لا دافع لهم منه ولا حائل مطلقاً .

٨- تعالى الله ذو الجلال والجمال والكمال، عما يقوله المبطلون .

٩- سلام الله تعالى على عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام، دعاة الحق والنور والهدى والخير، بمراد ربنا العظيم سبحانه وبحمده .

١٠- لله جل جلاله كل الحمد بأنواع المحامد، سبحانه وتعالى رب العالمين، الخالق الرازق المصرف، المدبر لكل ما في هذا الكون العظيم .

١١- النون في قوله تعالى (كلمتنا، عبادنا، جندنا، أفبعذابنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (١٧١-١٧٢) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ . النصر حتمٌ

للمؤمنين من حيث المبدأ، لكن وقته عند الله سبحانه، بحكمه وحكمته وتقديره وتدبيره، وإن كان للباطل صولات وجولات، فلحكمة بالغة .

٢- لطيفة : جاء في الآيات (١٧٤-١٧٥) قوله تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ . لكل شيء أجل ووقت معلوم، فيه يتجلى كل شيء ويفصح عما وراءه، فلا يعجلن أحد على قضاء الله جل جلاله وقدره .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٧٦) قوله تعالى : ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾. غاية التهكم والاستهانة والاستخفاف بقدْر ربنا عز وجل وبقدرته، والاستخفاف بأمور دينه، تدفع إلى استعجال العذاب، وذلك هو الخسران المبين .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٧٧) قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ . ذكر وقت الصباح في الآية، ليدل على أهميته، وعلى أن نزول العذاب والهلاك فيه أبلغ، وأوقع في قلوب الناس من غيره من الأوقات، لأنه وقت ذروة النشاط والحيوية وحركة العمل الدؤوب .

٥- لطيفة : جاء في الآيات (١٧٨-١٧٩) قوله تعالى : ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ . في الآيات الأولى

(١٧٤-١٧٥) جاء اللفظ بصيغة الحديث عن الحاضر (وأبصرهم)، لتدل على أن مفاد الخطاب في الدنيا، والمعنى انظر عاقبة أمرهم إذا حل بهم العذاب الدنيوي، أما في هذه الآيات فقد جاء اللفظ بصيغة الحديث عن الغائب (وأبصر)، ليدل على أن مفاد الخطاب في الآخرة، والمعنى انظر خاتمة عاقبتهم يوم القيامة في النار .

٦- إشارة : جاء في الآية (١٨٠) قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ . عامة آيات القرآن الكريم خوطب بها رسول الهدى ﷺ بصيغة مباشرة (ربك)، وتلك دالة على رفعة شأنه عند ربه الكريم ولا ريب .

٧- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (١٨٢) قوله تعالى : ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ . الحمد لله رب العالمين على كل حال وعاقبة، ولا سيما العواقب الحسنة، الذي قدر كل شيء تقديراً، جل جلاله وتقدست أسماؤه . وإشارة جاء الختم بـــ (الحمد لله رب العالمين) في سورتين اثنتين هما (الصافات والزمر) .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عبادنا . المرسلين . العالمين : سبق الإيضاح .

جزء يس : الثالث والعشرون :

(٣) سورة ص . سورة (داود)

- مكية بالإجماع .
- آياتها (٨٨) آية مختلف فيه، فقيل (٨٦) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾ آية واحدة، وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥ ﴾ آية واحدة .
- كلماتها (٧٣٢) كلمة . وحروفها (٣٠٦٧) حرفاً وقيل (٣٠٦٩) .
- ترتيبها في النزول (٣٨) . نزلت بعد سورة القمر .
- رقمها في المصحف الشريف (٣٨) .
- سميت بـــ (ص) لبدء اللفظ بها .
- محور حديث السورة الكريمة : إرساء معالم التوحيد (النبوة والبعث والنشور) .
- مجمل موضوعاتها : (١٠) موضوعات : إثبات صدق القرآن الكريم، والرد على الكفار منكري البعث النشور، والتذكير بمصائر السابقين، وذكر طرفاً من قصة داود عليه السلام، وطرفاً من قصة سليمان عليه السلام، وطرفاً من قصة أيوب عليه السلام، وذكر بعضاً من الأنبياء

والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والحديث عن مشهد من مشاهد النار، وعن العقيدة والتوحيد، وعن أصل خلقة البشر وجحود إبليس الرجيم وتحديه لهم ورفضه السجود لآدم عليه السلام .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٣٠) مرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾

- (إعجاز تضمن توجيهاً بتخويف) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة، بحرف من الأحرف المقطعة[1]، دال على إعجاز هذا القرآن العظيم، المشتمل على الذكر بما حواه من تعاليم، وما إعراض الكافرين عنه إلا عن كِبر وعناد، ألا يتعظون بهلاك السابقين الذين استغاثوا حين حلَّ بهم العذاب وما من مغيث !، أيعجبون من نذير خرج منهم يدعوهم

[1] سبق الحديث عن ذلك، في مطلع سورة يس .

لعبادة ربهم، فبدلاً من أن يرعووا، راحوا يصمونه بالساحر الكذاب، لنهيه إياهم عن الشرك ودعوتهم إلى توحيد الإله الواحد الحق، محرضين قومهم على التمسك بدينهم والإعراض عن دعوته ﷺ، زاعمين مخالفتها لما عرفوه من أديان سابقة، وأنه ما أراد بها إلا رفعة شأنه، مشككين في القرآن الكريم وفي نزول الوحي الشريف عليه ﷺ، دون سائر ساداتهم وأشرافهم الأعز منه كما يزعمون، وما جرأهم على تلك الفِعال إلا تأخر العذاب والإهمال، أهم من يملك خزائن النعم ! أم هم من يملك السماوات والأرض وما بينهما من خلائق وأمم ! ليقسموا النبوة بقدرتهم إذن، ويمنعوها عنه ﷺ، ويهبوها لمن شاءوا، إن كان فعل ذلك في مقدورهم حقاً، وهذا محال، فالله جل شأنه جنود كل شيء، لا غالب له أبداً، كيف وهو رب العالمين القادر القدير المقتدر .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- ذي الذكر : المشتمل على الذكر التام .
- عزة وشقاق : تكبر وعناد .
- فنادوا : استغاثوا .
- ولات حين مناص : لا مفر حين نزول العذاب .
- الملة الآخرة : دين الأولين، من آبائنا وسائر الأمم .
- اختلاق : كذب وافتراء .

– فليرتقوا في الأسباب : فليأخذوا بأسباب الصعود إلى السماء، وليمنعوا نزول الوحي .

توجيهات الآيات :

١– غاية إعجاز آيات القرآن الكريم، الدالة على أنه من لدن حكيم خبير، سبحانه وبحمده .

٢– وصف القرآن الكريم بذي الذكر، بما حوى من مواعظ وعبر وتشريعات وتعاليم، تهدي إلى الخير والبر والهدى والحق والنور والرشد .

٣– الكِبر والعناد، والجحود والاستكبار، من أكبر أسباب الكفر ورفض الحق، وعدم قبول القرآن الكريم والتصديق به، وبما جاء فيه من تعاليم وتشريعات ومنهج حق .

٤– أخذ العبرة والموعظة من هلاك الأمم السابقة، وما آل إليه أمرهم، من بوار وخسران .

٥– لا مفر من عقاب الله جل في علاه مطلقاً ولا مهرب منه، ولا ينفع الندم حينها ولا الحسرة .

٦– تعجب الكفار من بعثة رجل منهم، وإنكارهم أحقيته بذلك، وكان الأولى بهم تصديقه مباشرة، لأنهم يعرفون كل شيء عنه تماماً، ويعلمون مدى مصداقيته فيهم، ولو أنه جاء من غيرهم لاعترضوا عليه بحجة جهلهم به، وبحقيقة ما جاءهم به .

٧- أكبر التهم التي وُجهت إلى عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وفي كل زمان ومكان لدى كافة الشعوب والأمم، رميهم بالسحر والكذب .

٨- تعدد الآلهة من أكبر أدلة التخبط والعشوائية، إذ الأصل أن الإله واحد، يخلق ويرزق ويُعبد، ولا داعي حقيقي لتعددها منطقياً، لأن التعدد يعني تنازع الإرادات بين تلك الآلهة .

٩- قد ينقلب ميزان الأمور لدى الناس، فيرى الإنسان الحق عجباً ويرى الباطل حقاً، وهذه مشكلة كبرى ولا ريب، يجب الحذر منها والاعتصام بالله تعالى رب العالمين، ودعائه بالثبات على الحق .

١٠- من عادة أشراف القوم وكبراءهم في كل زمان ومكان، الإملاء والتحريض لمن هم دونهم من الناس، بحسبما يريدون ويعتقدون صحته، عادة اجتماعية معتادة لا يمكن الانفكاك منها .

١١- تمسك الإنسان بمعتقده وبما ورثه عن آبائه وأجداده، حتى ولو كان على خطأ ظاهر، وتلك عقدة قلَّ من يستطيع التحرر منها، لأنها أمور أضحت عنده من المسلَّمات .

١٢- الإنسان بطبعه عدو لما يجهل يرفض التجديد والتغيير في حياته غالباً، كإنكار المشركين سماعهم بدعوة الرسل من قبل، الداعية إلى توحيد الخالق وعبادته، ووصمهم ذلك بالكذب والافتراء، رغم يقينهم بصحة ذلك، بدليل وجود أفراد منهم يعتنقون الديانة المسيحية .

١٣- إنكار نزول الوحي الشريف على بشر، ورفض الكفار للقرآن الكريم وما جاء به من تعاليم، كان من باب الجحود والنكران ليس إلا، لأنه خالف ما ألفوه مما كانوا يعرفون .

١٤- الدنيا دار إمهال وفسحة من العذاب، ليميز المؤمن من الكافر والبر من الفاجر، والعذاب فيها قد يحيق بالقوم الكافرين، وقد يؤخر عنهم لحكمة بالغة .

١٥- لله سبحانه التفرد الكامل بخزائن النعم والفضل والخير، لا متصرف فيها إلاه عز وجل .

١٦- ولله جل جلاله ملك السماوات والأرض وما بينهما، من ملك وملكوت لا مدبر لها سواه .

١٧- تحدي القرآن الكريم للقوم الكافرين، إن كانوا قادرين حقاً على فعل شيء من مزاعمهم، فليفعلوه إذن ولا يتأخروا، وهذا محال قطعاً .

١٨- ولله جل وعلا جنود كل شيء، لا غالب له ولجنده بتاتاً، والكل ممن عاداه مهزوم حتماً، مهما فعلوا ومهما مكروا ومهما أضمروا، فإلى بوار وخذلان وخسران .

١٩- النون في قوله تعالى (كم أهلكنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكـــة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (١) قوله تعالى : ﴿ صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ ﴾ . قراءة القرآن الكريم أعلى أنواع الذكر لأنه كلام الله سبحانه، والاشتغال به أولى من الاشتغال بغيره أياً كان ذلك الأمر مهماً، حتى ولو كان من جملة العبادات . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يقول الرب عز وجل : من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**)[الترمذي] .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ۝٣ ﴾ . استغاثة الإنسان متى رأى العذاب، دال على وجود قوة أعظم منه، تملك إهلاكه متى شاءت لا مانع له منها، هي قوة الله جل جلاله .

٣- إشارة : جاء في الآيات (٤-٥) قوله تعالى : ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ۝٥ ﴾ . علة الكفر والإعراض الحقيقية والأولى، هي الكبر والجحود والاستكبار والاستنكاف، وليس التكذيب بحال، فالكفار يعلمون يقيناً صدق رسول الهدى ﷺ .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ ﴾ . كل فعل يصدر عن الإنسان له دوافع، منها الظاهر ومنها الخفي .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ ﴾ . تناقل الأخبار بين الأقوام والشعوب والأمم، وتأثرهم ببعضهم، أمر حتمي مفروغ منه ولا غبار عليه، حتى فيما يختص بالعقائد والأديان .

٦- إشارة : جاء في الآية (٨) قوله تعالى : ﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ ﴾ . تسمية القرآن الكريم بالذكر، دال على أنه كتاب تعبدي، بالإضافة إلى كونه كتاب منهج حق، ودستور صدق، بما حوى من تشريعات وتعاليم .

٧- إشارة : جاء في الآية (٩) قوله تعالى : ﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ ﴾ . لرحمة الله جل في علاه خزائن تفوق الوصف والتصور، وتلك دالة على كثرتها وتعددها، ودالة على واسع رحمته بخلقه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**جعل الله الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك**

الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، خشية أن تصيبه)[متفق عليه] .

٨- لطيفة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ ﴾ . الدنيا دار أسباب، وكل شيء فيها بسبب ولسبب قطعاً، والمؤمن فيها مطالب بالأخذ بالأسباب في كل شيء . في الحديث النبوي الشريف جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله أعقلها وأتوكل، أو أطلقها وأتوكل؟ قال ﷺ : (**اعقلها وتوكل**)[الترمذي] .

٩- لطيفة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ ﴾ . في الآية تقديم وتأخير، والتقدير : (جند ما هنالك من الأحزاب، مهزوم) .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- قرن . منذر . الملأ : سبق الإيضاح .

٢- الآلهة . آلهتكم . جند : سبق الإيضاح .

٣- الأحزاب : جمع حزب، وهم قوم يجمعهم شأن ما . ويراد بهم هنا جموع الأعداء .

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۖ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بتخويف) : ما زال سياق الحديث حول جملة الأمم المكذبة بدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، مبيناً سبحانه تكذيب قوم نوح عليه السلام، وعاد قوم هود عليه السلام، وفرعون ذو القوة والأجناد، وثمود قوم صالح عليه السلام، وقوم لوط عليه السلام، وأصحاب الأيكة قوم شعيب عليه السلام، كل أولئك أقوام كثيرو العدد أصحاب قوة، كذبوا الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، فحق عليهم الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة، وما قومك يا رسولنا الكريم في التكذيب إلا أمثالهم، فذرهم حتى صيحة الصعق تغشاهم، فبدلاً من أن يذعنوا للحق قالوا ربنا عجل لنا نصيبنا من العذاب، في الدنيا قبل الآخرة، قد ساقهم إلى ذلك فرط عنادهم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– ذو الأوتاد : جمع وتد، القوة العظيمة، أو هي حبال يشدُّ بها الناس إلى الأرض يعذبهم بها .

- فواق : رجوع، أو مدة من الزمن قصيرة جداً .
- قطنا : نصيبنا .

توجيهات الآيات :

١- تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام، جرى في كل الأمم السابقة، سنة بشرية في الخلق .

٢- لقب فرعون بذي الأوتاد، لفعله ذاك بكل من عارضه .

٣- الأيكة هي الشجرة العظيمة، التي عبدها قوم شعيب عليه السلام .

٤- التحزب يعني الاجتماع على أمر ما، سواء كان ذلك في الخير أم في الشر .

٥- تكذيب الرسل عليهم الصلاة والسلام يستوجب العذاب الشديد، في الدنيا وفي الآخرة، وعذاب الدنيا لا يعفي الكفار من عذاب الآخرة والخلود في النار .

٦- تكذيب قريش للرسول الأكرم ﷺ كما كذبت الأمم السابقة، كذلك هو شأن عامة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين .

٧- أمر الله تعالى أسرع من لمح البصر، متى حلَّ بقوم، فلا راد لهم منه .

٨- غاية جهل القوم الكافرين، باستعجالهم العذاب، بدلاً من سؤال الله جل وعلا الهداية للحق والتوفيق لقبوله .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (١٢-١٣) قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ ﴾ . في الآيات الكريمات تمايز واضح في ذكر الأقوام السابقة، فذكر نوحاً عليه السلام باسمه و لم يذكر من هم قومه في القرآن الكريم كله، ثم ذكر قبيلة عاد وتكرر ذكرها في القرآن الكريم و لم يذكر هنا نبيهم هود عليه السلام، ثم ذكر فرعون دون ذكر موسى عليه السلام ليفرد دعوته الموجهة إليه عن دعوة بني إسرائيل، وذكرت ثمود وتكرر ذكرها في القرآن الكريم دون ذكر صالح عليه السلام هنا، وذكر قوم لوط عليه السلام باسمه دون ذكر من هم قومه في القرآن الكريم كله، وذكر أصحاب الأيكة دون ذكر نبيهم شعيب عليه السلام هنا لكنه ذكر في مقام آخر . ثم ذكر الوصف الذي يجمعهم جميعاً بأنهم الأحزاب، أي القوم الذين جمعوا بين القوة وكثرة العدد، والتكذيب والعناد والنفور . وأخرى في الآيات الكريمات تقديم وتأخير في ذكر الأقوام دون مراعاة للتسلسل التأريخي لهم، فقدم ذكر فرعون وقومه مع قوم نوح عليه السلام وعاد قوم هود عليه السلام، وأخَّر ذكر قوم ثمود مع قوم لوط عليه السلام وأصحاب الأيكة؛ ووصفهم بأنهم الأحزاب، أي أصحاب القوة والكثرة الذين تحزَّبوا على أنبيائهم عليهم السلام .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ ﴾ . تكذيب رسول واحد بعث إلى قومه، يعني تكذيبهم جميعاً عليهم الصلاة والسلام، لأن مفاد ذلك في حقيقة الأمر تكذيب للمنهج الحق الذي جاءوا به، من عند ربهم سبحانه .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ ﴾ . الدنيا دار إمهال، ولها أمد أقصاه صيحة الصعق الثانية، ينتقل الخلق بعدها إلى حيث الدار الآخرة للحساب والعقاب .

٤- إشارة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ﴾ . الاستخفاف بالشيء قد يفضي إلى التكذيب به، ويدفع الإنسان المعاند للتحدي الجزافي، متجاهلاً الحقائق الظاهرة، وإن كانت واضحة وضوح الشمس، فالحذر من المماراة والمغالطات، التي تأتي بعواقبها الوخيمة على الإنسان .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- قوم نوح : بنو راسب الكنعانيين، سكنوا جنوب العراق، وأول من ظهر فيهم الشرك، بعبادة الرجال الصالحين الخمسة (ود، وسواع،

ويغوث، ويعوق، ونصر)، فكذبوا نوحاً عليه السلام، فأغرقوا بالطوفان العظيم .

٢- عاد : هم قوم هود عليه السلام، سكنوا أرض اليمن، بحضرموت في منطقة الأحقاف، فكفروا وأشركوا، وكذبوا نبيهم، فسلطت عليهم الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام، استأصلتهم تماماً .

٣- فرعون : الفراعنة حكام مصر أرض النيل، من أشهرهم (فرعون موسى) المعروف بـــ (رمسيس الثاني) ويقال (الوليد بن مصعب بن الريان) أكبر طواغيت الأرض، مدعي الربوبية الأثيم، خرج في زمنه موسى وهارون عليهما السلام، فكذب هو وقومه فسلطت عليهم المعجزات السبع (السنين، نقص الثمرات، الطوفان، الجراد، والقمل، الضفادع، الدم)، ثم أغرقوا في بحر (السويس)، حين حاول إدراك موسى عليه السلام وقومه لما عبروا البحر .

٤- ثمود : قوم صالح عليه السلام، سكنوا أرض الجزيرة بمنطقة مدائن صالح بالقرب من مدينة تبوك، كفروا وكذبوا نبيهم، فأخذتهم صيحة ملك بعد إمهال ثلاثة أيام، أزهقت أرواحهم جميعاً .

٥- قوم لوط : قرى سدوم وعمورة، سكنوا أرض الأردن، وشاعت فيهم الفواحش (اللواط بين الرجال، والسحاق بين النساء)، والمجاهرة بالمنكرات في أنديتهم ومجالسهم، فأهلكوا بقلب أرضهم رأساً على عقب، وأتبعوا بالحجارة من السماء .

٦- أصحاب الأيكة : قوم شعيب عليه السلام، بأرض مدين بمدينة البدع، شمال جزيرة العرب بالقرب من مدينة تبوك، فكفروا وكذبوا، فسلط عليهم الحر الشديد، ثم أظلتهم سحابة كبيرة اجتمعوا تحتها هرباً من الحر، فأخذ عذاب يوم الظلة على حالتهم تلك .

٧- الرسل : سبق الإيضاح .

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾
إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ
لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾
وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ
فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا
بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ
وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾
قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي
بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ
دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا
لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا

جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

– (أمر تضمن قصة بتوجيه) : ما زال سياق الحديث حول موقف الكافرين، آمراً سبحانه رسوله الأكرم ﷺ بالصبر على أذاهم، مسلياً فؤاده الطاهر بذكر طرفٍ من قصة أخيه داود عليه السلام، ذي القوة والتأييد وكثرة الرجوع إلى ربه تعالى بالتوبة والإنابة، قد سُخِرت له الجبال والطير يسبحن معه آناء الليل والنهار، وأوتي حكماً مهيباً، بعد النبوة والعلم، ووهب القول الرشيد، والرأي السديد في الفصل في القضاء، كما فصل بين اللذين تسلقا محرابه وهو يتعبَّد، فارتاع من دخولهما عليه بلا استئذان منه، فطمأناه قائلين : إن لأحدنا تسعة وتسعون نعجة، فطلب من أخيه تمام المئة، بمنحة النعجة الوحيدة التي يملكها وألَّح عليه في الطلب، فحكم عليه السلام بينهما قائلاً : قد ظلمك بطلبه وإلحاحه، وكذلك هو شأن كثير من الشركاء، ممن لا يراعون حقوق الشراكة كما ينبغي، إلا قليل ممن آمن وعمل صالحاً، وهنا تنبه عليه السلام أن حقيقة ما حصل له كان بتدبير العليم الخبير اختباراً لعبده الصالح، فخر ساجداً لربه العظيم منيباً إليه، فقَبِل منه سبحانه ذلك وغفر له ووهبه مزيداً من الكرامات، وجعله خليفة في الأرض حكماً عدلاً بين الناس، مبتعداً على الهوى والميل عن

الحق، بما أوتي من حكم ونبوة وتأييد، وويل لمن ضل عن الصراط المستقيم من عذاب شديد، جزاء تغافله وتفريطه في الاستعداد ليوم الحساب .

غريب الكلمات :

- ذا الأيد : صاحب القوة والتمكن .
- أواب : رجَّاع إلى الله تعالى مطيع منيب .
- شددنا ملكه : قوينا ملكه، بالنصرة والتمكين .
- فصل الخطاب : بيان الكلام، والحكم العادل في فصل القضاء .
- تسوروا المحراب : تسلقوا السور ونزلوا على مكان عبادته من علو .
- تشطط : تجور في الحكم، وتظلم .
- أكفلنيها : أعطنياها لتكون كفلي وتحت حمايتي، و(الكفل) النصيب .
- وعزني في الخطاب : ألَّ عليَّ، وغلبني في الكلام .
- زلفى : قربى ومكانة .

توجيهات الآيات :

١- الصبر أول سلاح المؤمن ولا سيما الداعية، به يصل إلى حيث الفوز والفلاح، ولا سيما الصبر على الأذى وتحمل المشاق، وإذا كان الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام قد أمروا بذلك، فمن سواهم من الناس من باب أولى ولا ريب التسلح به .

٢- الإفادة وتسلية القلب وتطمينه، بذكر بعض أحداث ووقائع قصص الأنبياء والمرسلين السابقين عليهم الصلاة والسلام، وأخذ العبرة والموعظة من ذلك .

٣- منَّة الله جلت عظمته على نبيه داود عليه السلام بعدة أشياء منها : تأييده بالقوة والتمكين في العبادة والطاعة والملك والنبوة، ومنها جعله كثير الإنابة والتوبة والعبادة والذكر له سبحانه، ومنها تسخير الجبال والطير معه يسبحن في كل وقت، ومنها آتاه فصل الخطاب في القضاء والحكم، ومنها جعله خليفة الأرض بما آتاه ووهبه إياه من ملك وحكم . في الخبر : (كان داود أعطي ثلاثاً : سخرت له الجبال يسبحن معه، وألين له الحديد، وعلم منطق الطير، وأعطي سليمان : منطق الطير وسخرت له الجن، وكان ذلك مما ورث عنه، ولم تسخر له الجبال ولم يلن له الحديد)[الدر المنثور] .

٤- طلب القضاء في الخصومات مطلوب، ببيان كل خصم حجته بكل صدق، وتجنب التجنَّي بالباطل، ليتسنى للقاضي الحكم بينهما بما شرع الله تعالى . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو مما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له به قطعة من النار**)[متفق عليه . وألحن بحجته : أفصح قولاً وأحسن بياناً وأكثر إقناعاً] .

٥- حُسن اختيار الطريقة الصائبة في كيفية المثول بين يدي القاضي والحاكم، وفي الزمان والمكان المناسبين، والتأدب معه في طريقة عرض الحُجة دون مجافاة للواقع أو الكذب والتحايل .

٦- صبر القاضي ومن في حكمه على فظاظة أسلوب الخصوم، نتيجة الحنق حال الخصومة والتغيُّظ، بما يحقق العدل بينهما، ويدلهما إليه وإلى طريق الحق المبين .

٧- عدم الحرص على الدنيا وطلب ما في أيدي الآخرين، بدافع الأنانية وحب التملك والاستحواذ، وعدم الإلحاح في الطلب، حتى ولو كان فيما يعتقد المرء أنه حق له . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يحل مال امرئ، إلا بطيب نفس منه**)[أحمد] . فما أُخذ على وجه الحياء، لا ينبغي للمسلم أخذه ولا يحل له مهما كان .

٨- حكم داود عليه السلام الرشيد في قضائه بين المتخاصمَين، واستغلاله المناسبة في بيان حال كثير من الشركاء، ممن لا يراعون حق الله تعالى في المال وشراكاته، على الوجه الشرعي المطلوب .

٩- الإيمان الحق والعمل الصالح الصدق، يعصم المسلم ويحجزه من التعدي على حقوق الآخرين، ويحجزه عن التخوُّض فيها بغير وجه حق .

١٠- تفطن داود عليه السلام لحقيقة الخصومة التي وقعت أمامه، ورجوعه إلى ربه مباشرة، بالسجود بين يديه سبحانه، والتوبة والإنابة، وكذلك هو شأن الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

١١- مغفرة الله جل شأنه ذنب عبده داود عليه السلام، ومنحه كرامات كثيرة في الدنيا والآخرة، لإنابته إليه مباشرة، وتفطّنه لمراد ربه سبحانه منه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كل ابن آدم خطَّاء، وخير الخطائين التوابون**)[الترمذي وابن ماجة] .

١٢- تمكين الله جل جلاله لداود عليه السلام، بأن جعله خليفته في الأرض يحكم فيها بالعدل .

١٣- التزام طريق الحق منجاة وفوز في كل الأحوال، واتباع الهوى مضلة ومزلة ومهلكة في كل زمان ومكان . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى، وطول الأمل، أما اتباع الهوى فأنه يصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة**)[البيهقي في شعب الإيمان] .

١٤- ويل لمن ضل ونسي يوم الحساب، ولم يستعد للقاء ربه، وتغافل عن مراده منه في الدنيا . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله "الأماني"**)[الترمذي وابن ماجة] .

١٥- النون في قوله تعالى (عبدنا، إنا سخرنا، شددنا، آتيناه، أنما فتناه، فغفرنا، عندنا، إنا جعلناك) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١٧) قوله تعالى : ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٧﴾ ﴾ . الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، أول العبيد الله جل جلاله وأولاهم به، وأكثرهم عبادة وأحسنهم طاعة، وأقواهم وأرسخهم إيماناً .

٢- إشارة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ﴿١٨﴾ ﴾ . أول النهار وآخره من جملة الأوقات الفاضلة للأعمال الصالحات، كالذكر والتسبيح وصلاة النافلة، ومن ذلك سُبحة الضحى . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يقول الله عز وجل : يا ابن آدم، لا تعجزني من أربع ركعات في أول نهارك، أكفك آخره**)[أبو داود والترمذي] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر في فضل الذكر قوله ﷺ : (**من قال حين يصبح وحين يمسي : سبحان الله وبحمده، مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة، بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه**)[مسلم] .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿١٩﴾ ﴾ . تصطف الطيور في الهواء لتسبح مع داود عليهم السلام، من شدة جمال صوته وهو يترنم بالزبور، في الخبر : (اجتمعت بنو إسرائيل

على داود فأنزل الله عليه وعلمه صنعة الحديد فألانه له، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح، و لم يعط أحداً من خلقه مثل صوته، وكان إذا قرأ الزبور ترنو إليه الوحش حتى يؤخذ بأعناقها وإنها لمصغية تستمع له)[الدر المنثور] . لذا نسب ﷺ من كان حسن الصوت بالقرآن الكريم إلى داود عليه السلام وآله . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود**)[متفق عليه] .

٤- لطائف : جاء في الآية (٢٠) قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ . قوة الملك وضعفه هبة من الله جل في علاه، ليس للحاكم من ذلك شيء مطلقاً . وأخرى (الحكمة وفصل الخطاب) أهم ثلاث صفات للداعية إلى الله سبحانه، وقد أوتيهما ﷺ (الحكمة البالغة، وفصل الخطاب) وأوتي معهما جوامع الكلم، فكان إمام البلغاء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون**)[مسلم] .

٥- إشارات : جاء في الآيات (٢١-٢٢) قوله تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا

تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ . اعتلى خصمان جدار مصلى داود عليه السلام، وهبطا على محرابه دون استئذان منه وهو يتعبَّد، فخاف من فعلهما وظن بهما السوء، فسكنت نفسه لما علم مرادهما . وأخرى تضمن قولهما ثلاثة أمور (فاحكم بيننا بالحق، ولا تشطط، واهدنا إلى سواء الصراط)، رغم علمهما التام أنه نبي مؤيد، وكون الخصومة في أمر هين، يتبين من هذا أن المقصد من كل ما حصل أمامه تذكيره بما للخصم من حقوق على القاضي العدل، لذا قال بعض المفسرين بأن ذانك الخصمين كانا ملكين، أرسلهما الله سبحانه لتنبيه نبيه دواد عليه السلام[1].

٦- لطيفة : جاء في الآية (٢٣) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ ﴾ . الإنسان بطبعه يحب أن يكمل ما نقص لديه، كالخصم الذي طلب إتمام المائة من خصيمه، رغم عدم انتفاعه بذلك في الواقع .

---

[1] ذكر بعض المفسرين في ذنب داود عليه السلام، أموراً لا تليق برجل صالح، فضلاً عن كونه نبياً مؤيداً معصوماً، عامتها لا تخلو من كونها إسرائيليات، وليس في السنة النبوية المطهرة ما يدل على ذنبه صريحاً .

ولعل عامة ذنوب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تأتي من باب (حسنات الأبرار سيئات المقربين)، بمعنى أن ما يحل لغيرهم من عامة الناس، لا يحل لهم لقربهم من ربهم جل ربنا في علاه . والله تعالى أعلى وأعلم وأحكم .

٧- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ ﴾ . يراد بالركوع السجود، إذ كلاهما يعني الخضوع لله جل وعلا . ولطيفة هذه السجدة من عزائم سجدات القرآن الكريم على قول، في الأثر عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال : (رأيت رؤيا وأنا أكتب سورة ص، قال : فلما بلغت السجدة، رأيت الدواة والقلم وكل شيء بحضرتي انقلب ساجداً، قال: فقصصتها على رسول الله ﷺ فلم يزل يسجد بها)[أحمد] .

٨- لطيفة : جاء في الآية (٢٥) قوله تعالى : ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ . مغفرة ذنوب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الغرض منها أمران اثنان : الأول بيان أن كل بني آدم خطأ، والثاني : حتى لا يقنط من التوبة أحد من الخلق حين يعلم أن الأنبياء عليهم السلام، كانت لهم ذنوب قد غفرها سبحانه لهم .

٩- لطيفة : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ

ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ . سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، خلفاء الله جل جلاله في الأرض، يحكمون بشرعه ويقيمون منهجه، كلٌ في زمانه هو خليفة الله تعالى، وخلافة داود عليه السلام كانت في زمانه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- داود : عليه السلام، ابن أيشا بن عويد بن سلمون من نسل يهوذا، بعث في بني إسرائيل، ورد ذكره في القرآن الكريم (١٦) مرة، ودفن في بيت المقدس في فلسطين، عن عمر (٩٧) سنة .

٢- العشي : من منتصف النهار، إلى ما قبيل الغروب .

٣- الإشراق : أول النهار، وقت شروق الشمس .

٤- الخصم . خصمان : طرفان جرى بينهما خلاف على أمر ما، استوجبا القضاء بينهما .

٥- المحراب : مكان العبادة، وموضعها .

٦- أخي : شقيق الإنسان من أبيه وأمه، أو من أبيه أو من أمه .

٧- الخلطاء : الشركاء، تتداخل أموالهم فيما بينها .

٨- خليفة : قائم بالأمر عمن استخلفه، ويراد به هنا النبي القائم بأمر الله تعالى في الأرض .

٩- الناس : لفظ يطلق على بني آدم عليه السلام .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بتخويف) : انتقل الحديث إلى حيث مظاهر القدرة الربانية، مبيناً سبحانه أن خلق السماء والأرض محال أن يكون باطلاً، بلا غاية سامية منه، كما يظن الكفار المشككين المعاندين، ويل لأولئك من النار جزاء إعراضهم عن الحق، ومحال أن يكون شأن أولئك الكفار الفجار المفسدين في الأرض كحال الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المتقين الأخيار، في الدنيا وفي الآخرة، لِمَ لم يتدبروا ما نزل إليك يا رسولنا الكريم من كتاب حق مبارك، ويلتفتوا إلى ما فيه من مواعظ وعبر، كما تدبره أصحاب العقول الراجحة من ذوي الأفهام .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- دعوة للتفكر والتدبر والتأمل، ولفت النظر إلى مظاهر القدرة الربانية في هذا الكون الفسيح، الذي حوى أموراً عظيمة، كيف للإنسان أن

يعتقد أنها مجرد هراء وحسب، لا طائل من ورائه، وهدف حقيقي من وجوده، وغاية سامية من حدوثه .

٢- التشكيك في العقائد ممكن حدوثه في دواخل الصدور، لكن في مظاهر القدرة المشاهدة والإعجاز المرئي، من العبث التشكيك فيه، والتغافل عن دلالاته الظاهرات .

٣- التحذير للدرجة الأخيرة بدخول النار، لمن لم يؤمن، لبيان أن حقيقة الأمر إما نجاة وإما هلاك، وليس مجرد اختيار بين بدائل، للإنسان أن يؤمن بها أو يكفر وحسب .

٤- المساواة بين شيئين مختلفين، وبين الأضداد من الهراء المحض ولا شك، في البدايات وفي النهايات، فمحال أن يستوي من كان على الحق ومن كان على الباطل، في فعله وفي جزائه عليه إطلاقاً .

٥- من غير المعقول أن يتساوى المؤمن بالكافر، والبر بالفاجر، والمصلح بالمفسد، والضال والمهتدي، في سائر شؤون حياتهم الدنيوية، وفي مصيرهم الأخروي أيضاً .

٦- بالإيمان الصادق والعمل الصالح، يحقق المؤمن التقوى في كل مراحل حياته .

٧- وصف القرآن الكريم بثلاثة أوصاف، وهي : الكتاب، دلالة على أنه مكتوب، وأنه منزل من علو، وأنه مبارك بما حوى من تعاليم وتشريعات، والبركة فيه ظاهرة ولا شك في كل من حرص عليه من الناس، قراءة

وحفظاً وعملاً، وتمسكاً بمنهجه الحق . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن لله أهلين من الناس، قالوا : يا رسول الله، من هم ؟ قال : هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**)[ابن ماجة وأحمد] . وفي الأثر عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (كان عرق الكلية، وهي الخاصرة، تأخذ رسول الله ﷺ شهراً ما يستطيع أن يخرج إلى الناس، ولقد رأيته يكرب حتى آخذ بيده فأتفل فيها بالقرآن، ثم أكبها على وجهه ألتمس بذلك بركة القرآن وبركة يده، فأقول : يا رسول الله إنك مجاب الدعوة فادع الله يفرج عنك ما أنت فيه، فيقول : يا عائشة أنا أشد الناس بلاء)[أبو يعلى] .

٨- الأمر بتدبر القرآن الكريم، يقتضي العمل بما جاء فيه من تعاليم وتشريعات نافعة، محققة خيري الدنيا والآخرة لكافة البشر، لو كانوا يعلمون حقيقة .

٩- القرآن الكريم تذكرة كبرى ولا شك، لكن ليس لكل أحد من الناس، وإنما لأهل العقول الراجحة، والفهوم الواعية، والنفوس الزكية، والضمائر الحية، والقلوب الطاهرة .

١٠- النون في قوله تعالى (خلقنا، نجعل، نجعل، أنزلناه) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ ﴾ . يرفض الإنسان أن تكون حياته عبثاً وهملاً، ويجد في نفسه ضرورة أن يكون لعمله هدف يحققه ويسعى إليه، فكيف ينسب ذلك إلى الله جل في علاه، ويزعم أن خلق الكون بما فيه ليس من ورائه طائل حقيقي . وإشارة التخويف بالنار قبل دخولها، دافع للتفكير بجدية في الأمور وعواقبها، قبل الصيرورة إليها .

٢- إشارة : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ . يرفض الإنسان أن يكون الملتزم بالقانون البشري، مساوياً لمن خالفه وتجاوزه وتعدى حقوق الآخرين، فكيف يساوي بين من آمن وعمل صالحاً وأصلح في دنياه، بمن كفر وفجر وأفسد، سواء في الجزاء الدنيوي أو الأخروي .

٣- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ . نزل القرآن الكريم على رسول الهدى ﷺ ابتداءً، وهو له وللأمة من بعده، بل وللعالمين

أجمعين وإلى قيام الساعة، إيماناً به وعملاً بموجبه . ولطيفة تدبر القرآن الكريم يوقف المسلم على أسراره وعجائبه وإعجازه، واستخراج ما فيه من كنوز وحقائق وأسرار .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المفسدين : جمع مفسد، من سعى في الأرض بالخراب فيها، وتغيير الصلاح القائم بذاته .

٢- المتقين : جمع متقي، من جعل بينه وبين عذاب الله تعالى وقاية، بفعل المأمور وترك المحظور .

٣- الفجار : جمع فاجر، من تجاوز حدود الشرع المطهر، بترك المأمور وفعل المحظور .

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ

وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

- (قصة تضمنت توجيهاً ببيان) : عاد سياق الحديث إلى داود، ممتناً سبحانه عليه بهبته سليمان عليهما السلام، نبي كريم تواب إلى ربه كأبيه، ورثه في الملك والحكم والنبوة، تفقد جنده من الخيل يوماً آخر النهار، فأعجب بهيئتهن، وانشغل بذلك عن الصلاة حتى فات وقتها، فأمر بردها إليه وأخذ يمسح بيده على أعناقها وسيقانها إعجاباً بها لأنها عُدة الحرب، ثم ابتلي كأبيه من قبل، حين عزم على فعل شيء ما و لم يقل إن شاء الله، فأُلقي على عرشه ولداً مشلولاً و لم يتم له ما أراد، فتاب إلى ربه مباشرة فتاب سبحانه عليه كما تاب على أبيه أولاً، وهنا سأل الله جل جلاله أن يهبه ملكاً عظيماً لا يملك مثله أحد من بعد، فأُعطي ما سأل، وسُخرت له الريح تجري بأمره حيث يشاء، وأُخضعت له الشياطين يأتمرون بأمره، عاملون بما أراد، فمن عصاه حُبس في الأغلال، عطاء من الله تعالى لعبده الصالح، يصرِّفه على مراد ربه كما قضى وقدر جل في علاه، وله فوق كل ذلك كرامات في الدنيا، ويوم المآب[1].

۞۞۞

[1] ذكر في شأن سليمان بن داود عليهما السلام، أخبار كثيرة فيها انتقاص كبير من قدره لا تليق به كنبي مؤيد معصوم مؤيد، عامتها من الإسرائيليات والأخبار الضعيفة غير موثوقة المصدر، من ضمنها هذه القصة بالذات وغيرها من القصص .

غريب الكلمات :

- الصافنات الجياد : الجياد الأصيلة، واقفات على هيئة الاستعداد .
- توارت بالحجاب : غابت خلف الحُجُب، قيل الخيل وقيل الشمس .
- فطفق : فأخذ وبدأ في الشيء وشرع فيه .
- مسحاً : مسحاً بيده عليها .
- بالسوق والأعناق : جمع ساق وعنق، على سيقانها وأعناقها .
- ألقينا على كرسيه : وضعنا على كرسي ملكه .
- لا ينبغي : لا يكون لأحد من بعدي مثله .
- بناء وغواص : يبنون ويغوصون في أعمال كلفوا بها .
- مقرنين في الأصفاد : موثوقين بالأغلال .
- رخاء حيث أصاب : لينة طيبة حيث أمرت .

توجيهات الآيات :

١- سليمان بن داود من جملة المرسلين، ورث أباه في الملك والحكم والنبوة، تواب إلى ربه سبحانه، وكذلك هو شأن الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٢- الخيل من جملة جنود سليمان عليه السلام، كان يتعدهن ويجهزهن للجهاد في سبيل الله تعالى، ويتفقدهن ليرى مدى جاهزيتها، لدرجة انشغاله بها يوماً عن الصلاة وعن ذكر الله عز وجل، لا عن عبث ولهو

مجرد، وإنما اشتغال نفع وفائدة وإعداد، ولا سيما أن الخيل من أهم عُدَّة الجهاد . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم**)[متفق عليه] .

٣- من أجمل هيئات الخيل الأصيلة، وقوفها (صافنات) على ثلاث قوائم رافعة الرابعة، دلالة على نجابتها وجاهزيتها، ومدى استعدادها للعَدْو برشاقة وخفة .

٤- من جملة مهام الراعي والمسؤول، تفقده ما يقع تحت يده من مهام ومسؤوليات، ليقف على حقيقة أمرها، ومدى احتياجاتها، وبصورة دائمة وحثيثة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته**)[متفق عليه] .

٥- لا أحد يسلم من البلاء، حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وفتنة سليمان عليه السلام تمثلت في حَلفه أن يطأ مائة امرأة، كل واحدة منهن تلد له ولداً يجاهد في سبيل الله سبحانه، و لم يعلق قوله ذاك على المشيئة، فلم تلد له إلا واحدة منهن نصف ولد . في الحديث

النبوي الشريف قوله ﷺ : (**قال سليمان بن داود عليهما السلام : لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه : إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فلم يحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، والذي نفس محمد بيده، لو قال : إن شاء الله، لجاهدوا في سبيل الله، فرساناً أجمعون**)[متفق عليه . وشق : نصف] .

٦- سرعة توبة سليمان عليه السلام وإنابته إلى ربه عز وجل، وسؤاله ملكاً عظيماً، فكان له ما سأل، لحكمة ربانية بالغة، تظهر قدرة المولى عز وجل في عظمة تدبيره لخلقه، على يدي نبي كريم .

٧- واسع هبة الله جل ذكره لمن شاء من عباده ما شاء من أمور، وكل شيء عنده لحكمة وبحكمة، ولله في خلقه شؤون .

٨- تسخير الريح لسليمان عليه السلام تأتمر بأمره، يصرفها كيف شاء؛ بما يوافق مراد ربه سبحانه .

٩- تسخير الشياطين له تعمل ما أراد، ومن جملة عملها بناء المباني الضخمة وتشييدها كما أُمرت، والغوص في البحار لاستخراج ما فيها من كنوز، خاضعة لأمره لا تستطيع الفرار منه، ومن حاول ذلك منهم، حبس في أغلاله إلى ما شاء الله تعالى .

١٠- ذلك الملك العظيم الذي أوتيه سليمان عليه السلام، كان موافقاً لقدر الله تعالى، له مطلق الحرية فيه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ

: (**إن سليمان بن داود عليه السلام سأل الله ثلاثاً، أعطاه اثنتين، ونحن نرجو أن تكون له الثالثة : فسأله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه الله إياه، وسأله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، فأعطاه إياه، وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه، فنحن نرجو أن يكون الله عز وجل قد أعطاه إياه**)[أحمد وابن حبان والحاكم . وهذا المسجد : بيت المقدس المبارك] .

١١- للأنبياء عليهم الصلاة والسلام عند ربهم سبحانه مآب حسن، وكرامات ومنازل على قدر منازلهم الرفيعة، فهم خير عباد الله تعالى صلاحاً وعبادة وذكراً وإنابة .

١٢- عبر كبرى ظاهرة من قصة ملك سليمان عليه السلام، الذي أوتي ملكاً عظيماً منَّة من الله جلت عظمته له، يدبر ما وهبه سبحانه إياه من أمور على مراده أجراها على يديه، فسبحان الله العظيم وبحمده . في الخبر : (كان سليمان بن داود يوضع له ست مائة ألف كرسي، ثم يجيء أشراف الإنس حتى يجلسوا مما يليه، ثم يجيء أشراف الجن حتى يجلسوا مما يلي الإنس، ثم يدعو الطير فيظلهم، ثم يدعو الريح فتحملهم، فيسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر، فبينما هو يسير في فلاة إذ احتاج إلى الماء، فجاء الهدهد فجعل ينقر الأرض فأصاب موضع الماء، فجاءت الشياطين فسلخت ذلك الموضع كما تسلخ الإهاب، فأصابوا الماء)[الحاكم وغيره . الإهاب : الجلد قبل أن يُدبغ] .

١٣- النون في قوله تعالى (وهبنا، فتنا، ألقينا، سخرنا، عطاؤنا، عندنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٣٠) قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ . الولد الصالح هبة حقيقية للإنسان، يفرح بها وتؤنسه في دنياه، ويجد ثمرات صلاحه بعد مماته بدعائه الصالح له . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**)[مسلم] . ولطيفة الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام هم أول من تمثل بمقام العبودية الكاملة لله جل في علاه، وفي مقدمتهم رسول الهدى ﷺ .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ ﴾ . مهام التفتيش وتفقد المسؤوليات، متاحة في كل وقت وحين، بما يحقق المصلحة والنفع الأكيد، ولا سيما المباغتة بها أوقات الغفلة والخمول، للوقوف على حقيقة الأوضاع القائمة، كل ذلك من أهم مهام القائد وأولى مسؤولياته .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٣٢) قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ . قد يراد بالخير المال، والخيل من أفضل المال، والاشتغال بها من باب الإعداد للجهاد، من جملة ذكره سبحانه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ليس من اللهو إلا ثلاث : تأديب الرجل فرسه، وملاعبته أهله، ورميه بقوسه ونبله**) [أصحاب السنن] . وفي رواية : (**كل ما يلهو به الرجل المسلم باطل، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله، فإنهن من الحق**) .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٣٣) قوله تعالى : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ . المسح على أعناق الخيل وسيقانها، من أفضل أساليب تسكينها وترويضها، لتألف سائسها .

٥- إشارات : جاء في الآية (٣٤) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ . بلاء الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، عظيم على قدر مكانتهم ومنازلهم عند ربهم . في الحديث النبوي الشريف لما سئل ﷺ عن أشد الناس بلاءً قال : (**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**)[الترمذي

وابن ماجة وأحمد] . وأخرى عبِّر بالكرسي عن العرش . وثالثة عبِّر بالجسد عن الإنسان الخامل، ناقص الخِلقة مسلوب الإرادة والقوى، لا قدرة له على عمل شيء .

٦- إشارة : جاء في الآية (٣٦) قوله تعالى : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ ﴾ . كلمة (الريح) في القرآن الكريم إذا جاءت بصيغة الجمع (رياح) أريد بها الخير تهب من كل مكان بما أمرت به عادة، وإذا أفردت (ريح) تارة يراد بها الخير فتكون (رخاء) أي ريحاً لينة طيبة، كما في آية سورة الأنبياء : ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾، وتارة يراد بها الشر والهلاك والاستئصال، لأنها تهب من جهة واحدة فتدمر كل ما في طريقها مما سلطت عليه، كما في سورة الأحقاف : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

٧- إشارة : جاء في الآيات (٣٧-٣٨) قوله تعالى : ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ . من الشياطين من أذعن للتسخير، فخضع لمراد سليمان عليه السلام، ومنهم من تمرد على ذلك، فكان مصيره الحبس في الأغلال .

٨- لطيفة : جاء في الآية (٣٩) قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٣٩﴾ ﴾ . وافق تدبير سليمان عليه السلام ما عند ربه سبحانه من قضاء وقدر، فكان عطاؤه ومنعه سواء، لا حساب عليه لما فعل من تصريف .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- سليمان : ابن داود عليهما السلام، خلف أباه في الملك والنبوة في بني إسرائيل، ورد ذكره في القرآن الكريم (١٦) مرة، ودفن ببيت المقدس، عن عمر (٥٢) سنة .

٢- العبد : سبق الإيضاح .

٣- جسداً : الجزء المادي من الجسم، وعادة يراد به من غير روح .

٤- أحد : لفظ يراد به الكائن الفرد، القائم بذاته من جنس البشر .

٥- الشياطين . آخرين : سبق الإيضاح .

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴿٤٤﴾ ﴾

- (قصة تضمنت توجيهاً بتخويف) : ما زال سياق القصص مستمراً، ذاكراً سبحانه طرفاً من قصة عبده أيوب عليه السلام، حين ابتلي في بدنه وماله وأهله، فصبر على تلك المكروهات والشدائد والمصائب التي سلطت عليه، وقابلها بكل رضا وتسليم تام لربه العظيم، ولم يشكو إليه إلا وساوس الشيطان التي ألمت به، فحفظه سبحانه منها وثبَّته وأيده، وأمره أن يركض برجله الأرض فنبع الماء البارد من تحته، فاغتسل به وشرب منه، فشفاه من كل البأس الذي لحق به، وردَّ عليه ما سُلب منه، من صحة ومال وأهل، وزيادة على ذلك، رحمة من ربك الكريم بعبده الصالح، وكفى بتلك القصة عبرة لأهل العقول وأصحاب الفهوم، وكفَّرنا عن حلفه على زوجته لما غاضبته، أن خذ بيدك كومة قش واضربها بها ضربة واحدة كفارة عن يمينك، فلا حنث عليك، جزاء صبرها، وصبرك وإنابتك إلى ربك، وكذلك هو شأن الصابرين والعباد الصالحين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- بنصب وعذاب : مشقة وتعب وأَلَم، ووساوس متلاحقة .
- اركض برجلك : اضرب برجلك .
- ضغثاً : حزمة قش أو قبضة حشيش .
- ولا تحنث : لا تنقض يمينك .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- أيوب عليه السلام، من جملة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ضرب به المثل في الصبر حتى قيل : (يا صبر أيوب)، لصبره الكبير على كثرة المصائب والشدائد، في نفسه وماله وأهله .

٢- لا يعد أيوب عليه السلام من جملة أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام، لأنه صبره كان على البلاء في نفسه، وليس في مجال الدعوة .

٣- دعاء الله جل جلاله عُدة للمسلم في كل الأحوال، وعلى العبد اللجوء إلى ربه سبحانه دوماً .

٤- كل الخلق مبتلى، حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بل هم أشد الناس بلاءً .

٥- الشيطان الرجيم، هو العدو الأكبر للإنسان في هذه الدنيا، ما كان ليتركه إطلاقاً، حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لم يسلموا من وسوسته وأذاه وخطواته، ومكره الدائم والحثيث لا يفتر أبداً ولا يكل ولا يمل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن عفريتاً من الجن جعل يفتك علي البارحة، ليقطع علي الصلاة، وإن الله أمكنني منه فذعته، فلقد هممت أن أربطه إلى جنب سارية من سواري المسجد، حتى تصبحوا تنظرون إليه أجمعون كلكم، ثم ذكرت قول أخي سليمان** : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ ﴿٣٥﴾ ﴾،

فرده الله خاسئاً)[متفق عليه . وفَذَعَتُّه : خنقته بشدة] . وفي رواية (تفلَّت) . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : قام رسول الله ﷺ فسمعناه يقول : (**أعوذ بالله منك، ثم قال : ألعنك بلعنة الله، ثلاثاً، وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة قلن ا: يا رسول الله قد سمعناك تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعك تقوله قبل ذلك، ورأيناك بسطت يدك، قال : إن عدو الله إبليس، جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي، فقلت : أعوذ بالله منك، ثلاث مرات، ثم قلت : ألعنك بلعنة الله التامة، فلم يستأخر، ثلاث مرات، ثم أردت أخذه، والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقاً يلعب به ولدان أهل المدينة**)[مسلم] .

٦- لكل شيء سبب في دنيا الأسباب، على الإنسان السعي فيها، ومن ثم حسن استغلال الفرص .

٧- الاغتسال بالماء البارد شفاء من كثير من الأدواء، وشربه ولا ريب من كبرى النعم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن أول ما يسأل عنه يوم القيامة يعني العبد من النعيم، أن يقال له : ألم نصح لك جسمك، ونرويك من الماء البارد**)[الترمذي] .

٨- للأهل في حياة الإنسان مكانة كبرى، دلالة على أنه بطبعه اجتماعي، يأنس بمن حوله من البشر، ولا سيما من ينسجم معهم وبوجودهم .

٩- للعبد الصالح عند ربه العوض الحسن وفي كل شيء، ومن أصلح ما بينه وبين الناس، وصفت نيته وصلحت سريرته، خلف الله تعالى عليه بخير في كل عواقب أموره . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن جعفر بن أبي طالب مر مع جبريل وميكائيل، له جناحان، عوضه الله من يديه، فسلم، ثم أخبرني كيف كان أمره حيث لقي المشركين، فلذلك سمي الطيار في الجنة**)[الحاكم والطبراني في الأوسط] . وفي الأثر : (ما ترك عبد شيئاً لله لا يتركه إلا له إلا عوضه الله منه، ما هو خير له في دينه ودنياه)[أبو نعيم في الحلية] .

١٠- أخذ العبر والمواعظ والدروس من قصص الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، لأنهم معلموا الناس الخير .

١١- فرج الله سبحانه قريب من المتقين لا يتركهم في المصائب والشدائد، لأنهم لم ينسوه في الرخاء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة**)[البيهقي في شعب الإيمان] .

١٢- قامت زوجة أيوب عليه السلام بقص ضفائر شعرها وباعته لأجل المال، من غير إذن أيوب عليه السلام، فلما علم حلف أن يجلدها مائة سوط، فلما شفاه الله تعالى، أمره أن يبر بقسمه بأن يأخذ حزمة حشيش ويضرب زوجته بها وفاءً لزوجته الصابرة عليه، فكان مخرجاً ربانياً لعبده الصالح ولزوجته البارة به . في الخبر : (أن أيوب عليه السلام حلف ليضربن امرأته مائة، أن جاءته في زيادة على ما كانت تأتي به من الخبز،

الذي كانت تعمل عليه، وخشي أن تكون قارفت من الخيانة، فلما رحمه الله وكشف عنه الضر علم براءة امرأته مما اتهمها به، فقال الله عز وجل ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴿٤٤﴾ ﴾ فأخذ ضغثاً من ثمام وهو مائة عود فضرب به كما أمره الله تعالى)[الدر المنثور . والثمام : نوع من العشب] .

١٣- الوفاء باليمين مطلوب، ومن رأى الخير في غيرها فليفعل بعد أن يكفِّر، لا بد من الكفارة حتى لا يحنث . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها، فليأت الذي هو خير، وليكفر عن يمينه**)[مسلم] .

١٤- عاقبة الصبر خير وفوز في كل الأحوال، ولا سيما التواب المنيب، الذي يلجأ إلى ربه عز وجل في كل أحواله وأموره .

١٥- وصف سليمان وأيوب عليهما السلام بوصف واحد، ففي الآية رقم (٣٠) قال تعالى في شأن سليمان عليه السلام : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾، وكان سياقها في معرض الشكر، وفي الآية رقم (٤٤) قال سبحانه في شأن أيوب عليه السلام : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾، وكان سياقها في معرض الصبر، فيه دليل على أن الإيمان لا يكمل إلا بالشكر والصبر معاً .

١٦- النون في قوله تعالى (عبدنا، وهبنا، رحمة منا، إنا وجدناه) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٤١) قوله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ﴾ . حرص الشيطان على فرص غواية الناس لا تقف عند حد إطلاقاً، حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، حتى رسول الهدى ﷺ . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما منكم من أحد، إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا : وإياك ؟ يا رسول الله قال : وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير**)[مسلم] .

٢- إشارة : جاء في الآية (٤٢) قوله تعالى : ﴿ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ ﴾ . أمر الله جل شأنه نبيه أيوب عليه السلام أن يركض الأرض برجله وهو مريض، فركض فنبع من تحته نبع اغتسل منه وشرب، فشفي . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أوحى الله إلى أيوب في مكانه أن اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب**)[الحاكم] . فيه دليل على أن الماء البارد شفاء من المرض، وقد أثبت العلم ذلك .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٤٣) قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ ﴾ . صبر المسلم في النوائب واحتساب الأجر على الفائت، يعقبها مضاعفة الأجور، والزيادة فيها بخير مما كان .

الحدود والأحكام :

١- في الآية (٤٤) . قوله تعالى : ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ . جواز ضرب الزوجة غير المبرح، بقصد التأديب . وأخرى منع الحيل في الشرع المطهر، والآية وجه من وجوه المخارج من المضائق، وليس القصد منها التحايل بغرض إسقاط التكاليف، فلا بأس بالمخرج الشرعي، الممنوح من المشرع الأعلى سبحانه، وهو يختلف تماماً عن الحيل الشرعية الممنوعة، التي قد يلجأ إليها بعضٌ ممن ينتسب إلى العلم .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عبدنا . العبد : سبق الإيضاح .

٢- أيوب : عليه السلام، ابن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق عليه السلام، بعث في قومه الأراميين والعموريين، ساكنوا سهل حوران بالشام،

ورد ذكره في القرآن الكريم (٤) مرات، ودفن بذات المكان بحوران، عن عمر (٩٣) سنة .

٣- الشيطان . أهله : سبق الإيضاح .

٤- أولي الألباب : جمع ذي لب، أهل البصائر والعقول الرواجح .

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترغيب) : ما زال سياق القصص، ذاكراً سبحانه عددنا من أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، مثنياً على إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ذوي البصيرة والأعمال الجليلة، ممن خلص قلبه لربه تعالى، بالعبادة والطاعة والعمل الصالح، مصطفَين أخياراً بما أوتوا من مهام النبوة والرسالة والدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل، هم وإسماعيل واليسع وذو الكفل ممن كان شأنهم كذلك، عليهم جميعاً الصلاة والسلام، معشر

هداية لهم منا جميل الثناء العاطر في الدنيا، أما في الآخرة فلهم ومن سار على نهجهم من المؤمنين المتقين، جنات عدن يدخلونها منعَّمين، يُسعى عليهم بأنواع الفواكه والشراب مما لذ وطاب متكئين، لهم فيها زوجات متساويات السن في غاية الحسن والجمال، قاطرات طرفهن على أزواجهن، هذا النعيم الذي كانوا يوعدونه في الدنيا، عطاء دائم لا انقطاع فيه ولا له، تكرمة لكل من عمل صالحاً، واستعد للقاء ربه العظيم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- أولي الأيدي والأبصار : أصحاب القوة والبصيرة .
- أخلصناهم بخالصة : اختصيناهم بخصلة عظيمة جليلة .
- ذكرى الدار : استذكار الآخرة .
- قاصرات الطرف : حافظات أبصارهن عن النظر إلى غير أزواجهن .
- أتراب : متساويات السن .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- من جملة الأنبياء والمرسلين، إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وإسماعيل واليسع وذو الكفل، عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٢- يوصف عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، بالتقى والصلاح والبصيرة في الدين، وخلوص قلوبهم لله جل وعلا، والقيام

بالأعمال الجليلة الداعية إلى الإيمان به سبحانه، وقبول منهجه الذي وضع للبشر، فكانوا بذلك مصطفين أخياراً، لهم في الدنيا الثناء العاطر بـــ (السلام عليهم) متى ذكروا، ولهم في الآخرة النعيم والمكرمات في واسع الجنات، هم ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين، من سائر المؤمنين الصادقين المصدقين .

٣- في الجنة طعام وشراب وزوجات حسان، ومجالس أنس يهنأ أهلها بها وفيها، على السرر الرفيعة متكئون .

٤- فاز بوعد الله تعالى يوم القيامة، من آمن به وصدق أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وعمل صالحاً وكان من المتقين .

٥- نعيم الجنان لا ينفد ولا ينقطع، ولا تنغيص فيه ولا كدر، وتلك غاية النعيم الحق، ومن جملة أعظم المنن الربانية على العباد .

٦- النون في قوله تعالى (عبادنا، أخلصناهم، عندنا، لرزقنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٤٥-٤٨) قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ

ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ . في الذكر الأول وردت أسماء إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم الصلاة والسلام، والأمر الذي يجمعهم بعثتهم في أقوامهم، ووصفهم بالبصيرة والعلم والقوة في العمل، وفي الذكر الثاني وردت أسماء إسماعيل واليسع وذو الكفل عليهم الصلاة والسلام، والذي يجمعهم بعثتهم في غير أقوامهم، وجميعهم من الأنبياء المصطفَين الأخيار . وأخرى أفرد ذكر إسماعيل عن أبيه وأخيه عليهم السلام وذكره مع الأنبياء الموصوفون بالصبر والتحمل، وهذا يتوافق مع وصفه عليه السلام بـــ (الغلام الحليم) في آية سورة الصافات .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٤٩) قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ . الثناء العاطر من خير ما يوفق له المسلم، ويحققه في حياته وبعد مماته . في الحديث النبوي الشريف عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : مر بجنازة فأثني عليها خيراً، فقال نبي الله ﷺ : (**وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة فأثني عليها شراً، فقال نبي الله ﷺ : وجبت، وجبت، وجبت، قال عمر: فدى لك أبي وأمي، مر بجنازة، فأثني عليها خير، فقلت : وجبت، وجبت، وجبت، ومر بجنازة، فأثني عليها شر، فقلت : وجبت، وجبت، وجبت ؟ فقال رسول الله**

ﷺ : **من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض، أنتم شهداء الله في الأرض)**[متفق عليه] .

٣- إشارة : جاء في الآية (٥٠) قوله تعالى : ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ ﴾ . في الجنة مجالس وغرف كثيرة، مفتحة أبوابها للمتقين، يدخلون حيث شاءوا، إذ لا وجود لما يستوجب إغلاق الأبواب دونهم، فيه دليل على غاية الرضا عنهم، وأن كل شيء في متناول أيديهم، لهم مطلق الحرية في التنقل في الجنة والتنزه حيث شاءوا، ليكتمل سرورهم بذلك وابتهاجهم فيها .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٥١) قوله تعالى : ﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ﴾ . من جملة طعام أهل الجنة الفواكه بأنواعها، وتلك دالة على أن الفواكه من أطيب الطعام، فضلاً عن احتوائها فوائد غذائية وصحية جمة، وقد أثبت العلم الحديث ذلك بالفعل .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٥٢) قوله تعالى : ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ . قصور طرف الحور العين على أزواجهن في الجنة، دليل على غاية الطهر والعفاف، في دار الجزاء حيث لا فتن فيها ولا غرر، فكيف بالدنيا دار الفتن، أمر مطلوب من نساء الدنيا، وهو أولى قطعاً .

٦- إشارة : جاء في الآية (٥٤) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ . نعيم الجنة رزق دائم، من الله عز وجل لعباده الصالحين، وهو الرزق الحقيقي لا ريب، من حيث حقيقته، ومن حيث كثرته، ومن حيث تنوعه، ومن حيث ديمومته، ومن حيث جودته .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عبادنا : جمع عبد، ويراد به هنا نبينا ورسولنا .

٢- إبراهيم . إسحاق : عليهما السلام، سبق الإيضاح .

٣- يعقوب : ابن إسحاق عليهما السلام، بعث في قومه الكنعانيين، ساكنوا أرض الشام، ورد ذكره في القرآن الكريم (١٦) مرة، ودفن في مدينة الخليل من أرض فلسطين، عن عمر (١٤٧) سنة .

٤- المصطفين الأخيار : جمع مصطفى مختار، يراد بهم الأطهار الأنقياء .

٥- إسماعيل : ابن إبراهيم عليهما السلام، بعث في قبائل العماليق والقبائل اليمنية بأرض الحجاز، ورد ذكره في القرآن الكريم (١٢) مرة، ودفن في مكة المكرمة، عن عمر (١٣٧) سنة .

٦- اليسع : عليه السلام، ابن أخطوب من نسل افرايم بن يوسف عليه السلام، بعث في الأراميين وفي بني إسرائيل، ورد ذكره في القرآن الكريم (٢) مرة، ودفن في فلسطين .

٧- ذا الكفل : عليه السلام، بشر بن أيوب عليه السلام، بعث في الأراميين والعموريين، ساكنوا أرض سوريا، ورد ذكره في القرآن الكريم (٢) مرة، ودفن في دمشق .

٨- قاصرات الطرف : جمع قاصرة طرف، وهن الحوريات العين، اللواتي يحفظن أبصارهن من النظر إلى غير أزواجهن .

﴿ هَـٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾
هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾
هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ
لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ
لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ
رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ
عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾
رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾
قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ
ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ ﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بتخويف) : بعد الترغيب جاء الترهيب، مخوفاً سبحانه من طغى من عباده بشرِّ مرجع ومصير يصيرون إليه، جهنم يستقرون فيها يقاسون حرها، شرابهم فيها الماء الحار وصديد أهل النار، صنوف من العذاب ويل لهم منها، حين يدخلونها جماعات متتابعة ذليلة، ويساقون دفعات مقتحمة مهينة يتلاومون فيما بينهم الكُبراء والأتباع، متغيظون يدعون على من كان سبباً في هلاكهم بمضاعفة العذاب، وما أن يفرغوا من تلاومهم حتى يتذاكروا أعداءهم الذين كانوا منهم يسخرون، من ضعفاء المسلمين، متسائلين عنهم ما لنا لا نراهم ! أزاغت أبصارنا عنهم ! أم كانوا من الأخيار ! تلك هي حقيقة تنازع أهل النار، جزاء شقاقهم على أهل الحق في الدنيا، وكفرهم وتكذيبهم، فخوفهم بذلك يا رسولنا الكريم، فما أنت إلا منذر من ذلك العذاب العظيم، ليؤمنوا بالله الواحد الذي لا إله غيره، القهار الذي لا يهزم، مالك السموات والأرض وما بينهما، العزيز الذي لا يُغلب، الغفار الذي يتجاوز عن الذنوب، فآمنوا يا هؤلاء بهذا القرآن الكريم، وما جاء فيه من خبر البعث والنشور والجزاء والحساب والعقاب، ولا تكونوا عنه معرضين، فما حقيقة الذي جئتكم به من بشارة ونذارة إلا وحي يوحى، وما أنا إلا نذير لكم من ربكم، للحق مبين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- حميم وغساق : ماء حار وصديد أهل النار .
- من شكله أزواج : من مثله أصناف .
- فوج مقتحم : جماعة تُساق إلى النار .
- قدمتموه لنا : دعوتمونا إليه .

توجيهات الآيات :

١- الطغيان تجاوز الحد في الظلم والتعدي والإسراف في الإفساد والإجرام وعاقبته وخيمة، فويل للطاغين المنصرفين عن الحق، من عذاب الآخرة .

٢- التخويف بالنار وما فيها من أهوال عظام، وصور العذاب الأليم، من مستقر وشراب وطعام مهين، ورغم ذلك يتناولونه من شدة الجوع والعطش الذي يلقى عليهم .

٣- يختصم أهل النار ويلقى التلاوم فيما بينهم، ولا سيما الكبراء والضعفاء، فيتسابون ويتشاتمون ويدعو بعضهم على بعض، جرَّاء المصير الذي صاروا إليه، نتيجة التواصي بالباطل والكفر والفجور في الدنيا، والتعاون على الإثم والعدوان .

٤- أكبر حسرة تلقى على أهل النار، حين يلجونها بعد أن كانوا يظنون أنهم من الناجين، ويعلمون بنجاة من كان دونهم في الدنيا، ويظنونه من الهالكين، ليزدادوا حسرة وندامة على تفريطهم .

٥- إثبات صدق نبوته ﷺ، وبيان أن ما صدر عنه إن هو إلا وحي يوحى إليه من ربه الحكيم، وما على الرسول إلا البلاغ المبين .

٦- من جملة صفات ربنا تبارك وتعالى، القهار لأعدائه، الغفار لأوليائه، لا راد لما أراد، ولا غالب لأمره مطلقاً، جل ربنا في علاه مالك الملك العظيم . سبحانه وبحمده .

٧- أمر الدين نبأ عظيم ولا ريب، ينبغي على المسلم ألا يستخف به إطلاقاً، ورغم ذلك هذا هو حال أكثر الناس للأسف، ممن غلبته غفلة التكاثر، فغرق في الذنوب والمعاصي والآثام . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما أخشى عليكم الفقر، ولكن أخشى عليكم التكاثر، وما أخشى عليكم الخطأ، ولكن أخشى عليكم العمد**)[أحمد وابن حبان والحاكم] .

٨- القرآن الكريم، مصدر هداية وإيمان، من تمسك به هدى إلى صراط مستقيم، ومن زاغ عنه ضل، وسقط في هواية نار الجحيم .

٩- تقرير عقيدة البعث والنشور، والجزاء والحساب والعقاب .

١٠- لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل، العليم الحكيم، يكشف منه ما شاء من أمور، لمن شاء من عباده المرسلين عليهم الصلاة والسلام، لحكمة وبحكمة .

١١- يختصم (الملأ الأعلى) الملائكة الكرام عليهم السلام، في أمور تتعلق بشأن بني آدم عليه السلام، وعلاقته بربه العظيم . في الحديث النبوي

الشريف قوله ﷺ : (**أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة، قال أحسبه في المنام، فقال: يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قال : قلت : لا، قال : فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي، أو قال : في نحري، فعلمت ما في السماوات وما في الأرض، قال : يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم، في الكفارات، والكفارات المكث في المساجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره، ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه، وقال : يا محمد، إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون، قال : والدرجات إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والصلاة بالليل والناس نيام**)[الترمذي وأحمد] .

اللطائف والإشارات :

١- لطائف : جاء في الآيات (٥٧-٥٨) قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ ﴾ . قد يرغم الإنسان على فعل ما لا يريد، وعن غير قناعة، من باب (مكره أخوك لا بطل) . وأخرى قد تتلون الأمور وتتشكل، وهي تدور حول شيء واحد .

٢- إشارة : جاء في الآيات (٥٩-٦١) قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ ﴾ . التحريض على العمل الفاسد، وسَنِّه وترويجه بين الناس يستوجب عقوبتين : عقوبة العمل، وعقوبة إشاعته بين الناس ونشره . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**)[مسلم] .

٣- لطائف : جاء في الآيات (٦٢-٦٣) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ ﴾ . مقياس الخير والشر عند الناس، يختلف باختلاف معايير الصواب والخطأ، فرب فاسد يرى المصلح هو الفاسد، ورب شرير يرى الخيِّر من الناس هو الشرير، وهكذا . وأخرى جملة (نرى رجالاً كنا نعدهم) دالة على أن النساء تبع للرجال في كل شيء . وثالثة كم من أمرئ كان الناس يسخرون منه، وإذا به خير ممن كان يسخر منه سابقاً، هذا في الدنيا، فكيف بالأمر في الآخرة، حيث لا تدارك .

٤- إشارة : جاء في الآية (٦٤) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ ﴾ . في النار تذهب المودة التي كانت حاصلة بين أهل الكفر والفسق والفجور في الدنيا، والتي بسببها اجتمعوا فيها على المنكر والشر والفساد والباطل والملهيات، فلا خير في مودة تعقبها حسرة وندامة وخصومة، يبقى أثرها حتى بعد الموت . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**)[أبو داود والترمذي وأحمد] .

٥- لطيفة : جاء في الآيات (٦٥-٦٦) قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ ﴾ . في الآيات أربعة أسماء لله جل جلاله، جمعت حقيقة الدنيا كلها، وهي : الواحد فلا ثاني له ولو كان ذلك لاختصما في الملك، القهار ولو لم يكن كذلك لخرج الخلق عن سيطرته وحكمه، العزيز ولو لم يكن كذلك لغلبه غالب على أمره وضعف عن الخلق وتدبير الأمور وتصريف الشؤون، الغفار ولو لم يكن كذلك لشقي العباد من أول ذنب يصيبونه ولهلكوا حينها مباشرة .

٦- إشارة : جاء في الآيات (٦٧-٦٨) قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ . رغم أن أمر الدين من أعظم أمور الدنيا،

الذي كان يجب على الجميع الاشتغال به والاهتمام له، إلا إن أكثر الناس عن ذلك منصرفون، وعن حقيقته غافلون، وعن منهجه لاهون، يحسبون الحياة الدنيا لعب ولهو وعبث .

٧- إشارة : جاء في الآية (٦٩) قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ . الاختصام المذكور هنا بين الملائكة الكرام عليهم السلام، كان سببه خلق الإنسان أول الأمر، ومرجع القول فيه عائد إلى عدة آيات كريمات، منها الآيات اللاحقات لهذه الآية، ومنها قوله تعالى من سورة البقرة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- للطاغين : جمع طاغٍ، من تجاوز حدود الشرع المطهر، وبغى عليها .

٢- فوج : جمع من الناس كثير (فرقة)، وهو دون الثُلة وفوق الحزب .

٣- أنتم : ضمير للمخاطب، ويراد به هنا (يا أهل النار) .

٤- رجالاً : جمع رجل، ويقابله الأنثى من بني آدم عليه السلام .

٥- أهل النار : إما كفاراً يخلدون فيها، وإما فجاراً يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها .

٦- منذر : نذير لكم من النار، ومشفق عليكم، لتجتنبوها بعبادة ربكم وطاعته سبحانه .

٧- الملأ الأعلى : الملأ أشراف القوم، الأعلى من العلو . ويراد بهم هنا الملائكة الكرام .

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾

إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترهيب) : ما زال سياق الحديث عن موقف الملائكة الكرام عليهم السلام، حين خاطبهم تبارك وتعالى أنه خالق بشراً من الطين، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فاسجدوا له إكراماً ورفعة، ففعلوا ما أمروا به مباشرة، إلا إبليس استكبر عن ذلك وكفر من فوره، فخوطب لِمَ لم تسجد لما خلقته بيدي ! أعن استكبار امتنعت أم أنك من جملة الملائكة العالين، فرد قائلاً : أنا خير منه، خُلقت من النار وخلق هو من الطين، فطُرد من الجنة مباشرة، رجيماً ملعوناً إلى يوم الدين، فطلب إنظاره إلى يوم البعث، فأُخرَ إلى يوم الوقت المعلوم، فلما ضمن ذلك أساء الأدب مع ربه ثانية، قائلاً : وعزتك لأغوين ذريته أجمعين، إلا من كان من جملة المخلصين، وهنا حق قول ربنا العظيم لأملأن جهنم من ذريتك، وممن تبعك منهم وكان من الخاسرين، فيا قوم هذا بلاغ حق أنذركموه، لا أطلبكم مقابله أجراً، ولست على ربي من المتقوِّلين، صدقوا بهذا القرآن الكريم وآمنوا بما جئتكم به من خبر البعث والنشور، الذي سيتبين لكم صدقه ويقينه ولو بعد حين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- نبأ عظيم : خبر مهم، هو القرآن الكريم وما جاء به من حقائق، من خبر البعث والنشور .

– فقعوا له ساجدين : خروا له سجوداً .

– إبليس : الرجيم، أبو الشياطين الملعون، كان في الجنة مع جملة الملائكة الكرام، فلما أمروا بالسجود امتنع، فمسخ من فوره شيطاناً رجيماً وطرد من الجنة، ومعنى إبليس الآيس من الرحمة .

– المتكلفين : المتقولين والمتصنِّعين .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١– إخبار الله تبارك وتعالى ملائكته الكرام عليهم السلام، بأنه سيخلق بشراً من الطين لحكمة اقتضاها من ذلك، وأمرهم بالسجود له مباشرة وبمجرد نفخ الروح فيه، سجود تكرمة له ورفعة شأن، فسجدوا له أجمعين كما أمروا .

٢– حجة إبليس الرجيم في الامتناع عن السجود واستكباره على ذلك، أنه خلق من النار التي هي أفضل من الطين، الذي خلق منه آدم عليه السلام، فاستحق الطرد من الجنة مباشرة، رجيماً ملعوناً إلى يوم الدين .

٣– طلب إبليس من الله تعالى أن يؤخره إلى يوم القيامة، فأنظره جل جلاله وأخره لحكمة بالغة من ذلك .

٤– حقد إبليس الرجيم على آدم عليه السلام، لاعتقاده أنه هو السبب في خروجه من الجنة، فحلف بربه العزيز أن يغوي من استطاع من ذريته إلى يوم الدين .

٥- اعتراف إبليس الرجيم بعجزه عن إغواء من كان من عباد الله تعالى المخلصين، ليقينه أن منهم من حقق الإخلاص في إيمانه، على الوجه المطلوب تماماً .

٦- أهل النار صنفان إبليس الرجيم وذريته من الشياطين، وكفار بني آدم عليه السلام المخلدون فيها كالشياطين، أو العصاة الذين يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها، أقسم عز وعلا أن يملأ جهنم من هذين الصنفين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين، والمتجبرين، وقالت الجنة : فما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغرتهم ؟ قال الله للجنة : إنما أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله، تبارك وتعالى، رجله، تقول : قط قط قط، فهنالك تمتلئ، ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقاً**)[متفق عليه] .

٧- ما محمد ﷺ إلا رسول كغيره من عموم المرسلين، عليهم جميعاً الصلاة والسلام، يبلِّغ عن ربه سبحانه مراده من خلقه بلا زيادة أو نقصان، بشيراً ونذيراً لا يبتغي على ذلك أجراً إطلاقاً، كذلك هو شأن عامة الأنبياء والمرسلين معاشر هداية البشرية .

٨- القرآن الكريم ذكر للعالمين وليس للمؤمنين فقط، لو فطنوا لما فيه من المواعظ والعبر، وفقهوا لما فيه من كنوز وأسرار، دالة على صدق ما تضمنه من حقائق، ستظهر عبر الزمان للعيان .

٩- وجوب استحضار الإنسان لعداوة الشيطان الرجيم دوماً، الذي لا يفتر أبداً عن غواية البشر، وإضلالهم بشتى الطرق، وكافة الوسائل والأساليب .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٧١-٧٢) قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ . كرامة أولى لآدم عليه السلام وذريته، أن الله عز وجل أخبر ملائكته الكرام عليهم السلام بخلقه بشراً من طين قبل أن يوجده، وكرامة ثانية أنه سبحانه هو الذي سواه بنفسه، وكرامة ثالثة نفخ فيه من روحه المقدسة، وكرامة رابعة أسجد له الملائكة الكرام عليهم السلام . وأخرى كلمة (سويته) دالة على تسوية كريمة من الله جل وعلا لجسد آدم عليه السلام قبل أن ينفخ فيه الروح . وثالثة جملة (ونفخت فيه من روحي) دالة على أن روح الله جل وعز في آدم عليه السلام تشريفاً له، وفي ذريته من بعده . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لما خلق**

الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فحمد ربه بإذن الله له، فقال : الحمد لله، فقال له ربه : رحمك ربك يا آدم، اذهب إلى أولئك الملأ، وملأ منهم جلوس، فقل : السلام عليكم، فقالوا : سلام عليك ورحمة الله، ثم رجع إلى ربه فقال : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم)[النسائي في الكبرى والبزار والبيهقي في الكبرى] . ورابعة كلمة (فقعوا) دالة على سرعة التنفيذ مباشرة، للغاية في تشريف آدم عليه السلام . وخامسة كل تلك التشريفات الربانية؛ دالة على علو شأن آدم عليه السلام وذريته من بعده ولا شك .

٢- إشارات : جاء في الآيات (٧٣-٧٤) قوله تعالى : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ . استثناء إبليس الرجيم من جملة الملائكة الكرام عليهم السلام، يجعله واحداً منهم من حيث الأمر الموجه للجميع وهو وقتئذ معهم، لكن عدم امتثاله يخرجه من دائرة (كلهم أجمعون)، فلأنهم مجبولون على الطاعة نفذوا الأمر مباشرة، أما هو فكان من جملة الجن المختارين، فاختار الامتناع لا السجود، ولو كان ملكاً أصلاً لجُبِل على الطاعة مثلهم وسجد معهم، مسخراً لا مختاراً، كما هو حال الثقلين (الإنس والجن) . وأخرى تسميته (إبليس) هنا مباشرة، لتمرده وعصيانه الامتثال لأمر ربنا جلت عظمته .

٣- إشارات : جاء في الآية (٧٥) قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ ﴾ . كرامة خامسة خلق الله تبارك وتعالى آدم عليه السلام بيديه الشريفتين، وليس بالأمر كن فيكون مباشرة . وأخرى إثبات اليدين لله جلت عظمته، من غير تأويل أو تحريف أو تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تعطيل . وثالثة من الملائكة الكرام عليهم السلام، صنف يطلق عليهم (العالين)، لم يشملهم الأمر بالسجود، ولا علاقة لهم بالبشر إطلاقاً، منهم حملة العرش، ومنهم المسبحون لله سبحانه آناء الليل والنهار حتى قيام الساعة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما في السماوات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف، إلا وفيه ملك قائم أو ملك راكع أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً**)[الطبراني في الأوسط والكبير] .

٤- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٧٦) قوله تعالى : ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾ . أول معصية في الدنيا صدرت من إبليس الرجيم، حين استكبر ولم يمتثل لمراد ربه جل جلاله، وكان سببها القياس الخاطئ، حين قاس النار على الطين، ورجَّح خيرية النار على خيرية الطين، مع وجود الفارق، فيه دلالة على غاية فساد القياس مع

الفارق، دون مراعاة ضوابط الأمور، والنظر الصحيح فيها . ولطيفة للنار خصائص ومواصفات وللطين خصائص ومواصفات، ولكلٍ منهما مجال لا يختص به الآخر، فلا مساواة بينهما، وكذلك سائر الأمور، لكل منها وضعه الخاص به، قد خلقه الله جل في علاه مناسباً لوظيفته تلك، لا لغيرها إطلاقاً .

٥- إشارات : جاء في الآيات (٧٧-٧٨) قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ ﴾ . جملة (فاخرج منها) جاءت مبهمة، والتقدير مما كنت فيه، من الجنة، ومن زمرة الملائكة الكرام عليهم السلام، ومن المرتبة العلية، ومن السموات بأسرها، ومن الصورة الحسنة التي كنت عليها والتي تحولت إلى مسخ ذميم . وأخرى كلمة (رجيم) جاءت نكرة، والتقدير رجيم بالطرد وبالحجارة وبالشهب وباللعن على الألسنة . وثالثة حلول اللعنة على إبليس الرجيم إلى يوم الدين، ومن بعدها صلاية نار الجحيم، فيه دليل على أن اللعن مجاله الدنيا، بإغلاق باب التوبة دونه وبقاءه في دائرة المغضوب عليهم، أما الآخرة فإلى عذاب الجحيم .

٦- لطيفة : جاء في الآيات (٧٩-٨١) قوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ

﴿ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ . الإنظار من سنن الله جل شأنه في الكون، يُنظر خلقه في الدنيا دار العمل لحكمة بالغة، ليجازيهم بما عملوا في الآخرة دار الجزاء، ولولا ذاك لما تمكن إبليس الرجيم من إغواء العبيد، ولما تحقق حينها مراده سبحانه من خلق الناس في الدنيا أساساً، ليبتليهم بالإيمان والعمل .

٧- إشارات : جاء في الآيات (٨٢-٨٣) قوله تعالى : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ . إقسام إبليس الرجيم بعزة الله سبحانه، ليقينه التام أنه لا قدرة له إطلاقاً على إغواء أحدٍ من الخلق إلا بمشيئته عز وجل . وأخرى رغم يقين إبليس الرجيم أن من خلق الله عز وعلا من هم خارج نطاق دائرة غوايته، ممن صدق في إيمانه حقاً، إلا إنه لا يترك أحداً دون أن يحاول غوايته بشتى الطرق وبما استطاع إلى ذلك سبيلاً . في الحديث النبوي الشريف جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال : (**وقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم، قال : ذاك صريح الإيمان**)[مسلم . ما يتعاظم أن يتكلم به : ما يجد من شدة الوسوسة في أمور دينه] .

٨- إشارات : جاء في الآيات (٨٤-٨٥) قوله تعالى : ﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ .

إقسام الله تعالى شأنه رداً على إقسام إبليس الرجيم، لبيان الغاية العظمى لضرورة قبول منهجه الحق الذي وضع لعباده من رفضه والاعراض عنه، والذي يعني الهلاك والعذاب الأليم . وأخرى حكم الله سبحانه نافذ في خلقه، فمن ذرية آدم عليه السلام، من هم اتباع لإبليس الرجيم وذريته من الشياطين، فاستحقوا بذلك العذاب .

٩- إشارة : جاء في الآية (٨٦) قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ . الدعوة إلى الله سبحانه عمل عظيم جليل، ولا طاقة لأحد واقعاً على أن يكافئ الدعاة إلى الحق، على ما يقدموه في مجال الدعوة، ويبذلوه من وقت وجهد وبذل لا متناهي .

١٠- إشارة : جاء في الآيات (٨٧-٨٨) قوله تعالى : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴾ . القرآن الكريم ذِكر حقاً، يُنبئ عن نفسه بما فيه من حقائق ومعجزات تطابق الواقع، فمع مرور الزمن يكشف إعجازه كنوزه، في كل جوانب الحياة، ما يؤكد صلته بالسماء، مبيناً مراد الله تعالى من خلقه بما لا شك فيه، فهو الحجة الباقية إلى قيام الساعة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الملائكة : سبق الإيضاح .

٢- بشر : سبق الإيضاح .

٣- إبليس : الشيطان الأكبر، أول من كفر بالله جل في علاه وخرج عن طاعته وتمرد عليه، برفضه السجود لآدم عليه السلام، فمسخ حينها مباشرة شيطاناً رجيماً بعد أن كان في الجنة مع جملة الملائكة الكرام، واضعاً عرشة على الماء، ثم يبعث سراياه كل يوم لإضلال بين آدم عليه السلام . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه مترلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول : فعلت كذا وكذا، فيقول : ما صنعت شيئاً، قال ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال : فيدنيه منه ويقول : نعم أنت**)[مسلم] .

٤- الكافرين : سبق الإيضاح .

٥- العالين : جمع عالٍ، وهم الملائكة الكرام من حملة العرش ومن المسبحين، ممن لا علاقة لهم ببني آدم عليه السلام . أو هو لفظ يطلق على كل من تكبر على مراد الله تعالى ورفض الانصياع له كإبليس الرجيم وذريته .

٦- يوم الدين . يوم يبعثون . يوم الوقت المعلوم : من أسماء يوم القيامة العظيم .

٧- المخلصين : جمع مخلص، من حقق الإيمان الصادق، وتجرد لله تعالى، عبادة وطاعة وذكراً .

٨- المتكلفين : جمع متكلف، من حمَّل نفسه ما لا طاقة له به، وتقوَّل ما ليس له به علم .

٩- العالمين : سبق الإيضاح .

١٠- حين : سبق الإيضاح .

احصاءات عامة

- رقم الجزء : الرابع والعشرون .
- اسم الجزء : الزمر .
- عدد سوره : (٣) .
- بداية الجزء : الآية (٣٢) من سورة الزمر .
- نهاية الجزء : الآية (٤٦) من سورة فصلت .
- عدد السور المكية : (٢) .
- عدد السور المختلف فيها : (١) .
- عدد آيات الجزء إجمالاً : (١٧٥) .
- عدد كلمات السور كاملة : (٣١٧٠) .
- عدد حروف السور كاملة : (١٣٢١٨) .

جزء الزمر : الرابع والعشرون :

(٤) سورة الزُمَر . سورة الغُرَف

- مدنية مختلف فيها .

- آياتها (٧٥) آية مختلف فيه، فقيل (٧٢)، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٤﴾ ﴾ آيتان، قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ آية واحدة، قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٤﴾ ﴾ آية واحدة، وقوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ آية واحدة، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ

يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ آية واحدة .

- كلماتها (١١٧٢) كلمة . وحروفها (٤٩٠٨) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٥٩) . نزلت بعد سورة سبأ .
- رقمها في المصحف الشريف (٣٩) .
- سميت بـــ (بالزمر) لورود اللفظ فيها .
- محور حديث السورة الكريمة : قدرة الله تبارك وتعالى وتصريفه لكونه وتدبير شؤون خلقه فيه (ممازجة بين أسلوبي الترغيب والترهيب في جل آياتها) .
- مجمل موضوعاتها : (١٣) موضوعات : الحديث عن القرآن الكريم ونزوله، وعن قدرة الله تعالى على الخلق والإيجاد، وموقف المؤمن من ربه سبحانه، ومظاهر الإعجاز الرباني، وموقف الناس من الدين الحق، واعتراف الكفار بقدرة الخالق عز وجل، والحديث عن التوحيد والعقيدة، وعن الموت، والتخويف بالنار، والتشويق إلى الجنة، والحث على التوبة، وذكر بعض مشاهد القيامة، والنهاية المحتومة للفجار والمتقين .
- الأحاديث الواردة في السورة . في الحديث النبوي الشريف عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (**كان النبي ﷺ لا ينام حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر**)[الترمذي وأحمد والنسائي في الكبرى] .

- الفارق : تحدثت عن ابتلاء الإنسان، فوردت جملة (مس الإنسان ضر) مرتان .
- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٨) مرات .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهات بإعجاز) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة، ببيان تنزيل هذا القرآن الكريم من لدنه جل جلاله، العزيز في ملكه، الحكيم في تصريفه وتدبيره، على رسول الهدى ﷺ بالحق، آمراً إياه بعبادته مخلصاً له الدين متجرداً من الشرك تماماً، أما أولئك الذين اشركوا به واتخذوا من دونه أولياء بغرض التقرب إليه، سيقضي فيما بينهم بالذي يستحقون، سبحانه لا يهدي من هو كاذب بنسبة الشريك إليه، كفَّار

بالدين الحق لديه، لو أراد أن يتخذ ولداً لاتخذ من خلقه من يشاء، وهو الغني عن ذلك واحد لا سواه، قهار لكل من عاداه، خلق السموات والأرض لحكمة بالغة ومقاصد عليا، يتعاقب الليل والنهار على خلقه، قد سخر الشمس والقمر لهم يجريان لأجل معلوم عنده، وهو العزيز في كل أموره لا يغلب، غفار لمن أذنب، بعباده رحيم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- الدين الخالص : المنهج الرباني القويم، وشرعه المطهر .
- زلفى : قربةً ومكانة .
- لاصطفى : لاختار واتخذ .
- يكوِّر : يدخل بعضها على بعض، بتعاقب متداخل .
- سخر : ذلل وهيأ .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- نزول القرآن الكريم من لدن ربنا سبحانه، العزيز الحكيم، على رسول الهدى ﷺ بالحق، وهذا يثبت أنه منزل من السماء وليس بمخلوق، كما يزعم البعض .

٢- أمره جل في علاه رسول الهدى ﷺ بالعبادة الحقة، الخالصة له من الشركاء والأنداد والنظراء .

٣- حجة المشركين في عبادة الأولياء من دون الله عز وجل، اتخاذهم وسائط تقرب إليه، وهذا أمر لم يشرعه سبحانه لخلقه أبداً، و لم يأت نبي مرسل يأمر به إطلاقاً .

٤- حُكم الله تعالى شأنه بين الخلائق يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون في دنياهم، من أمر الدين والشرائع، ليتبين الحق من الباطل .

٥- علم الله جل ذكره المطلق، بمن اهتدى ممن علم صلاح سريرته، وبمن ضل ممن علم فساد سريرته، وهذا وأمثاله ممن كذب وكفر ما كان سبحانه ليهديهم، بعد أن اختاروا الكفر على الإيمان .

٦- غنى الله عز وعلا عن كل شيء، وعن اتخاذ الولد، إذ لا حاجة له في ذلك، ولو أراد لاختار من خلقه من شاء، وهو سبحانه الواحد لا سواه، القهار لا معجز له .

٧- عظمة الله الكبير الذي خلق السموات والأرض بما فيهما، وتذليله الشمس والقمر لوقت معلوم يجريان، والليل والنهار على خلقه يتعاقبان، كل ذلك لأمر ما أراده منهم، لا عبث فيه ولا لعب أو لهو، جل جلال العزيز في ملكه لا غالب له، الغفار لخلقه لا مكره له .

٨- الشرك ظلم عظيم، يفسد على الإنسان حياته في الدنيا، ومصيره في الآخرة، لا يقبله سبحانه إطلاقاً وإن قل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**)[مسلم] .

٩- النون في قوله تعالى (إنا أنزلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (١-٢) قوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ . إثبات أن القرآن الكريم كتاب حق، من لدن رب حق، نزل به ملك حق، على رسول الهدى ﷺ بالحق، قد حوى المنهج الحق، والشرع الصدق .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ . كم من إنسان قصد حسناً لكنه أساء العمل، وأراد خيراً فجانبه الصواب، وأخطأ في الأسلوب واختيار الوسيلة الصائبة وصولاً إليه، كمن عبد الأولياء والصالحين بقصد القربى لله جل في علاه، فيه دليل على أن النية الحسنة للمسلم وحدها لا تكفي أبداً، ولا بد له من الفقه في الدين وشرائعه وتعاليمه . في الحديث النبوي

الشريف قوله ﷺ : (**فقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد**)[الترمذي وابن ماجة] .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ ﴾ . لفظ السياق : (لو أراد الله أن يتخذ ولداً) وليس (لو احتاج الله ولداً)، لذا كان سيصطفي من خلقه ما يشاء لا مكره له، ليدل على غناه التام عز وجل عن ذلك .

٤- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ . لفظ (يكور) دال على أن الأرض كروية، بحيث يتعاقب الليل والنهار عليها فلا يتلاقيان أبداً، لأنهما يلتفان حول كرة، يدخل بعضهما على بعض . ولطيفة التكوير دال على الحركة المكانية للأرض والشمس والقمر، نتج عنها تعاقب الليل والنهار، وجملة (كل يجري لأجل مسمى) دالة على حركة أخرى انتقالية، وقد أثبت العلم الحديث ذلك بالفعل، وقال إن الأرض تتحرك فتدور حول نفسها بسرعة (٤٦٤) متر في الثانية، وتدور حول الشمس بسرعة (٣٠) كيلو

متر في الثانية، وتجري مع المجرة بسرعة (٢٢٠) كيلو متر في الثانية الواحدة . فسبحان الله العلي العظيم .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- أولياء : جمع ولي، وهو النصير والمعين، ويراد به هنا من اتخذ إلهاً من دونه عز وجل .

٢- كاذب : من خالف قوله الحقيقة، فهو بعكس الصادق .

٣- كفّار : صيغة مبالغة من كافر، وهو المصرَّ على الكفر المجاهر به .

٤- ولداً : سبق الإيضاح .

٥- الليل . النهار : سبق الإيضاح .

٦- لأجل مسمى : لوقت معلوم عنده سبحانه .

﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترهيب وترغيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه أنه خلق الخلق من نفس واحدة، منها اشتق زوجها، وأنزل لكم ثمانية أزواج من النعم، يمر خلقكم في بطون أمهاتكم بمراحل متتالية، عبر ظلمات ثلاث لا يعلمها إلا هو، له الملك كله جلت عظمته، فكيف تعرضون عن عبادته وتنصرفون، وأنتم فقراء إليه وهو الغني، يحب منكم الاعتراف بفضله ويرضى لكم الإيمان، ولا يرضى لكم الكفر والاعراض والنكران، وجميعكم إليه راجعون، وعن أعمالكم محاسبون، وعن أنفسكم مسؤولون يجازي كلٌ بما كسب، وهو بما في صدروكم عليم، فمالكم إن مس أحدكم البلاء دعاه ولجأ إليه، وإن عافاه وأعطاه استنكف وأعرض عنه، وأشرك به داعياً إلى شركه، مغتراً بحلم ربه، وبزمن الإمهال وعاقبته النار، فليس من كان هذا شأنه كمن ظل مصلياً، قائماً الليل متعبداً، لربه في كل وقت ذاكراً، راجياً ثوابه متقياً

عقابه، فهل يستوي العالمون العاملون بمن سواهم، والعلماء والجهّال، والمهتدون والضُلاَّل !، حتماً لا يستوون، يعي ذلك تماماً ويدركه أهل العقول الرواجح، والبصائر والأفهام .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- تزر : تحمل وتتكفل .
- وازرة : نفس آثمة موزورة .
- خوله : منحه وأعطاه ومكَّنه .
- أنداداً : شركاء ونظراء .
- قانت : خاضع طواعية بخشوع وخشية .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- خلق الله تعالى البشر من نفس واحدة هي نفس آدم عليه السلام، ومنها جعل زوجها هي حواء عليه السلام، منهما تناسل الخلق وتكاثروا في الأرض .

٢- خلق سبحانه من الأنعام ثمانية أزواج هي : (الإبل والبقر والضأن والمعز) من كل جنس زوجان (ذكر وأنثى)، كما في آية سورة الأنعام : ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِۖ

نَبِّـُٔونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ .

٣- يمر خلق الإنسان بمراحل في بطن أمه، يتخلق فيها عبرها، تحيط به ظلمات ثلاث هي : (ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة) وقد أثبت العلم الحديث ذلك بالفعل .

٤- لله جلت قدرته الملك الظاهر والملكوت الخفي، فكيف يكفر به الكافرون، وهم يرون قدرته في الكون، ويقرون بأنه لا قادر ولا مصرف فيه ولا مدبر له إلا هو .

٥- الخلق صنعة الله سبحانه، لذا لا يرضى لهم الكفر إطلاقاً، وإنما يحب لهم الإيمان وشكرهم له، على ما رزقهم من نعم وخيرات، وهو في كل الأحوال غني عنهم وهم الفقراء إليه .

٦- وزر كل نفس عليها، وفي اليوم الموعود يرجع الخلق إلى ربهم للحساب والعقاب، ليجازيهم بأعمالهم التي كتبت عليهم، سبحانه عليم بما في صدور العالمين .

٧- الإنسان بطبعه جزوع، متى مسه الضر ضرع إلى ربه تعالى، ودعاه ليفرج عنه كربه، لكنه متى وُهب نعمة وخيراً، نسي ربه الكريم، وأشرك به معه غيره، ممن اعتقد نفعهم أو ضررهم، ودعا إلى ذلك مضللاً عن الدين الحق .

٨- متاع الدنيا مهما كثر فهو قليل، وعن قريب سينقضي، والمآل الكفار والفجار النار، فويل لمن فرط في أمر دينه وعبادة ربه وطاعته .

٩- عبادة الليل وقيامه، من أفضل العبادات التي يمتاز بها الأولياء والصالحون . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس**)[الطبراني في الأوسط] .

١٠- مخافة الله جلت قدرته تتحقق باجتناب سخطه بغرض اتقاء عذابه، وبرجاء ما عنده من فضل ونعيم، هما المنجيان للمسلم يوم القيامة، بعد محبته لربه الكريم الرحيم .

١١- محال أن يستوي العلماء والجهَّال، العاملون وغير العاملين، الكفار والمؤمنون، المصلحون والمفسدون، في العمل في الدنيا، وبالتالي في المصير في الآخرة .

١٢- ينتفع بالتذكرة أهل العقول الصافية الراجحة، التي تقف على الحقائق مجردة من اللبس، وتطلبها وتسعى إليها، وتقبلها متى لاحت لها، لأنها قصدت الحق وطلبته، فلما رأته قبلته .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ . في الآية (تدرج) فلفظ السياق (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) والإنزال من علو، ولم يقل (خلق لكم من الأنعام ثمانية أزواج)، وفك التدرج، لأن الخلق نشأوا على النبات طعاماً لهم، الذي كان سببه الماء، الذي نزل من السماء . ونظائر ذلك كثيرة في القرآن الكريم، كقوله جل وعلا في سورة الأعراف : ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا ﴿٢٦﴾ ﴾ .

٢- إشارة : جاء في الآية (٨) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ ﴾ . لفظ السياق (وإذا مس الإنسان ضر)، المس والضر جاءا نكرتين، لتدل على غاية جزع الإنسان، ولو أصيب بأقل قدر من بلاء أو مصيبة .

٣- إشارة : جاء في الآية (٩) قوله تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾ . القنوت صلاة الليل وهي دليل على محبة العبد لربه، والحذر من الآخرة دليل الخوف منه، ورجاء رحمة الله سبحانه دليل الرجاء، وتلك هي أركان العبادة الثلاثة (المحبة والخوف والرجاء) .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- نفس : جوهر الإنسان اللطيف، يراد بها هنا نفس آدم عليه السلام (أبو البشر) .

٢- زوجها . أزواج : سبق الإيضاح، ويراد به هنا أمنا حواء، جعلت من آدم عليهما السلام . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لما خلق آدم، خلقت حواء من ضلعه القصير**)[ابن ماجة] .

٣- أمهاتكم : جمع أم، وهي الأنثى من جنس البشر، إذا تزوجت وأنجبت، تصبح أماً، ويكون منها الذكور والإناث .

٤- عباده : جمع عبد، وهو التابع لسيده (الرقيق) عنده، ويراد بهم هنا كافة البشر، عبيد لله جل جلاله .

٥- الإنسان : سبق الإيضاح .

٦- أصحاب النار : جمع صاحب، وهو الموافق للشيء المشاكل له، ويراد بهم هنا الكفار والفجار .

٧- الليل . الآخرة . أولو الألباب : سبق الإيضاح .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، آمراً سبحانه عباده المؤمنين بالتقوى، التي هي بوابة الإحسان في الدنيا، وعاقبتها خير كبير في كل شؤون الحياة، فمن ضاقت به أرض هاجر إلى غيرها، ليعبد ربه حق عبادته، فأرضه تسع جميع خلقه، سلاحكم فيها الصبر فإنه عُدّة، وأجره لا عدَّ له ولا حصر، آمراً رسوله الكريم ﷺ بالعبادة الخالصة

محققاً له الاستسلام، مجتنباً معاصيه متقياً عظيم عقابه، أما أنتم أيها الكفار فاعبدوا ما شئتم من الشركاء، فأمركم إلى بوار وإلى خسران مبين، أنتم وأهلوكم حيث لا تدارك يوم الدين، لكم في النار طبقات من الجحيم، من فوقكم نيران ومن تحتكم، فاتقوا ذلك العذاب واحذروا الصيرورة إليه، واتقوا تعالى شأنه ربكم، وقد بين لكم وحذركم، وأنذركم السعير وعاقبة المصير .

غريب الكلمات :

- ظلل : أطباق بعضها فوق بعض .

توجيهات الآيات :

١- الأمر بالتقوى التي هي رأس مال المسلم بفعل المأمور وترك المحظور .

٢- الإحسان في الدنيا بالتمسك بالمنهج الحق كما ورد، يقتضي الإحسان إلى أهله في الدنيا وفي الآخرة سواء، فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

٣- أرض الله عز وجل واسعة، فمن تعذر عليه عبادته في أرض رحل عنها وهاجر منها، إلى حيث يمكنه عبادة ربه كما ينبغي .

٤- عظم أجر الصبر، وعاقبته الحسنة في الدنيا وفي الآخرة، يستوفي الصابر أجره يوم القيامة حتى يرضى، فكما أن الصبر لا حدود له، كذلك جزاؤه لا حدود له .

٥- الأمر بعبادة ربنا جل وعلا كما ينبغي، بإخلاص وتجرد من الشرك، وباستسلام تام له، وأول من خوطب بذلك هو رسول الهدى ﷺ، صاحب الإيمان الكامل، ليكون قدوة حية، ماثلة لكل من سواه من البشر، من باب أولى .

٦- الخوف من يوم القيامة وما فيه من عقاب أليم، يستوجب اتقاء الصيرورة إلى ذلك المصير .

٧- وجوب إخلاص العبادة لله جل في علاه، وترك الشرك بكل صوره وأشكاله، فرأس الأمر صلاح الإنسان نفسه، واشتغاله بها دون غيره من الناس .

٨- كل إنسان محاسب بما عمل واقترف، فويل للمشركين من البوار والخسران يوم القيامة، وأعظم الخسران هو خسران النفس والأهل .

٩- نار جهنم طبقات (دركات) فوق بعضها، يعذب أهلها من فوقهم ومن تحتهم لمزيد إيلامهم .

١٠- تتحقق التقوى بفعلين اثنين هما : فعل المأمور، واجتناب المحظور .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا

﴿ يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ . جملة (أرض الله واسعة)، دالة على أن من تعذر في أرض رحل إلى غيرها، لعله يفتح عليه فيها من رزق، وفضل الله عز وجل في كل مكان، ومن طلبه وفق لما قدر له منه .

٢- إشارات : جاء في الآيات (١١-١٥) قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ . تكرار الأمر بالإخلاص في عبادة الله جل شأنه، مقترناً بالتخويف من العصيان، دلاله على غاية الإخلاص الحق، لمستحق العبادة لا سواه . وأخرى منزلة الأهل من الإنسان عظيمة ولا ريب، يأنس بهم ويسكن إليهم في الدنيا، وتكمل فرحته وسروره بهم في الآخرة .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ ﴾ . التخويف بالشيء قبل وقوعه، من أبلغ النذارات ولا شك، ليتقي الإنسان الصيرورة إلى العاقبة الوخيمة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عبادِ . عباده : سبق الإيضاح .

٢- الصابرون : جمع صابر، من تحمل البلاء والمشاق و لم يجزع .

٣- المسلمين : جمع مسلم، كل من أسلم وجهه لله تعالى واستسلم له وانقاد لمراده، وخلص من الشرك من كل وجه .

٤- يوم عظيم . يوم القيامة : من أسماء يوم الدين .

٥- الخاسرون : جمع خاسر، من خاب سعيه في دنياه وأخراه .

٦- أنفسهم . أهليهم : سبق الإيضاح .

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترهيب وترغيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه مآل عباده الذين اجتنبوا عبادة الأصنام والأوثان، وأنابوا إليه مستسلمين، فبشرهم يا رسولنا الكريم بالجنة والثواب العظيم، لأنهم كانوا يصغون لصوت الحق مذعنين، فهديناهم لمرادنا وهدتهم

عقولهم الراجحة إلى الحق المبين، وليس شأنهم بحال كمن حق عليه العذاب لكفره وعناده، وما كنت لتهديه يا رسولنا الكريم وقد حق عليه القول جزاء إعراضه، أما أولئك المتقين ففي نعيم الجنة، في غرف مبني فوقها غرف، تمر من تحتها الأنهار زيادة لهم في النعيم والبهجة، وعد الله تبارك وتعالى لكل من آمن به، وصدق ما جاء في كتابه العزيز، سبحانه لا يخلف الميعاد .

غريب الكلمات :

- الطاغوت : كل ما عبد من دون الله تعالى، من وثن أو صنم أو جماد، أو إنسان وهو راضٍ .
- أولوا الألباب : سبق الإيضاح .
- غرف : جمع غرفة، منازل عليَّة في الجنة .

توجيهات الآيات :

١- عبادة الله سبحانه والإنابة إليه، واجتناب عبادة الطواغيت، بهما تكون النجاة والفوز والفلاح .

٢- البشارة حافز لمن بُشر بها، وبشارة الله جل جلاله لخلقه، أكبر حافز ولا ريب يدفعهم إلى تحقيق ما طلب منهم، للظفر والفوز بما بشروا به من ربهم الكريم .

٣- من علامات الهداية الحقيقية، الانقياد لمراد الله جل ذكره، والإنصات لما طلب من خلقه، ومن ثم تطبيقه بالضبط، ولا يحقق ذلك إلا من كان ذا لب وعقل راجح فعلاً .

٤- ويل لمن حق عليه العذاب، ما له من منقذ ينجيه من العذاب الأليم .

٥- التقوى سبيل النجاة والظفر بالجنة، بفعل المأمور وترك المحظور، تكرر ذكرها والأمر بها كثيراً في القرآن الكريم .

٦- في الجنة غرف مبني فوقها غرف، دالة على أنها أدوار متعددة الله سبحانه بها عليم .

٧- في الجنة أنهار عدة، تجري من تحت بيوت ساكنيها وقصورهم، لمزيد من المتعة والنعيم المقيم .

٨- لا يخلف الله سبحانه ميعاده الذي قطع لعباده، فهنيئاً لمن التزم بما أراد تعالى وفاز بوعده .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآيات (١٧-١٨) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ . لفظ (الطاغوت) جاء مفرداً، ولفظ

عبادتها جاء جمعاً (أن يعبدوها) ليدل على أن عبادة كل الطواغيت سواء، خطأ كبير وكفر وشرك عظيم، أياً كان الطاغوت المعبود من دون الله جل جلاله . ولطيفة من علامات الهداية استماع أحسن القول، والانقياد لمضمونه الحق، ومن علامات الضلال الاعراض عن ذلك والانصراف عن الحق .

٢- إشارة : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾ . محال هداية من كتب عليه الشقاء، حتى الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كان من ذويهم من مات على الشرك والكفر، حتى رسول الهدى خوطب بذلك في شأن عمه (أبو طالب) بقوله تعالى في سورة القصص : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عبادِ . أولوا الألباب : سبق الإيضاح .

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ
لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾
ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ
فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾

– (استفهام تضمن توجيهاً بترغيب وترهيب) : بعد تأصيل العقيدة، جاء لسان الإعجاز ليؤكد صدق هذا الدين الحق، مبيناً سبحانه بصيغة الاستفهام التقريري، ألم تروا للغيث الذي أنزل جل شأنه لعباده، فاختزنته الأرض في جوفها، ثم نبع منها في أماكن مختلفة، يخرج به أنواع الزرع والنبات متنوع الأشكال، فيمكث ما شاء الله تعالى له خضراً نضراً، ثم ييبس ويصفرّ ويتفتت، كذلك هو حال الناس عبر دورة الحياة، موعظة كبرى يدرك حقيقتها أصحاب العقول الصافية، فتفكروا يا هؤلاء ! أحال من شُرح صدره للحق فأشعَّ نوراً، كمن قسى قلبه فلم يرى ذلك النور متحيراً في ظلمة الضلال، ها قد أنزل سبحانه عليكم كتابه الحجة البالغة، أحسن الحديث يشبه بعضه بعضاً في تعاليمه وحكمه، تكرر ذكر قصصه

ومواعظه وعبره، تخشع له قلوب المؤمنين الصادقين وتطمئن نفوسهم وجوارحهم وتستكين، لما فيه من حق ظاهر يؤثر حال سماعه في الأبدان، فتوقن بعلو شأنه، وتلك دالة على الهداية الربانية لمن أراد جل شأنه، ممن علم صلاح سريرته، أما من علم فساد سريرته وأضله على علم فما له من هادٍ مطلقاً، ومحال أن يتساوى من كان صالحاً موقناً قانتاً، بحال المعرض المكذب المشكك الظالم لنفسه، الذي يجيء يوم القيامة في أغلاله يتقي النار بوجهه، جزاء ما كانوا يكسبون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- سلكه : أدخله في جوف الأرض، وأجراه عبر مجاري ومسالك متفرعة في باطنها .
- ينابيع : جمع ينبوع، عيون تتفجر وتخرج الماء من باطن الأرض، حيث أراد سبحانه .
- يهيج : ييبس ويتفتت .
- متشابهاً مثاني : يشبه بعضه، متكرر الورود، لما فيه من قصص وأحكام وإعجاز وآداب .
- تقشعر : تخشع وتخضع إجلالاً له .
- يتقي بوجهه : يتحاشاها بمقدمة وجهه .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- دعوة للتدبر والتفكر والتأمل، ولفت النظر لصور الإعجاز في القرآن الكريم الكثيرة والمتنوعة .

٢- الماء والكلأ من جملة أهم مقومات الحياة الدنيا، وهبها سبحانه لخلقه من غير تعب أو عناء .

٣- الماء المخزون في باطن الأرض أصله من المطر، يبعثه الله تعالى فينبع من حيث شاء، ليسقي به من شاء من خلقه .

٤- يمر النبات بدورة كاملة من حيث بداية الإنبات، إلى مرحلة النضج، ثم الاصفرار ومن ثم اليبوسة والتفتت .

٥- أهل العقول الرواجح تدرك حقائق الأمور، المرئية وغير المرئية .

٦- الإسلام نور مبين حقاً، يشرح سبحانه صدر من شاء من خلقه له، ممن علم سلامة سريرته وصلاحها، وويل لأصحاب القلوب القاسية المريضة، فاسدو السريرة، متحيرون في ظلمة الضلال المبين ودواماته .

٧- ذكر الله تعالى يرقق القلوب، ويمنحها الطمأنينة والسكينة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي والميت**)[متفق عليه] .

٨- القرآن الكريم كتاب مبين، وحديث قويم يتلى متجدداً، كلماته متشابهة الأهداف والأغراض، يؤثر في القلوب والأبدان، لما فيه من لسان حق ناطق يثير الشعور فتنفعل له الجوارح، وتتلذذ بذكر الله تعالى شأنه،

وتألفه وتطمئن له، هادياً إلى الحق المبين، إلا من كتب الله جل في علاه عليه الشقاء والضلال في الدنيا، اشمأز منه ونفر عنه، و لم يقبله قلبه المظلم، المنحرف عن الحق .

٩- الهداية والضلال تبدأ من الإنسان نفسه، فمن شاء سلك طريق الهدى فيعينه الله تعالى ويوفقه لمراده، ومن شاء سلك طريق الغواية فيعينه سبحانه عليه ويوفقه لمراده .

١٠- ويل للظالمين الكافرين المكذبين جزاء ما كسبوا، يوم يتقي أحدهم النار بوجهه، من شدة حرها، حين يلقى فيها، فيكون الوجه أول ما يلامس النار ويلجها .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢١) قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ ﴾ . نزول الماء من السماء، فتفرقة ودخوله في جوف الأرض، فخروجه ينابيع، فخروج الزرع به مختلف الأنواع والألوان، يبقى نضراً فترة ينتفع الناس به، فيبوسه وتفتته، تلك دورة كاملة له في الحياة الدنيا، كذلك هو شأن الإنسان فيها بالضبط .

٢- إشارات : جاء في الآية (٢٢) قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ . شرح الصدر بالإسلام وإنارته بنور ربه، هبة منه جل شأنه، أما الضلالة فعن قسوة قلب ليست منه عز وجل . وأخرى الحديث عن الصدر، يكون بشرحه وضيقه ويصاحبه نور وظلمة، أما الحديث عن القلب، فقسوة ومرض وانصراف، أو لين وإخبات وخضوع .

٣- إشارات : جاء في الآية (٢٣) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ . سمي القرآن الكريم حديثاً، دلالة على أنه يتلى ويتحدث به الناس ويتردد على ألسنتهم . وأخرى سماع القرآن الكريم يولد القشعريرة من حيث لا يشعر الإنسان، دالة على أنه ليس ككلام البشر المعتاد، في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يقول الرب عز وجل : من شغله القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه**)[الترمذي والدارمي] . وفي رواية : (**فضل القرآن**

على سائر الكلام كفضل الرحمن على سائر خلقه)[البيهقي في شعب اليمان] .

٤- إشارة : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ . الوجه أكرم الأعضاء، يتقي الإنسان وجهه في دنياه بسائر أعضائه، لكنه في الآخرة به يذل ويهان ويعذب، حين يكون وجهه أول ما يلج النار .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- أولي الألباب . يوم القيامة : سبق الإيضاح .

٢- الظالمين : سبق الإيضاح .

﴿ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ

بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

- (تخويف تضمن بياناً بضرب مثل) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه حال المكذبين ممن سبق من الأمم، حين أتاهم العذاب قبل أن يستعدوا له وهم غافلون، فأذاقهم الذل والهوان في الدنيا، ولهم يوم القيامة العذاب الأكبر الأليم، جل شأنه قد ضرب أمثله متنوعة لخلقه في هذا القرآن الكريم لعلهم يتعظون ولها يتفطنون، بلسان عربي مبين لا خلل فيه ولا نقض ولا لبس لعلهم يسمعون ويعقلون، من جملتها ذكر مثلٍ لعبد يملكه جمع من الناس مختلفون فيما بينهم قد شقي بتنازعهم، وآخر يملكه رجل واحد لا شريك له فيه منقاد له، هل يستويان ! كذلك هو شأن من عَبَدَ الله وحده، وشأن من عَبَدَ الله وأشرك معه غيره، هل يستويان في التوحيد والطاعة، الحمد لله الذي بيَّن الحق للخلق، وإن كان أكثرهم لا يعلمون، فخبِّرهم يا رسولنا الكريم عن حقيقة الإيمان، فمكثك فيهم قليل، ثم إنك ميت وهم ميتون، والجميع إلى ربهم راجعون، وبين يديه مجتمعون، وعما جرى بينكم في دنياكم تختصمون .

غريب الكلمات :

- الخزي : الذل والهوان والبوار والخسران .

- ذي عوج : لبس واضطراب وخلل وزلل .
- سلماً : متوافقاً خالصاً له .

توجيهات الآيات :

١- الكذب عاقبته وخيمة، فويل لمن كذب بالدين، وما جاء به المرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٢- كافة الأمم السابقة التي كذبت المرسلين عليهم الصلاة والسلام، حاق بهم العذاب في الدنيا، فجأة بعد طول إمهال، ولهم يوم القيامة العذاب الأكبر لو كانوا يعلمون، فعذاب الدنيا لا يعفي المجرمين من عذاب الآخرة أبداً .

٣- في القرآن الكريم، ضربت للناس أمثال كثيرة، متنوعة الصور وبشتى الطرق، لعلهم بها ينتفعون، ويتفكرون ويعتبرون، والمقصد الرئيس من كل ذلك تقريب الحقائق للأفهام .

٤- نزل القرآن الكريم باللغة العربية، الصافية والواضحة، التي لا لبس فيها ولا خلل ولا زلل، وهي أوسع اللغات وأوعبها وأكبرها وأكثرها، لأنها لغة القرآن الكريم، فكانت خالدة به .

٥- من جملة أمثال القرآن الكريم، هل يستوي عبدٌ له سيد واحد، قد خلُص كلاهما لصاحبه، كعبد له أكثر من سيد، يتنازعون فيما بينهم أيهم يخلصه لنفسه، كلا قطعاً .

٦- محال أن يستوي المشاكس والمسالم، في كل شؤون حياتهم، وكذا في مصيرهم المحتوم .

٧- أكثر الناس لا يتفطنون للحقائق، ولا يدركون مكنونها، في غفلة من حقيقة أمرهم .

٨- الموت حق، وقد كتب على بني آدم عليه السلام، لكل منهم أجل محتوم لا يتجاوزه .

٩- للخلق يوم معلوم يبعثون فيه من قبورهم للقاء ربهم العظيم، للجزاء والحساب والعقاب .

١٠- يختصم الخلق عند ربهم يوم القيامة، فيما كانوا فيه يختلفون في دنياهم .

١١- النون في قوله تعالى (ضربنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ . إذا جهل أكثر الناس التفريق بما ضرب من مثل في الآية على وضوحه، فكيف بهم في التفريق بين أمور هي أخفى

من ذلك في عالم حقيقة، فيه دليل على أن أكثر الناس لا وعي له يرشده، ولا فهم يسعده . وأخرى الفهم نعمة كبرى تستوجب الحمد لله سبحانه، وشكره عليها .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ . يختصم الخلق يوم القيامة فيما بينهم، فهو يوم عظيم قائم على المشاحة فيما بين الخلق، فليحذر المسلم إذن من عاقبة الخسران والإفلاس فيه، وليتحلل من مظالم الناس . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**)[البخاري] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الناس . رجلاً . رجل : سبق الإيضاح .

٢- شركاء : جمع شريك، من قاسم غيره في شيء ما، يملكونه سواء .

٣- متشاكسون : جمع متشاكس، وهو المتنازع غير المتوافق، المخاصم لغيره فيما يملكون .

٤- ميت . ميتون . يوم القيامة : سبق الإيضاح .

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ
أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ
وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ
رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى
عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ
وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ
مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

- (تخويف تضمن توجيهاً بترغيب وترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه أن أظلم الناس لنفسه من كذب على ربه مشركاً به، وكذَّب بما جاء به رسوله ﷺ، من خبر الإيمان والبعث والنشور، ويل لهم جهنم يصلونها وبئس المصير، أما رسول الهدى ﷺ ومن آمن معه فأولئك هم المتقون، لهم الثواب والرفعة والجنان والدرجات، وتكفير ما اقترفوا من سيئات، جزاء كونهم محسنين، وسيجزيهم بأحسن أعمالهم الصالحات التي كانوا يعملون، فاطمئن يا رسولنا الكريم وطِب نفساً، أليس الله القدير بكافيك مكرهم وشرورهم !، سبحانه قد أضل من علم

فساد سريرته فما له من هادٍ، وهدى من علم صلاح سريرته فما له من مضل، ثم أليس هو العزيز الذي لا غالب له، المنتقم من كل من عاداه ! بلى، ذلك هو الحق والصدق .

غريب الكلمات :

- مثوى : مأوى ومرجع، ومصير يصيرون إليه .
- بكافٍ عبده : بناصرٍ نبيه الكريم ﷺ على أعدائه وخصومه .

توجيهات الآيات :

١- أظلم الناس من افترى على الله تعالى، وكذب بالحق لما جاءه، ووقف منه موقف المعارض له، بما ما أمكنه من وسائل وطرق وأساليب، ويل له من النار، هي مثواه وبئس المصير .

٢- التصديق بالحق والانقياد له، ومناصرته بما أمكن، من علامات التقوى والإحسان، لهم عند ربهم ما يشاءون في نعيم الجنان . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**)[مسلم] .

٣- البشرى للمتقين المؤمنين المحسنين، في الحياة الدنيا وفي الآخرة، بتكفير سيئاتهم مهما كانت، وفوق ذلك الجزاء الحسن بأفضل صالحاتهم التي كانوا يعملون .

٤- لا عاصم للخلق إلا الله جل في علاه، النافع الضار، الكافي من كل شر وسوء وبلاء .

٥- من عظَّم الله تعالى لم يخف من غيره مهما كان، ولا يخاف من غيره إلا فارغ القلب الحيران .

٦- لا هادي ولا مضل إلا الله جل جلاله، يهدي من طلب الهداية بحق وصدق . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**)[مسلم] .

٧- إن الله عز وجل عزيز لا يغلب، ينتقم من المجرمين الظالمين وإن تأخر الجزاء، سبحانه يمهل ولا يهمل، فويل لمن فرط و لم يستعد للقائه .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٣٤-٣٥) قوله تعالى : ﴿ **لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾** ﴾ . تكفير أسوأ السيئات يقتضي تكفير ما هو دونها في

الوزر من باب أولى، والمجازاة بأحسن الصالحات يقتضي التجاوز عما هو دونها في الأجر من باب أولى، والعفو عن التهاون والتفريط والتقصير، وتلك ولا شك من واسع رحمات ربنا جل وعلا .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣٦) قوله تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ . لفظ السياق (بكافٍ عبده) وليس نبيه أو رسوله ﷺ، ليدل على أن الله جل جلاله كافٍ كل عبد من عبيده من خلقه، ممن اعتصم به ولجأ إليه حقاً، وليس ذلك للأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام وحسب .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الكافرين . المتقون . المحسنين : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

– (استفهام تضمن بياناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه بصيغة الاستفهام التقريري، لئن سألتهم يا رسولنا الكريم، من الذي خلق السموات والأرض، سيجيبونك الله، فقل لهم أرأيتم الذين أشركتم به، أيستطيعون النفع أو الضرر إن أرادني ربي بخير أو بشر !، أليس هو حسبي في كل أموري وأحوالي، عليه التوكل والمعتمد لا سواه، فإن لم يرعووا فقل لهم أعملوا ما شئتم فإن عامل ما شئت، فسوف تعلمون حين يحيق بكم عذاب الخزي في الدنيا، وحين يحل بكم العذاب المقيم في الآخرة، جرَّاء تكذيبكم وإعراضكم، وما أنت يا رسولنا الكريم إلا منذر لهم، قد أنزلنا عليك القرآن الكريم، بما فيه من حق مبين لكافة الناس، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فعليها، ما أنت بملزم أحداً ليؤمن أو يكفر، حسبك أنك مبلِّغ عن ربك الكريم دينه القويم .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١– إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، ويقينهم أنه لا قادر في الكون ولا مدبر له إلا الله تعالى، لا يكفي؛ إذ لا بد من توحيد الألوهية ليكمل إيمانهم .

٢- علمهم التام بعجز ما يعبدون من آلهة ومعبودات لا تعي ولا تعقل، وأنها لا تملك الضرر ولا النفع، فضلاً عن أن تحجزها عن أحد من البشر أو تمنعها عنه .

٣- الله سبحانه هو الحسيب وهو الوكيل، الذي عليه المعتمد في كل الأحوال لا سواه، وعليه ليتوكل المتوكلون حقاً .

٤- كل إنسان له مطلق الحرية في عمل ما شاء في دنياه، لا مكره له ولا سلطة ترغمه على فعل ما لا يريد . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار، قالوا : يا رسول الله فلم نعمل ؟ أفلا نتكل ؟ قال : لا، اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ :** ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾)[مسلم] .

٥- قد يحاسب الإنسان في حياته على ما عمل، وقد يؤخر عنه، لكنه يوم القيامة سيؤاخذ عما قدم من عمل حتماً، لا ظلم عليه أبداً .

٦- إنزال القرآن الكريم على رسول الهدى ﷺ، بمراد ربنا تعالى من خلقه، ليعملوا بمنهجه الحق، وشرعه الصدق، وتعاليمه وحدوده وأحكامه .

٧- الهداية والضلال، يقع نفعهما وضررهما على الإنسان نفسه، هو الرابح في الدارين إن أحسن، وهو الخاسر في الدارين إن أساء .

٨- ما على الرسول الكريم ﷺ إلا البلاغ عن ربه العظيم، لا سلطة إرغام له على أحد من الخلق، هداية أو إضلالاً إطلاقاً .

٩- النون في قوله تعالى (إنا أنزلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٣٨) قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . يقر المشركون بقدرة خلق السموات والأرض، لله جل شأنه إذ لا مماراة في القدرة العليا إطلاقاً، لكنهم في قدرة النفع والضرر يشركون به ومعه، لإمكانية التشكيك في الأمر بحسب تصوراتهم، فأقام سبحانه عليهم الحجة، ألتلك الآلهة قدرة على كشف الضر أو إمساك الرحمة ! كلا قطعاً .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣٩) قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ . لا بد من

العمل في الحياة، لما يصلح للإنسان دنياه بالسعي لتحصيل المعاش، ولما يصلح له أخراه بالعمل الصالح الموصل إلى نعيم الجنات .

٣- إشارة : جاء في الآية (٤١) قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ . عوائد الهداية في الأصل تأتي لصالح النفس (اهتدى لنفسه) فتنجو، وعوائد الضلال تأتي عليها (يضل عليها) فتهلك .

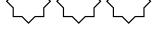

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المتوكلون : جمع متوكل، من اعتمد على الله تعالى ولجأ إليه، فكان سبحانه حسبه وحسيبه، ووليه ووكيله ونصيره .

٢- قوم . الناس . نفس : سبق الإيضاح .

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ

ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ
قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ
إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه أنه هو الذي يتوفى الأنفس في منامها، الوفاة الصغرى، والتي لم يكتب عليها الموت يبعثها من جديد إلى يومها الموعود، عبرة كبرى لمن أعمل عقله وتفكر وتدبر، ألا يعقل أولئك ما يسمعون، أم اتخذوا شركاء من دون الله تعالى شفعاء لهم، كيف وهي جمادات لا تعي ولا تعقل، ألا يعقلون ما يفعلون، لا خالق ولا مالك إلا الله جل وعز ولا شفاعة إلا له وبإذنه ورضاه، وإليه يوم القيامة ترجعون، فما لأولئك الكافرين منكري البعث إذا ذكر الله العظيم انقبضت قلوبهم ومنه نفرت، وإذا ذكرت آلهتهم التي يعبدونها يفرحون ويسرون، قل لهم يا رسولنا الكريم الله ربي خالق السموات والأرض وحده لا شريك له، عالم الغيب والشهادة لا سواه، حاكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، يوم يرجعون إليه ويقفون بين يديه، يفصل بينهم حينها بالحق وهم لا يظلمون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- فيمسك : يقبضها إليه .
- قضى : كتب عليها الموت .
- يرسل : يردها إلى جسدها، فتبعث من جديد .
- شفعاء : جمع شفيع، وسيط يسعى لمصلحة صاحبه، ويراد به هنا من يجيرهم من العذاب .
- اشمأزت : نفرت واضطربت وتشاءمت .
- فاطر : خالق ومبدع على غير مثال سابق .

توجيهات الآيات :

١- النوم موت أصغر، فيه يتوفى الله تعالى النفوس التي كتب عليها الموت، والتي لم يحن أجلها بعد يرسلها مرة أخرى للحياة، إلى حين أجلها المحتوم، مما يعني وجوب الاستعداد للقاء الله جل شأنه قبل أن ينام الإنسان، لعله لا يستفيق من نومته تلك . عبرة للمعتبرين حقاً .

٢- اتخاذ الشفعاء من دون الله جل وعلا، ضرب من الجنون، إذ لا قادر على التصرف في الكون، في الحقيقة وعالم الواقع سواه، فضلاً عن كونها جمادات صماء مجردة من الحس أصلاً .

٣- لا شفاعة مقبولة يوم القيامة إلا بالله العلي العظيم، وبرضاه جلت عظمته عن الشافع ليشفع في خلقه، وعن المشفوع ليُشفع فيه . في الحديث

النبوي الشريف قوله ﷺ : (**فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار : بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقواماً قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة، يقال له : ماء الحياة، فينبتون في حافتيه كما تنبت الحبة في حميل السيل**)[البخاري . وامتحشوا : احترقت جلودهم] .

٤- لله جلت عظمته ملك السموات والأرض وما ومن فيهما، له مطلق التصرف في مخلوقاته، الذين ليس لهم أدنى شيء من ذلك، وإليه المرجع والمصير المحتوم .

٥- القلوب الحية تطمئن بذكر الله تعالى شأنه وتستكين، وتفرح وتبتهج بذلك، بخلاف القلوب الميتة والمريضة، التي تنفر وتضطرب من ذكره سبحانه، وتبتهج وتسر بذكر من سواه من معبودات اتخذوها من لدنهم، معتقدين نفعها وضررها .

٦- كل إنسان يعظم معبوده ويقدسه، وإن كان مجرد ضلال محض لا قيمة له حقيقة، لأنه يؤمن به ويطمئن إليه، ولو كان جماداً، وحقيقة الأمر لأن ذلك يرضي نزوع التدين من نفسه، وهذا دليل قوي على ضرورة وجود الدين في حياة البشر .

٧- الله العظيم، خالق الكون بما فيه، وعالم غيبه المطلع عليه، يحكم بين عباده في الدنيا، وسيحكم بينهم في الآخرة، فيما كانوا فيه يختلفون من أمور الدين .

٨- يختلف الخلق فيما بينهم في أمور كثيرة من شؤون حياتهم، بحسب تقديراتهم وتصوراتهم، لكن الحقيقة تبقى واحدة لا خلاف فيها مطلقاً .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٤٢) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ . في النوم يكون الإنسان قريباً من الموت، لذا قد يرى في منامه حقائق ورُؤى مبشرة ومنذرة، وإن كان فاسقاً أو كافراً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها المسلم، أو تُرى له**)[مسلم] .

٢- إشارة : جاء في الآيات (٤٣-٤٤) قوله تعالى : ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ . تطلب الشفاعة ممن يملكها جل جلاله، لمن رضي عنه ومنحه تلك الفرصة، ممن رضي عنه سبحانه أيضاً، فكيف تطلب من جمادات لا تعي ولا تعقل، فضلاً عن أن تشفع لمن لا يستحق ! .

٣- إشارة : جاء في الآية (٤٦) قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ . يحتاج المسلم في دنياه أن يلجأ إلى ربه وخالقه ليقويه ويعينه، وفي كل وقت وحين . في الحديث النبوي الشريف عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (**كان ﷺ إذا قام من الليل افتتح صلاته : اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**)[مسلم] . فإذا كان رسول الهدى ﷺ يقول ذلك، ليعصمه ربه ويحفظه، فكيف بمن سواه من عامة الناس ! .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- النفس . أجل مسمى : سبق الإيضاح .

٢- قلوب : جمع قلب، المضغة التي في الصدر، وهو سيد الأعضاء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)[متفق عليه . مضغة : قطعة لحم] .

٣- عبادك : جمع عبد، سبق الإيضاح .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

- (تخويف تضمن بياناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مخوفاً سبحانه خلقه بيوم القيامة والحسرة والندامة، ويل للظالمين فيه، لو أن لأحدهم ضعف ملك الأرض ليقدمه فداءً ما نجا فيه من العقاب، حين يُذهلون من رؤية هول ما كانوا يوعدون، من سوء العاقبة والعذاب، جرّاء كفرهم وتكذيبهم واستهزائهم بأمر الدين والبعث والنشور، متفاخرين في رخائهم بما في أيديهم من نعم، وما أكثر الذين ينسبون الخير الذي هم فيه

إلى أنفسهم، لكنهم في الشدائد مباشرة إلى ربهم يضرعون، وما هم بمعجزينا أبداً بل عن قريب سيصيبهم سوء ما كانوا يعملون، والله جل جلاله هو الرزاق للخلق أجمعين، عبرة وموعظة حقاً، يعلم صدقها المؤمنون صدقاً .

غريب الكلمات :

- لافتدوا : لقدموه فدية، تدفع عنهم العذاب .
- بدا : ظهر لهم، فهالهم المنظر من شدته .
- حاق : أحاط بهم من كل جانب .
- مس : أصابه ونزل به .
- خولناه : منحناه ووهبناه .
- ويقدر : يقلله ويضيقه عليه .

توجيهات الآيات :

١- لا فداء للكافر يوم القيامة من العذاب، مهما كان الفداء عظيماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً : لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به ؟ قال : نعم، قال : فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم، أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك**)[متفق عليه] .

٢- هول العذاب يوم القيامة، الذي لم يكن يتصور عظمته وشدته، الكفار والفجار . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنته أحد**)[مسلم] .

٣- الإيمان والعمل الصالح هما المنجيان لصاحبهما، أما الذنوب والمعاصي، فلها شؤم وخسران ووبال في الدنيا، وعاقبة سوء وخيمة يوم القيامة .

٤- الإنسان بطبعه جهول، متى مسه الضر ضرع إلى ربه مباشرة، ليقينه أنه لا نافع ولا ضار إلا هو جل في علاه، لكنه متى زال عنه السوء والبأس، وتقلب في النعم، نسب ذلك إلى نفسه وقدراته وطاقاته، بكل جرأة وسوء أدب مع ربه العظيم، وكأنه هو الفاعل القادر حقاً، وليس توفيقاً وتمكيناً من الله جلت قدرته .

٥- كل من تجاهل صوت العقل وخضع لربه وخالقه، وطغى وبغى وظن نفسه القادر الفاعل، جرى عليه أمر الله تعالى بالعذاب والخزي والوبال، بأبسط طرق العذاب الأليم في دنياهم، فضلاً عما ينتظرهم من عقاب أليم في أخراهم .

٦- لا أحد بمعجز الله تعالى إطلاقاً، الكل في قبضته وفي حكمه، وتحت سيطرته وتصرفه، يفعل الله ما يشاء سبحانه .

٧- قد تسلط الأقدار والمصائب على العبد، بما كسب من ذنوب وآثام وعمل فاسد، ويدَّخر له عذاب آخر يوم يلقى ربه العظيم في الآخرة .

٨- سبحان ربنا العظيم، الرازق لخلقه أجمعين لا سواه، فيوسعه على من شاء لحكمة، ويضيقه على من شاء لحكمة، ولا يعي حقيقة ذلك إلا من تشرَّب قلبه بالإيمان واليقين .

٩- النون في قوله تعالى (دعانا، خولناه، نعمة منا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٤٧-٤٨) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ . سوء الأعمال يعرض الإنسان لعذاب عظيم في الآخرة، لم يكن في دنياه يتصور هوله وعظمه وشدته، وما ذاك إلا لوخامة سوء فعاله وتصرفاته . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث**)[مسلم] . وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (**ما بين منكبي الكافر في النار، مسيرة ثلاثة أيام، للراكب المسرع**)[مسلم] .

٢- إشارة : جاء في الآية (٤٩) قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ . في الآية الأولى رقم (٨) جاء السياق بصيغة المفرد (دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه) لأن الحديث كان عن الله سبحانه وتعالى والشرك به، وفي هذه الآية جاء السياق بصيغة الجمع (دعانا ثم إذا خولناه نعمه منا) لأن الحديث عن الإنسان وموقفه من النعم .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٥٠) قوله تعالى : ﴿ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ . من السنن الكونية تناقل الأمم والشعوب وتوارثها ما قاله السابقون من أفكار وعقائد، وقد يتأثرون بها وتصبح من جملة معتقداتهم وأفكارهم هم .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٥٢) قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ . الرزق لفظ يطلق على كل ما منحه الله جل وعلا لعبده، من مال، وجاه، وعقل، وحكم، وفكر، وعلم، وقدرات، ومعرفة، وما إلى ذلك، ليس الأمر حكراً على المال وحسب .

٥- إشارة : جاء في الآية (٤٧،٥١) قوله تعالى : ﴿ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ ﴾ . تكرر هذا اللفظ في هذ المقطع ثلاث مرات، مرة في شأن السابقين الهالكين خزياً لهم وجزاءً، ومرة في شأن المخاطبين تخويفاً لهم بالصيرورة إلى ذات المصير، ومرة بوجه عام في شأن الجميع، اتقاء غضب الله سبحانه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يوم القيامة . الإنسان : سبق الإيضاح .

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّـٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ

لَوۡ أَنَّ لِي كَرَّةٗ فَأَكُونَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَتۡكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبۡتَ بِهَا وَٱسۡتَكۡبَرۡتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بترغيب) : بعد الترهيب جاء الترغيب، منبهاً سبحانه عباده المسرفين على أنفسهم بالذنوب والمعاصي، من اليأس من رحمته ومغفرته، فهو الغفور لهم الرحيم بهم، آمراً إياهم المسارعة بالتوبة والرجوع إليه والاستسلام لمراده قبل فجأة العذاب والخذلان، والمبادرة باتباع القرآن الكريم المتضمن شرعه القويم، أحسن منهج حق وُضع للخلق، قبل حلول العذاب وهم عنه غافلون، لا ينفع نفس حينها الندم على ما فات، والتحسر على التفريط والاستخفاف بأمر الدين حتى فجأة الممات، قائلة لو أني للحق هُديت واتقيت ربي وإليه سعيت، أو لو أن لي رجعة فأحسن فيها العمل، وأتدارك ما كان مني من خطأ وزلل، فقد خاب من استكبر، وخسر من بدين ربه كفر .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– أسرفوا على أنفسهم : غرقوا في الذنوب والمعاصي والآثام، وأفرطوا في اقترافها .

– لا تقنطوا : لا تيأسوا من رحمته سبحانه .

– وانيبوا : ارجعوا إلى ربكم تائبين مستغفرين .

- بغتة : فجأة لم تكن في حسبانكم .

- في جنب الله : في طاعته وعبادته، والالتزام بأمره، وتطبيق منهجه، والانقياد لمراده .

- كرة : رجعة أخرى أستدرك فيها أمري .

توجيهات الآيات :

١- كتب النقص على البشر لا يخلو من ذلك أحد أبداً، وكلهم معرضون لاقتراف الذنوب والمعاصي، والإسراف على أنفسهم بالآثام . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**)[مسلم] .

٢- شرع الله عز وعلا التوبة لخلقه، وكل ذنب يغفر مهما عظم، فيجب ألا يقنط من رحمته أحد، مهما كانت ذنوبه ومعاصيه، فهو الغفور الرحيم دوماً وأبداً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف**)[أبو داود والترمذي] .

٣- وجوب المبادرة بالتوبة والإنابة إلى الله تبارك وتعالى، والاستسلام لمراده على الدوام، قبل فجأة الموت وحلول العذاب .

٤- أنزل الله تقدس اسمه القرآن الكريم، بخير منهج حق للخلق، من تعاليم وتشريعات، وأمر عباده التمسك به واتباع ما جاء فيه وعدم مخالفته،

والحذر من معارضته فذلك يعني الهلاك، بالخزي في الدنيا، أو العذاب في الآخرة، أو بهما معاً .

٥- لا ينفع الندم والتحسر بعد فوات الأوان، بالتفريط في طاعة المولى عز وجل وعصيانه والبُعد عن دينه، والاستهزاء به في الدنيا، فذلك هو الوبال والخسران، والمفازة والفلاح في القرب منه سبحانه بطاعته، وعبادته كما شرع .

٦- الهداية من الله جل في علاه، ينالها كل من طلبها بصدق، ويوفق لها، وقد يبلغ منتهاها الحقيقي، ألا وهو التقوى . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**)[مسلم] .

٧- لا رجعة بعد الموت، ولا إقالة للكفار والفجار، والأولى بالإنسان حُسن استغلال الفرص التي تعرض له في حينها، وليس بعد فوات أوانها، ومن ثم التباكي عليها .

٨- يعلم الإنسان من نفسه ما إذا كان محسناً أم مسيئاً حقيقة، وحكمه على أفعاله منصفاً نفسه، أكبر دليل يرشده على اعتدال سلوكه، من انحرافه وعدم اتزانه .

٩- كل سبل الهداية أتيحت للناس في الدنيا، وكافة طرف وأساليب الفوز والفلاح هيأت للإنسان، والسعيد من عرف كيف يستغلها، والشقي من حرمها وصُرف عنها .

١٠- التكذيب والاستكبار، أكبر دواعي الكفر، تدفع الإنسان للإعراض عن الحق ومجافاته، ومعاداته للدرجة الأخيرة، وبكل الوسائل والسبل الممكنة .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٥٣-٥٥) قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ . حوت الآيات نهياً واحداً، و(٣) أوامر، جمعت أصول العبادة عامة، بحيث يبقى المسلم في دائرة طاعة ربه تعالى، لا تنقطع صلته به، وهي: (لا تقنطوا، وأنيبوا، وأسلموا له، واتبعوا) .

٢- لطائف : جاء في الآيات (٥٦-٥٨) قوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ

تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

ما أكثر الأماني التي يتمناها الظالم يوم القيامة، ويتحسر لعدم تحققها . وأخرى أولى الأمور التي يجب أن يشتغل بها الإنسان في دنياه، الاهتمام بأمر دينه (جنب الله سبحانه) المنعم المتفضل على خلقه بكل شيء، ومع ذلك أكثر الناس مفرطون فيه للأسف .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عبادي . أنفسهم . نفس . المحسنين . الكافرين : سبق الإيضاح .

٢- الساخرين : جمع ساخر، المستهزئ بدينه، المستخف بأمره تعالى .

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

– (تخويف تضمن بياناً بترهيب) : عاد سياق الحديث إلى الترهيب، مخوفاً سبحانه الذين افتروا عليه بالشرك معه وبنسبة الولد إليه؛ بعذاب أليم، يوم تسودُّ وجوههم جزاء تكبرهم وإعراضهم عن الحق، أما من آمن به واتقى فقد فاز، فلا سوء يمسهم ولا هم يحزنون، سبحانه من خالق عظيم، متصرِّف في كونه مدبِّر لشؤون خلقه، بيده مفاتيح الأمور ومغاليقها، كل من عاداه بالكفر كان من الخاسرين، فكيف تحرضوني على التمسك بدين آبائي والكفر به أيه الجاهلون، وقد أوحي إليَّ كما أوحي إلى الرسل من قبلي، أن الشرك محبط للعمل موجب للخسران، ولا نجاة إلا بعبادته وشكره جل ذكره المستحق لذلك، فما لكم لا تقدسونه وتنزهونه وتعظمونه حق التعظيم، والأرض يوم القيامة قبضته، والسماوات رغم عظمها مطوية بيمينه، سبحانه وتعالى كيف عنَّ لكم أن تشركوا به، والكون كله بمن فيه عاجز ومحتاج ومفتقر إليه .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– بمفازتهم : بفوزهم وظفرهم ونجاتهم .

- مقاليد : جمع إقليد، مفاتيح الخزائن والنعم والخيرات والبركات والرحمات ...

- ليحبطن : ليبطلن ويفسدن ويذهبن .

- قدروا الله حق قدره : عظموه حق تعظيمه، وقدسوه حق تقديسه .

- قبضته : قبضة يده الشريفة .

- مطويات : مجموعات ملفوفات مطبوقات .

توجيهات الآيات :

١- الحذر من الكفر والفجور، والظلم والتكذيب والاستكبار، وكل عمل سيء مشين، يستوجب الخزي وسواد الوجه يوم القيامة .

٢- التخويف بجهنم وما فيها أهوال عظام، قبل الصيرورة إليها، اتقاء مواقعتها .

٣- التقوى سبيل النجاة، والفوز في الدنيا والآخرة، والمصير المفرح في جنات النعيم .

٤- لا خالق للكون ولا مصرف ولا مدبر فيه إلا الله سبحانه، هو القائم عليه، والفاعل فيه، والمعتمد عليه، في كل الأحوال يلجأ الناس إليه .

٥- لله جلت عظمته مفاتيح السموات والأرض وخزائنهما، كل من والاه فتح عليه من كنوزهما ما شاء، بقدر ما يشاء، وكل من عاده خاب وخسر في الدنيا والآخرة .

٦- لا عبادة حقيقية تصرف إلا لله سبحانه، الذي خلق ووضع المنهج الحق، وأعد لأوليائه ولأعدائه ما يستحقونه من مصير، وما سواه من معبودات لا مناهج لها، ولم تأمر بشيء، ولم تَعِد بمصير معين لمن أطاع ولمن عصا، فذلك هو الجهل الذريع حقاً .

٧- الدين الحق وحي يوحى من الله جل وعز، إلى أنبيائه ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام .

٨- الشرك محبط للعمل، وموجب الخسران المبين، لأنه يخرج الإنسان من دائرة العبادة والطاعة والرضا إلى دائرة السخط والغضب، لغنى ربنا تبارك وتعالى عن الشرك مطلقاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري، تركته وشركه**)[مسلم] .

٩- معنى العبادة الحقيقي لا يصرف إلا لله عز وجل، وتلك أولى درجات شكره سبحانه، لما في ذلك من اعتراف للمنعم المتفضل على نعمه حقاً، التي تفوق الحصر . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**)[مسلم] .

١٠- ما عرف قدر الله تعالى ولا قدسه ولا عظمه حق التعظيم، من أعرض عن عبادته، وأشرك به وكفر بدينه ولم يسلم وجهه له، ولم يعرف أنه هو الذي يقلب الأمور كيف يشاء سبحانه . في الحديث النبوي

الشريف قوله ﷺ : (**يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**)[متفق عليه] .

١١- عظمة الله تفوق العقول تصوراً، فهذه الأرض بوسعها في قبضته يوم القيامة، وهذه السموات بعظمتها مطويات بيمينه، سبحانه كل شيء هين عليه، فكيف أشرك به من أشرك، وظواهر الإعجاز في الكون أكثر من أن تحصى، لمن تدبر صفحة الكون متأملاً بصدق .

١٢- الإيمان بأن لله جلت عظمته (يد يمين)، من غير تأويل أو تحريف أو تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تعطيل .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٦١) قوله تعالى : ﴿ وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ . كفى بالمفازة النجاة من السوء وعدم الحزن، والجنة وما فيها مزيد فضل من الله الكريم، المتفضل بها على خلقه .

٢- إشارة : جاء في الآية (٦٢) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ . سبحان ربنا العظيم، هو الخالق وهو الوكيل المتوكل بكل شيء، الذي يلي تصريف الأمور وتدبيرها، لذا كانت العبودية لله جل جلاله شرف وعزة، لأن العبد يأخذ خير سيده

ومولاه، وليس العكس كسائر العبوديات الأخرى، التي يأخذ المعبود خير عبيده وتابعيه .

٣- إشارات : جاء في الآيات (٦٤-٦٦) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ . العبادة أول منازل الشكر الحق لله سبحانه، الخالق الرازق الممتن على خلقه بالوجود والنعم والآلاء في الدنيا، ثم هو المتفضل عليهم بنعيم الجنة العظيم، خالدين فيها إلى أبد الآبدين، مما لا يبلغه الإنسان بعمله مهما فعل، لما يعتري عبادته من تفريط وتقصير وتهاون، وعبر سنين عمره المعدودة . وأخرى وخامة الشرك أنه عبادة من لم يطلب من البشر عبادته، ولم يقدم شيئاً لعابديه ولم يعد منهجاً لذلك، وبالتالي لا يستحق أن يعبد بحال، وفي الوقت ذاته ترك عبادة من أمر بذلك وأعد لمن أطاع ولمن عصا الجزاء الوفاق، وأرسل من لدنه رسلاً يبينون للناس المنهج الحق الذي أعد لهم للعمل بموجبه، فينعموا في دنياهم ويفوزوا في أخراهم .

٤- إشارات : جاء في الآية (٦٧) قوله تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ

مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ . جملة (والأرض جميعاً) دالة على أن كل ما فيها من صور الحياة، وكافة الأرضين السبع، في قبضته جل ربنا في علاه، القادر على كل شيء . وأخرى لله جل وعلا يدين كلتاهما يمين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن المقسطين عند الله على منابر من نور، عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا**)[مسلم . ولوا : من كان تحت ولايتهم] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يوم القيامة . مثوى : سبق الإيضاح .

٢- وجوههم : جمع وجه، مقدمة الرأس من الإنسان، وسائر الحيوان .

﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ

مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

– (تخويف تضمن بياناً بترهيب) : ما زل سياق الترهيب، مخوفاً سبحانه بيوم ينفخ في البوق إيذاناً بنهاية الحياة، يموت كل من في السموات والأرض فزعاً إلا من شاء، ثم ينفخ فيه مرة أخرى إيذاناً بالبعث والنشور، يوم عظيم تشرق فيه الأرض بنور ربها مباشرة، وتوضع فيه كتب الأعمال، ويجاء بالنبيين يُسألون عن بلاغهم لأممهم والشهداء ليؤكدوا ذلك بحسب علمهم، فيقضى بين العباد وتوفى كل نفس ما كسبت لا ظلم فيه أبداً، وقتئذٍ يساق الكفار إلى جهنم جماعات سوقاً، حتى إذا اقتربوا منها وأوشكوا ولوجها سألهم خزنتها، ألم يأتكم رسل من ربكم يتلون عليكم كتبه، وينذرونكم يومكم هذا، فيقرون بكفرهم بألسنتهم وقد أيقنوا خذلانهم وخسارتهم، فيقال لهم حينها ادخلوها فبئس مصير الكافرين المتكبرين، الذين لا يعقلون ولا يفقهون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– نفخ في الصور : القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام، نفختي الصعق والبعث .

- فصعق : مات فزعاً وهلعاً .
- وفيت كل نفس : جوزيت بما تستحق، بحسب عملها وما اكتسبت .
- زمراً : جماعات تتبعها جماعات .
- حقت : وجبت وثبتت .

توجيهات الآيات :

١- ينفخ في الصور يوم القيامة فيموت كل من على الأرض، إلا من شاء الله تعالى، ثم ينفع فيه أخرى فيبعث الناس من قبورهم إلى محشرهم . في الأثر عن رسول الهدى ﷺ أنه سأل جبريل عليه السلام عن هذه الآية : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴿٦٨﴾ ﴾ : من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم ؟ قال : هم شهداء الله عز وجل)[الحاكم] .

٢- تشرق أرض المحشر يوم القيامة بنور الله جل جلاله، وتوضع فيه الموازين وتنشر الصحف، للحساب والعقاب، ويجاء بالنبيين عليهم السلام والشهداء، ليشهدوا على صدق البلاغ . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت ؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ،**

وهو قوله جل ذكره : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴿١٤٣﴾ ﴾، **والوسط العدل**)[البخاري] .

٣- لا ظلم يوم القيامة أبداً، فيه تستوفى في كل نفس ما عملت من غير زيادة أو نقصان، والجزاء من جنس العمل ولا ريب .

٤- يساق الكفار إلى النار سوقاً عنيفاً جماعات تتبعها جماعات، قد فتحت أمامهم أبواب النار يرون جحيمها، يوبخهم فيه خزنتها ألم يأتيكم النذر بالحق، وبمنهج الله تعالى الصدق، أنبياء ومرسلين أمناء ونصحاء لكم، يبشرونكم بالجنة وينذرونكم النار فلم لم ترعووا وتنصتوا لما قالوه .

٥- اعتراف الكفار بخطئهم الجسيم يوم القيامة، وإقراراهم بمجيء الرسل عليهم الصلاة والسلام إليهم بكتب الله جل وعلا وإنذارهم عاقبة السعير، لكن لا ينفعهم حينها الندم ولا التحسر .

٦- وجوب الاستعداد للقاء الله سبحانه يوم القيامة، بالإيمان والعمل الصالح المنجيان لصاحبهما .

٧- حقت كلمة العذاب على القوم الكافرين المجرمين الظالمين، ومرجع ذلك قوله تعالى من سورة السجدة : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ .

٨- لجهنم خزنة من الملائكة الكرام، مناسبون لها في الغلظة والشدة والقوة، ولها أبواب سبعة، يلج منها الكفار والفجار يوم القيامة، هي : (جهنم، والجحيم، وسقر، والسعير، والحطمة، ولظى، والهاوية) .

٩- عاقبة الشرك والكفر والتكذيب، الخلود في النار مثواهم المستحق، جزاءً وفاقاً لهم .

١٠- التكبر خلق مشين، وسلوك وبيل، يجر صاحبه إلى حيث الهلاك والبوار والخسران . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**)[مسلم] .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشار : جاء في الآية (٧١) قوله تعالى : ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ . جملة (رسل منكم) أي بشر من جنسكم، وإن لم يكونوا من قومهم، كما كان شأن بعض الرسل عليهم الصلاة والسلام . وإشارة جملة (يتلون عليكم آيات ربكم) لكل رسول كتاب رباني يتلى،

حوى منهج الله تبارك وتعالى لأولئك القوم، الذين بعث فيهم أو أرسل إليهم .

٢- إشارة : جاء في الآية (٧٢) قوله تعالى : ﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ . جهنم هي الجزاء الوفاق للمتكبرين، قساة القلوب، الجفاة الغلاظ الأشداء، الذين انصرفوا عن مراد ربهم الرحيم ومنهجه، وكذبوا رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام . في الأثر : (القلب القاسي بعيد من الله عز وجل، بعيد من الجنة، قريب من النار)[البيهقي في شعب الإيمان] .

٣- إشارة : جاء في الآيات (٦٨-٧٢) قوله تعالى، الكلمات : (نفخ في الصور، فصعق، نفخ فيه أخرى، وأشرقت الأرض، ووضع الكتاب، وجيء بالنبيين، وقضي بينهم، ووفيت كل نفس، وسيق الذين كفروا) كلها أفعال جاءت بصيغة الماضي، ولم يحصل شيء من ذلك ولم تقم الساعة بعد، فيه دلالة على أن ما قدره الله سبحانه كائن لا محالة، حاصل لا راد له ولا معقب عليه، والتكلم عنه بصيغة الماضي كما لو كان قد حصل، لمزيد من التخويف والترهيب والتحذير من الصيرورة إلى ذلك المصير المشؤوم، لينأى الإنسان بجانبه إذن، عن ورود النار يوم القيامة وصلاية جحيمها .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- النبيين : جمع نبي، عليهم الصلاة واسلام، من أوحى الله تعالى إليه وبعثه إلى قوم بشيراً ونذيراً، بمنهجه الحق .

٢- الشهداء : جمع شهيد، من مات في أرض المعركة، وهو يقاتل في سبيل الله تعالى، هذا المراد هنا . أو من سمي موته شهادة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما تعدون الشهيد فيكم ؟ قالوا : يا رسول الله، من قتل في سبيل الله فهو شهيد، قال : إن شهداء أمتي إذا لقليل، قالوا : فمن هم يا رسول الله ؟ قال : من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في سبيل الله فهو شهيد، ومن مات في الطاعون فهو شهيد، ومن مات في البطن فهو شهيد**)[مسلم] . وفي رواية عنده : (**الشهداء خمسة : المطعون، والمبطون، والغرق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله عز وجل**) . وفي رواية : (**الشهداء سبعة، سوى القتل في سبيل الله : المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيد**)[مالك . وذات الجنب : مرض يصيب جانب البطن، والمرأة تموت بجُمع : في ولادتها] .

٣- خزنتها : جمع خازن، وهو الخادم والقائم بالأمر، ويراد بهم هنا الملائكة الموكلون بالنار .

٤- نفس . رسل . الكافرين : سبق الإيضاح .

٥- المتكبرين : جمع متكبر، المتعالي على الآخرين، الذي أعجب بنفسه وزها بها وتفاخر .

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترغيب) : ما زال سياق الحديث عن المصير المحتوم، مبشراً سبحانه عباده المؤمنين بزفهم إلى الجنة جماعات زفاً، فما أن يقتربوا منها حتى تفتح أبوابها ويحييهم خزنتها بالسلام عليكم، طبتم وطاب مسعاكم فادخلوها خالدين، حينها يلهمون اللهج بذكره جل جلاله وتقدست أسماؤه، شاكرينه وقد صدقهم الوعد، وأورثهم الجنة ما شاءوا فيها من الأرض، جزاء حسنٌ فنعم أجر العاملين، وترى حينها الملائكة الكرام عليهم السلام حول العرش العظيم حافين، لربهم الكبير

معظمين ومسبحين، قد قضي بالحق بين الخلق، فيقال حينها الحمد لله رب العالمين .

غريب الكلمات :

- نتبوأ : ننزل ونستقر، ونستمكن من المكان .
- حافين : جمع حاف، قريبين منه ومحيطين به، وملتفين حوله مجتمعين .
- العرش : سرير ملك ربنا العظيم جل جلاله وتقدست أسماؤه .

توجيهات الآيات :

١- يساق المتقين إلى الجنة زفاً، جماعات تتلو جماعات، تفتح لهم أبوابها ويستقبلهم خزنتها بالتحايا والسلام، مهنئين ومبشرين بالفوز بالجنة، دار الخلود الأبدي .

٢- الجنة دار طيبة، وأرضها طيبة، وهي دار الطيبين فيها تطيب حياتهم . في الحديث النبوي الشريف ﷺ : (**لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال : يا محمد، أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء، وأنها قيعان، وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**)[الترمذي . وقيعان : الأرض المستوية الملساء] .

٣- يلهج أهل الجنة بحمد الله تعالى على أن وفقهم لما يحبه ويرضاه، وصدقهم وعده بإدخالهم الجنة، دار النعيم المقيم، يسعدون فيها حيث

شاءوا جزاء ما قدموه في دنياهم، من إيمان حق وعمل صدق، أهَّلهم للفوز بالجنان ونعيمها، ويلهمون التسبيح دوماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون، قالوا : فما بال الطعام ؟ قال : جشاء ورشح كرشح المسك، يلهمون التسبيح والتحميد، كما تلهمون النفس**)[مسلم] .

٤- للجنة خزنة من الملائكة الكرام، مناسبون لها، في البشاشة والتحايا والتراحيب بأهلها .

٥- بعد أن يصير أهل النار إلى النار، وأهل الجنة إلى الجنة، ويقضى بين الناس بالحق، ترى الملائكة الكرام عليهم السلام حافين من حول عرش الرحمن، مسبحين حامدين ربهم العظيم .

٦- عظم عرش الرحمن جل جلال ربنا . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام**)[أبو داود] .

٧- أفضل التسبيح ما اقترن بالحمد . في الحديث النبوي الشريف عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : (**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي، يتأول القرآن**)[متفق عليه] .

٨- الدنيا دار عمل وإمهال، والآجرة دار الجزاء لا إمهال فيها، وحتماً سيأتي يوم القضاء وإعادة الحقوق إلى أصحابها، وإنصاف المظلومين من الظالمين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء، فليتحلله منه اليوم، قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**)[البخاري] .

٩- بداية كل شيء ونهايته يجب فيها اللهج بالحمد لله لرب العالمين، دائماً وأبداً، ولا سيما الخواتيم لتكون محمودة مباركة، فالعبرة بالخواتيم كما قيل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من قال لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله، ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوماً ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة**)[أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات] .

١٠- الله سبحانه رب العالمين أجمعين، الظاهرين والخفيين، هو العليم بما في كونه من عوالم لا حصر لهم ولا عدّ، جلت عظمته .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٧٤) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ

﴿ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (٧٤) ﴾ . أرض الدنيا تغيرت وتبدلت وانتهى أمرها، وأورث المؤمنين الصادقين الفائزين أرضاً أخرى، يتنعمون عليها في الجنة دار الرضوان .

٢- إشارات : جاء في الآية (٧٥) قوله تعالى : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٥) ﴾ . العرش مدار المخلوقات . وأخرى جملة (وقيل الحمد لله رب العالمين) مسندة إلى الغائب، ليدل أن كل المخلوقات ستلهج بحمد ربها جل ربنا في علاه، بعد انقضاء الأمر في ذلك اليوم العظيم .

٣- إشارة : جاء في الآية (٦٨-٧٢) قوله تعالى الكلمات : (وسيق الذين اتقوا، وقالوا الحمد لله، وترى الملائكة حافين، وقضي بينهم، وقيل الحمد لله) كلها أفعال جاءت بصيغة الماضي رغم أنها لم تقع بعد، لمزيد من الترغيب والتشويق في الجنة ونعيمها، ولبيان أن ما قضاه الله جل في علاه فهو نافذ لا محالة، لا راد لما أراد .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- خزنتها : جمع خازن، وهو الخادم والقائم بالأمر، ويراد بهم هنا الملائكة الموكلون بالجنة .

٢- العاملين : جمع عامل، من يقوم بشغل ما، في شؤون مصلحته أو مصلحة الآخرين .

٣- الملائكة : سبق الإيضاح .

٤- العالمين : سبق الإيضاح .

جزء الزمر : الرابع والعشرون :

(٥) سورة غافر . سورة المؤمن . سورة الطَول

- مكية بالإجماع .
- آياتها (٨٥) آية مختلف فيه، فقيل (٨٢)، وقيل (٨٤) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١﴾ ﴾ آية واحدة . وقوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْأَزِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ﴿١٧﴾ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ آيتان . وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ آية واحدة .
- كلماتها (١١٩٩) كلمة . وحروفها (٤٩٦٠) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٦٠) . نزلت بعد سورة الزمر .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٠) .
- سميت بـــ (غافر) لورود اللفظ بها، وهي أولى الحواميم السبعة .
- محور حديث السورة الكريمة : الدعوة إلى الله تعالى وإرساء معالم الدين الحق .

- مجمل موضوعاتها : (١٠) موضوعات : الحديث عن تنزيل القرآن الكريم وكفر المكذبين به، وعن وظيفة حملة العرش، والتخويف بيوم القيامة، وذكر بعض مشاهده، وذكر طرف من قصة موسى عليه السلام، ونصح مؤمن آل فرعون، وذكر القبر، والرد على المكذبين بالدين، والترغيب والترهيب بما عند الله تعالى من جزاء، وذكر بعض صور الإعجاز الكوني .

- في الأثر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (الحواميم ديباج القرآن)[الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان] . وفي الأثر الآخر أيضاً : (كل الحواميم يُسمَين العرائس)[الدارمي وابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان] .

- كل سور الحواميم السبعة، ابتدأت بالحديث عن تنزيل القرآن الكريم أو القسم به .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (١٩) مرات .

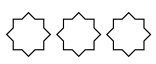

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾

- (إعجاز غيبي تضمن بياناً بترهيب) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة بحرفين من الأحرف المقطعة[1]، الدالة على غاية إعجاز هذا الكتاب، المنزل من لدن ربنا العزيز في ملكه العليم بما في كونه، جل جلاله غافر الذنب مهما عَظُم، قابل التوب من كل من ندم، شديد العقاب لمن كفر وفجر، لا يعييه شيء ولو كبر، لا إله إلا هو الواحد المتفرد، إليه المرجع

[1] هي أول سورة من سور الحواميم السبعة في القرآن الكريم، وهي : (غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف)، جاءت متتابعة، بعكس كل السورة التي ابتدأت بالأحرف المقطعة، والتي جاءت متفرقة، وست سورة منها بدأت بحرفين اثنين (حم) وحسبت آية مستقلة، وسورة واحدة هي سورة الشورى، ابتدأت بخمسة أحرف منفصلة، ومتفرقة على آيتين اثنتين (حم) آية، تبعتها (عسق) آية مستقلة .

والمصير، فاترك يا رسولنا الكريم كل من جادل في القرآن الكريم، فلهم يوم موعود يحيق بهم العذاب، لا يغني عنهم فيه سلطانهم في البلاد، فقد كذبت قبلهم أقوام كثر، كقوم نوح عليه السلام، ومن جاء من بعده، جميعهم أضمروا الشر لمن أرسل فيهم، وردوا دعوة الحق معاندين ليعلو صوت الباطل، فلما آن أوانهم أخذهم العذاب في الدنيا، وثبت عليهم عذاب الآخرة بأنهم أصحاب النار .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- ذي الطول : المنعم المتفضل القادر المستغني .
- يغررك تقلبهم : يخدعك تنقلهم وتحركهم بكل حرية .
- همت : أضمرت وسعت وأرادت .
- ليدحضوا به : ليبطلوا به .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إثبات أن القرآن الكريم منزل من ربنا العزيز العليم، هداية للناس ورحمة بمنهجه الحق .

٢- من صفات ربنا تبارك وتعالى، أنه يغفر ذنب المذنب، ويقبل توبة التائب، وأن عقابه شديد على من عصاه، مالك لكل شيء، إليه المرجع والمآب .

٣- مجادلة الكفار في حقيقة القرآن الكريم، وإنكار نزوله، ورفض ما جاء به، جحوداً واستكاراً .

٤- الدنيا دار إمهال، ولأهل الباطل فيها صولات وجولات، لكنها لحكمة وإلى أجل مقدر، والعاقبة للتقوى حتماً، قدراً ربانياً .

٥- كل أمة بعث فيها رسول بشيراً ونذيراً، قوبل بالتكذيب والاعراض، ورفض دعوته وما جاء به من حق مبين، بل وبالاعتداء عليه بالضرب والطرد وكافة وسائل الإيذاء البدني والنفسي .

٦- مهما ضعف الحق وقويت شوكة الباطل، فلحكمة بالغة، وإلى أجل عن قريب هو زاهق .

٧- عاقبة الاعراض والتكذيب ورفض الحق، وخيمة ولا ريب وفي كل الأمم السابقة، وما جرى عليها سيجري على من كذب برسول الهدى ﷺ، جرَّاء الكفر والتكذيب والاعراض .

٨- عذاب الدنيا لا يغني عن عذاب الآخرة، ومصير الكفار حتماً النار .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢) قوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ . كلمة (تنزيل) دالة على أن القرآن الكريم نزل على رسول الهدى ﷺ، على فترات متقطعة، وليس جملة واحدة .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ ﴾ . جمعت الآية أطراف عنايته سبحانه بخلقه، فهو غافر لذنوبهم إن أذنبوا، قابل لتوبتهم متى تابوا، شديد للعقاب متى تولوا وأعرضوا، ذو القوة والفضل في كل أحواله معهم، فأنى لهم المهرب، والمصير إليه لا محالة .

٣- إشارة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ ﴾ . جملة (تقلبهم في البلاد)، دالة على تنقلهم في الأرض بكل سهولة ويسر، منصرفين عن مراده جل في علاه، مستخفِّين بأمر دينه مستهترين، كذلك هو شأن عامة البشر .

٤- إشارة : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ ﴾ . الجدال بالباطل غرضه دحض الحق، لذا كان الجدال العقيم مذموماً في كل أحواله . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة**

لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه)[أبو داود والترمذي وابن ماجة] .

٥- إشارة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ . علم الله سبحانه بعلمه المطلق الأزلي، أن من الناس من هو من أهل النار قبل أن يولد، فكتب ذلك عليه فحق عليه العذاب فعلاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**)[مسلم] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- قوم نوح : سبق الإيضاح .

٢- الأحزاب : الأمم التي تحزبت ضد رسلها، كقوم نوح وعاد وثمود وما جاء من بعدهم .

٣- أمة : جماعات كبيرة من الناس، يجمعهم زمن معين، ويرتبطون برباط واحد فيما بينهم .

٤- رسول . أصحاب النار : سبق الإيضاح .

﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٩﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بترغيب) : انتقل سياق الحديث من الترهيب إلى الترغيب، مبيناً سبحانه حال أقرب الملائكة الكرام عليهم السلام إليه، من حملة العرش ومن حوله، وكيف أنهم قد ألهموا التسبيح بحمده دوماً لا يفترون، مصدقين وموقنين به، مستغفرين للمؤمنين من خلقه، مثنين عليه جل في علاه؛ ربنا قد وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، فاغفر للتائبين المنيبين من خلقك ممن آمن بك واتبع سبيلك، وجنبهم عذابك ومقتك وسخطك، وأدخلهم الجنات التي وعدت، هم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، يا عزيز في ملكك، ويا حكيم تدبيرك وتصريفم، واحفظهم من سوء عاقبة السيئات، فمن جنبته ذلك فقد رحمته، وذلك هو الفوز العظيم يا كريم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– يسبحون : ينزهونه ويعظمونه ويقدسونه .

- وقِهِم : جنِّبهم وأبعدهم .

توجيهات الآيات :

١- يحمل عرش الرحمن ملائكة شداد هم الأقرب له جل في علاه، يفوق وصفهم التصور . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبع مائة عام**)[أبو داود] .

٢- يحيط بالعرش العظيم من الملائكة الكرام ما الله به عليم، وظيفتهم هم وحملة العرش التسبيح بحمد ربنا تبارك وتعالى، والإيمان به، والاستغفار للمؤمنين من أهل الأرض، والثناء عليه سبحانه، منطقهم في ذلك : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ .

٣- ومن وظائفهم أيضاً الدعاء بالمغفرة للتائبين ممن تبع السبيل الحق، والدعاء بالوقاية من العذاب ومن السيئات، ودخول الجنة هم ومن صلح من ذويهم، فمن وقي فقد فاز حقاً .

٤- التسبيح بحمد ربنا سبحانه، من جملة وظائف الملائكة الكرام في الملأ الأعلى، لذا شرع للمؤمنين من أهل الأرض . في الحديث النبوي الشريف عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (**كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن**)[متفق عليه] .

٥- رحمة الله جل جلاله عظيمة تفوق الوصف، قد وسعت كل شيء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي**)[متفق عليه] . وفي رواية : (**سبقت غضبي**) .

٦- علم ربنا كذلك وسع كل شيء، لا يغيب عنه أدنى أمر في الأرض ولا في السماء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أيها الناس اربعوا على أنفسكم، إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً، وهو معكم، قال وأنا خلفه، وأنا أقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال يا عبد الله بن قيس : ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة، فقلت : بلى، يا رسول الله، قال : قل : لا حول ولا قوة إلا بالله**)[متفق عليه . واربعوا : أرفقوا] .

٧- لله سبحانه وعد قطعه للأهل الإيمان، بإدخالهم الجنة .

٨- الصلاح هو رأس الأمر، ولا قيمة لقرابة لا صلاح بين أهلها .

٩- يدخل أهل الجنة ومعهم ذويهم ممن كتب له ذلك، زيادة في النعيم المقيم، بلمّ شملهم فيها .

١٠- أقارب الإنسان عامتهم ينحصر في دوائر ثلاث : (الآباء والأزواج والذرية) .

١١- وقاية السيئات أساس الفوز والفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٧-٨) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ . من واسع رحمة ربنا العظيم أن قيض حملة العرش ومن حوله، وهم أقرب الملائكة الكرام إليه سبحانه، يستغفرون للبشر ويدعون لهم بدخول الجنة هم وذويهم، دعوات صادقات من خير الخلائق، والبشر في غفلة عما يدور حولهم ويراد بهم . وأخرى مكانة الأهل لدى الإنسان كبيرة، في الدنيا وفي الآخرة، بهم يكمل الأنس، وتكمل فرحته وبهجته وسروره .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- آبائهم . أزواجهم . ذرياتهم : سبق الإيضاح .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ

أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ
مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن
يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى
يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بترهيب) : انتقل سياق الحديث إلى الذين كفروا، مبيناً سبحانه حالهم حين يدخلون النار لاعنين أنفسهم، فينادون لَغَضب الله عليكم أشد من لعنكم أنفسكم، جرَّاء كفركم في دنياكم وقد دعيتم إلى الإيمان، فيقرون حينها بذنوبهم، متسائلين : ربنا كنا نطفاً ميتة فأحييتنا، ثم أمتنا في الدنيا وأحييتنا ببعثنا، فهل من مخرج من النار لنعود للحياة ونعمل صالحاً، والجواب كلا، وما عذابكم إلا جزاء كفركم في دنياكم، وشرككم بربكم، الذي حكم عليكم، سبحانه عليٌّ في سلطانه، كبير في قدره، قد بيَّن لكم في دنياكم علامات قدرته ودلائل قيوميته، ما يثبت وحدانيته، ومن ذلك إنزال المطر من السماء، يخرج به أرزاقكم، وتحيا به أبدانكم، وتقضوا به حوائجكم فتشربون وتأكلون، عبرة لكل معتبر وعظة لكل متعظ، يتفكر في حقيقة وجود هذ الكون الفسيح، وعظمة خالقه ومدبره ومصرفه العظيم .

غريب الكلمات :

- ينادون : يدعوهم خزنة جهنم وينادونهم .
- لمقت الله : لسخط الله تعالى وغضبه عليكم .
- مقتكم أنفسكم : سخطكم على أنفسكم .
- أمتنا اثنتين : مرة قبل خلقنا في عالم الذر، ومرة بعد انقضاء أجالنا في الدنيا .
- وأحييتنا اثنتين : مرة بإيجادنا في الدنيا، ومرة بإحيائنا في الآخرة .

توجيهات الآيات :

١- الكفر عمل مشين، يمقت سبحانه عليه كل من وقع فيه من خلقه، لأنه إنكار للمنعم المتفضل المستحق للعبادة والطاعة، وصرف ذلك أو شيء منه لغيره .

٢- الإنسان بطبعه جزوع، يمقت نفسه متى فعل ما يدعو للضجر، وما يعاب عليه .

٣- الاعتراف بالخطأ في الدنيا مقبول، لكن الموت على الكفر والاعتراف بالإيمان في الآخرة، بعد فوات الأوان، لا يغني المرء من العذاب شيئاً .

٤- كان البشر في موات، فأحياهم سبحانه من عدم، وأخرجهم إلى حيز الحياة بإيجادهم في الدنيا، وعن قريب سيموتون فيها، ثم يحيون في الآخرة، فهي موتتان وحياتان .

٥- الخلود في النار، هو الغاية العظمى في العذاب لمن كتب عليه ذلك، لشناعة ما ارتكب في دنياه، من كفر وإعراض عن ربه الكريم، وإشراك آلهة أخرى معه .

٦- الشرك هو الظلم العظيم، وكل من ارتضاه لنفسه، فقد أوقع نفسه في دائرة الغضب، والمقت والسخط في الدنيا والآخرة .

٧- لا حكم إلا لله سبحانه، العلي في مكانه، الكبير في شأنه سبحانه .

٨- دلائل القدرة في الكون ومشاهد الإعجاز أكبر من أن تحجب، وأكثر من أن تحصى وتعد، ولا يعرض عن كل ذلك إلا شقي هالك، منصرف عن الحق من كل وجه، أما المنيب فيعي حقيقة الأمور ويدرك غاياتها .

٩- ضمن الله تعالى لخلقه الزرق، لكل دابة ما كتب لها من نصيب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها**)[متفق عليه] .

١٠- الدنيا دار مهلة، وفيها من المواعظ والعبر، ومواطن التفكر ما يفوق الوصف والتصور، فيجب على الإنسان إعمال عقله وفكره فيها، ليدرك الحقائق مجردة للعيان، فالمنيب إلى ربه هو الذي يتذكر ويتفكر ويتأمل ويعقل ويعي ويفهم ويدرك، ومن سواه فتائه حيران ضائع .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ﴾ . الإماتة الأولى كانت قبل إيجاد البشر، فيه دلاله على أن الموت من جملة خلق الله سبحانه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم، هذا الموت، قال : ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم، هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾، وأشار بيده إلى الدنيا**)[متفق عليه] .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٢) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ . جملة (وإن يشرك به تؤمنوا)، يؤمنون به حال الشرك، ويكفرون به حال توحيده، والأصل أن تعظيمه يكون بتوحيده وليس بالشرك، إذن فالأولى لتعظيم ربنا توحيده لا سواه، وليس الإشراك به بقصد تعظيمه .

٣- إشارات : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ . جملة (هو الذي يريكم) دالة على أن رؤية الحقائق تمكين من الله جل في علاه للعبد، ولولا ذلك لضل في حيرته . وأخرى بالمطر ينزل من السماء تنبت الأرض خيراتها، وتلك من صور الرزق الرباني لعموم خلقه جل وعلا .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- أنفسكم : سبق الإيضاح .

﴿ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ

لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ
ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا
كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ
يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ
وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى
ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟
فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾

- (أمر تضمن توجيهاً بترهيب) : انتقل سياق الحديث إلى الذين آمنوا، آمراً سبحانه إياهم إخلاص العبادة له ولو كره ذلك الكافرون، جل شأنه وتعالى وصفه صاحب العرش العظيم ومالكه، ومصرف كونه ومدبره، ينزل الوحي الشريف على من شاء من عباده، لينذر يوم القيامة العظيم، حيث تلاقي الخلائق للجزاء والحساب والعقاب، تتكشف فيه السرائر فلا

شيء فيه يخفى، ينادي فيه الجبار لمن الملك اليوم!، فيجيب نفسه قائلاً : لله الواحد القهار، ويبدأ الحساب كلٌ بما كسب لا ظلم لأحد أبداً، فيا رسولنا الكريم أنذرهم عاقبة المصير، وخوفهم اليوم القريب، من هوله تبلغ القلوب من الناس الحناجر، لا خلاص فيه للظالمين ولا شفيع أو قريب، قد زاغت أبصارهم من شدته، واختلجت نفوسهم من كربه، لا يخفى عليه عز وجل من أمر خلقه شيء، يجازي كلٌ بما قدم، فأين الذي كنتم تعبدون من دونه !، لا قدرة لهم على شيء ولا أمر، ولا حكم إلا للسميع لهمسكم البصير بخفاياكم، ألم يروا مصائر السابقين لهم وما آل إليه أمرهم، ممن كان أعتى منهم وأقوى، بما تركوا من آثار من بعدهم، أخذهم جل وعلا بذنوبهم، لم يمنعهم من العذاب مانع، جرَّاء كفرهم برسلهم، المبشرين لهم والمنذرين، والله سبحانه هو القوي لا سواه، شديد العقاب .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- ذو العرش : صاحب العرش العظيم .
- يلقي الروح من أمره : ينزل الوحي الشريف على رسله الكرام، عليهم الصلاة والسلام .
- الآزفة : مناياهم أو القيامة، وأزف الشيء اقترب .
- لدى الحناجر كاظمين : بلغت الحلقوم، مغمومين فزعين من هول ما يرون .

– خائنة الأعين : اختلاسات العيون ومسارقاتها، بنظرها إلى ما لا يعنيها أو يحل لها .

– وآثاراً : شواهد باقية من بعدهم .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١– وجوب إخلاص الدعاء والعبادة والطاعة لله جل وعز، في كل الحالات والأحوال، كيف وهو صاحب الرفعة في كل شيء، ذو العرش العظيم .

٢– كره الكافرين للحق وللمؤمنين الموحدين، المسلمين لله تعالى شأنه، وما ذاك إلا دليل على غاية فساد عقولهم، وما انطوت عليه سرائر نفوسهم من خبث وحنق وحقد على الحق وأهله .

٣– يصطفي جل جلاله من خلقه من يشاء، ليكون بشيراً ونذيراً، ويرسل إليه أمين الوحي جبريل الأمين عليهم السلام .

٤– التخويف بيوم البروز على أرض المحشر وقوفاً بين يديه جل جلاله، لا تخفى عليه من أمر خلقه خافية إطلاقاً، في يوم تجرد الملك من كل أحد فلا يبقى إلا ملكه العظيم، فيه توفى كل نفس ما عملت لا ظلم عليها، من الله جل جلاله سريع الحساب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟**)[متفق عليه] .

٥- والتخويف بمشهد مفزع من مشاهد الآخرة، لحظة بلوغ القلوب الحلقوم، مكظومين لا منقذ لهم ولا شافع ولا حميم، من هول المطلع تزيغ الأبصار مضطربة، لكن علمها عند ربها العظيم .

٦- حكم الله جل ذكره يقضي بالحق في كل شيء، وليس ذلك لأحد إلا له تبارك وتعالى، سبحانه سميع لخلقه بصير بهم، وبحالهم عليم .

٧- هلاك الأمم السابقة من أكبر البراهين على قدرة المولى جل جلاله، القادر على إهلاك إعدائه، فكيف يغفل الكفار عن ذلك، ولا يعتبرون بهلاك من غبر، وآثارهم باقية شاهدة على ذلك .

٨- لا راد لما أراد جل شأنه، ولا مانع لما قضى وقدر، عذابه شديد، سبحانه قادر قدير مقتدر .

٩- كل رسول جاء بما لا يدع مجالاً للشك في دعوته، من بينات واضحات ومعجزات ظاهرات، ولا يكذب بذلك وينكر إلا جاهل مستكبر .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ . إقامة الدين الحق، لا تكون إلا بالإخلاص الصدق . ولطيفة على الإنسان فعل ما هو مقتنع به ولو كره أعداؤه ذلك، إذ العبرة بموافقته للحق وليس برضى الخلق عنه .

٢- إشارات : جاء في الآيات (١٥-١٨) قوله تعالى : ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ . جاء اللفظ (يلقي الروح من أمره)، وليس ينزل أو يرسل، ليدل على أنه وضعه بالحق التام الملزم لا مرية فيه . وأخرى ورد لفظ (اليوم) في الآيات الكريمات (٦) مرات، للتخويف بيوم الحساب والعقاب، فهو يوم التلاق، ويوم البروز على أرض الحشر، ويوم الخضوع لله عز وجل، ويوم الجزاء بما كسبت النفس، ويوم العدل فلا ظلم، ويوم الآزفة حيث الفزع الأكبر . وثالثة جملة (القلوب لدى الحناجر كاظمين)، تصوير لهول ذلك اليوم عظيم الشأن والأحداث والأهوال .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ . جملة (خائنة الأعين)، دالة على أن العين متى نظرت إلى ما لا يحق لها، فتلك خيانة . في الحديث النبوي الشريف عن

سهل بن سعد رضي الله تعالى عنه قال : أن رجلاً اطلع من جحر في دار النبي ﷺ والنبي ﷺ يحك رأسه بالمِدْرَى فقال : (**لو علمت أنك تنظر، لطعنت بها في عينك، إنما جعل الإذن من قبل الأبصار**)[متفق عليه . مدرى : مشط] .

٤- إشارة : جاء في الآية (٢٢) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ ﴾ . معجزات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ألسنة حق شاهدة، على صدق ناطقة بما جاءوا به، فلا حجة لمن كفر بعد ذلك ولا برهان .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- مخلصين . الكافرون . الظالمين : سبق الإيضاح .

٢- يوم التلاق : من أسماء يوم القيامة حيث يتلاقى جميع الخلائق (الأولون والآخرون) .

٣- يوم الآزفة : من أسماء يوم القيامة، حيث الاقتراب من الجزاء والحساب والعقاب .

٤- يوم . اليوم . رسلهم : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾

إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾
فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ
وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ
فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ
أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٞ
مُّؤۡمِنٞ مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَكۡتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ
ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥۖ
وَإِن يَكُ صَادِقٗا يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ
هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ﴿٢٨﴾ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ
إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

- (قصص تضمن توجيهاً بترهيب) : انتقل سياق الحديث إلى القصص، مخبراً سبحانه أنه أرسل عبده موسى عليه السلام بحجة دامغة، إلى فرعون وهامان وقارون فكذبوه واتهموه بالسحر، فلما ظهرت حجته عليهم، قتّلوا أبناء اتباعه المؤمنين، واستبقوا نساءهم للخدمة، وليس ذلك فدافع

أمر الله تعالى عنهم شيئاً، إذ جمع فرعون حاشيته واقترح عليهم قتل موسى عليه السلام، خشية أن يشيع أمره ويظهر في الأرض دينه فيفسد عليه ملكه، وهنا لجأ موسى إلى ربه العظيم ليحفظه من كيدهم وتربصهم، وقيض الله من آل فرعون رجلاً مؤمناً سراً رد عليهم قائلاً : كيف تقتلون رجلاً ظهرت معجزاته المؤيدة صدق ما جاء به عن ربه، من دين حق وصدق، فلا مجال لكذبه الذي إن صح فكذبه عليه، وإن صدق فقد حاق بكم ما خوفكم به من العذاب، فآمنوا بما جاءكم به وصدقوه خيراً لكم، إذ كيف يؤيد بمعجزات ظاهرات من كان مسرفاً على نفسه كذاباً فيما يدعيه، فيا قوم اعتبروا بما قلت لكم قبل أن يذهب ملككم، لا ناصر بعدها من الله جل في علاه، فرد فرعون عليهم قائلاً : لا أرى سوى رأيي لكم مناص، قتل موسى مؤكداً هو سبيل الخلاص .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- استحيوا : استبقوهم أحياء .
- ظاهرين في الأرض : غالبين في الأرض، عالين الشأن .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إرسال موسى عليه السلام بالمعجزات الظاهرات، إلى فرعون وقومه، بشيراً ونذيراً، فرفضوا دعوته متهمينه بالسحر والكذب، وانتقموا من بني

إسرائيل بقتل الرجال منهم، واسترقاق النساء واستعبادهم للقيام بأعمال الخدمة .

٢- إرادة فرعون قتل موسى عليه السلام، خشية أن يفسد عليه طغيانه وأمر سلطانه، زاعماً أن دعوته تلك ستفسد عليه البلاد والعباد .

٣- لجوء موسى عليه السلام إلى ربه العظيم مستعيذاً به، من كيد الكفار ومكر الفجار، ممن استكبر وكفر بربه ولم يخش يوم الحساب .

٤- دفاع رجل مؤمن سراً؛ عن موسى عليه السلام، ونصيحته لقومه بتصديق دعوة الحق، ذاكراً (٣) حيثيات : الأولى تأييده ببينات واضحات ومعجزات ظاهرات تثبت صدق ما جاء به . والثانية ساوى بين احتمالية كذبه وصدقه، وما يترتب على ذلك ليختاروا الصواب منهما . والثالثة كيف يكون مسرفاً كاذباً من ظهرت قوة حججه أمام الجميع .

٥- تخويف فرعون قومه بزوال ملكهم كما حاق بغيرهم من الأمم، إن علا شأن موسى عليه السلام، فعذاب الله تعالى محيط بالمتكبرين .

٦- إصرار فرعون الأثيم على رأيه ذاك، زاعماً أن فيه غاية الرشاد لقومه، لو كانوا يعلمون ذلك .

٧- النون في قوله تعالى (أرسلنا، بآياتنا، من عندنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٢٣-٢٤) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَقَـٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ . هؤلاء الثلاثة هم رؤوس الطغيان آنذاك، فرعون الأثيم مدعي الألوهية، ووزيره على قومه هامان، ووزيره على بني إسرائيل قارون، صاحب الكنوز والأموال .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٢٥) قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ . في كل زمان، الضعيف هو كبش الفداء، وأول من يقع عليه الحدث، دون اختيار منه، لذا وصى به رسول الهدى ﷺ . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ابغوني الضعفاء، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم**)[أبو داود والترمذي والنسائي] .

٣- إشارات : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . جملة (ذروني أقتل موسى)، دالة

على تذرُّع فرعون بأن ملأه منعوه من قتل موسى عليه السلام، وهو الذي لم يكن يلتفت لقول أحد غير نفسه . وأخرى قوله (أو أن يظهر في الأرض الفساد)، وهو صاحب أكبر فساد في الدنيا، دالة على أن كل إنسان يرمي غيره بما يراه هو الصواب في نظره، وإن كان من أكبر الفاسدين المفسدين في الحقيقة .

٤- إشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ . التكبر يصد عن رؤية الحق والانقياد له، وعن الإيمان، وعن التصديق بيوم الدين، حيث الحساب والعقاب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، قال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة، قال : إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس**)[مسلم] .

٥- إشارة ولطائف : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ . جملة (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله)، دالة

على غاية العداء للحق وأهله، ومضادة ما جاءوا به وإن كان ظاهراً حقاً، وإلا فالإنسان حر في عبادة ما شاء من معبودات، لا إكراه عليه . ولطيفة جملة (وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم)، أسلوب تلطف واستمالة لقلوب المخاطبين، وتقريب للحقيقة بما لا يثير حفائظ النفوس ويستثيرها . وأخرى إن ثبت كذبه فضرره عليه، وسيظهر زيفه لكم عن قريب، وستظهرون عليه وتغلبون، وإن صدق فنفع صدقه لكم، بنجاتكم من العذاب المحيط بكم، فإن كذبتم به فسيحيق بكم ما توعدكم به، من عذاب بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة .

٦- إشارات : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ ﴾ . جملة (ما أريكم إلا ما أرى)، دالة على فرض الرأي وكبت الحريات وتقييدها . وأخرى جملة (وما أهديكم إلا سبيل الرشاد)، دالة على أن كل إنسان يرى الحق من وجهة نظره هو فقط، وإن كان مخطئاً كل الخطأ، دون أن يعير رأي الآخرين أدنى اهتمام .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- موسى . فرعون : سبق الإيضاح .

٢- هامان : وزير فرعون الأول .

٣- قارون : وزير فرعون على بني إسرائيل، وصاحب الكنوز العظيمة، خسف به وبداره الأرض .

٤- رجل مؤمن : قيل هو ابن عم فرعون واسمه شمعان، وقيل هو قبطي مؤمن بموسى عليه السلام .

٥- آل فرعون : قومه واتباعه، الذين يؤول أمرهم إليه .

٦- رجل . رجلاً : سبق الإيضاح .

٧- يوم الحساب . اليوم : سبق الإيضاح .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدۡ جَآءَكُمۡ يُوسُفُ مِن قَبۡلُ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلۡتُمۡ فِي شَكّٖ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلۡتُمۡ لَن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِهِۦ رَسُولٗاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ مُّرۡتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴿٣٥﴾ ﴾

- (تتمة القصة تضمنت توجيهاً بترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، متمماً سبحانه مقالة ذاك المؤمن الحق، بين يدي فرعون الأثيم، قائلاً : يا قوم إني أذكركم مصير الأمم السابقة الهالكة، مثل قوم نوح وعاد وثمود ومن جاء من بعدهم، ممن ظلموا أنفسهم والله تعالى لا يرضى لعباده الظلم، يا قوم إني أخوفكم يوم القيامة، حين تنادون فتنصرفون فزعين إلى النار مالكم من عاصم، فاحذروا الضلالة فمن ضل فما له من هادٍ يهديه غير الله تعالى، واذكروا يوسف عليه السلام الذي بعث في أسلافكم بالحق، فارتبتم في أمره وقد جاءكم بالمعجزات، وضللتم وظننتم أن لن يبعث الله تعالى من بعده رسولاً، وهو سبحانه لا يهدي من أسرف على نفسه بالمعاصي، وكذب في أمر دينه وشكك، وعاند وكابر واستنكف عن قبول الحق بغير بينة ولا بصيرة، فاستوجب غضب الله عز وجل عليه، وسخط الذين آمنوا، فختم على قلبه بكفر، جراء التكبر والتكذيب والتجبُّر والاعراض .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- دأب : عادة وشأن وطريقة .
- مسرف مرتاب : متجاوز للحد معتدي، مشكك متحير .
- سلطان : حجة وبرهان .
- كبر مقتاً : عظم سخطاً وغضباً .

- يطبع الله : يختم على قلبه .

توجيهات الآيات :

١- تخويف مؤمن آل فرعون قومه، بيوم العذاب في الدنيا، كما حل بقوم نوح وعاد وثمود والهالكين من أمثالهم من الأمم السابقة، وتخويفه بيوم العذاب في الآخرة، حين ينادون إلى دخول جهنم يصلونها، فيفرون منها فزعين ما لكم من ملجأ حينها ولا مهرب من العذاب، ذوقوه وقاسوا حرَّه جزاء ما كنتم تعملون .

٢- كتب الله جل جلاله على نفسه العدل في كل شيء، وحرم الظلم على نفسه، ومنعه بين خلقه تماماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا**)[مسلم] .

٣- من سأل الله تعالى الهداية بحق وصدق توجه، وفقه سبحانه لها، ومن لم يسأله إياها ضل بنفسه وربما أضل غيره من الناس . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**)[مسلم] .

٤- دعوة يوسف عليه السلام كانت في مصر، فلم يذعنوا لها، فلما مات قالوا لا رسول يأتي من بعده، وانحرفوا عن الحق، كذلك هو شأن كل مسرف مرتاب .

٥- المعاندين للحق المنصرفين عنه، من غير حجة ولا بصيرة، هم أمقت الناس عند الله عز وجل، وعند المؤمنين من الناس، لجهل عقولهم، وتغافلهم عن الصواب .

٦- الكبر والتكبر والطغيان والتجبر، من أذم صفات الإنسان إطلاقاً ولا ريب، يختم الله تعالى على قلب صاحبها بالضلال، حتى يلقاه وهو عليه ساخط .

٧- الأصل في قبول الحق ورفض الباطل وجود الحجة والبرهان، فكيف بمن رفض الحق وقَبِل الباطل، ومن غير حجة أو برهان، أو مكذباً ببرهان الحق وحجته، ذلك هو الإفك والضلال المبين .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٣٠-٣٣) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ . ورد لفظ (اليوم) في الآيات الكريمات ثلاث مرات، الأول يخوِّف عذاب الدنيا، والثاني يخوِّف عذاب الآخرة، والثالث يخوِّف ولوج النار .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣٤) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ . سبقت دعوة يوسف لأهل مصر زمن حكم ملوك الرعاة (الهكسوس)، دعوة موسى زمن حكم الفراعنة . عليهما السلام .

٣- إشارة : جاء في الآية (٣٥) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ . ما يسخط الله سبحانه يسخط العقلاء من الناس، لأنه يخالف فطرهم السوية، وما يسخط العقلاء من الناس، يسخط الله جل جلاله ولا ريب .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يوم الأحزاب . قوم نوح وعاد وثمود : سبق الإيضاح .

٢- يوم التناد . يوم : سبق الإيضاح .

٣- يوسف : ابن يعقوب بن اسحق عليهما السلام، بعث في ملوك مصر (الهكسوس) ثم في بني إسرائيل، ورد ذكره في القرآن الكريم (٢٦) مرة، ودفن في مدينة نابلس من أرض فلسطين، عن عمر (١١٠) سنة . وهو

الذي قال فيه ﷺ : (**الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، ابن الكريم، يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام**)[البخاري] .

٤- رسلاً : سبق الإيضاح .

﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

- (تتمة القصة تضمنت توجيهاً بترغيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه مدى تجبُّر فرعون حين قال لوزيره هامان : ابن لي قصراً مشيداً لأبلغ طرائق السماء، لعلي أجد إله موسى كما يزعم، ولا أظنه إلا كاذباً، فتمادى وطغى وبغى وصد عن سبيل الإيمان، وما

فعله ذاك إلا إلى وبال وخسار، فرد عليه الذي آمن قائلاً : يا قوم اسمعوا قولي أدلكم على طريق الحق والصدق، فما هذه الحياة الدنيا إلا متاع مؤقت، ومن بعدها مردنا إلى الله جل شأنه في الآخرة حيث المستقر والمصير، فمن عمل سيئاً جوزي به، ومن عمل صالحاً وهو مؤمن حقاً، ذكراً كان أم أنثى، فمآلهم إلى الجنة يدخلونها بغير حساب ولا عقاب .

غريب الكلمات :

- صرحاً : بناءً عظيماً وقصراً عالياً شاهقاً .
- أبلغ الأسباب : أصِلُ إلى أبواب السماوات وطرائقها .
- أطلع إلى إله موسى : أراه بعيني .
- صُد عن السبيل : مُنع عن قبول الحق .
- تباب : ضياع وخسران وبوار .

توجيهات الآيات :

١- الدنيا دار إمهال وإن استطال الباطل واستطار الشر، كما طلب فرعون من هامان أن يبني له قصراً شاهقاً ليرى الله تعالى فوق سمائه، غاية التبجح والاستخفاف بمقام ربنا العظيم .

٢- تكذيب موسى عليه السلام، رغم كل المعجزات الظاهرات التي جاء بها، وهي كثيرة على رأسها تسع معجزات : (العصا، ويده، والسنين،

ونقص الثمرات، الطوفان، الجراد، والقمل، الضفادع، والدم)، كل معجزة مؤيدة لسابقتها .

٣- قد يُزيَّن العمل لصاحبه فيهلك به، ويهلك غيره ممن أطاعه وتبعه، كما فعل فرعون بقومه .

٤- نصح مؤمن آل فرعون لقومه، باتباعه ليهديهم سبيل الرشاد، وكذلك هو شأن الداعية الحق، لا يترك فرصة سانحة إلا ويحسن استغلالها في التوجيه والإرشاد .

٥- تذكيره إياهم بأن متاع الدنيا قليل منقضي، والمآل إلى الآخرة دار القرار، فاعملوا لها، واستعدوا للقاء ربكم فيها بالإيمان والعمل الصالح . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**)[البخاري] .

٦- السيئة بمثلها والحسنة إلى أضعاف مضاعفة، وهذا من واسع رحمة الله سبحانه بخلقه .

٧- العبرة بالإيمان والعمل الصالح، لا فرق في ذلك بين الذكر والأنثى .

٨- رزق الجنة منَّة وفضل من الله جلت عظمته، بلا حساب ولا عقاب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**)[متفق عليه] .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٣٦-٣٧) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ . جملة (أسباب السموات)، دالة على طرائقها المتعددة، من أبراج وأفلاك وأجرام سماوية ومجموعات، مما الله تعالى به عليم . وأخرى جملة (أظنه كاذباً)، دالة على يقين فرعون بصدق موسى عليه السلام فيما جاء به . وثالثة جملة (صُد عن السبيل)، دالة على أنه أعرض عن الحق فأعرض الله تعالى عنه، وصده عن سبيل قبول الحق .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣٩) قوله تعالى : ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ ﴾ . وصف الدنيا بالمتاع للرضا بعطائها، الذي وإن كان كثيراً فهو قليل مقابل ما ينتظر المؤمن في الجنة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**)[مسلم] . أما الآخرة فهي دار القرار الحقيقي، ليعمل الإنسان إذن للظفر بها . في الخبر : (قال موسى ﷺ : يا رب من الأمة المرحومة ؟ قال : أمة أحمد يرضون بالقليل من العطاء،

وأرضى منهم بالقليل من العمل، وأدخلهم الجنة بأن يقولوا لا إله إلا الله)[ابن أبي الدنيا] .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٤٠) قوله تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

لا يهلك على الله سبحانه إلا هالك، لأن السيئة بمثلها، أما الحسنة فإلى أضعاف كثيرة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله كتب الحسنات والسيئات، ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها، كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها، كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها، كتبها الله سيئة واحدة**)[مسلم] . زاد في رواية : (**ومحاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك**) .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- فرعون . هامان : سبق الإيضاح .

٢- موسى : سبق الإيضاح .

٣- ذكر . أنثى : سبق الإيضاح .

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠
أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ
دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ
هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ
أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ
سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾
ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ
أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

- (تتمة القصة تضمنت توجيهاً بترهيب) : ما زال سياق الحديث في معرض دعوة الذي آمن لقومه قائلاً : يا قوم ما لي أدعوكم لما فيه نجاتكم، والإيمان بربكم، العزيز في ملكه الغفار لذنوب عباده، وتدعونني إلى النار، والكفر بالله العظيم والإشراك به مما لا حقيقة له، كيف تستوي دعوة الحق التي بينت لكم، ودعوة الباطل بعبادة تلك المعبودات التي لا منهج لها و لم تطلب منكم عبادتها، ولا نفع لها ولا ضرر، فاحذروا لقاء ربكم، فما للمسرفين عنده إلا النار، وستذكرون حين نزول العذاب بكم ما قلته

لكم، وأوكِّل أمري إلى ربي سبحانه القادر على خلقه، وأمرهم جميعاً بيده، فحفظه الله تعالى من مكرهم ونجاه من بين أيديهم، وحل العذاب بفرعون وآله في الدنيا، يعرضون على النار في قبورهم صباحاً ومساءاً ينظرون إلى مصيرهم المنتظر، ويوم القيامة يصيرون إلى أشد العذاب .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- لا جرم : لا بد حقاً، لا مرية فيه، قطعاً لا ارتياب .
- ليس له دعوة في : لا يستجيب ولا دعوة له لعبادته، عاجز غافل لا حيلة له ولا نفع ولا ضرر .
- وأفوض أمري إلى الله : أجعل أمري وأحيله إلى الله تعالى، به أعتصم وإليه ألجأ .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- تنويع الكلام في الدعوة مطلب مهم ولا ريب، كما فعل مؤمن آل فرعون، في نصحه لقومه، بالترغيب تارة والترهيب تارة، مبيناً أن دعوته إلى النجاة بالإيمان بالرب العزيز الغفار، وهم يعرضون عنه ويدعونه إلى النار، بالإشراك به جل جلاله وبلا عمل .

٢- ومبيناً أن شركهم ذاك بأصنام وجمادات لا دعوة لها ولا منهج إطلاقاً، هو هراء محض لا قيمة له، وعاقبته وخيمة .

٣- وأن مصائرنا إلى الله العظيم شديد العقاب، فويل للمسرفين من عذاب النار يوم القيامة .

٤- حرصه على نجاة قومه، وتنبيههم بأبلغ أسلوب وأصدق لهجة، ليستفيقوا من غفلتهم تلك، ويؤمنوا بربهم العظيم قبل فوات الأوان .

٥- لجوؤه إلى الله تعالى البصير بعباده، لينجيه من كيدهم ومكرهم، فنجاه سبحانه بفضله منهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن من قلب ابن آدم بكل واد شعبة، فمن اتبع قلبه الشعب كلها، لم يبال الله بأي واد أهلكه، ومن توكل على الله كفاه التشعب**)[ابن ماجة . بكل وادٍ شعبة : للقلب تعلق بكل أمر مرغوب] .

٦- شمولية عذاب الدنيا فرعون وقومه الذين آلوا إليه، يعرضون في قبورهم على النار صباحاً ومساءً، قبل يوم الحساب .

٧- العذاب الحقيقي في النار يوم الحساب، فيه صلاية أشد العذاب .

٨- صحة وجود عذاب القبر لهذه الأمة (أمة محمد ﷺ) . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه، فقال : تعوذوا بالله من عذاب النار، قالوا : نعوذ بالله من عذاب النار، فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر، قالوا : نعوذ بالله من عذاب القبر، قال : تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما**

بطن، قالوا : نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال : تعوذوا بالله من فتنة الدجال، قالوا : نعوذ بالله من فتنة الدجال)[مسلم] .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٤١) قوله تعالى : ﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾ . للحق دعاة وأنصار وأعوان، وللباطل دعاة وأنصار وأعوان، ولكل جزاءه المستحق .

٢- لطائف : جاء في الآية (٤٣) قوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ ﴾ . كل عمل فيه إسراف وسرف، فهو مشين، يعرض صاحبه ليكون من أهل النار . وأخرى المصاحبة هنا دالة على توافق تام بين الفعل والجزاء .

٣- إشارة : جاء في الآيات (٤٥-٤٦) قوله تعالى : ﴿ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ . جملة (النار يعرضون عليها)، دالة على أنه لا

عذاب مباشر في القبر في الأمم السابقة، وإنما مجرد (عرض)، وهذا في حد ذاته نوع من العذاب النفسي، حين يرى الكافر مقعده من النار، وما سيؤول إليه أمره يوم القيامة .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المسرفين . أصحاب النار : سبق الإيضاح .

٢- العباد . آل فرعون . يوم القيامة : سبق الإيضاح .

٣- غدواً : الغدوة أول النهار، وقت الذهاب إلى العمل .

٤- عشياً : العشية آخر النهار، وقت الرجوع من العمل .

﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾

- (تخويف تضمن توجيهاً بترهيب) : انتقل سياق الحديث إلى حيث مشهد من مشاهد النار، حين يختصم أهلها فيما بينهم، فيقول ضعفاء القوم لكبرائهم قد كنا لكم تبعاً، فهل ستغنون عنا من النار من شيء، فيجيبهم الكبراء إنا جميعاً فيها قد حكم علينا رب العباد، وهنا يهرع الجميع لملائكة النار القائمين على تعذيبهم، سلوا الله تعالى أن يخفف عنا ولو يوماً من العذاب، فيجيبونهم ألم تأتكم رسلكم بالحق المبين، والمعجزات الظاهرات مبرهنة على صدق هذا الدين !، فيجيبونهم بلى جاءوا، فيجيبونهم إذن سلوه أنتم، وما طلبكم إلا إلى ضلال، إنا ناصرون رسلنا ومن تبعهم بالحق في الدنيا بالتمكين، وفي الآخرة بدخول الجنة ذلك اليوم العظيم، الذي لا ينفع فيه معذرة الظالمين، ما لهم يومئذ إلا اللعنة من الرحمة مطرودين، وسوء العاقبة والمصير للكافرين المستكبرين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- يتحاجون : يتخاصمون ويتجادلون بشدة .
- تبعاً : أتباع لكم في الضلال، لتسلطكم علينا .
- مغنون عنا : دافعون عنا .

- نصيباً : قسطاً وجزءً من عذابها .

توجيهات الآيات :

١- يختصم أهل النار فيها، الكبراء والضعفاء، متأملين تحمل نصيباً من عذابهم لأنهم كانوا تبعاً لهم، فيحكم الله تعالى عليهم جميعاً بالخلود فيها، لا مفر لهم منها .

٢- من أماني أصحاب النار تخفيف يوم من العذاب، من شدته، وهذا محال حتماً .

٣- لجهنم ملائكة غلاظ شداد يقومون على تعذيب أهلها والنكال بهم .

٤- الإعذار بالإنذار، وقد أرسل سبحانه رسله عليهم الصلاة والسلام بمراده، فويل لمن غفل عنهم واستخف بشأنهم، ولم يهتم لما جاءوا به ولأجله .

٥- لا ينفع الإنسان الندم ولا التحسر بعد فوات الأوان، عليه إذن حسن استغلال الفرص متى سنحت له، ولا يؤخرها حتى تفوته ومن ثم يطلبها .

٦- في النار خصومات بين أهلها، ومخاطبات مع الملائكة خزنتها، لمزيد من الحسرة والعذاب .

٧- العاقبة للمتقين، رسل الله تعالى وأتباعهم من المؤمنين، في الدنيا بالفلاح والنصر على الأعداء، وفي الأخرة بالنعم المقيم في الجنة .

٨- لا معذرة لظالم يوم القيامة، عليهم الغضب والعذاب، سوء المصير .

٩- النون في قوله تعالى (إنا لننصر رسلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٤٩-٥٠) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ . ينادي أهل النار ربهم عز وجل ليخفف عنهم، فيأتي الرد بما يزيد من حسرتهم وعذابهم فيها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يلقى على أهل النار الجوع فيعدل ما هم فيه من العذاب، فيستغيثون فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، فيستغيثون بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة، فيذكرون أنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، فيستغيثون بالشراب فيرفع إليهم الحميم بكلاليب الحديد، فإذا دنت من وجوههم شوَتْ وجوههم، فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم، فيقولون : ادعوا خزنة جهنم، فيقولون : ألم ﴿ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم**

بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾ ﴾، **قال : فيقولون : ادعوا مالكاً، فيقولون :** ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ﴿٧٧﴾ ﴾، **قال : فيجيبهم** ﴿ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾، **ما بين دعائهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام، قال فيقولون : ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم، فيقولون :** ﴿ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾، **قال : فيجيبهم** ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ ﴾، **قال : فعند ذلك يئسوا من كل خير، وعند ذلك يأخذون في الزفير والحسرة والويل)**[الترمذي وابن أبي شيبة] .

٢- إشارة : جاء في الآية (٥١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ . ينهض الأشهاد يوم القيامة من كل وجه، فتشهد بالحق على ما علمت وحضرت من أعمال .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- خزنة جهنم . الكافرين . رسل : سبق الإيضاح .

٢- يوماً . يوم يقوم الأشهاد . يوم لا ينفع الظالمين : سبق الإيضاح .

٣- الأشهاد : الشهود على الأعمال، من الملائكة الكرام، والأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، والمؤمنين، والأجساد والأعضاء على ذويها . في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (**كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال : هل تدرون مم أضحك ؟، قال قلنا : الله ورسوله أعلم، قال : من مخاطبة العبد ربه، يقول : يا رب ألم تجرني من الظلم ؟ قال : يقول : بلى، قال : فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال : فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال : فيختم على فيه، فيقال لأركانه : انطقي، قال : فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال فيقول : بُعداً لكُنَّ وسحقاً، فعنكُنَّ كنت أناضل**)[مسلم] .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾
هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ
وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ
إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ
هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ

مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓـُٔ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

- (إعلام تضمن توجيهاً ببيان) : ما زال سياق الحديث موصولاً عن موسى عليه السلام، مخبراً سبحانه أنه قد نجاه من فرعون وبعثه من بعد إلى بني إسرائيل بالتوراة، فيها هدى ومواعظ لكل ذي عقل بصير، فاصبر يا رسولنا الكريم على قومك، مستغفراً لذنبك، مسبحاً بحمد ربك آناء الليل وأطراف النهار، فإن الذين يعاندون في شأن الإيمان ويكذبون القرآن، بغير بصيرة ولا فهم ما حملهم على ذلك إلا الكبر، فاستعذ من ذلك بالله السميع لكل خلقه، البصير لخفاياهم ولما يعملون، فكيف لا يؤمنون وخلق السموات والأرض التي يرونها أكبر من خلقهم لو كانوا حقاً يعقلون، وفي مظاهر هذا الكون الفسيح يتفكرون، لكن لا يستوي من كان أعمى ومن هو بصير، ولا من عمل صالحاً بمن فرط وأساء أفلا يذكرون، فذرهم يا رسولنا الكريم فإن أجل الساعة قريب، وهو آتٍ لا محالة، لكن أكثر الناس عن ذلك لاهون غافلون، وعن الاستعداد لها منصرفون .

غريب الكلمات :

- سلطان أتاهم : حجة جاءتهم وبرهان لديهم .

- ما هم ببالغيه : ليسوا بواصليه، ولا بمدركيه، مما أملوه من هلاكه ﷺ وأصحابه .

توجيهات الآيات :

١- إرسال موسى عليه السلام من بعد فرعون إلى بني إسرائيل، بالتوراة فيها هدى ورحمة لكل ذي لب وعقل منير .

٢- أمره سبحانه رسوله الكريم ﷺ بالصبر على كفر قومه وإيذائهم، حتى يأتي وعده الحق .

٣- وأمره جل وعلا إياه بالاستغفار لذنبه، وبالتسبيح بحمده، آناء الليل وأطراف النهار .

٤- بيانه سبحانه لرسوله الكريم ﷺ بأن قومه ممن جادل في الحق بغير بصيرة ولا برهان ولا حجة، دافعهم في ذلك الكبر الذي انطوت عليه قلوبهم، فتعوذ بالله تعالى من الكبر، لأنه دليل فساد القلب، ومرض النفس وسفه العقل .

٥- لفت نظر الخلق لمشاهد القدرة الربانية، فالذي خلق السماوات والأرض بعظمهما، قادر على خلق البشر ولا ريب، فكيف لا يؤمنون !، ويرعووا إلى الحق المبين .

٦- تنبيهه جل في علاه أن من كان مبصراً ليس شأنه كالأعمى، كذلك المستبصر في أمره ليس شأنه كالمنصرف عن الحق المتغافل عنه، محال أن يستويا، ومحال أن يستوي من عمل صالحاً بمن كان مسيئاً، لا في العمل ولا الجزاء قطعاً، ألا تتذكرون .

٧- التخويف بيوم القيامة، وما فيه من أهوال عظام، ورغم ذلك فأكثر الناس لا يؤمنون بها، وعنها لاهون منصرفون .

٨- في الآيات الكريمات ورد بيانان مهمان هما، قوله تعالى : (ولكن أكثر الناس لا يعلمون)، وقوله تعالى : (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون)، كذلك هو شأن عامة الناس في أمر دينهم، يستخفون به ولا يهتمون له، إلا قليل منهم من يتفطَّن لأمر دينه حقاً .

٩- النون في قوله تعالى (آتينا، وأورثنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٥٤) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ ﴾ . وصفت التوراة بأنها (هدى)، ورثها بنو

إسرائيل، وبأنها (هدى وذكرى) لكن لمن عقل منهم، وأدرك مراد ربه العظيم منه .

٢- إشارة : جاء في الآية (٥٥) قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٥٥﴾ ﴾ . الذنب الذي نسب إليه ﷺ يأتي من باب الاستغفار التام منه؛ لبلوغه مقام الكمال البشري ﷺ . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم إليه، مائة مرة**)[مسلم] . وفي رواية : (**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم، أكثر من سبعين مرة**)[البخاري] .

٣- إشارة : جاء في الآية (٥٨) قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلۡمُسِيٓءُۚ قَلِيلٗا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ . إعمال العقل بقليل من التفكر والتذكر، يدرك به الإنسان الفروق بين الأشياء، ويراها على حقيقتها، بلا لبس فيها ولا شبهة أبداً .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- موسى : سبق الإيضاح .

٢- بني إسرائيل : إسرائيل هو يعقوب عليه السلام، وبنيه هم أولادهم (الاثنا عشر) الذين تناسلوا منه، وهم بالترتيب حسب الأمهات :

(١)- من زوجته ليا : (روبين، وشمعون، ولاوي، ويهوذا، زابلون، إيساخر) وبنتاً اسمها :(دينا) .

(٢)- من جارية راحيل (بلهى) : (دان، ونفتالي) .

(٣)- من جاريتها ليا (زلفى) : (جاد وأشير) .

(٤)- من زوجته راحيل : (يوسف عليه السلام، بنيامين) .

٣- أولوا الألباب . الناس : سبق الإيضاح .

٤- العشي والإبكار : العشية من بعد الزوال آخر النهار، والبُكرة والإبكار أول النهار .

٥- الساعة : يوم القيامة العظيم .

٦- الأعمى : من فقد بصره تماماً، وضده البصير .

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾

كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾
ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم
مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ
ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ
مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

– (أمر تضمن توجيهاً بإعجاز) : انتقل سياق الحديث إلى لفت نظر الخلق، لمظاهر القدرة الربانية، آمراً سبحانه خلقه بعبادته ودعائه، واعداً إياهم بالإجابة، وويل لمن استكبر عن العبادة والطاعة من النار؛ سيدخلونها صاغرين، ألا يلتفتون إلى مظاهرة القدرة في الكون، كيف جعل لهم الليل سكناً يأوون فيه إلى بيوتهم، والنهار ظاهراً ينتشرون فيه لتحصيل معاشهم، فضلاً منه سبحانه على خلقه، رغم أن أكثرهم في شكره مقصرون، وهو الخالق لكل شيء، الواحد لا سواه فكيف عنه يعرضون، وبآياته يجحدون ويكذبون، وقد ذلَّل لهم الأرض عليها يستقرون، والسماء سقف مرفوع بعلاماتها يهتدون، وصور أشكالهم فأبدعها، وحسَّن خلقتهم فقوَّمها، ورزقهم أنواع النعم والخيرات وكثَّرها، تعالى شأنه الخالق الرازق لكل العالمين، الحي بذاته وكل الخلق حي به، فادعوه مخلصين

له الدين، تلكم هي حيثيات القدرة الربانية، والوحدانية الإلهية، قد استحق بها الحمد كله دوماً وأبداً، فالحمد لله رب العالمين، قولاً وفعلاً، ظاهراً وباطناً، حقاً وصدقاً وعدلاً .

غريب الكلمات :

- داخرين : صاغرين ذليلين حقيرين .
- تؤفكون : تصرفون .
- قراراً : مستقراً لكم على ظهرها تعيشون، وبطيباتها تنتفعون .
- وصوركم : أوجدكم من عدم، على صور شتى وأشكال متنوعة؛ قلَّ ما تتشابهون .

توجيهات الآيات :

١- أمره جل وعلا جميع خلقه بعبادته وطاعته، ودعائه وحده لا سواه، وقد وعد بالإجابة لكل من حقق ذلك، وفي ذات الوقت توعَّد بالنار كل من استكبر عن ذلك وانصرف عنه .

٢- امتنانه جل وعز على خلقه بالنعم التي أحاطهم بها، من جملتها هذا الليل يهجعون فيه ويخلدون للراحة والنوم، وهذا النهار يسرحون فيه ويسعون لتحصيل معايشهم، فضل منه ومنَّة ألا يتفكرون، لكن أكثر الناس لربهم لا يشكرون .

٣- بيانه تعالى شأنه حيثية العبادة والطاعة، من أنه هو الخالق العظيم لكل شيء، فكيف عن ذلك ينصرفون، ولا خالق سواه ولا متصرف في الكون إلاه، ما حملهم على ذلك إلا الجحود .

٤- ومن جملة مننه، هذه الأرض قد جعلها لهم مستقراً، يسيرون على ظهرها بمصالحهم، ومن جملتها هذه السماء سقفاً مرفوعاً قد زينت بالنجوم والكواكب، تروها وتهتدون بها ولكم فيها حساب وفوائد، ومن جملتها صوَّر أشكالكم في أبهى صور وأحسن تقويم، ومن جملتها رزقكم من كل الطيبات على اختلافها وتنوعها وكثرها، ذلك الرب المستحق للعبادة والطاعة، لكل ما آتاكم وأعطاكم ويعطيكم، هبة كريم منعم متفضِّل لا عن استحقاق أبداً .

٥- حيثية الخلق الأولى أنه جل ذكره هو الحي، وبحياته كان كل شيء، ولا قدرة لكائن على الإحياء والإماتة إلا هو، أمر قطعي كل الخلق لذلك مدركون تماماً .

٦- رأس الأمر الإخلاص في الدين، ولا قيمة للعبادة بلا إخلاص فيها .

٧- حيثية الحمد لله تعالى، أنه رب العالمين الذي خلق، والذي رزق، والذي وهب، والذي أمر الخلق بعبادته، وهو صاحب المنهج الحق، الذي أرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو الذي يحي ويميت، والذي بيده مآل الأمور، وكل الخلق إليه صائرون، ليس لغيره شيء من ذلك بتاتاً .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٦٠) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ . الدعاء هو العبادة، ومن استكبر عن عبادته سبحانه، فقد ترك دعاءه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الدعاء هو العبادة، وقرأ** : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾)[أبو داود والترمذي وابن ماجة] .

٢- إشارة : جاء في الآية (٦١) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ . الفضل من المنعم، يقتضي الشكر له على تفضله وإنعامه، مما وهب وأعطى لخلقه .

٣- إشارة : جاء في الآية (٦٢) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ . جملة (ذلك الله ربكم) جمعت توحيد الألوهية بدلالة اسم (الله)، وتوحيد الربوبية بدلالة اسم (الرب) .

٤- إشارة : جاء في الآية (٦٤) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ . حوت الآية الكريمة كافة أنواع النعم، الأرض بما عليها، والسماء بما فيها، وحُسن خلقة البشر بما يزيِّنها، ورزق الطيبات بعمومها، فاستحق سبحانه التنزيه الكامل، فتبارك وتعالى رب العالمين، حقاً وصدقاً وعدلاً .

٥- إشارة : جاء في الآية (٦٥) قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ . حياة ربنا جل في علاه أصيلة له وبه، وكل ما سواه من خلق حي فحياته بحياة ربه الكريم، الخالق العظيم، فاستحق بذلك إخلاص الدين له سبحانه، والحمد لله رب العالمين، إيماناً وعملاً، قولاً وفعلاً، ظاهراً وباطناً، أولاً وآخراً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فحمد ربه بإذن الله له، فقال : الحمد لله، فقال له ربه : رحمك ربك يا آدم** ...)[النسائي في الكبرى والبزار والبيهقي في الكبرى] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الليل . النهار : سبق الإيضاح .

٢- الناس . مخلصين . العالمين : سبق الإيضاح .

﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِيَ الْبَيِّنَاتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٦) هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦٧) هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٦٨) ﴾

- (بيان تضمن توجيهاً بإعجاز) : انتقل سياق الحديث إلى تقرير مسألة العبودية الحقة ناهياً سبحانه رسوله الأكرم ﷺ أن يعبد غيره، لما آتاه من بينات واضحات تقتضي أن يسلم له، منقاداً لمراده جل جلاله، الذي خلق البشر من أصل التراب، فتكوَّن منه الأزواج فتلاقحا، فمن قطرات المني خرجت النطفة، التي تكونت فصارت علقة، تخلَّقت فخرج طفلاً هزيلاً، يشتد عوده فيقوى ثم يضعف هرماً، ومنهم من يموت قبل ذلك، ومنهم من يبلغ أجله المقدر له، فهلا تفكرتم في حقيقة ذلك وتعقلتم، وبربكم وحده آمنتم، الذي بكرمه من عدم يحييكم، والذي متى انقضت آجالكم

يميتكم، وإذا أراد شيئاً في ملكه وملكوته أنفذه مباشرة بكلمة كن حالاً، فيكون كما أراد فوراً، لا راد لما أراد، ولا معجز لما قدر، سبحانه وبحمده، القادر القدير المقتدر .

توجيهات الآيات :

١- نهيه سبحانه رسوله الكريم ﷺ عن عبادة من سواه، وقد أرسله بالبينات الدالة على وحدانيته، وأمره إياه أن يسلم وجهه لرب العالمين، الخالق من العدم لا سواه .

٢- الخطاب له ﷺ وللأمة من بعده، في إخلاص الدين لله جل شأنه، فإذا خوطب الأعلى بأمر مهم، شمل الأدنى ولا ريب وهم عامة الأمة، إلا فيما يخص مقام النبوة الشريف .

٣- تذكيره جلت عظمته سائر خلقه بما أسدى إليهم من نعم وفضل، فهو سبحانه الذي خلقهم من عدم، عبر مراحل تخلُّق متعددة، تمر على الإنسان سنين عمره من ضعف إلى قوة، كل ذلك ليعتبر بذلك ويتعظ لما جرى له في سنيّ حياته .

٤- يختلف الناس في آجالهم في الدنيا، منهم من يموت وليداً، ومنهم من يعمر هرماً، ومنهم من يموت بين ذلك، لكل منهم أجل محتوم، في يومه لا يتعداه ولا يتجاوزه، والحكمة في إخفاء الأجل ليجتهد الخلق في العمل، ولو ذاك لتقاعسوا فيه .

٥- تنبيهه سبحانه سائر خلقه بأنه هو وحده المحيي المميت، لا سواه، فاعبدوه ولا تكفروا به .

٦- لا قادر في الكون إلا هو سبحانه، وما أمره إلا بكلمة (كن)، فيكون ما أراد فوراً .

٧- تغيُّر أحوال الإنسان في دنياه، مدعاة للتفكر والتدبر والتأمل في حقيقة أمره .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٦٦) قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ . كل أمر أو نهي وجه له ﷺ فهو للأمة من باب أولى، إلا فيما يخص مقام النبوة والرسالة، فسائر الخطابات من هذا النوع حاشاه ﷺ أن يعنى بها مباشرة، وما وجهت له إلا تعليماً للأمة من بعد .

٢- إشارة : جاء في الآية (٦٨) قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ ﴾ . قدرة الإحياء والإماتة هي لله وحده جل في علاه، ولا قدرة لسائر تلك المعبودات من دونه جل وعز، على شيء منها إطلاقاً، سبحانه له مطلق القدرة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- العالمين : سبق الإيضاح .

٢- طفلاً : ولد صغير لم يبلغ الحلم بعد .

٣- شيوخاً : جمع شيخ، وهو الرجل كبير السـن، الذي تجاوز سن الكهولة .

٤- أجل مسمى : سبق الإيضاح .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

- (استفهام تضمن توجيهاً بترهيب) : بعد تقرير العبودية الحقة، انتقل سياق الحديث إلى التخويف من عاقبة الإعراض، مقرراً سبحانه ذلك

باستفهام إنكاري، ألم تر يا رسولنا الكريم من كذب بهذا القرآن الكريم، وما جئتهم به من دين حق ! كيف لهم أن يعرضوا عنها، فذرهم لحين يأتيهم العذاب، حين تقيَّد أعناقهم، وبالسلاسل إلى النار يسحبون، يدخلوها فيها يحترقون، يُسألون يومئذ أين الذين كنتم بربكم تشركون !، فيجيبون لا وجود لهم، قد أيقنوا حينها أنهم لما لا حقيقة له كانوا يعبدون، فضلوا بكفرهم، وجوزوا بما كانوا في دنياهم به يفرحون، جهنم يدخلوها يخلدون فيها، ذلك هو الجزاء الحق للمتكبرين المعرضين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- يصرفون : يعدلون عن الحق .
- الأغلال : جمع غل، القيود في الأعناق والأيدي والأرجل .
- يسجرون : يحترقون توقد بهم بالنار .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- العاقبة الوخيمة وسوء المنقلب والمصير، لكل من عاند ورفض الحق، وجادل بالباطل، وكذب الرسل عليهم الصلاة والسلام، وكتبهم التي جاءوا بها، وهم المؤيدون بالمعجزات البينات .

٢- التخويف ببعض أهوال يوم الدين، ومشاهده المفزعة، حين توضع الأغلال في أعناقهم ويسحبون إلى النار، يلقون فيها تسجَّر بأجسادهم .

٣- يوبخ أهل النار فيها، بسؤالهم أين الذي كنتم تشركون بهم من دون الله تعالى، لينقذوكم اليوم من العذاب الأليم، فيقرون بأنهم ما كانوا إلا في ضلال مبين .

٤- الإنسان هو الذي يطلب الهداية أو يرفضها ليس إلا، فمن كفر بإرادته فقد جافى الهداية بمشيئته، لأن الله سبحانه لا يهدي من يضل، ولا يضل من اهتدى بطلبه للهداية .

٥- الدنيا دار الغرور، تشغل وتلهي وتصرف عن الحق، واللهو واللعب فيها غالب على كثير من الناس، إلا من استبان أمر دينه وأخلصه لربه العظيم .

٦- الحق بيّن والباطل بيّن، والشواهد على ذلك في الدنيا كثيرة، فمن طلب الحق وجده، ومن سار معه كان من أنصاره، ومن طلب الباطل وجده، ومن سار معه كان من أعوانه .

٧- خلق الله جهنم لعذاب المتكبرين، يخلدون فيها، هي الجزاء الوفاق لهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار : أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة : ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة : أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار : إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار : فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى**

بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحدا، وأما الجنة : فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً)[متفق عليه] .

٨- النون في قوله تعالى (أرسلنا، رسلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٦٩-٧٠) قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ . تكذيب رسول واحد يقتضي تكذيب عامة الرسل، عليهم جميعاً الصلاة والسلام، لأنه تكذيب للمنهج الرباني الحق الذي جاءوا به، ورفض الدين الذي يعتنقونه، وكفرٌ بمن أرسلهم من حيث الأصل .

٢- إشارة : جاء في الآيات (٧٣-٧٤) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ . جملة (يضل الله الكافرين)، دالة على أن سبب إضلالهم هو كفرهم في الأساس، فالكفر

في الأصل التغطية، وهم بكفرهم قد غطوا الإيمان وجحدوا به، وأظهروا الكفر فضلوا بسببه .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٧٥) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ . عامة الناس فرح بدنياه مرح فيها، مستخف بأمر دينه، وعبادة ربه العظيم .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- رسلنا . الكافرين . المتكبرين : سبق الإيضاح .

﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِىَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾

- (أمر تضمن توجيهاً بإعلام) : ما زال سياق الحديث حول موقف الكفار منه ﷺ، آمراً سبحانه رسول الهدى ﷺ بالصبر، فإن وعده حق ونصر دينه صدق، وعن قريب سنريك عذابهم والنكال بهم، أو سيحل فيهم ذلك من بعدك وإلينا جميعاً يرجعون، شأنك في ذلك شأن من أرسلنا من قبلك من رسلٍ كُثُر، منهم من قصصنا عليك سيرته للعبرة والموعظة، ومنهم من لم نقصص عليك، جميعهم بعثوا بمراد الله تعالى إلى خلقه، مؤيدين بالمعجزات الظاهرات، ومتى كُذب أحدهم واعرض عنه قومه جاءهم أمر الله عز وجل بالعذاب، فخسر هنالك المرجفون جزاء ما كانوا يعملون، ألا يعبدون الخالق العظيم، الذي ذلَّل لهم الأنعام، يأكلون منها وعليها يركبون، وينتفعون بجلودها وأعضائها، وبها يتفاخرون ويتباهون، وتحمل متاعهم في أسفارهم، كالسفن عليها يحملون، آيات كثيرات يبيِّنها جل ربنا في علاه لخلقه، فكيف رغم كل تلك النعم العظيمة والمتنوعة ينكرون فضله، وعن عبادته يعرضون ويستكبرون !.

۞۞۞

غريب الكلمات :

- جاء أمر الله : آن أوان ما أراد سبحانه، بإهلاكهم وعذابهم .
- قضي بالحق : حُكم بالعدل .
- حاجة في صدروكم : غرضاً أضمرتموه، كسفر أو تاجرة أو تطبّب .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- أمره جل وعز رسوله الكريم ﷺ بالصبر على مواقف الكافرين، وما مآل أمرهم إلا إلى عذاب سيحيق بهم، في حياته ﷺ أو بعد مماته، لا مفر لهم منه .

٢- معشر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كثير، منهم من ورد ذكره في القرآن الكريم، ومنهم من ورد ذكر طرف من قصته، ومنهم من ذكر اسمه فقط، ومنهم من لم يرد إطلاقاً .

٣- تأييد الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات الظاهرات الدالة على صدق ما جاءوا به، قطعاً للشبه والتكذيب .

٤- لكل أمة وقت معلوم لعذابها، يؤخر لحينه، حكمة بالغة لله تعالى في خلقه .

٥- تذليل الأنعام للخلق، ركوباً عليها، وأكلاً وشرباً منها، وانتفاعاً بأعضائها وجلودها، واتخاذها للزينة والوجاهة، ومطايا للأسفار وحمل الأمتعة والمنافع، نعم كثيرة ومتعددة .

٦- من جملة نعم الله تعالى شأنه المذللة، السفن تجري في البحر، للنقل والسفر وقضاء المصالح .

٧- لفت النظر لمظاهر القدرة ومشاهد الإعجاز في الكون، الدالة على وحدانيته وقيوميته تعالى، وهي أكثر من أن تحصى، أو تخفى أو ينكرها الناس، بما يقطع الشك والارتياب تماماً .

٨- النون في قوله تعالى (نرينك، نعدهم، نتوفينك، إلينا، رسلنا، قصصنا، نقصص) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٧٩) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ . لفظ الآية : (لتركبوا منها) وليس عليها، فيه دليل على أنه ليس كل أنواع الأنعام تتخذ للركوب عليها، وإنما بعضاً منها مما هو صالح لذلك، كالإبل والحمير والبغال وما شاكلها .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٨١) قوله تعالى : ﴿ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ . قد يغفل الغافل عن بعض المعجزات الكونية الظاهرة، لكن محال أن يغفل عنها كلها تماماً، ومن حصل منه ذلك فعلاً، فهو دليل على غاية إعراضه وغفلته الكبرى عن الحقائق، جملة وتفصيلاً .

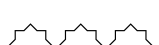

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- رسلنا . رسول : سبق الإيضاح .

٢- المبطلون : جمع مبطل، أهل الباطل، ومن طلبه ليدحض به الحق، المشكك فيه المكذب به .

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾

- (استفهام تضمن توجيهاً بترهيب) : ما زال سياق الحديث في التذكير بالنعم، مبيناً سبحانه بصيغة الاستفهام التقريري، ألم يرتحل أولئك الكافرون في الأرض في أسفارهم، ويروا ديار الأمم الهالكة ممن سبقهم، ممن كان أقوى بطشاً وأكثر عدداً، قد بقيت آثارهم من بعدهم شاهداً على عتوهم، وعلى مصارعهم، ورغم ذلك لم تمنعهم من العذاب، جزاء ما كانوا يكسبون، قوم سوء لما جاءتهم رسلهم بالدلائل والبراهين على صدق بعثتهم، ردوها عليهم بما عندهم من بقايا علم ورثوه، وحسبوا ذلك نصراً لهم، فحقَّ عليهم العذاب جزاء استخفافهم بأمر دينهم، الذين

لما رأوه مقبلاً أسلموا لله جل جلاله مؤمنين به، كافرين بما كانوا به يشركون، لكن ذلك لا ينفعهم بشيء أبداً، سنة الله تعالى شأنه في خلقه أن الإيمان حين العذاب لا يغني الإنسان شيئاً، فيا لخسران الكافرين .

غريب الكلمات :

- بالبينات : بالحجج الدامغات .
- بأسنا : عذابنا .
- يك ينفعهم : يكن بنافعهم .
- سنت : منهج حق في خلقه لا يخلفه سبحانه أبداً، كعدم قبول توبة من عاين العذاب .
- خلت : مضت وثبتت .

توجيهات الآيات :

١- لفت النظر لمصير الأمم السابقة الهالكة، ممن كفر وكذب وعصى، والاعتبار بما آلوا إليه .

٢- لا عاصم من الله جل وعلا، ولا منجي من عذابه أبداً، ولا ملجأ منه إلا إليه .

٣- كل رسول يبعث في قومه ببينات ظاهرات، دالة على صدق ما جاء به من منهج حق لا مرية فيه، عادة ما يتوافق مع ما لدى القوم من علم،

الأمر الذي قد يحملهم على التكذيب به والازدراء، والاستخفاف بما جاء به رسولهم، بدلاً من التصديق به والانقياد لما تم من توافق بين علمهم وما جاءهم به .

٤- لا يحيق العذاب بأهله، إلا جزاء ما كسبت أيديهم، بعد إقامة الحجة الكاملة عليهم .

٥- في الإنسان صفات عجيبة، من جملتها لَّما يرى البأس؛ يزول غروره عنه، ويسلم ويستسلم، فما أن يزول عنه، حتى يرجع إليه غروره، وكبريائه وطغيانه وعتوه .

٦- لا ينفع الندم بعد فوات الأوان، ولا التحسر بعد ذهاب الفرص، ولا الإيمان بعد فجأة الموت، أو قيام الساعة .

٧- لله جل جلاله سنن في خلقه، تمضي فيهم بمراده، لا يخلفها أبداً، مهما كانت الأحوال والظروف .

٨- خسران المبطلين واقع لا محالة، لكن في الوقت الذي قدره سبحانه وتعالى لهم، بعد إقامة الحجج والبراهين عليهم، بما لا يدع مجالاً للشك أو الارتياب في الأمر .

٩- النون في قوله تعالى (بأسنا، بأسنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكـــة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٨٣) قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ . قليل العلم يفرح بما لديه من أثرة قليلة، يحسبها شيء يعتدّ به، كان الأولى بالإنسان التصديق لما جاء من علم حق، ما دام متوافقاً لما عنده من علم سابق، وليس رفضه والاستنكاف عنه .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٨٤) قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ . موقف الإنسان في الرخاء، يختلف عن موقفه في الشدة، فيه دليل على أن نظرته في كلا الحالتين تختلف باختلاف المؤثر عليه في حينه .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٨٥) قوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ . جاء لفظ (سنت) بالتاء المفتوحة، دال على أن الأمر غير محدد بذاته، قد يتغير كما شاء ربنا تبارك وتعالى، حيث يضع سننه بما يوافق مصالح كل قوم بحسبها، أما متى جاءت بالتاء المربوطة (سنة) دلت على الشيء المغلق الثابت الذي لا يتغير . وقد جاءت كلمة (سنت) في القرآن

الكريم في (٣) مواضع كلها يدل على المعنى المشار إليه، آية في سورة الأنفال قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . وآية في سورة فاطر قوله تعالى : ﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ . وآية سورة غافر قوله تعالى : ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- رسلهم : سبق الإيضاح .

٢- مشركين . الكافرون : سبق الإيضاح .

۞۞۞

احصاءات عامة

- رقم الجزء : الخامس والعشرون .
- اسم الجزء : فصلت .
- عدد سوره : (٥) .
- بداية الجزء : الآية (٤٧) من سورة فصلت .
- نهاية الجزء : ختام سورة الجاثية .
- عدد السور المكية : (٤) .
- عدد السور المختلف فيها : (١) .
- عدد آيات الجزء إجمالاً : (٢٤٦) .
- عدد كلمات السور كاملة : (٣٣٣٤) .
- عدد حروف السور كاملة : (١٣٩٦٠) .

جزء فصلت : الخامس والعشرون :

(٦) سورة فصلت . سورة حم السجدة . سورة المصابيح

- مكية بالإجماع .
- آياتها (٥٤) آية مختلف فيه، فقيل (٥٣) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ حمٓ تَنزِيلُۢ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ آية واحدة .
- كلماتها (٧٩٩) كلمة . وحروفها (٣٣٥٠) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٦١) . نزلت بعد سورة غافر .
- رقمها في المصحف الشريف (٤١) .
- سميت بـــ (فصلت) لورود اللفظ بها، وهي ثانية الحواميم السبعة .
- محور حديث السورة الكريمة : صدق القرآن الكريم والتخويف بما فيه.
- مجمل موضوعاتها : (٩) موضوعات : الحديث عن نزول القرآن الكريم، وعن خلق السماوات والأرض، والتخويف بمصائر السابقين، والتخويف بيوم الدين، وترغيب المؤمنين الصادقين، وبيان كيفية التعامل الأمثل والدعوة إلى الله تعالى، والحديث عن دلائل القدرة الربانية، وبيان حفظ القرآن الكريم وصدق ما جاء به من حق سيظهر للعيان، والحديث عن حقيقة طبائع الإنسان .
- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (١٩) مرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ
ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ
ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾
قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ
فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ
ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ﴾

- (إعجاز غيبي تضمن بياناً بترهيب) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة بحرفين من الأحرف المقطعة، الدالة على غاية إعجاز هذا الكتاب، المنزل من الرحمن بخلقه، الرحيم بالمؤمنين، قد فصلت آياته بلسان فصيح يفهمه كل عربي، يبشر به رسول الهدى ﷺ قومه وينذرهم، فبدلاً من التصديق به رفضوه، وعن الحق الذي جاءهم به أعرضوا، بل وعليه تهكموا، قائلين : على قلوبنا أغطية مما تقول، وفي آذاننا ثقل عن سماع القول، وبيننا وبينك حاجز ساتر، فأعمل ما بدى لك، فإنا بما بدى لنا

عاملون، فرد عليهم رسول الهدى ﷺ : ما أنا إلا بشر مثلكم أوحى إليّ ربي وربكم، سبحانه الواحد في عليائه لا سواه، فسلموا له أمركم، واستغفروه ذنوبكم، فويل لمن أشرك به وأعرض عن دينه، ومنع الزكاة، وكذب بالآخرة وكان من الكافرين، أما المؤمنين الصادقين ممن عمل صالحاً، فأولئك لهم أجر كريم، لا مقطوع ولا ممنوع أبداً في دار النعيم .

غريب الكلمات :

- أكنة : أغطية، تحجب قبوله واستشعار مراده .
- وقر : ثقل في السماع، أدى إلى الصمم .
- حجاب : حاجز وساتر قائم بيننا .

توجيهات الآيات :

١- إثبات نزول القرآن الكريم من لدن ربنا الرحمن الرحيم، مفصل الآيات بلسان عربي مبين .

٢- بعثته ﷺ بشيراً ونذيراً لقومه ولمن بعدهم، فمنهم من آمن ومنهم من كفر، كذلك هو شأن عامة الأمم السابقة مع رسلهم .

٣- غاية جحود الذين كفروا وإعراضهم، بقولهم على قلوبنا أغطية، وفي آذاننا صمم، وكأن بيننا حجب تحول قبول ما جئت به، فافعل ما شئت على طريقة دينك، فإنا على طريقتنا عاملون .

٤- ما محمد ﷺ إلا بشر كغيره من عامة الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، يوحى إليه من ربه الكريم العظيم، فسلموا له وآمنوا به، وصدقوا بما جاءكم به، ولا تكونوا من المشركين المعرضين، فويل لمن كان هذا شأنه .

٥- ويل لمن منع الزكاة، كفراً بربه العظيم، باخلاً بما في يديه عن المستحقين .

٦- فضل الاستغفار كبير ولا ريب، يمحو الله تعالى به الذنوب، ويكشف بسببه الكروب، ويفرج عن صاحبه الضيق، ويوسع له في رزقه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من لزم الاستغفار، جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب**)[أبو داود وابن ماجة] .

٧- الاستقامة خلق كريم وسلوك محمود قويم، يجب على المسلم الاتصاف بها في كل الأحوال . في الحديث النبوي الشريف عن عبدالله الثقفي رضي الله تعالى عنه قال : (**يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، وفي رواية أحداً غيرك، قال ﷺ : قل آمنت بالله، ثم استقم**)[مسلم وأحمد] .

٨- بيان ما للمؤمنين الصادقين ممن عمل صالحاً، من نعيم مقيم دائم غير منقطع، في دار الخلود .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢) قوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ . أنزل جل جلاله القرآن الكريم، ليرحم خلقه به، وبمنهجه الحق، المتضمن الرحمة في كل تعاليمه وشرائعه .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . القوم الذين يعلمون، هم الذين أدركوا حقيقة القرآن الكريم، ومراد الله سبحانه، أما من لم يتبيَّن له الأمر، فأولئك هم الغافلون، المنصرفون عنه .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾ . قيمة نعمة السمع، بالغة الأهمية، يدرك بها الإنسان كل ما حوله، ولولاها لما تعلم ولما علم شيئاً، وكل من أعرض عن الانصات للبشارة والنذارة، شأنه في ذلك شأن الأصم (الأصنج) الذي لا يعي ولا يدرك .

٤- لطيفه : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ . من جعل بينه وبين قيم الحق والصواب حجاب، فقد

حكم على نفسه بالضلال والخبال، وكان الأولى به التبصر في الأمر واستبيانه واستيضاحه، وقوفاً على الحقيقة مجردة للعيان .

٥- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ . بالاستغفار يستجلب رضوان الله سبحانه في كل وقت وحين، مهما كان عظم الذنب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فر من الزحف**)[أبو داود والترمذي] . ولطيفة ينتظم عقد الإيمان بالتوحيد الصحيح، ثم بالاستقامة على مراد الله جل شأنه بالعمل الصالح، فإن فرط المسلم أو قصر أو أذنب كان الاستغفار .

٦- لطائف : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ﴾ . بذل المال في مستحقيه، تزكية للنفس، وتزكية للمال، وما كان للمشركين أن يزكوا أنفسهم أو أموالهم، من أي وجه كان . وأخرى كيف يطالب الكفار بالزكاة، وهي من جملة أركان الإسلام، الدين الذي رفضوه وأعرضوا عنه، فيه دليل على أن الرزق (المال) مشاع بين الخلق، مقسَّم بينهم بحكمة ولحكمة، ليترابطوا فيما بينهم ويكونوا في حاجة بعضهم، حتى وإن اختلف الدين فالأخوة

في الإنسانية باقية ومتحققة، ويجب العمل بموجبها فيما بين البشر، ولا سيما في الأزمات وأوقات النكبات، فلا يستنكف أيٌّ منهم ويبخل عن نظرائه في الإنسانية، وذلك ولا ريب من أقوى روابط التكاتف الاجتماعي العام، وفي الإسلام ما يؤكد مثل هذا التصرف، كما أقر رسول الهدى ﷺ اليهود على أرض خيبر يزرعونها من أموالهم ولهم منها نصف ما تخرجه الأرض يتمولونه . في الحديث النبوي الشريف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : (**أن رسول الله ﷺ دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها، على أن يعتملوها من أموالهم، ولرسول الله ﷺ شطر ثمرها**)[متفق عليه] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- قوم . بشر . المشركين : سبق الإيضاح .

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ

فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾

- (ترهيب تضمن إعجازاً بإعلام وتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن الذين كفروا، مبيناً سبحانه شركهم معه باتخاذهم النظراء له، وهو رب العالمين، الذي من عظمته خلق الأرض في يومين اثنين، ثم أرساها بالجبال الشواهق، وبارك في أقواتها التي أوجد فيها وأخرج منها في يومين آخرين، ثم كوَّن السماء بعد أن كانت دخاناً، ثم دعاهما لعبادته طواعية أو مراغمة، فأجابتاه بل طائعتين خاضعتين، فسواهن سبع سموات بعوالمها وما فيها، وزيَّن منهن السماء الدنيا التي تلي الأرض، بالنجوم كالمصابيح تنيرها، وحرساً من اعتداء الشياطين، كل ذلك في يومين أخيرين، فكملت بذلك أيام الدنيا الستة، التي أتم فيها سبحانه الخلق أجمعين، وشرع لخلقه عبادته، سبحانه وبحمده .

غريب الكلمات :

- رواسي : ورواس جمع راسٍ وراسي، وهي الجبال، تثقل على الأرض فترسيها .
- قضاهن : أبدعهن وأتم خلقهن وفق ما أراد .
- وأوحى : أعلمها وألهمها وأمرها .

توجيهات الآيات :

١- وخامة الكفر والشرك بالله عز وجل، باتخاذ الأنداد والنظراء معه، وهو رب العالمين جل في علاه، وذلك أمر لا يغفر مطلقاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**)[الترمذي وأحمد . بقرابها : ملؤها] .

٢- دعوة للتفكر والتدبر والتأمل، في صفحة هذا الكون الفسيح، بإظهار بعضاً من دلائل القدرة الربانية .

٣- تكوين الأرض تم في يومين اثنين من أيام الدنيا، لحكمة بالغة .

٤- إرساء الأرض بالجبال الشاهقات من فوقها، تمنعها من الاهتزازات والاضطرابات، وقد أثبت العلم الحديث ذلك فعلاً .

٥- البركات الربانية في الأرض، وإخراج طيباتها وخيراتها للخلق، أمر تم في يومين اثنين، فتم بذلك تكوين الأرض بما عليها، في أربعة أيام من أيام الدنيا .

٦- بعد خلق الأرض، كوَّن سبحانه السماء بعد أن كانت دخاناً، وجعلها سبع سموات، لكل واحدة نظامها مما يناسبها، وفيها من العوالم ما الله تعالى به عليم، كل ذلك تم في يومين آخرين من أيام الدنيا .

٧- تم خلق السماوات والأرض في ستة أيام بالوفاء والتمام، لكل من أراد أن يعرف ذلك على وجه الحقيقة، فيه دليل على أنهما مخلوقتان

محدثتان تماماً، وليستا أبديتين كما يزعم البعض، ولزوالهما وقت معلوم قدره جل جلاله .

٨- تزيين السماء التي تلي الأرض بالنجوم المعلقة كالمصابيح، له حكم شتى، يهتدي بها الخلق، ولا سيما في أسفارهم وفي تحديد وجهتهم، وحرساً من اعتداءات الشياطين .

٩- مخاطبته سبحانه للأرض والسماء، ليخضعا له طواعية أو مراغمة، فأجابتاه، قد خضعنا طائعتين منقادتين لمرادك ربنا .

١٠- كل مظاهر القدرة تلك، تقدير من رب عظيم، عزيز في ملكه، عليم بخلائقه سبحانه .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَاتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ . جملة (من فوقها) دالة على أن الجبال التي فوق الأرض، هي التي ترسيها وتثبتها، فضلاً عن الجبال الأخرى تحت الأرض الممتدة فيها .

٢- إشارة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ . لم يقل (طائعتين) ليدل على أنهما جاءتا مع جملة الخلق؛ كلٌ لربه منقاد .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٢) قوله تعالى : ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ . أثبت العلم الحديث أن حقيقة النجوم أجرام سماوية بالغة الضخامة، تتوهج بالضوء والحرارة في فضاء السماء الواسع، كالمصابيح فيه بالفعل .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يومين . أربعة أيام : سبق الإيضاح .

٢- أنداداً : جمع ند، وهو النظير والمثيل والشريك لله جل جلاله .

٣- العالمين : سبق الإيضاح .

٤- السائلين : جمع سائل، من يستوضح عن أمر ما، جهله حقيقته وغُم عليه .

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا

يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

– (تهديد تضمن تخويفاً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مهدداً سبحانه أولئك الكفار حال إعراضهم، بالهلاك كما حصل لعاد وثمود، حين جاءتهم الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، بدعوة الحق من كل وجه أن اعبدوا الله تعالى، فكفروا به وتمادوا وجحدوا واستهزؤا بأمره، معترضين كيف يرسل الله بشراً لهدايتنا لو أراد لأرسل ملائكة، فما نحن لكم بمؤمنين، أما عاد فاستكبروا في الأرض وغرتهم قوتهم وعتوهم، فسُلطت عليهم الريح الصرصر في أيام موبقة، ذاقوا فيها عذاب الذل والهوان في الدنيا، ولهم فوق ذلك ما ينتظرهم من عذاب الآخرة الأليم، جزاء كفرهم بربهم الرحيم، وأما ثمود فدللناهم على الهدى، فرفضوه و لم يقبلوه فضلوا، فأخذتهم صيحة الملك أزهقت أرواحهم جزاء ما كانوا يعملون، و لم ينج من ذلك العذاب الشديد، إلا المؤمنين المتقين .

غريب الكلمات :

- صرصراً : من الصرير، صوت عالٍ مفزع مخيف، وقيل باردة شديدة تزداد مع الوقت برودة .
- نحسات : مشؤومات عليهم بالعذاب .
- العذاب الهون : المذل المهين المخزي لهم .

توجيهات الآيات :

١- عاقبة الإعراض عن دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام وخيمة ولا شك، بالهلاك في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، لأنهم دعاة الله جل شأنه إلى الحق، فكان الأولى طاعتهم والانقياد لما جاءوا به .

٢- التخويف بمصير الأمم السابقة، من عاد وثمود، وكيفية هلاكهم، حين جاءتهم رسلهم بالحق، وقد نما إلى أسماع الكفار دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام لهم من قبل، وتكذيب أقوامهم لهم كما كذبوا هم برسول الهدى ﷺ، لينتظروا العذاب مثلهم إذن، أو ليرعووا وينصتوا لقول الحق ورسول الصدق وما جاء به ﷺ من حق .

٣- دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام واحدة، فمن كذب برسول واحد فقد كذب الجميع، لأنه تكذيب بالمنهج الرباني الواحد الحق . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم**

واحد)[البخاري . ولعلات : اتفاقهم على أصول الدين، واختلافهم في الشرائع التعبدية] .

٤- اعتراض عامة الكافرين على أنبيائهم ورسلهم عليهم الصلاة والسلام، قائلين لو شاء ربنا لأرسل ملائكة يدعوننا للحق، وليس بشراً مثلنا، شبهة قد تواطأت قلوبهم عليها .

٥- عتو قوم عاد وتجبرهم في الأرض، واغترارهم بقوتهم، مستخفين بقوة الله تعالى وبأسه الشديد، الذي أخذهم بالريح شديدة الصوت، ذات صرير مفزع، سلطت عليهم في أيام مشؤمات، فلا ناصر لهم، هذا عذاب الدنيا، أما عذاب الآخرة فأشد وأفظع .

٦- هداية قوم ثمود بإرشادهم للحق وبيان سبله، لكنهم رفضوه وأعرضوا عنه، فأخذتهم صيحة جبريل عليه السلام فيهم، جزاء الكفر والإعراض .

٧- شمولية العذاب القوم الكافرون، ونجاة المؤمنين مع رسلهم عليهم الصلاة والسلام .

٨- ما كان لأمة أن ينزل بها العذاب، حتى تقام عليهم الحجة والبرهان، سنة الله تعالى في خلقه .

٩- النون في قوله تعالى (بآياتنا، فأرسلنا، لنذيقهم، فهديناهم، ونجينا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ . جملة (مثل صاعقة عاد وثمود)، دالة على أن هلاكهم كان فاجعة كبرى، أحاطت بهم من حيث العموم، وإلا فهلاك عاد كان بالريح الصرصر، وهلاك ثمود بصيحة الملك .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ . لو أنزل جل وعلا ملائكة يدعون البشر، لاعترضوا قائلين : لا طاقة لنا للاقتداء بهم، لأنهم ملائكة أشداء يطيقون ما لا نطيق، لذا كان ولا بد من إرسال البشر، لأن الاقتداء بهم ممكن لا مشقة فيه .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ . قد يكون النحس في حياة الإنسان فعلاً، نوع من البلاء يسلط عليه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن كان الشؤم في شيء ففي الدار، والمرأة، والفرس**)[متفق عليه . والفرس : الدابة] .

٤- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٧) قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ . قد يجد الإنسان في دنياه من يدله على الصواب، لكن العبرة بقبوله لتلك الدلالة من رفضها . ولطيفة هداية الدلالة تبذل وهي مهمة، لكن الأهم منها هداية القبول، هذه التي تحتاج لتوفيق من عند الله جل شأنه، قد تُعرض للإنسان فيحرمها ولا يوفق لقبولها، لا يوفق لها إلا من صدق مع الله تعالى فيصدقه سبحانه ويوفقه لها ولقبولها، فمن كان مع الله كان الله معه .

٥- لطيفة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ . التقوى هي ثمرة الإيمان وحقيقته المرجوة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عاد . ثمود . الرسل : سبق الإيضاح .

٢- الملائكة . أيام : سبق الإيضاح .

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ

خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾

- (تهديد تضمن تخويفاً بتوجيه) : ما زال سياق التخويف مهدداً سبحانه بيوم الحشر العظيم، حين يُجمع المجرمون ويساقون إلى النار، يحبسون جميعاً ليتلاحقوا قبل ولوجها، يومئذ تشهد عليهم جوارحهم بأعمالهم، فتنطق آذانهم وأعينهم وجلودهم بما كانوا يعملون، فيخاطبونها كيف شهدتم علينا وأنتم جزء منا، فتجيبهم أنطقنا الله العظيم، الذي له القدرة على إنطاق كل شيء، سبحانه هو الخالق أولاً وإليه المصير آخراً، وما كنتم حال المعاصي والآثام تستخفون من جوارحكم، ولا ظننتم أنها ستشهد عليكم، بل ظننتم أن الله سبحانه لا يعلم ما تعملون، ظن سوء بربكم، أهلككم فأصبحتم خاسرين لأنفسكم فهذه النار مصيركم اصبروا على حرها، لا مجال وقتئذٍ للاعتذار ولا للحسرة والندم بعد الفوات .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- يوزعون : يجمعون أولهم وآخرهم .

- تستترون : تستخفون حال اقتراف الذنوب وارتكاب المعاصي .

- أرداكم : أهلككم فترديتم .

- يستعتبوا : يطلبوا العُتبى والمغفرة، ورفع ما يوجب اللوم عنهم، وهذا محال يومئذٍ .

توجيهات الآيات :

١- عداوة الله جل في علاه، خسران مبين وبوار وهلاك ما بعده هلاك، في الدنيا والآخرة .

٢- التخويف بيوم الحشر العظيم، وما فيه من أهوال عظام، حين يجمعون على أرض واحدة للحساب والعقاب، لا مفر لهم من النار، ثم يساقون إليها ذليلين خاضعين خانعين .

٣- شهادة جوارح الإنسان عليه في الآخرة، أكبر حجة عليه لا محيص عنها أبداً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**فيختم على فيه، ويقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله، وذلك ليُعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه**)[مسلم] .

٤- ذهول الإنسان حين تقام عليه الحجة، بإنطاق جوارحه عليه شهوداً حاضرين، قد أنطقها ربها العظيم، القادر على إنطاق كل شيء، وإليه المرجع والمصير .

٥- اغترار الكفار والفجار، بعدم التخفي من ربهم جل جلاله، حين ارتكاب المعاصي والذنوب، لعدم إيمانهم به، وكفرهم بيوم الحساب .

٦- الظن السيء بالله عز وجل من أنه لا يعلم ما يكون، هو الذي جرَّأ الكفار والفجار على اقتراف الذنوب، وارتكاب المعاصي والآثام .

٧- النار مصير كل كافر جحود معرض، لم يؤمن بربه ولا بيوم الحساب، لا مفر له منها، سواء صبروا على جحيمها أم لم يصبروا .

٨- لا مجال للاعتذار وطلب الرضا والعفو من الله جلت عظمته، فالآخرة دار جزاء وحسب، لا رجوع فيها ولا تدارك لأحد حينها .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآيات (٢٠-٢٢) قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ . الجوارح هي الوسائل والأعضاء التي مارست اللذة والشهوة في الدنيا، حين كانت محكومة بإرادة الإنسان،

وهي التي يقع عليها العذاب الأليم في الآخرة، حين تحررت من حكم الإنسان وعادت لربها وخالقها العظيم . وإشارة جاء اللفظ (سمعهم وأبصارهم)، و لم يقل (آذانهم وأعينهم)، ليدل على أن المنهي عنه الفعل المحرم، وليس عمل الجارحة المجرد .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٢٣) قوله تعالى : ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ . حُسن الظن بالله جل جلاله أمر مطلوب، به تكتب للعبد النجاة والفوز والفلاح . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل**)[مسلم] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يوم : سبق الإيضاح .

٢- أعداء الله : جمع عدو، كل من خالف منهجه ورفض الانقياد له .

٣- الخاسرين : جمع خاسر، كل من ضاد الله تعالى، ودينه وشرعه، فخاب سعيه .

٤- المُعتبين : جمع معتب، المجابين لطلبهم العتبى، ليغفر لهم خطأهم .

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ

كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

- (بيان تضمن تخويفاً بتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى بيان حال أولئك الكفار مع شياطينهم، التي سلطت عليهم، تضلهم عن الحق وتزيِّن لهم الباطل، فحق عليهم العذاب كما حق على من كفر من قبلهم وكانوا من الخاسرين، من خبثهم كانوا حين يسمعون القرآن الكريم يتلى يتواصوا فيما بينهم بالمشاغبة والتشويش عليه، بغرض مغالبة القارئ ليسكت، فويل لهم من عذاب شديد سيذوقونه جزاء الكفر والجحود والإعراض، وما كانوا يقومون به من أعمال قبيحة استحقوا بها الخلود في النار، يجتمعون فيها فيتغيَّظ بعضهم على بعض، فيطلبون من الله سبحانه أن يريهم المتسبِّب في إضلالهم، ممن كان يزيِّن لهم أعمالهم من الجن والإنس، ليجعلوهم تحت أقدامهم، فيكونوا أكثر منهم ذلاً ومهانة ونكالاً وعذاباً أليماً .

غريب الكلمات :

- قيضنا : هيئنا لهم، وسلطنا عليهم .

- وألغوا فيه : من اللغو، شاغبوا حال سماعه، بإحداث ضجة وصياح وتشويش على قارئه .

توجيهات الآيات :

١- لكل إنسان قرين من الجن، يغويه ويزين له الباطل والشهوة فيرتكبها، ويشككه في الغيب والآخرة فيكذِّب بهما، حتى يوبقه بالكفر، ويوقعه في الذنوب والمعاصي .

٢- تعدد الأمم التي ضلت وكفرت وجحدت، من الإنس والجن، ممن حكم عليهم بالهلاك والعذاب، وكانوا من الخاسرين .

٣- تواصي الكفار فيما بينهم بكل شر ومنكر، حتى لا يؤمنوا، ويرعووا إلى الحق .

٤- القرآن الكريم له تأثير بالغ في سامعيه، لذا حرص الكفار على عدم الانصات له بحال، والشغب على القارئ برفع الصوت وتخليط القول والتصفيق حتى لا يسمعوه، وما ذاك إلا لعلمهم بقوة تأثيره فيما لو أنصتوا له، فويل لهم من عذاب أليم، جزاء ما كانوا يعملون .

٥- الجزاء الوفاق لأعداء الله تعالى هو النار، يصلونها لجحودهم العريض، وإعراضهم الكبير عن الحق والدين والكتاب المبين، جنوا على أنفسهم

بالبوار فهلكوا، لم يجن عليهم أحد أبداً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، ثم أوفيكم إياها، فمن وجد خيراً، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومن إلا نفسه**)[مسلم] .

٦- جزاء الاجتماع على الباطل والمنكر وخيم يوم القيامة، يحمل الإنسان على الانتقام ممن كان سبباً في إضلاله، ووروده النار بإغوائه، لدرجة طلبه من الله تعالى أن يجعله تحت قدمه، لمزيد من المهانة والنكال والعذاب .

٧- حياة الإنس غير منفصلة عن حياة الجن تماماً .

٨- النون في قوله تعالى (وقيضنا، فلنذيقن، ولنجزينهم، بآياتنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٢٥) قوله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ . هناك علاقة بين الإنس والجن في الدنيا، منها الإغواء عن طريق الوسوسة، ومنها التسخير عن طريق السحر، ومنها المس عن غير عمد .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . لا يمكن بحال طمس صوت الحق، الظاهر القوي، مهما فعل الأعداء، لأنه يستمد قوته وظهوره من موافقته للقيم والمبادئ التي فطر الناس عليها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء**)[متفق عليه . جدعاء : مقطوعة الأذن أو الأنف] .

٣- إشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . الشرك هو أسوأ الأعمال على الإطلاق، لأنه يحبط سائر العمل دونه، مهما أحسن الإنسان في حياته، ما لم يوحِّد الله عز وجل .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ . فرق كبير بين الفاسد الفاسق الضال في نفسه وعلى نفسه، وبين المفسد المضل لنفسه وعليها، ولغيره وعلى غيره، المجاهر بالمعاصي والآثام، الناشر لها بين الناس، لتشيع في المجتمع .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- قرناء : جمع قرين، سبق الإيضاح .

٢- أمم . الجن . الإنس : سبق الإيضاح .

٣- أعداء الله : سبق الإيضاح .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ

وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ
يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾

– (بيان تضمن ترغيباً بتوجيه) : بعد سياق الترهيب جاء سياق الترغيب، مبيناً سبحانه حال تنزُّل الملائكة الكرام عليهم السلام، بالبشرى على الذين آمنوا بربهم واسلموا له وعملوا صالحاً، ولا سيما حال الموت، ألاَّ خوف ولا حزن عليكم، وأبشروا بالجنة التي وعد ربكم، فنحن أولياءكم في الحياة الدنيا بالحفظ والرعاية، وفي الآخرة بالشفاعة، والكرامة في الجنة لكم فيها ما تشتهون، ضيافة من ربكم الغفور لذنوبكم الرحيم بكم، جزاء إيمانكم، والدعوة إلى دينه، وعملكم الصالح كما شرع، واستسلامكم لمراده، وجزاء لين الجانب وبذل الكلمة الطيبة، التي تستميل القلوب، فتجعل العدو قريباً شفوقاً، خلق قويم لا يطيقه كل أحد إلا من صبر على إيذاء الناس فكظم الغيظ، وقابل الإساءة بالإحسان، سليم الصدر والسريرة، سمح النفس كثير خيره، متى نزغه الشيطان استعاذ بربه العظيم، السميع لخلقه بهم عليم، الذي من مشاهد قدرته تذليل الليل والنهار والشمس والقمر لخلقه، فلا تعبدوها أو تخضعوا لأيها، واعبدوا خالقها العظيم سبحانه، فإن كفر أولئك المشركون بل والبشر أجمعون، فالملائكة الكرام عليهم السلام الذين عند ربك، ينزهونه عن الشرك،

ويقدسونه ويعظمونه حق التعظيم، وفي كل وقت وحين لا يفترون ولا يملون، ولا عن ذلك يغفلون .

غريب الكلمات :

- استقاموا : ساروا على الصراط المستقيم بمراد ربنا العظيم، و لم ينحرفوا عنه .

- تدَّعون : تطلبون مما ترغبون .

- ينزغنك : يحدثنَّ في صدرك وسواس، ليصرفك ويشغلك، ويشكك قلبك، ويلبِّس عليك .

- نزغ : خاطرة سوء من شيطان، مذمومة مشغلة عن الحق .

توجيهات الآيات :

١- الإيمان والاستقامة، تفضي إلى الفوز بالجنة ونعيمها .

٢- تنزل الملائكة الكرام عليهم السلام على المؤمنين حال الاحتضار، لتبشرهم بالجنة وبعدم الخوف أو الحزن، وأنهم أولياؤهم في الدنيا والآخرة، لهم في الجنة ما يشاؤون ويشتهون .

٣- نعيم الجنة فضل من الله جل في علاه الغفور الرحيم .

٤- أحسن القول الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الحق، بعد تحقق الإيمان الصادق والعمل الصالح، والاستسلام لمراد ربنا سبحانه والانقياد له .

٥- محال أن تستوي الحسنة والسيئة في كل شيء، في الفكر والقول والفعل، والمبدأ والمنهج والتعامل، وكما أن المساواة في العمل مستحيلة، هي كذلك في النتائج ولا ريب .

٦- مقابلة الإساءة بالإحسان، والعنف والشدة بالرفق واللين، من أفضل القرب إلى الله جل جلاله . في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : **كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، نظرت إلى صفحة عنق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء، من شدة جبذته، ثم قال : يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله ﷺ فضحك، ثم أمر له بعطاء**)[متفق عليه . وجبذه : شده بقوة] .

وفي رواية قال الأعرابي للنبي ﷺ : (**احمل لي على بعيري هذين فإنك لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك**)[أبو داود] .

٧- الكلمة الطيبة وخفض الجناح والقرب من الناس والعفو والصفح، كل ذلك خلق جميل لا يطيقه أي أحد . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الكلمة الطيبة صدقة**)[البخاري] . وقوله ﷺ : (**وما زاد الله عبداً بعفو، إلا عزاً**)[مسلم] .

٨- كظم الغيظ وتحمل الأذى خلق رفيع، ومرتبة عليا في التعامل مع الناس، لا يبلغها عامة البشر . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من**

كظم غيظاً وهو قادر على أن ينفذه، دعاه الله عز وجل على رءوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره الله من الحور العين ما شاء)[أبو داود والترمذي وابن ماجة] .

٩- الاستعاذة بالله رب العالمين، من الشيطان الرجيم، مطلوبة في كل وقت وحين، ولا سيما حال الوسوسة والغضب وإثارة الشهوة والانفعال، فما كان الشيطان الرجيم ليترك الإنسان يهنأ بحياته ويستكين أبداً .

١٠- لفت النظر لمشاهدة القدرة الربانية، من تسخير الشمس والقمر، والليل والنهار للخلق ينتفعون بها، مما يستوجب الانقياد لخالقها العظيم .

١١- النهي عن عبادة الشمس والقمر، أو تعظيمها بالسجود لها، أو تقديم القربان عندها، كل ذلك كفر وشرك عظيم .

١٢- السجود يعني الخضوع والانقياد، وهذا لا يكون إلا لله رب العالمين، المنعم المتفضل، الذي يحب من عباده إظهاره له، لاستحقاقه إياه لا سواه، ويجازي عليه كثيراً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : **(ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه بها خطيئة)**[الترمذي والنسائي وابن ماجة] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : **(إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، يقول : يا ويلي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار)**[مسلم] .

١٣- لله جل وعلا عباد كثير، فإن كفر به وأشرك البشر وفرطوا جميعاً في عبادته كما ينبغي، فالملائكة الكرام عليهم السلام يعبدونه ويسبحونه ويعظمونه، دون كلل أو ملل أو فتر أو سأم .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٣٠) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . الخوف والحزن هي أكبر المقلقات في حياة الإنسان، لذا ضمنها سبحانه لخلقه، في الدنيا بالتوفيق والسداد لمن صدقه وصدَّقة فلا تضره، وفي الجنة كما وعد عباده ذلك . ولطيفة يكون الخوف من المستقبل المجهول، حين يقلق المسلم على نفسه ومصيره، ويكون الحزن من الماضي الفائت، حين يذكره فتضيق نفسه عليه .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣٢) قوله تعالى : ﴿ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ . النُزُل في الأصل ما أعد للضيف، فيه دلالة على أن كل ما في الجنة من نعيم مقيم، يقترن بالحفاوة والتكريم لأهلها، كما لو كانوا ضيوفاً فعلاً وعلى الدوام، حتى لا يملوا ويسأموا، وتلك نعمة كبرى من جملة نعم ربنا جل جلاله وتقدست أسماؤه .

٣- إشارة : جاء في الآية (٣٣) قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ . الدعوة إلى الله عز وجل من أحب الأعمال إليه، لأنها استكمالاً لدعوة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، في نشر الحق ومحاربة الباطل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً**)[مسلم] .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٣٥) قوله تعالى : ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ . جملة (ذو حظ عظيم)، دالة على هبات الله جل وعلا وعطاءاته، لمن شاء من خلقه، بما شاء من توفيق وسداد ورشد ونعم وكرامات .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٣٧) قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ . نهى عن السجود للشمس والقمر، لأنهما جرمان سماويان معبودان من

كثير ممن أشرك بربه الكريم، أما الليل والنهار فهما زمانان لا تابع لهما، كما هو شأن الشمس والقمر .

٦- إشارة : جاء في الآية (٣٨) قوله تعالى : ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ . جملة (عند ربك) دالة على الملائكة الكرام المقربين منه جل في علاه، الموكلين بالتسبيح له ليلاً ونهاراً لا يفترون . في الحديث النبوي الشريف قوله : (**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، إن السماء أطَّت، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله** ...)[الترمذي وابن ماجة . أطت : ثقلت] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الملائكة . أولياؤكم : سبق الإيضاح .

٢- المسلمين : جمع مسلم، سبق الإيضاح .

٣- ولي حميم : صديق قريب، شفوق على الشخص، محب له .

٤- الشيطان . الليل . النهار : سبق الإيضاح .

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيۡرٌ أَم
مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾
لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾
مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ
وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ لَوۡلَا
فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَأَعۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى
وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ
عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾

- (إعجاز تضمن ترهيباً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن مشاهد القدرة الربانية، مبيناً سبحانه بعضاً منها، فهذه الأرض تراها هادئة ساكنة فما أن ينزل عليها المطر حتى تتحرك بما فيها من بذور النبات فتنشق عنه، كذلك إحياء الموات، فما للذين ينكرون قدرتنا لا يتعظون، ويل لهم يوم يلقون في النار، أذلك أفضل أمَّن أمَّنه إيمانه يوم القيامة !، وكلٌ مجازى بعمله، ولكل منهما مصيره المستحق، ويل لمن كذب بهذا القرآن العزيز، الذي محال أن يأتيه النقص أو الخلل أو اللبس من أي وجه كان، لأنه تنزيل الحكيم في قضائه وقدره، الحميد في تفضله وإنعامه، فيا رسولنا

الكريم قل لهم كما قال الرسل من قبلك لأقوامهم، إن ربكم ذو مغفرة لمن تاب واستغفر وأناب، وذو عقاب أليم لمن طغى وبغى وعتى، فكيف يكون هذا شأنهم وهو قرآن عربي، يفهمون ألفاظه ويدركون معانيها ! كيف لو كان قرآناً أعجمياً لا يفهمونه ! لقالوا حينها هلا فصِّلت آياته لنفهمها ! قل لهم يا رسولنا الكريم هذا كتاب حق حوى الهدى والشفاء، لمن صدقه واستيقنه وتمعَّن مقاله، لكنه شقاء على المعاندين المكذبين به المعرضين عنه، المستثقلين حتى سماعه، كمن يُنادى من مكان بعيد فلم يستوضح صوت المنادي، و لم يدرك فحوى ما يقول .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- ربت : علت وانشقت، وأخرجت ما بداخلها .
- يلحدون : يميلون وينحرفون، ويجانبون الصواب .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- دعوة للتفكر والتدبير والتأمل، بلفت نظر الخلق لدلائل القدرة الربانية، فهذه الأرض ترها مستكينة لا حراك لها، فما أن ينزل المطر حتى تخرج خيراتها، وتحيا بعد يبس .

٢- قدرة الله تعالى المطلقة على إحياء الموات من الأرض، حين ينزل المطر فيخرجون منها وينبتون من جوفها نباتاً . في الحديث النبوي الشريف

قوله ﷺ : (**ما بين النفختين أربعون، ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون، كما ينبت البَقْل، وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً، وهو عَجْبُ الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**)[متفق عليه . والبقل : النبات . ويبلى : يتفتت] .

٣- ويل لمن مال وانحرف عن مراد ربه العظيم، وأنكر وجوده وقدرته ونعمه في الكون .

٤- الخلق يوم القيامة صنفان : نصف يأتي خائفاً فيلقى في النار جزاء كفره وجحوده، وصنف يأتي آمناً فيدخل الجنة، كلٌ جوزي بعمله، وربك سبحانه بأعمال خلقه بصير .

٥- ويل لمن كفر بربه الكريم، وكذب القرآن الكريم، وأعرض عن الذكر الحكيم، الكتاب المحفوظ من كل وجه عن كل نقص أو شبه أو طعن أو خلل فيه، لأنه من لدن ربنا الحكيم الحميد، الذي ضمن حفظه على الوجه المطلوب .

٦- نزل القرآن الكريم باللسان العربي، فيه هدى للخلق وشفاء لما في الصدور، يشعر بذلك كل من آمن بربه العظيم وصدق بهذا الكتاب المبين، وسمي (ذكراً) ليدل على أنه كتاب يتلى ويتعبد به المسلم لله سبحانه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**)[الترمذي] .

٧- القرآن الكريم كتاب عزيز رفيع القدر محال أن يطاله النقص، ولا يعرض عنه وينفر منه، ويشمئز ويشقى به إلا الذين كفروا وكذبوا وجحدوا، كأن في آذانهم ثقل يحول دون سماعهم له بوضوح، كما لو كان أحدهم يسمع من يناديه من مكان بعيد، لا يدرك مضمون النداء، ولا يتبيَّن ما يسمع .

٨- سنة الله عز وجل في خلقه، أنه ذو مغفرة وذو عقاب أليم، منهج جاء به عموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ليبلغوه للخلق، ليعرفوا ربهم العظيم الكريم الرحيم سبحانه .

٩- النون في قوله تعالى (أنزلنا، آياتنا، علينا، جعلناه) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٣٩) قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَـٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ . أثبت العلم الحديث فعلاً أن الأرض حال نزول المطر عليها أو سقيها بالماء، تهتز وتتحرك وتعلو قشرتها، ثم تنشق وتخرج ما بداخلها من نبات كانت بذوراً مخبأة فيها من

قبل، ثم تنبت نباتاً كاملاً، وصف دقيق، كما ورد في الآية الكريمة بالضبط، فسبحانه وبحمده .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٤٠) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ . في الآية احتباك، ويكون التقدير حال فكه : (أفمن يأتي خائفاً يوم القيامة فيلقى في النار خير أمن يأتي آمناً يوم القيامة فيدخل الجنة) .

٣- إشارة : جاء في الآية (٤٣) قوله تعالى : ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ . حين تحدث عن الرحمة أكدها باللام (لذو)، وحين تحدث على العقاب لم يؤكدها، دال على أن الرحمة سبقت الغضب . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لما قضى الله الخلق، كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي غلبت غضبي**)[البخاري] . وفي رواية (**سبقت غضبي**) .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يوم القيامة . الرسل : سبق الإيضاح .

٢- مكان بعيد : موقع ليس بالقريب من الإنسان .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾

- (إعلام تضمن إعجازاً بتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى ذكر موسى عليه السلام وما آتاه سبحانه من كتاب مبين، هو التوراة التي اختلف فيها قومه، فلولا وعد الله عز وجل بتأخير العذاب إلى يوم المعاد، لحكم بينهم الجزاء الوفاق، كذلك هو شأن الكفار الذين شككوا في هذا القرآن الكريم، لكلٍ جزاءه يوم الدين، فمن عمل صالحاً فقد استنقذ نفسه، ومن أساء العمل فسوء ذلك عليه، وما ربك العظيم بظلام لأحد مطلقاً، سبحانه له العلم المطلق، بموعد القيامة العظيم، وبما في أوعية النبات من زهور وثمار، وما في بطون سائر الإناث، وما تضع إلا بعلمه المطلق، فويل

لمن كفر بكل ذلك، يوم ينادي سبحانه أين شركائي ! فيجيبونه قد اعترفنا وأعلمناك، ما منَّا أحد يشهد بأن لك شريك، قد تاه عنهم وزال ما كانوا يعبدونه في الدنيا، وأيقنوا حينها أن لا مهرب لهم من العذاب .

غريب الكلمات :

- مريب : مقلق يدعو إلى التشكيك والارتياب .
- من أكمامها : أوعيتها وكيزانها .
- آذناك : أعلمناك، واسلمنا لك بخطئنا .
- محيص : ملجأ ومهرب ومفر .

توجيهات الآيات :

١- إرسال موسى عليه السلام إلى قومه بالتوراة، فاختلفوا فيه وفيما آتاهم به من الحق، شأنه في ذلك شأن عامة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الذين عورضت دعوتهم .

٢- سنة الله تعالى في خلقه، تأخير العذاب إلى يوم المعاد، حيث الفصل بين الناس والقضاء بالحق .

٣- العمل الصالح رأس الأمر بعد الإيمان الصادق، فمن عمل صالحاً أفلح وفاز، ومن عمل سيئاً فقد خاب وخسر، كلٌ يوفى بعمله وما ربك بظلام للعبيد . في الأثر : (إن الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني، إنما الإيمان ما

وقر في القلب، وصدقه العمل)[ابن أبي شيبة والبيهقي في شعب الإيمان وغيرهما] .

٤- علم الله جل وعز المطلق، الذي لا يطلع عليه أحد، كقيام الساعة في يومها الموعود، وما في أوعية النبات مما تحمله كيزانه، وما في بطون الإناث من كافة المخلوقات، وما يخرج من بطونها، في الوقت المقدر لها، هذه بعض مظاهر القدرة ودلائل العظمة، فأين تلك المعبودات من دونه ماذا لهم من كل ذلك !.

٥- يوم القيامة، يوم حسرة وندامة على الكافرين والمشركين، حين يسألون أين ما كنتم تشركون، يعلمون حينها أنهم ما كانوا يعبدون إلا خيالاً لا حقيقة لوجوده، فيقرون بذلك لله رب العالمين، نشهد ألا إله غيرك ولا شريك لك، لكن بعد فوات الأوان .

٦- انتهاء الدنيا أقصى زمن الإمهال، والاعتراف بالحق بعد وقته لا يسقط العقوبة أبداً، لأن زمن الإمهال قد انقضى، فلا عذر حينها ينفع صاحبه ولا عتب .

٧- لا مهرب من النار ولا مفر من العذاب، بعد أن تكشفت حقائق الأمور لمن كان مرتاباً في أمر دينه، مشككاً في ربه وقدرته جل شأنه .

٨- النون في قوله تعالى (آتينا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٤٦) قوله تعالى : ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ . العمل الصالح يكون للنفس، لأنه يأتي في مصلحتها ومنفعتها، والعمل السيء يكون عليها، لأنه يوبقها ويهلكها .

٢- إشارة : جاء في الآية (٤٧) قوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾ . أثبت العلم الحديث أن داخل أوعية النبات تكمن الملقحات، التي بدورها تُخرج الثمار منها بأنواعها المختلفة والمتنوعة، سميت أكماماً لأنها حافظة لها كالكُمِّ فعلاً، فكان تصويراً دقيقة حقاً .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٤٨) قوله تعالى : ﴿ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ﴾ . الظن هنا بمعنى اليقين، والتقدير (أيقنوا أنه لا مفر لهم من العذاب) .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- موسى . العبيد : سبق الإيضاح .

٢- الساعة . أنثى : سبق الإيضاح .

٣- يوم يناديهم : سبق الإيضاح .

٤- شركائي : جمع شريك، ما عُبد من دونه تعالى، وجعل نظيراً له .

٥- شهيد : كل من حضر حدثاً ما، وله القدرة على الحكاية عنه، والحكم عليه، فيدلي بما رأى منه أو سمع .

﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَـٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَـِٕنْ أَذَقْنَـٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَـٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَـِٕن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾

– (بيان تضمن ترهيباً وإعجازاً بتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى حيث بيان حال الإنسان مع ربه الكريم، كيف أنه لا يمل من طلب الخير، من مال وصحة وولد، لكنه متى أصابه البلاء يأس وقنط من رحمة ربه، ومتى أصابه خير من بعد ضر زها بنفسه ونسب ذلك لها، وأنكر الآخرة تماماً، وزعم أن لو كان هناك آخرة حقاً، فسيعطيه فيها كما أعطاه في الدنيا، فويل للكافرين من عذاب بالغ الألم جزاء ما اقترفوه، كذلك هو شأن الإنسان قليل الشكر في السراء، إن أصابه خير غفل به عن ذكر ربه سبحانه وتجبَّر وتكبَّر، وإن ضاق به الحال وضعف أمره كثرت شكواه وقلَّ صبره في الضراء، إلا من آمن بربه العظيم وصدَّق بالقرآن الكريم، الذي نزل من عنده عز وجل، وما كذب به وأعرض عنه إلا شقي ضال، تعامى عن حقائقه القائمة رغم كثرتها، فضلاً عما سيتكشف للبشر في مستقبل الأيام، من مشاهد قدرة في هذا الكون الفسيح، ومن جوانب الإعجاز في خلق النفس البشرية، ومن براهين ومعجزات تحدَّث عنها قبل أن يعرفها البشر، تثبت صدق ما جاء به من دين حق وشرع صدق بما لا مرية فيه، لأنه من لدن ربنا العظيم، سبحانه على كل شيء شاهد وشهيد، وبعموم خلائقه وعليهم قادر محيط .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– لا يسأم : لا يكل ولا يمل، يحب أن يستكثر من الشيء .

- يؤوس قنوط : اليأس قطع الرجاء، والقنوط استبعاد الفرج من الله جل جلاله .
- ونأى بجانبه : اعرض وتباعد عن الشكر والانقياد والتسليم .
- دعاء عريض : تململ وشكوى، ودعاء كبير لكشف الضر عنه .
- شقاق بعيد : نزاع وخلاف كبير، يبتعد به عن الحق .
- في مرية : شك وقلق ووسوسة وتكذيب .

توجيهات الآيات :

١- وصف الإنسان ببعض طباعه التي انطبع عليها، كحب الاستكثار من الخير لنفسه، حريص على المزيد منه لا يقنع أبداً، لكنه متى أصابه الشر أيس منه وقنط مباشرة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى وادياً ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**)[مسلم] .

٢- ومن طباعه، متى أصابه خير من بعد ضر أحاط به، اغتر به وبطر وحسب أنه مستحق لذلك، وإلا لما آتاه سبحانه إياه، ونسي ما كان منه حال الضيق والكرب .

٣- سعة العيش وكثرة النعم، تغر الإنسان وتدفعه للكبر والبطر والتكذيب بالحق، وضيق العيش مدعاة للتفكير في حقائق الأمور . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى عليكم**

أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم)[متفق عليه] .

٤- الجزاء يوم القيامة بحسب العمل، لا ظلم لأحد أبداً، والعذاب غليظ على الكفار المكذبين .

٥- ومن طباع الإنسان، إن أصابه خير فرح به وتفاخر به ومنعه، وإن أصابه بلاء جزع به وضجر وأكثر الشكاية، فلا هو شاكر في السراء، ولا هو صابر في الضراء، هذا هو حال أكثر الناس في دنياهم، قد غلبت عليهم الشهوات والشبهات والغفلات .

٦- تخويف المكذبين بالحق المعرضين عنه، ومن كان في ضلال مبين، ويل لهم من العذاب الأليم .

٧- صفحة الكون، مليئة بالمعجزات الظاهرات، وكذلك إعجاز خلق الإنسان، كلها شواهد ودلائل على القدرة الربانية، بما يقطع الشك ويزيل الالتباس، ويثبت صدق هذا القرآن الكريم وما جاء به من حق ظاهر لا مرية فيه .

٨- ربنا جل في علاه شاهد على خلقه، وشهيد على أعمالهم، سبحانه لا تخفى عليه خافية .

٩- كيف يشكك أولئك الكفار في ربهم العظيم، وهذه هي معجزاته بكثرتها في الكون ماثلة أمامهم، وهو محيط بهم مطلع على شؤونهم جل جلاله وتقدست أسماؤه .

١٠- النون في قوله تعالى (أذقناه، ولننبئن، ولنذيقنهم، أنعمنا، سنريهم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٥٠) قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ . ما عصي الله جل جلاله إلا بنعمه التي منَّ بها على الخلق، ولولا نعمه لما عصي سبحانه أبداً، فصاحب الصحة والعافية يعصيه بصحته وعافيته، أما المريض فلا قدرة له على المعصية لمرضه، وصاحب المال يعصيه بماله أما الفقير فلا مال له ليعصيه به، وذو المنصب يعصيه بمنصبه ولولاه لما عصاه، وهكذا .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٥١) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ﴾ . تختلف طريقة تفكير الإنسان ومواقفه، في حالتي الرخاء والشدة، بحسب المؤثر الواقع عليه، وكان الأولى به الاستحياء من الله تعالى في كل وقت

وحين، تعظيماً لشأنه، وليس التقلب والتلوُّن بحسب الحال . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**استحيوا من الله حق الحياء، قال : قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله، قال : ليس ذاك، ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**)[الترمذي وأحمد وابن أبي شيبة] .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٥٢) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ﴾ . على الإنسان تجنب كل ما يدعو إلى التنازع والاختلاف، ولا سيما الذي يبعده عن الحق والصواب، ليضمن لنفسه خط رجعة إليهما، ومن يدري فلعل ما استقبحه بالأمس يستحسنه اليوم والعكس صحيح أيضاً، فحال الإنسان التقلب والتغير أبداً .

٤- إشارة : جاء في الآية (٥٣) قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ . أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشك، كمَّ الإعجازات العلمية التي في الكون، والتي في خلق الإنسان، مما تحدث عنه القرآن الكريم، وما زال العلم يكشف للبشرية كل يوم عن

جديد مما ورد فيه وتحدث عنه، ولن يقف الأمر عند حد أبداً، بدلالة كلمة (سنريهم)، فالسين في اللغة، تفيد الاستمرارية والاستقبال لما يأتي .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الإنسان . الساعة : سبق الإيضاح .

٢- في الآفاق : جمع أفق، ومنه الأفق المادي يراد به الشيء الذي لاح للإنسان من بعيد، ومنه الأفق المعنوي ويراد به ما ستأتي به الأيام في المستقبل القادم .

٣- في أنفسهم : سبق الإيضاح .

جزء فصلت : الخامس والعشرون :

(٧) سورة الشورى . سورة (عسق) . سورة الشريعة

- مكية مختلف فيها .
- آياتها (٥٣) آية مختلف فيه، فقيل (٥٠) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ حمٓ عٓسٓقٓ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١ ﴾ آية واحدة، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ۝٣٠ ﴾ آية واحدة .
- كلماتها (٨٦٨) كلمة . وحروفها (٣٥٨٨) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٦٢) . نزلت بعد سورة فصلت .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٢) .
- سميت بـــ (الشورى) لورود اللفظ بها، وهي ثالثة الحواميم السبعة .
- محور حديث السورة الكريمة : إرساء دعوة التوحيد الربانية الواحدة .
- مجمل موضوعاتها : (١٠) موضوعات : الحديث عن القرآن الكريم ووحيه، وعن تشريع الدين الحق لكافة الرسل، وعن اليوم الآخر، وعن عمل الدنيا والآخرة، وعن الزرق وبسطه في الأرض، وعن بعض دلائل

القدرة، والترغيب بما للمتقين في الجنة، والترهيب بما للفجار في النار، وبيان طبيعة الإنسان في دنياه، وكيفية الوحي الشريف ونزوله .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (١٧) مرة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾

- (إعجاز غيبي تضمن بياناً بتوجيه) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة بخمسة أحرف مقطعة، تبعها بيان رباني بوحيه سبحانه لرسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، وهو العزيز في ملكه لا يغلب، الحكيم في تدبيره وتصريفه وقضائه وقدره واضعاً كل شيء في محله، له ما في السموات والأرض وهو العلي في مكانه، العظيم في شأنه، من عظمته تكاد السموات تتشقق من فوقهن، والملائكة الكرام ينزهونه ويقدسونه

عن كل نقص له الحمد، ويستغفرون لأهل الأرض، وهو الغفور لذنوبهم، الرحيم بهم، إلا الذين أشركوا به متخذين من دونه أنداداً، أعمالهم السيئة محفوظة عنده جل وعز، فاتركهم يا رسولنا الكريم فلست موكلاً بهدايتهم إن عليك إلا البلاغ، قد أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر به قومك في مكة سيدة القرى، ومن حولها من الأماكن، وتخوفهم بيوم جمع الخلق للحساب والعقاب، الناس فيه فريقان إلى جنة الرضوان، وإلى جحيم النيران، قضاء الله سبحانه في خلقه، ولو شاء لهداهم جميعاً، ولكن يدخل في دائرة رحمته من علم صلاح سريرته، أما الظالمون ممن أشرك وجحد وكفر، فما لهم من نصير ينصرهم في الدنيا، أو يدفع عنهم العذاب في الآخرة .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- يتفطرن : يتشققن .
- يسبحون : ينزهونه ويعظمونه ويقدسونه .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إرساله جل في علاه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، معشر هداية للبشرية .

٢- ثبوت الوحي الشريف من الله تعالى شأنه ينزله على رسله، ليعلمهم عبره بما شاء من أمر النبوة والرسالة إلى من شاء من البشر .

٣- عظمته جل في علاه الذي له ما في السموات وما في الأرض، العلي العظيم .

٤- ثقلت السماء بمن فيها من ملائكة كرام عليهم السلام، ينزهونه سبحانه ويقدسونه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون أطَّت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**)[الترمذي وابن ماجة . أطت، وتئط : ثقلت بمن فيها فأصدرت صوتاً] .

٥- استغفار الملائكة الكرام عليهم السلام لأهل الأرض، وهو الغفور بخلقه الرحيم بهم .

٦- ما من عمل يعمل به في الأرض، إلا وهو مرصود على من عمله، وبه سيجازى، وعلى رأس ذلك الذنب الأقبح الأعظم، وهو الشرك بالله تعالى، فطب نفساً يا رسولنا الكريم، فلست على كفرهم وشركهم بوكيل، ما أنت إلا نذير وبشير .

٧- وحي الله تعالى لرسول الهدى ﷺ بهذا القرآن الكريم بلسان عربي مبين، لينذر به قومه من أهل الحرم، ومن وراءهم من باقي القرى، ومن ثم الناس أجمعين من وراء ذلك إلى قيام الساعة، ويخوفهم بيوم القيامة العظيم وما فيه من أهوال .

٨- الناس يوم القيامة فريقان : أهل الجنة المؤمنون، وأهل النار الكفار والمشركون .

٩- حكمة الله سبحانه في خلقه، أن للجنة أهلين، وللنار أهلين، ولو شاء لجمعهم على الهدى .

١٠- هداية الله عز وجل لمن علم منه صلاحاً، أما من علم منه فساداً وضل باختياره، فما كان ليهديه ربه، بعد أن ظلم نفسه واختار طريق الضلالة .

١١- النون في قوله تعالى (أوحينا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣ ﴾ . الوحي الشريف، هو الصلة بين الله جل في علاه وبين خلقه، ليدلهم على مراده بواسطة أنبيائه ورسله الكرام عليهم الصلاة والسلام، وينزل عليهم كتبه الحق بمنهجه الصدق، ليعمل البشر بها، فلا يضلوا بعدها أبداً .

٢- إشارة : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي

﴿ ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ﴾ . من جملة رحمات المولى سبحانه التي قيض لعباده، وهم عن ذلك غافلون، مما لم يعملوه و لم يعلموا به، استغفار الملائكة الكرام لهم، فرب عاصٍ في الأرض مفرط مقصر، غُفر له ذنبه باستغفار الملائكة الكرام له وهم في السماء .

٣- إشارة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾ . سبحانه لا تخفى عليه خافية، هو الحفيظ على كل شيء، لأنه الرب الخالق المدبر والمتصرف، كل الخلق في دائرة حفظه، من آمن منهم ومن كفر، لأن الدنيا دار إمهال وعمل، حتى الكافر والفاجر تحوطه عناية الله تعالى، وينالله من نعمه وكرمه ما لا حصر له .

٤- إشارة : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ . أم القرى هي مكة المكرمة، حيث الحرم الشريف الذي يحوي البيت العتيق، أطهر البقاع على وجه الأرض، منها شع نور خاتمة الرسالات وانتشر، فيها بيت الله المحرم أول بيت وضع للناس كافة . في الحديث النبوي الشريف عن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : (**قلت : يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول ؟ قال** ﷺ

: المسجد الحرام، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى، قلت : كم بينهما ؟ قال : أربعون سنة، وأينما أدركتك الصلاة فصل فهو مسجد)[مسلم] .

٥- إشارة : جاء في الآية (٨) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ . الظالمون هم من أخرجوا أنفسهم من دائرة الرحمة الربانية، بارتكابهم المظالم وتعديهم الحدود، ورفضهم الحق المبين بعدما عاينوه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الملائكة . أولياء : سبق الإيضاح .

٢- أم القرى : مكة المكرمة، مهبط الوحي حيث البيت العتيق، فيها الكعبة المشركة أول بيت وضع للناس، لذا سميت بأم القرى .

٣- يوم الجمع : يوم القيامة، حيث يجمع العباد فيه للحساب والعقاب .

٤- أمة : سبق الإيضاح .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى

ٱللَّهُ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾
فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا
وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ
لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

– (استفهام تضمن بياناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن الذين كفروا، مبيناً سبحانه بصيغة الاستفهام الإنكاري، آتخذوا من دونه شركاء غافلين، ليس لهم من الأمر شيء، وهو المتولي أمرهم، محي الموتى، القادر على كل شيء، إليه مرد الأمور مما اختلفتم فيه من أمر الدين، ذاك الإله الحق، عليه اعتمادي وتفويض أمري، وإليه المرجع والمصير، خالق السموات والأرض، وخالقكم الذي جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، ذكوراً وإناثاً للتزاوج، ومن الأنعام كذلك، لتتكاثروا في الأرض، لا شريك له في ذاته، ولا مثيل في أسمائه وصفاته، سميع لكم، بصير بكم، له مفاتيح الأمور وخزائنها، يرزق ويمنع من شاء بحكمة ولحكمة، وهو سبحانه بكل الأمور عليم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– فاطر : خالق ومبدع وجاعل .

- يذرؤكم : يوجدكم ويكثركم .

- مقاليد : جمع إقليد، مفاتيح الخزائن والنعم والخيرات والبركات والرحمات ...

توجيهات الآيات :

١- لا نافع ولا ضار ولا متصرف في هذا الكون إلا الله جل في علاه، المتولي شؤون خلقه، المحي المميت، وهو على كل شيء قدير، فكيف يعبد غيره مما لا يملك من ذلك شيء أبداً .

٢- مآل الأمور إلى الله جل شأنه، وحكم كل شيء بيده، يحكم بين عباده فيما اختلفوا فيه .

٣- التوكل والإنابة، من جملة العبادات التي يجب ألا تصرف إلا لله سبحانه وتعالى .

٤- لا خالق للكون بما فيه، من سماوات وأرضين وبشر وأنعام، إلا الله جلت قدرته .

٥- خلق البشر من زوجين اثنين، ذكر وأنثى للتزاوج والتكاثر وعمارة الأرض، والأنعام كذلك للتكاثر وانتفاع البشر بها، أكلاً من لحومها، وشرباً من ألبانها، والاستفادة من أعضائها .

٦- لا شريك لله جلت عظمته، لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في قدرته، سميع لخلقه، بصير بهم، لا تخفى عليه خافية .

٧- عبارة (ليس كمثله شيء)، تعد قاعدة رئيسية في العقيدة، ولا سيما توحيد الأسماء والصفات، نفت عن الله جل ربنا في علا : (التأويل والتحريف والتشبيه والتمثيل والتكييف والتعطيل) بصفات المخلوقين، ومن كل وجه .

٨- خزائن كل شيء ومفاتحه بيده جل وعز، يعطي ويمنع، ويهب ويرزق، ما شاء، كيفما شاء، متى شاء، أنى شاء، لحكمة وبحكمة، وهو بكل شيء وعلى كل شيء، قادر قدير مقتدر .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ . الحكم الفصل له عز وجل وفي كل الأمور، لأنه هو الذي قدر المقادير، وهو الذي خلق العقول، وهو الذي هداها لما أراد، وهو الذي له الحكم عليها، وفي كل الأحوال، وهو الذي يقضي بينها فيما اختلفت فيه، وليس لأحد القدرة على الخروج عن دائرة نطاق ما قدره الله تعالى وحكم به، إطلاقاً .

٢- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ

﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ .

جملة (جعل لكم من أنفسكم)، الزوجة في حقيقتها جزء من نفس الإنسان، لذا يجد كل زوج مع صاحبه الارتياح النفسي والعاطفي، لتكاملهما متى ائتلفا واجتمعا . ولطيفة الكاف في كلمة (كمثله)، دالة على نفي التشبيه قبل نفي المثلية، وتلك دالة على الفرق العظيم بين صفات الخالق وصفات المخلوقين، التي لا مقاربة بينهما ولا من أي وجه، وليس من ذلك شيء إلا الاسم المشترك ليس إلا، مع الفارق المهول بين صفتي (الخالق والمخلوق) .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٢) قوله تعالى : ﴿ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ . بسط الرزق في الدنيا القصد منه البلاء، وليس الجزاء، فرب عطاء وافر في الدنيا حرم صاحبه نعيم الجنة، ورب منع فيها نال صاحبه به نعيمها المقيم، يجب إدراك حقيقة ذلك .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- أولياء : سبق الإيضاح .

٢- أنفسكم أزواجاً : جمع نفس، وجمع زوج . سبق الإيضاح .

وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

- (إعلام تضمن بياناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن ربنا تبارك وتعالى، مبيناً أنه قد وضع لأمة رسول الهدى ﷺ من الدين وشرائعه، ما وضع لنوح ومن جاء بعده من أولي العزم من الرسل، إبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعاً الصلاة والسلام، ليقيموا منهجه الحق، فلا يختلفوا عليه، مقرين له بالتوحيد الخالص له، الذي عظُم على المشركين الإقرار به

لرب العالمين، لكنه سبحانه يوفق له من شاء من عباده، ويقبل توبة العائد إليه بعد إعراض، أما أولئك اليهود والنصارى فما تفرقوا إلا ظلماً وعدواناً، وما اختلفوا في حقيقة الإيمان إلا بعدما أقيمت عليهم الحجة بمبعثه ﷺ، ولولا سنة الله تعالى في تأخير العقوبة إلى يوم القيامة لعذبهم جميعاً، فويل للمشركين ولأهل الكتاب، ممن شكك في هذا القرآن الكريم، اتركهم يا رسولنا الكريم، وادع إلى هذا الدين الحق، واستقم على مراد ربك ومنهجه الذي ارتضاه لخلقه، ولا تتبع أباطيلهم، وقل لمن حاجك منهم، آمنت بربي وبالكتب التي أنزلها على رسله، قد أقامني حكماً عدلاً فيكم، وهو ربنا أجمعين لا سواه، سبحانه سيجازي كلٌ بعمله خيراً كان أم شراً، قد أظهر الحجج الدامغة التي أبطلت التنازع على هذا الحق المبين، وقدَّر الحشر موعداً للرجوع إليه يوم الدين، فويل لمن جادل فيه بعدما ظهر أمره، وثبت صدقه، وخذَّل عنه بشبه باطلة؛ استحقوا بها الغضب في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- شرع : وضع ومنهج لكم .
- يجتبي : يصطفي ويختار .
- بغياً : ظلماً وعناداً .
- أورثوا : أوتوه منَّة من الله تعالى .

- فادع واستقم : قم بمهام الدعوة، مستقيماً على مراده سبحانه .
- يحاجون : يخاصمون ويجادلون .
- داحضة : باطلة زاهقة ذاهبة .

توجيهات الآيات :

١- دين الله سبحانه واحد، الذي شرعه ووضعه لخلقه، واقع ضمن قسمين اثنين : الأول أصول لكافة الأمم تشمل (التوحيد والعقيدة) لا خلاف فيها، والثاني فروع لكل أمة ما يناسبها تشمل (الشرائع التعبدية) الخاصة بها .

٢- الأصول المجمع عليها، أنزلها عز وجل على جميع أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وعلى رأسهم أولوا العزم، المذكورون في الآية الكريمة : (نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد) عليهم الصلاة والسلام، وأمرهم بإقامة الدين الحق وعدم التفرق فيه، ليكونوا قدوات لكافة البشر .

٣- رفض المشركين توحيد الخالق سبحانه، وتكذيبهم بالحق الذي جاء به رسول الهدى ﷺ .

٤- سبحانه يقبل من أناب إليه وعاد تائباً بعد ضلال، وهو الهادي إلى سواء السبيل .

٥- مبعث كل رسول مدعاة للتفرق بين القوم، بين مؤمن وكافر، وقابل لدعوته ورافض لها، كذلك هو شأن البشر في كل شيء .

٦- سنة الله تعالى في خلقه، تأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حتى تقام عليهم الحجة من كل وجه تماماً، بما لا يدع مجالاً للشك، حينها يؤخذون بلا عذر أبداً .

٧- ورث اليهود والنصارى الكتاب عن أنبيائهم ورسلهم عليهم الصلاة والسلام، وفي تلك الكتب التأكيد على مبعث رسول الهدى ﷺ وبأوصافه وصفاته، ومع ذلك جحد أكثرهم وأنكروا، وقليل منهم مؤمن مقر بما في كتبهم من الحق المبين، الذي لا مرية فيه . في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه فقال : (**إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ خبرني بهن آنفاً جبريل، قال : فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد : فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال : أشهد أنك رسول الله، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل**

عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام، قالوا أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبد الله، قالوا : أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا : شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه)[البخاري] .

٨- أمر جل جلاله نبيه الكريم ﷺ بالدعوة إلى الحق والاستقامة على مراده، والإعراض عن المكذبين المبطلين، ممن جحد وكفر وكذب وشكك وأعرض واعترض .

٩- وأمره جل شأنه بالتسمك بما أنزل عليه من كتاب حق، وإقامة العدل والانصاف، بمنهجه تعالى رب الجميع، المجازي كل بعمله، والجامع للخلق يوم الحق للحساب والعقاب، وعدم التفرق في الحق والاختلاف فيه .

١٠- بمبعثه ﷺ وبما نزل عليه من قرآن كريم، وما تضمنه من دين حق لا مرية فيه، بطلت كل الحجج الداعية إلى ما سوى ذلك، فلا دين سوى الإسلام، ولا خاتم للأنبياء والمرسلين سوى محمد ﷺ، ولا شريعة باقية إلا شريعة الدين الحق الخالدة .

١١- ويل لمن ثبط الناس عن الدخول في الدين الحق، بعدما استجابوا لله سبحانه وآمنوا به، لما ظهرت لهم الحقيقة، وجاء بحجج واهية باطلة لا تقوى للحق، عليهم غضب الله جل جلاله في الدنيا، ولهم عذاب شديد في الآخرة .

١٢- النون في قوله تعالى (أوحينا، وصينا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكـــة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ .

لفظ (الدين) دال على أنه دين واحد لا سواه، وليست أدياناً متعددة، وإنما هي شرائع ربانية مختلفة، لكل نبي شريعة تناسب زمانه ومكانه، فالأصل واحد لا خلاف فيه إطلاقاً، والفرع متعدد بحسب المصالح الزمانية والمكانية، لذا لم يرد في القرآن الكريم لفظ (أديان) بصيغة الجمع أبداً . وأخرى ذكر في الآية الكريمة وصيتان اثنتان، اختصت الأولى بنوح ومحمد عليهما الصلاة والسلام، بكون دعوتهما عامتين، فدعوة نوح لكل أهل الأرض في حينه، ومحمد ﷺ إلى قيام الساعة، واختصت الثانية بإبراهيم وموسى وعيسى، عليهم الصلاة والسلام، بكون دعوتهم خاصة، كلٌ لمن بعث إليهم فقط .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾ ﴾ . العلم طريق المعرفة، وهو أساس كل خلاف بين من يعلم ومن لا يعلم، وبين من يعلم ويعمل بعلمه، ومن يعلم ولا يعمل بعلمه .

٣- لطيفة وإشارات : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ﴾ . أصول الدعوة ثلاثة : الأول الدعوة إلى الحق المبين، الثاني الاستقامة عليه وعدم الانحراف عن منهجه، الثالث عدم الالتفات لمزاعم المبطلين . وإشارة لفظ (كتاب) هنا جاء نكرة، ليدل على عامة الكتب السماوية المنزلة، إذ هدفها واحد هو توحيد الخالق والعمل بمراده . وأخرى جملة (لعدل بينكم) دالة على وحدة المنهج، المنزل عليَّ والمنزل عليكم . وثالثة جملة (الله ربنا وربكم) دالة على أن ربنا وربكم

واحد لا سواه، هو الذي أرسل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وهو الذي أنزل الكتب لهدف واحد لا سواه، هداية البشرية أجمعين . ورابعة جملة (لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) دالة على أن لكل منَّا منهج يعمل به يختلف عن الآخر، إذ لكل قوم شريعة . وخامسة جملة (لا حجة بيننا وبينكم) دالة على أنه لا برهان حق باقي وقائم، بعد ظهور النبوة الخاتمة بمبعثه ﷺ إلى عموم الثقلين كافة .

٤- إشارة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ﴾ . من الناس من يطلب الشر والباطل، وفي كل أحواله، لا يرضى إلا بذلك، ولا يرجو سواه، رغم ضعف حجته، وتهالك برهانه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- نوح . إبراهيم . موسى : عليهم السلام . سبق الإيضاح .

٢- عيسى : ابن مريم البتول، بنت عمران من نسل داود عليهم جميعاً السلام، ولد من غير أبٍ بنفخة من جبريل عليه السلام في جيب ثوب مريم، فسرت النفخة إلى فرجها فحملت به، بعث في قومه بني إسرائيل، وأنزل عليه الإنجيل، ورفع وعمره (٣٣) سنة، وسينزل آخر الزمان لمهمة

كلف بها، ورد ذكره في القرآن الكريم (٢٥) مرة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**)[متفق عليه] .

٣- المشركين . أجل مسمى : سبق الإيضاح .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾

- (بيان تضمن ترهيباً وترغيباً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه أنه أنزل القرآن الكريم بالحق، حاوياً ميزان العدل التام، في كل شرائعه وتعاليمه وهداياته، ومخوفاً بقرب يوم الحساب، ويل لمن كذب به، وراح يستعجل وقوعه لشكه فيه، أما المؤمنون الصادقون فوجلون منه، لعلمهم بوقوعه في يومه الموعود، بضد أولئك المشككين فيه المجادلين

بالباطل، وربك جل وعلا لطيف بعباده يرزقهم بما شاء، لا راد لما أراد، قوي في أمره، عزيز في ملكه، من طلب الآخرة من خلقه ضاعف له الأجر والمثوبة فيها، ومن طلب الدنيا أعطاه ما قدِّر له منها، جزاء ما عمل من خير فيها، وما له يوم القيامة في النعيم المقيم نصيب .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- مشفقون منها : خائفون وجلون منها .
- يمارون : يجادلون .
- حرث الآخرة : ثوابها وجزاءها الحسن .
- حرث الدنيا : زينتها وعطاءها .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إنزال القرآن الكريم بالحق، الذي لا مرية فيه، ناطق بلسان الصدق، لا مجال للتشكيك فيه .

٢- حوى القرآن الكريم، الميزان المعتدل في كل شيء، في الشرائع والتعاليم، والحدود والأحكام، والآداب والفضائل، والقصص والسير، والمواعظ والعبر، والدلائل والإشارات واللطائف، وما إلى ذلك .

٣- التخويف بالساعة وبقربها، استعداداً لها بالإيمان والعمل الصالح . في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : أن رجلا

سأل رسول الله ﷺ : (**متى تقوم الساعة ؟ وعنده غلام من الأنصار، يقال له محمد، فقال رسول الله ﷺ : إن يعش هذا الغلام، فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**)[متفق عليه] . للحث على غاية الاستعداد للموت وما بعده .

٤- كل من كذب بالساعة استعجل مجيئها، لأن باعثه على ذلك التكذيب، مما يحمله على الفساد والإفساد، إذ لا رادع له عن ذلك، أما المصدق بها فيخشى وقوعها، ويخشى وفاته على غير طاعة، لأن من مات فقد قامت قيامته .

٥- لطف الله العظيم بعباده، في كل شيء، يرزقهم بما يصلح شأنهم، سبحانه قوي لا مكره له على شيء، ولا راد لما أراد، عزيز غالب حاكم غني مستغنٍ عن خلقه .

٦- للآخرة عمل وجزاء، وللدنيا عمل وجزاء، والله سبحانه يعين كل قاصد على ما قصد، وكل إنسان له حرية الاختيار لعمله، خيراً كان أم شراً، وعليه تحمل مسؤولية اختياراته تلك ولا شك .

٧- كل إنسان ميسر لعمله الذي يحبه ويريد، سنة الله تعالى في خلقه . في الحديث النبوي الشريف عن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما قال : قيل **يا رسول الله، أعلم أهل الجنة من أهل النار ؟ قال : فقال ﷺ : نعم، قال قيل : ففيم يعمل العاملون ؟ قال : كل ميسر لما خلق له**)[مسلم] .

٨- النون في قوله تعالى (نزِد، نؤنه) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٧) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ﴾ . ملازمة الحق وميزان الأمور للقرآن الكريم . ولطيفة موافقة الفطرة السليمة للقرآن الكريم .

٢- إشارة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾ . جملة (مشفقون منها) جمعت بين خوفهم وحزنهم وبالغ أساهم، الدالة على شديد الحسرة، إذ لا رجعة بعد الموت، ويوم القيامة لا ينفع الندم بعد فوات الأوان، لاستدراكهم أمرهم .

٣- إشارة : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ﴾ . ختم الآية الكريمة بوصفه جل جلاله بالقوي العزيز، دال على أن أمر الرزق لا يعجزه، وما حقيقته إلا

بلاء يصيب به الخلق، بين سعة وضيق، ليرى كيف يصنعون، حكمة بالغة له سبحانه من كل ذلك .

٤- إشارات : جاء في الآية (٢٠) قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ . قدم حرث الآخرة في الآية الكريمة، لأنه هو الخير الكثير الوفير الباقي، وأخر حرث الدنيا لقلته وزواله . وأخرى وصف العمل في الدارين بـــ (الحرث)، لأن العبد سيجني به حصاداً، سيجده في آخرته، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، كلٌ يجني ثمار حصاده .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الساعة : سبق الإيضاح .

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى

يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

- (استفهام تضمن ترغيباً وترهيباً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه بصيغة الاستفهام الإنكاري، ألأولئك المشركين شركاء وضعوا لهم منهجاً حقاً، مغايراً لما أنزل عز وجل، فلولا أنها سنة تأخير العذاب لأهلكهم في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم، يوم تراهم خائفين جزاء أعمالهم القبيحة التي أوجبته لهم، واقع بهم لا مهرب منه ولا مفر، أما المؤمنون ففي حدائق وبساتين الجنان، يتنعَّمون بما يشاؤون، فضل كبير من ربهم العظيم، مما بشرهم به في دنياهم، جزاء الإيمان والعمل الصالح، فآمنوا يا قوم بما جئتكم به من حق فما أردت سوى نفعكم، وراعوا قرابتي منكم وحرصي عليكم، واحفظوها لي بسماع نصحي، لا أجر أبتغيه منكم على دعوتي، فمن آمن فله عند ربه مضاعفة الأجر

والمثوبة، سبحانه غفور لعباده ذنوبهم، شكور لهم أعمالهم، ولا تكذبوني زاعمين أنه قرآن مفترى، إذ كيف آتي ببهتان أنسبه إلى ربي، وهو يحفظني من الزيغ ويصرفني عنه، ولو كان في قلبي شيء منه لمحاه وأثبت الحق الذي أنزله عليَّ، تعالى شأنه عليم بما في صدور العالمين، يعلم التائب المنيب إليه فيقبله ويعفو عنه، مطلع على ما تعملون، يستجيب دعوة المؤمنين الصادقين ممن عمل الصالحات، ويؤتيهم من واسع فضله، أما الكافرون فليس لهم عنده إلا العذاب الشديد .

غريب الكلمات :

- كلمة الفصل : قضاؤه سبحانه، بإمهال العذاب إلى يوم القيامة .
- واقع بهم : مصيبهم لا محالة .
- روضات الجنات : جمع روضة، فيؤها وبساتينها وحدائقها .
- المودة في القربى : صدقوني واسمعوا لي، بما لي عليكم من حق القرابة التي بيننا .
- يقترف : يكتسب .

توجيهات الآيات :

١- لا مشرع سواه سبحانه، وكل ما عُبد من دونه لا قدرة له على شيء من ذلك بتاتاً، فويل للظالمين لأنفسهم بالشرك والكفر من العذاب الأليم،

يوم تراهم من هوله وجلين فزعين، لا مفر لهم منه ولا مهرب مطلقاً، جزاء ما كسبت أيديهم .

٢- تنعُّم المؤمنين الصادقين ممن عمل الصالحات، في روضات الجنات، لهم ما يشاؤون فيها من صور النعيم المقيم، فضل كبير من الله جل جلاله، تفضل به عليهم وبأكثر مما يستحقون، مما بشرهم به في الدنيا . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله، قالوا : يا رسول الله ولا أنت ؟ قال : ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**)[متفق عليه] .

٣- مراعاته ﷺ حق قرابته القائمة مع قومه، وطلبه منهم مراعاة ذلك في شأنه، فهم أولى الناس بنصحه وتوجيهه، لا أجر يبتغيه منهم إطلاقاً، فالأقربون أولى بالمعروف . في الحديث النبوي الشريف سُئل ابن عباس رضي الله تعالى عن هذه الآية ﴿ **إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ** ﴿٢٣﴾ ﴾، فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس : عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش، إلا كان له فيهم قرابة، فقال : (**إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**)[البخاري] .

٤- الجزاء من جنس العمل، فمن اقترف حسنة فله من الله تعالى أضعافها حسنات، فهو الغفور للذنوب وإن عظمت، والشكور لأعمال خلقه وإن قلَّت .

٥- حاشاه ﷺ أن يفتري على الله جل وعز الكذب أبداً، وهو المرسل منه والمؤيد به، ولو أن قلبه الطاهر زاغ ولو قيد شعرة، لعصمه سبحانه عن ذلك وطبع على قلبه باليقين، وثبته على الحق، فكيف يضل من كان هذا شأنه، والعليم بما في صدور العالمين هو وليه وحافظه وحاميه .

٦- من واسع رحمة المولى جل جلاله، أن شرع لهم التوبة، ليعود إليه من أذنب وعصى مباشرة، فلا يقنط من المغفرة، بل وفوق ذلك يبدل تلك السيئات ويقلبها إلى حسنات .

٧- ومن واسع رحمته أيضاً استجابة دعوة الداعي، إذا دعاه ولجأ إليه، ولا سيما المؤمنين الصادقين ممن عمل الصالحات، يستجيب لهم ويعطيهم فوق ما أملوا .

٨- ليس للكافرين المكذبين المعرضين يوم القيامة إلا النار، والعذاب الشديد فيها .

٩- النون في قوله تعالى (نزِد) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢١) قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ

﴿ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ . قد يشرِّع البشر ويقننون القوانين، بما أذن به سبحانه وشرع، وبما لم يأذن، مربط الفرس في الأمر، متوقف على مدى توافق ذلك التشريع والتقنين، مع الشريعة الغراء من عدمه .

٢- إشارة : جاء في الآية (٢٢) قوله تعالى : ﴿ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَٰتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ . كفى بنعم الله جلت عظمته على عباده في الدنيا، من جزاء حسن لهم، وما الجنة وما فيها من نعيم مقيم، إلا مزيد فضل كبير منه تعالى شأنه .

٣- إشارة : جاء في الآية (٢٣) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ . جملة (إلا المودة في القربى)، دالة على أن القرابة في الدنيا لها حقوق، يجب الوفاء بها لذويها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا بني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم**

من النار، يا بني عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة، أنقذي نفسك من النار، فإني لا أملك لكم من الله شيئا، غير أن لكم رحماً سأبُلُّها بِبَلَالها)[مسلم . سأبلها ببلالها : سأصلها] . وفي رواية : (**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد المطلب، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله، سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً**) .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ . ما كان سبحانه وتعالى ليرسل رسولاً، ثم لا يؤيده بكل ما يظهر صدق رسالته، ويحقق قبولها، بما لا يدع مجالاً للشك .

٥- إشارة : جاء في الآية (٢٥) قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ . جملة (يقبل التوبة عن عبادة)، لم يقل : (من عباده)، ليظهر قبولها ولو تكرر الخطأ

والتجاوز من العبد . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما أصر من استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة**)[أبو داود والترمذي] .

٦- إشارة : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ . فضل الله جل جلاله محيط بخلقه دوماً وأبداً، رغم تقصيرهم في العبادة والطاعة، وتفريطهم فيما يستحق سبحانه منهم .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الظالمين . عباده . الكافرون : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾

- (بيان تضمن إعجازاً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه أنه لو بسط الرزق لجميع خلقه في الأرض، لطغوا فيها وتجبروا، لكنه يعطي ويمنع لحكمة وبحكمة، فهو الخبير بنفوس عباده، البصير بأحوالهم، يعلم ما ينفعهم فييسره لهم، وما يضرهم فيحجزه عنهم، ينزل عليهم الغيث بعدما استبعدوا رحمته، وهو المتولي شؤونهم المحمود دوماً، قد خلق السموات والأرض بما فيهما من عوالم، ويوم القيامة يجمعهم للحساب والعقاب، قادر على كل شيء، فما أصابكم من بلاء فببعض أعمالكم ويتجاوز عن كثير منها فلا يبتليكم، فاسلموا له فلستم بمعجزيه أبداً، وما لكم سواه يتولى أموركم، وينصركم ويحفظكم، جل جلاله .

غريب الكلمات :

- لبغوا : طغوا وتجبروا .
- قنطوا : يئسوا واستبعدوا وقوع الأمر .

توجيهات الآيات :

١- تقدير الله جل جلاله الأرزاق لعباده بحكمة بالغة، تضمن استمرارية الحياة وتوازنها، ولو أنه جل شأنه أفاض على الجميع لفسقوا بما لديهم، ولتعطلت مصالح الناس في دينهم، فهو الخبير بعباده وبمكنون قلوبهم، البصير بهم وبأحوالهم، يقدِّر ما ينفعهم مما لا يضرهم .

٢- ومن جملة صور رزقه سبحانه، هذا المطر ينزل من السماء على من شاء من عباده، له وقت معلوم وبقدر معلوم، يغيثهم به متى شاء في الوقت الأنسب لهم، بعدما استبعدوا نزوله، ينشر بذلك الغيث رحماته على خلقه، فمنه يشربون، ومنه يأكلون، ومنه يغتسلون، ومنه يقضون حوائجهم، وبه يسقون بهائمهم وزروعهم، علامات كثيرة على واسع رحماته بخلقه، فاستحق بذلك أن يكون محموداً حميداً دوماً .

٣- ومن صور رزقه وعظمته، خلق السموات والأرض وما فيهما، من دواب كثيرة ومتنوعة، لا حصر لها مما لا يعلمه سواه، ومتى شاء جل ذكره جمعهم للحساب والعقاب، لا معجز له سبحانه، قدير على كل شيء .

٤- عامة المصائب والبلايا التي تصيب الإنسان بسبب ذنوبه ومعاصيه، هي كفارات له في الحقيقة، وما ذاك إلا من واسع رحمته تعالى شأنه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا همٍّ ولا حزن، ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه**)[متفق عليه . النصب : التعب . الوصب : المرض] .

٥- لو يؤاخذ الله تعالى عباده بذنوبهم، لما بقى عل ظهر الأرض إنسان، ولكنه يؤاخذ مرة ويعفو مرات ويصفح كرات، فالإنسان في دنياه يبتلى قليلاً ويسلم كثيراً، رحمة من الله تعالى وفضلاً .

٦- لا معجز لربنا تبارك وتعالى في شيء من شؤون البشر وأمورهم، ولولا رحمته سبحانه بتمليك الإنسان بعضاً مما في يده، وتخويله إياه وتسخيره له، لما تحرك إنسان بما أراد ولا قدر شعرة، لكن أكثر الناس لا يعلمون ولا يعقلون .

٧- لا ولي للناس في دنياهم وأخراهم، يتولى أمورهم، ولا معين ولا نصير، ينصرهم حيث احتاجوا، إلا ربهم العظيم الكريم الرحيم، الحكيم العليم الحليم، سبحانه وبحمده .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ . لا تستقر حياة البشر، لو كان مستوى معيشة الناس كلهم سواء، لا بد من التفاوت فيما بينهم، لينتفع بعضهم بما عند بعض من طاقات وقدرات، مايزها سبحانه فيما بينهم، ليترابط الجميع ويتكاتفوا فيما بينهم، عن احتياج وتبادل منافع ومصالح، وليس عن رفاهية يمكن الاستغناء عنها .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾ . نشر

الرحمة تشمل الإنسان والحيوان والنبات والجماد، لا حدود لواسع رحمة الله جلت قدرته .

٣- إشارة : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ . في السماوات دواب، وفي الأرضين دواب، عوالم تفوق الحصر والتصور، علمها عند ربي العظيم، العليم القدير المطلع على كل شيء والمحيط بهم .

٤- إشارة : جاء في الآية (٣٠) قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ . السلامة في الدنيا، أكثر بكثير من البلاء فيها، فالإنسان مثلاً يمرض أياماً معدودة، لكنه يسلم شهوراً وسنيناً، وهكذا في كل شيء، فليشكر ربه الكريم .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾ . الولي دائم وفي كل الأحوال، والنصير مؤقت حين الحاجة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- عباده : سبق الإيضاح .

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ
فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾
أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾
وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ
يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ
سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ
﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ
بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ
إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾

- (إعجاز تضمن ترغيباً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن النعم موصولاً، ممتناً سبحانه بتسخير السفن تجري على ظهر البحر كالجبال

الشاهقات تشق عُباب الماء، تسيِّرها الريح كما شاء ربها، ولو شاء لأسكنها فثبتت مكانها، معجزات ظاهرات لكل مؤمن صبَّار في الضراء، شكور في السراء، ولو شاء لانكفأت في الماء فغرقت بمن عليها، لكنه رحيم بعباده كثير العفو والصفح، فهلا خاف من شكك في آياتنا حين ركوب البحر خشية الغرق، حيث لا مهرب له حينها، فاشكروا الله تعالى على ما آتاكم من متع الدنيا ونعيمها، فإن ما عنده في الجنة خير من ذلك، أعده للذين آمنوا به وعليه يتوكلون، وللذنوب والآثام والفواحش يجتنبون، وحال الغضب يكظمون ويصفحون، قد استجابوا لربهم، وأقاموا صلاتهم، وأمرهم شورى بينهم، ومن أموالهم على المحتاجين ينفقون، ومتى اعتدى عليهم أحد بالظلم والضيم انتصروا لأنفسهم، ما لم يكن للعفو مصلحة متحققة، وانتصارهم بقدر مظلمتهم، السيئة بمثلها دون تجاوز، وخير من ذلك العفو مع الإصلاح له أجر عظيم، سبحانه وتعالى قد شرع للمظلوم حق القصاص ممن ظلمه، لا مؤاخذة عليه في تطبيقه على الظالمين المعتدين، جزاء عاجل في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أليم، ومن صبر على الإيذاء والإساءة وتحمل ذلك فهو خير له وللمجتمع أجمع، لكونه مصلحاً فيه، وتلك رتبة شاقة على النفوس لا يطيقها كل أحد، إلا من كان من أصحاب الهمم العالية حقاً، والعزائم الكبيرة صدقاً، والقلوب الراسخة بالإيمان يقيناً .

غريب الكلمات :

- الجوار: السفن تجري على ظهر البحر .
- رواكد : جمع راكدة، ثابتة لا تجري .
- يوبقهن : يهلكهن ويغرقهن .
- البغي : الظلم والعدوان والاعتداء بالباطل .

توجيهات الآيات :

١- في الكون معجزات ظاهرات على دلائل القدرة الربانية، منها جريان السفن على ظهر البحر، بكل سهولة ويسر، بأمر ربها تأخذها الريح حيث شاء عز وجل، أو تسكنها على ظهره فلا تتحرك، أو يكفئها في البحر فتغرق بحمولتها، لا عاصم لها سواه، مشاهد قدرة ظاهرة لمن تفكر وتدبر وتأمل، ولا سيما من أدرك أن الحياة مليئة بالنقم التي تحتاج لصبر، وبالنعم التي تحتاج لشكر .

٢- إقرار المكذبين بأنهم ليسوا على شيء من الحق، وهم على ظهر البحر، وأنه لا مهرب لهم من الغرق لو أراد عز وجل ذلك، مما جعلهم حال الشدة يلجأون إليه سبحانه خشية الهلاك .

٣- متاع الدنيا قليل زائل، وما عنده في جنته كثير دائم، لمن آمن بحق، وعليه توكل بصدق، فآمنوا به واعملوا بمنهجه، كي تنعموا بنعمه وتتمتعوا بكرمه وتفوزوا بفضله .

٤- وجوب اجتناب الذنوب والآثام والفواحش والمعاصي، لأنها سبيل الهلاك .

٥- الغضب عدو الإنسان الأول، على المسلم إذن ضبط انفعالاته في كل الأحوال، ولا سيما حال الغضب لأنه باب شر يوبقه ويهلكه . في الحديث النبوي الشريف جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال له : (**أوصني، قال : لا تغضب، فردد مراراً، قال : لا تغضب**)[البخاري] .

٦- من معالم الاستجابة لله جل جلاله، إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإنفاق في سبيله سبحانه، والتشاور في الأمور، وهذه دعوة للتكاتف والتكافل الاجتماعي، فيما بين الناس فيما يحقق مصلحة الجميع، دون استثناء لأحد إطلاقاً .

٧- للمظلوم كامل الحق في مطالبة الظالم المعتدي عليه، بقدر بمظلمته لا يتجاوز ذلك فيدخل هو في الظلم أيضاً، وإن عفا وأصلح فأجره على الله تعالى يخلف عليه بخير، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فله عذاب أليم إن لم يتب ويؤدي ما عليه، أو يتحلله من المظلوم .

٨- من صور نصرة الظالم والمظلوم منع وقوع الظلم في حينه على الناس . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل : يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إذا كان ظالماً كيف أنصره ؟ قال : تحجزه، أو تمنعه، من الظلم فإن ذلك نصره**)[البخاري] .

٩- الصبر على ظلم الناس، وتحمل الأذى، وكظم الغيظ، والعفو والصفح والمغفرة بمقابلة الإساءة بالإحسان، من أصعب الأمر على النفس ولا شك، وليس كل أحد يطيق تحمل ذلك حقيقة، ومن فعل حقاً فقد أحرز لنفسه رتبة عزائم الأمور، التي لا يبلغها إلا الموفق لذلك . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**المؤمن الذي يخالط الناس، ويصبر على أذاهم، أعظم أجراً من المؤمن الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم**)[الترمذي وابن ماجة] .

١٠- عاقبة الظلم وخيمة ولا شك، في الدنيا والآخرة، لذا نهى عنه تبارك وتعالى، حتى لا يقع الناس فيه، فيظالموا ويبغي بعضهم على بعض . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**اتقوا الظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**)[مسلم] .

١١- النون في قوله تعالى (آياتنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٣٢-٣٤) قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟**

﴿ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ ﴾ . ذكر حالات السفن الثلاث وهي على ظهر الماء، جارية أو ساكنة أو غارقة . وأخرى كلمة (صبَّار) صيغة مبالغة من صابر وصبور، فيه دلالة على أن البلاء في الدنيا يحتاج لصبر كبير، في حين كلمة (شكور) دالة على أن الله جل وعز يقبل من العبد ولو القليل منه، كفاه أن يكون شاكراً أو شكوراً . وثالثة في الآية (٣٠) قوله تعالى (فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)، كلمة (يعفوا) جاءت بالواو للدلالة على عفوه وصفحه عز وجل عن كثير مما صدر عن عباده، مما اقترفوه بأيديهم هم على وجه التعيين، فلا يجازيهم به، وجاء في هذه الآية (أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير)، من غير واو، للدلالة على محوه لكثير؛ سواء مما صدر عنهم من أفعالهم هم على وجه التعيين، أو صدر عن غيرهم وكانوا سبباً فيه، أو صدر عن بعضهم دون بعض، فلم يؤاخذ الجميع بذلك، بل عفا عن الكل .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٣٥) قوله تعالى : ﴿ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ . الجدال دائماً لا يأتي بخير، يفتح باب النزاعات والخصومات على أشده، ويوقع المشكلات . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**كفى بك إثماً أن لا تزال مخاصماً**)[الترمذي] . وفي رواية : (**كفى بك إثماً أن لا تزال مماريا، وكفى بك ظلماً أن لا تزال مخاصماً**)[البيهقي في شعب الإيمان].

٣- إشارة : جاء في الآيات (٣٦-٣٩) قوله تعالى : ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ . تمام الدين، الذي يتحقق به استقرار المجتمع على الوجه الإيجابي، يتحقق بتسعة أمور : إيمان صادق، وتوكل حقيق، واجتناب الكبائر والفواحش، واحتمال المكروه، والاستجابة لمراد ربنا، وإقام الصلاة، والتشاور المسلمين في أمورهم، والإنفاق في سبيله تعالى، ورفع الظلم عن الجميع .

٤- إشارات : جاء في الآيات (٤٠-٤٣) قوله تعالى : ﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ . تضمنت الآيات الكريمات درجات كظم الغيظ واحتمال المكروه : الأولى (فمن عفا وأصلح)، وهذه يطيقها كثير من الناس، ممن وصف بسماحة النفس

وكريم الخصال، والثانية (ولمن صبر وغفر)، وهذه لا يطيقها إلا من وصف بعزم أكيد وثبات ورباطة جأش . وأخرى رد الإساءة بمثلها دون تجاوز، وإلا ارتد الحق على المعتدي . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**المستبان ما قالا فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم**)[مسلم] . وفي الحديث الآخر قوله ﷺ : (**إن من أكبر الكبائر، استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق، ومن الكبائر السبتان بالسبة**)[أبو داود] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الظالمين . الناس : سبق الإيضاح .

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟
ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ
عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ
أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ
يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟
لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ
يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ

حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ ﴾

- (بيان تضمن ترهيباً بتوجيه) : ما زال الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه أن من رفض الحق فأضله عز وجل فما له من هادٍ يرده إليه، ويوم القيامة حين يرون العذاب يقولون ربنا هل من طريقة للرجوع إلى الدنيا ! حين يعرضون على النار، فينظرون إليها خلسة فزعين هلعين، يقول الذين آمنوا حينها : إن الخاسرين حقاً من خسر نفسه وأهله جرَّاء ظلمهم، فويل لهم من عذاب أبدي مقيم، لا نصراء لهم يدفعون عنهم، قد ضلوا فأضلهم الله تعالى فما لهم من منجٍ ولا خلاص، فاستجيبوا لربكم أيها الناس قبل أن يأتي ذلك اليوم، لا رجوع بعده ولا مهرب منه، ولا معترض على ما يحل بكم من ذل ونكال وهوان، فيا رسولنا الكريم اتركهم فإن أعرضوا فلست بحفيظ عليهم إن عليك إلا البلاغ، وما إعراضهم ذاك إلا لأنَّ الإنسان متى أصيب بخير فرح به، ومتى أصيب بضر جزاء عمله الشر، جحد نعم ربه وأنكر آلائه، وهو القدير على كل شيء، سبحانه وتعالى يهب الذرية

لمن شاء من خلقه، ذكوراً أو إناثاً، أو يجمعهم ذكوراً وإناثاً، أو يجعل الإنسان عقيماً لا ذرية له، عليم بخلقه قدير بحكمه، لا معجز له ولا مكره أبداً .

غريب الكلمات :

- عزم الأمور : خيرها وأثبتها وأحمدها خصالاً .
- ينظرون من طرف خفي : يسارقون النظر خلسة دون النظر إلى الشيء مباشرة .
- يزوجهم : يجمع بين الذكور والإناث في هبته لعبده .

توجيهات الآيات :

١- لا هادي ولا مضل إلا الله جل ربنا في علاه، الفاعل القادر على كل شيء .

٢- لا ينفع الندم ولا التحسر بعد فوات الأوان، والظلم ظلمات يوم القيامة، فويل للظالمين من عذاب يوم أليم، لا رجعة فيه ولا إقالة لهم ولا عتب أبداً .

٣- يعرض المجرمون على النار خاسئين مهانين، يختلسون النظر من هول ما يرون فزعين، قد خسروا أنفسهم وأهليهم، جرَّاء كفرهم وتكذيبهم، وشركهم وظلمهم، يخلدون في عذاب مقيم .

٤- لا ناصر للعبد إلا الله سبحانه، ولا ولي له يتولاه ويحفظه ويرعاه سواه، فمن أعرض عن ربه الكريم وكفر به وجحد، خاب وخسر، خسراناً مبيناً .

٥- اغتنام مهلة الحياة الدنيا، في المبادرة إلى الإيمان والعمل الصالح، على مراد ربنا العظيم كما أمر، قبل انقضائها بالموت أو قيام الساعة، لا مفر حينها ولا مهرب من عذابه، ولا من منكِرٍ يعترض على عذابهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا**)[مسلم] .

٦- مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام هي البلاغ عن ربهم جل في علاه، الذي يمهل عباده متى شاء أو يهلكهم بعذابه، في الدنيا قبل الآخرة .

٧- قليل من الناس من يشكر في السراء، ويصبر في الضراء، وأكثرهم متى أصابه الخير فرح به ونسي الشكر، وإذا أصابه الشر جزع به وذُهل عن الصبر، وأعظمه أجراً عند فجأة البلاء . في الحديث النبوي الشريف مر النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقال : (**اتقي الله واصبري، قالت : إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه، فقيل لها : إنه النبي ﷺ فأتت باب النبي ﷺ فلم تجد عنده بوابين، فقالت : لم أعرفك، فقال** : (**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**)[متفق عليه] .

٨- لله جل وعلا ملك كل شيء، فلا متصرف في الكون غيره، ولا قادر سواه، يهب الذرية لمن شاء من خلقه، ويمنعها عمن شاء، وهبته خير ومنعه خير، وكل قدره خير وله في خلقه حكمة بالغة لو علموا حقيقة ذلك . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيراً له**)[مسلم] .

٩- النون في قوله تعالى (أرسلناك، وإنا، أذقنا، منا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٤٤-٤٦) قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾ . مكانة الأهل بالنسبة للإنسان كبيرة، وخسارته لهم كذلك كبيرة ولا ريب . وأخرى لا يضل الله جل جلاله إلا من ضل بإرادته ورغبته، بظلمه وتعديه، وانحرافه عن جادة الصواب .

٢- إشارة : جاء في الآيات (٤٧-٤٨) قوله تعالى : ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

دعا الله سبحانه خلقه لدينه، فوجب عليهم الاستجابة له، قبل انقضاء وقت الإمهال، وهو هذه الدنيا، فمن استجاب ولو بدقيقة واحدة قبل موته فقد فاز، ومن رفضها ولو بدقيقة واحدة قبل موته فقد خسر . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع،**

فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها)[متفق عليه] .

٣- إشارات : جاء في الآيات (٤٩-٥٠) قوله تعالى : ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾ . كلمة (يزوجهم)، قد تأتي من باب الجمع بين الشيئين، ليصبح الإثنان (زوجان) كلٌ منهما زوج بالنسبة للآخر . وأخرى العُقم قَدَر وليس نقصاً في الخِلقة، فكم من عقيم ظل دهره كذلك، فلما أذن له سبحانه وشاء رزقه الولد مباشرة، وربما أكثر له الخلفة وجعلها مباركة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- ولي . أولياء : سبق الإيضاح .

٢- الظالمين . الخاسرين : سبق الإيضاح .

٣- أنفسهم . أهليهم : سبق الإيضاح .

٤- يوم القيامة . يوم . يومئذ : سبق الإيضاح .

٥- الإنسان : سبق الإيضاح .

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

- (بيان تضمن إعجازاً بتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى حيث الوحي الشريف، مبيناً جل جلاله أنه متى شاء أنزله على من شاء، ممن اصطفى من خلقه بالنبوة أو الرسالة، وحياً خفياً بإلهام، أو من وراء ساتر، أو عن طريق ملك الوحي جبريل عليه السلام، فيعلمه بما شاء ربه منه، وهو العلي في مكانه، الحكيم في قدره وقضائه، قد أرسل بتلك الطرائق إلى رسول الهدى ﷺ، منزلاً عليه القرآن الكريم، وما كان قبل ذلك يدري ما حقيقة الإيمان ولا حقيقة الكتاب المنزل عليه، الذي جعله سبحانه نوراً يهدي به من شاء من عباده، من طريقه ﷺ الهادي إلى الصراط المستقيم، الذي وضعه وارتضاه لخلقه جل جلاله، الذي له ما في السموات وما في الأرض، من خلائق وعوالم علمهم عنده لا سواه، والذي إليه تصير مجريات الأمور والأحداث ونهاياتها وغاياتها .

غريب الكلمات :

- وحياً : إعلام بخفاء من الله تعالى لأحد خلقه، ممن اصطفاه للنبوة أو الرسالة .
- وراء حجاب : ساتر لا يرى الملك من خلفه .
- روحاً : اسماً للقرآن الكريم، لأنه يحي القلوب حياة معنوية .
- من أمرنا : من عندنا وتقديرنا وإرادتنا .

توجيهات الآيات :

١- لم يكلم سبحانه أحداً من خلقه، في الدنيا من غير حجاب أبداً .

٢- صور الوحي الشريف الواردة في الآية الكريمة ثلاثة، هي : الأولى الإلهام بالنفث في الروع يقذفه سبحانه في صدر من شاء، الثانية من وراء حجاب كما كلم موسى عليه السلام، والثالثة إرسال الملك الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام، وهناك صورة رابعة لم تذكر وهي أن يتمثل ملك الوحي جبريل عليه السلام بصورة إنسان يأتي إلى النبي الكريم . في الحديث النبوي الشريف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : (**كان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ في صورة دحية**)[النسائي وأحمد، وفي الصحيحين برواية مطولة] .

٣- من صور الوحي الشريف الواردة في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أحياناً يأتيني في مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، ثم يفصم**

عني وقد وعيته، وأحياناً ملك في مثل صورة الرجل، فأعي ما يقول)[متفق عليه . وصلصلة الجرس : صوته . ويفصم : يقلع ويذهب] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (**كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، فكان يلحق بغار حراء فيتحنَّث فيه، قال : والتحنث : التعبد، الليالي ذوات العدد**)[متفق عليه] .

٤- لم يكن لرسول الهدى ﷺ قبل نزول الوحي الشريف إليه، أي فكرة عن النبوة والرسالة، لكن الله تعالى شأنه اصطفاه وحفظه ورعاه قبل بعثته، بما يهيئ له أن يكون صالحاً للنبوة والرسالة، حتى عرف في قومه وفي مكة كلها بالصادق الأمين، وبأخلاقه التي لم يستطع أحد أن يضاهيه ﷺ بها مطلقاً .

٥- أوحى الله تعالى لرسول الهدى ﷺ، هذا القرآن الكريم الحق، نوراً وهداية للخلق .

٦- كونه ﷺ مصدر هداية للبشر، آتاه ربه الكريم تلك المنزلة العليا، يهتدي الناس بسببه .

٧- الصراط المستقيم هو شرع الله جل جلاله، الذي ارتضاه لعباده، يسيرون إليه فيهديهم إلى جنات النعيم، لا سبيل لهم إلى ذلك من غير طريقه إطلاقاً .

٨- لله جلت عظمته كل ما في السموات والأرض، وإليه تصير الأمور وعواقبها، فأين المهرب والمفر للخلق منه جلت قدرته، في الدنيا أو الآخرة، والكل إليه راجع، وبين يديه ماثل .

٩- النون في قوله تعالى (أوحينا، أمرنا، جعلناه، نهدي، نشاء، عبادنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٥١) قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ . الوحي الشريف، نوعان : بواسطة (ملك مرسل)، وبغير واسطة (من وراء حجاب) .

٢- إشارة : جاء في الآيات (٥٢-٥٣) قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾ . مصدر الهداية اثنان : الأول الله جل جلاله الهادي لكل

أحد لا سواه، والثاني الواسطة الدالة على الله سبحانه، منها القرآن الكريم يهدي به عز وجل من شاء، ومنها محمد ﷺ يهدي به الله تعالى ذكره من شاء من عباده، ومنها المؤمن الحق يهدي به الله جل وعز من شاء من خلقه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : (**فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم**)[متفق عليه . وحمر النعم : أجود الإبل وأنفسها] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- ذكور . ذكراناً : سبق الإيضاح .

٢- إناثاً : سبق الإيضاح .

٣- بشر : سبق الإيضاح .

٤- رسولاً : سبق الإيضاح .

٥- عبادنا : سبق الإيضاح .

جزء فصلت : الخامس والعشرون :

(٨) سورة الزخرف

- مكية بالإجماع .
- آياتها (٨٩) آية باتفاق . والعدّ عند ورش قوله تعالى : ﴿ حمٓ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ ﴾ آية واحدة، وقوله تعالى : ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ ﴿٥١﴾ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ آيتان .
- كلماتها (٨٣٣) كلمة . وحروفها (٣٤٠٠) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٦٣) . نزلت بعد سورة الشورى .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٣) .
- سميت بـــ (الزخرف) لورود اللفظ بها، وهي رابعة الحواميم السبعة .
- محور حديث السورة الكريمة : إرساء التوحيد عبر تسلية قلب رسول الهدى ﷺ .
- مجمل موضوعاتها : (٩) موضوعات : الحديث عن القرآن الكريم المنزل على نبي الرحمة، وعن بعض دلائل القدرة الربانية، والرد على المشركين المكذبين، وعن الخليل في ثباته على المنهج الحق، وتسلية قلب رسول الهدى إزاء مواقف قومه المشركين، وذكر طرفاً من قصة فرعون الأثيم،

وطرفاً من قصة عيسى عليه السلام، والحديث عن مصير المتقين والمكذبين، والحديث عن توحيد الربوبية .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٤٧) مرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾

- (إعجاز غيبي تضمن ترهيباً بإعلام) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة بحرفين من الأحرف المقطعة، الدالة على غاية إعجاز هذا الكتاب، المبين بلسان عربي لقوم يعقلون، رفيع القدر في اللوح المحفوظ، عليٌّ في مكانه ومكانته، حكيم بما حوى من تشريعات وتعاليم، فيها خير البشر لو كانوا يعلمون، قد جاءكم على لسان رسول منكم مذكراً ومبيناً، رحمة بكم وبمن بعدكم، فما كان لنا أن نترككم على شرككم ومعاصيكم غافلين لاهين، رسول حق قد سبقه رسل كُثُر جاءوا بالمنهج الحق عن ربهم، فقوبلوا بمثل ما قابلتم به رسولكم من سخرية واستهزاء، فأهلكناهم وهم أشد منكم وأقوى وأكثر عدداً، فاحذروا ذات المصير إن أنتم كذبتم مثلهم وأعرضتم .

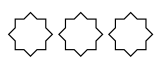

غريب الكلمات :

- أفنضرب عنكم الذكر صفحاً : أفنُعرض عنكم ونغض الطرف، ولا نذكركم بالقرآن الكريم !.

- أم الكتاب : اللوح المحفوظ .

توجيهات الآيات :

١- وصف هذا القرآن الكريم بالكتاب المبين، لما حوى من بيان عن كل شيء حق، ولما أظهره من حقائق بينها للناس، لعلهم يدركونها، لو تدبروا آياته وفهموا معانيها .

٢- نزول هذا القرآن الكريم بلسان عربي مبين خوطب به العرب، يهدي للحق كل من تعقَّل في أمره ورشد وعيه .

٣- نزوله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ومنها على رسول الهدى ﷺ، فكان رفيع المكان والمكانة، ضمنت تشريعاته بكل ما يدعو إلى الحكمة والمصلحة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**فصل القرآن من الذكر فوضع في بيت العزة في السماء الدنيا فجعل جبريل عليه السلام يترل على النبي ﷺ يرتله ترتيلاً**)[النسائي في الكبرى والحاكم] .

٤- الدعوة الربانية التي جاءت على ألسنة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام، ما كانت لتترك أحداً أبداً، ولا سيما القوم الذين أسرفوا على أنفسهم، بالكفر والتكذيب، فضلوا وظلموا .

٥- ما من أمة إلا خلا فيها نذير منها، يدعوهم بدعوة الحق، لتقام عليهم الحجة والبرهان .

٦- عامة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قوبلوا بالسخرية والاستهزاء والتكذيب من أقوامهم، لما جاءوا به من حق مبين، وشرع صدق حكيم .

٧- عذاب الله تعالى محيط بالكافرين، لا مفر لهم ولا مهرب منه، وكم من أمم سبقت كفار قريش كفراً وتكذيباً، فأهلكوا وهم أقوى منهم، وأشد بطشاً وأكثر عدداً .

٨- وجوب الاعتبار وأخذ المواعظ ممن سبق، وتجنب الصيرورة إلى ذات مصيرهم المشؤوم .

٩- النون في قوله تعالى (إنا جعلناه، أفنضرب، لدينا، أرسلنا، فأهلكنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢) قوله تعالى : ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ ﴾ . كلمة (كتاب) دالة على أنه مكتوب، كما أنه مقروء، للدلالة على أنه دستور، قد حوى المنهج الحق، نزل كاملاً مكملاً لا ينقصه شيء، وما على البشر سوى التطبيق لما فيه من تعاليم .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . جعل القرآن الكريم باللسان العربي، تخليداً للغة العربية ولا ريب، لتكون مهيمنة على سائر اللغات الأخرى دون لبس . في الأثر : (أحبوا العرب لثلاث : لأني عربي، والقرآن عربي، ولسان أهل الجنة عربي)[الحاكم والطبراني في الأوسط والكبير والبيهقي في شعب الإيمان] .

٣- إشارة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾ . علو مكانة القرآن الكريم قبل نزوله، دال على علو قدره عند ربنا الكريم، مما يقتضي التعامل معه بتقديس وتعظيم لأنه من لدن ربنا العظيم .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾ . النصيحة في شأن المحتاج لها، أولى من غيره ولا شك، والناصح مؤتمن .

٥- إشارة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ . كل رسول كان قبل رسالته، من جملة الأنبياء عليهم السلام، كلف بتبليغ الرسالة إلى من بعث فيهم .

٦- إشارة : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ ﴾ . عامة الناس لا يهتم لأمر دينه، قد ألهته الدنيا بفتنها، عن الأمور العظيمة المهمة .

٧- إشارة : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ﴾ . غلبت الغفلة على الناس، يرون هلاك الأمم السابقة ممن هم أقوى منهم وأشد بأساً، ومع ذلك لا يعتبرون ولا يتعظون منه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- قوماً . الأولين . نبي : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾

لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ
﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

- (استفهام تضمن إعجازاً ببيان) : ما زال سياق الحديث موصولاً، منكراً سبحانه على الكافرين بصيغة استفهام تقريري، إن سألتهم يا رسولنا الكريم عمن خلق السموات والأرض، سيقرون بأنه العزيز في ملكه لا غالب له، العليم بخلقه لا تخفى عليه خافية، الذي من رحمته مهَّد الأرض للخلق، وجعلها سبلاً وطرقاً تسلكونها، ولغاياتكم تهتدون وتستدلون، والذي نزل من السماء غيثاً بتقديره، أحيا به البلاد الميتة لخير العباد، وبذات الطريقة خروجكم يوم حشركم، بماء ينزل من السماء تنبتون به من الأرض ثم إلى ربكم تحشرون، والذي جعل لكم من جنس الأحياء صنوفاً كثيرة، متعددة متفرقة في نوعها، متكاملة في عملها، من جملتها ركائب تحملكم؛ عليها وعلى السفن في البحر تتنقلون، فإذا امتطيتم ظهورها، حيها أو جامدها، فاذكروا ربكم الذي هيئها لكم، وقولوا بلسان الشاكر الحامد، تنزه من ذلل لنا هذه الركائب بغير قوة منا ولا استطاعة، وإنا إليه في كل الأحوال راجعون، وفي الدنيا والآخرة بين يديه ماثلون .

غريب الكلمات :

- الأرض مهداً : سالكة مبسوطة كالفِراش .
- أنشرنا به : أحيينا به .
- مقرنين : قادرين مطيقين مستطيعين .

توجيهات الآيات :

١- إقرار الكفار بأن الخالق لهذا الكون بما فيه، هو الله رب العالمين، العزيز لا غالب له، والعليم بكل شيء واقع، وبما سيقع مستقبلاً .

٢- إقرارهم بتوحيد الربوبية، إذ لا قادر على الفعل والتصرف في الوجود سواه عز وجل، الذي بسط الأرض وجعلها مهاداً للخلق، وذللها سبلاً يسيرون فيها لقضاء معايشهم .

٣- قدرته سبحانه على إنزال المطر من السماء بقدر، على الأرض التي يريد، فتحيا به وتخرج خيراتها وطيباتها، بعد يبس وموت اعتراها .

٤- خروج الناس من قبورهم إلى محشرهم يوم القيامة، بإنزال مطر على الأرض، تنبت به أجسادهم كالنبات تماماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما بين النفختين أربعون، قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أبيت، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أبيت، قالوا : أربعون سنة ؟ قال : أبيت، ثم يترل الله من السماء ماء فينبتون، كما ينبت البقل، قال : وليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً، وهو عَجْبُ**

الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة)[متفق عليه . أبيت : لا أجزم بذلك . عجب الذنب : العصعص] .

٥- قدرته جل وعلا على خلق كافة أصناف المخلوقات الحية، من حيوان ونبات وكائن خفى .

٦- تذليله جلت عظمته الدواب للخلق، منها يأكلون، وعليها يركبون ويتنقلون ويسافرون .

٧- تذليله جلت قدرته البحر للبشر، يأكلون منه ويستخرجون حلية لهم، ويسيرون بسفنهم على ظهره، يتنقلون ويسافرون، نعم شتى ومتنوعة لو كانوا يعلمون .

٨- وجوب شكر الله تعالى المنعم المتفضل على ما آتانا ووهبنا ومدنا، من نعم لا تعد ولا تحصى .

٩- الحرص على قول دعاء الركوب على الدابة أياً كانت، بهيمة أو جماداً كالسفن والسيارات والطائرات وما في حكمها . في الحديث النبوي الشريف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : (**أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر، كبر ثلاثاً، ثم قال : سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنظر،**

وسوء المنقلب في المال والأهل، وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون)[مسلم] . هذا هو دعاء الركوب والسفر معاً .

١٠- دعاء الركوب منفرداً هو : (**سبحان الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون**) .

١١- النون في قوله تعالى (فأنشرنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٩) قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ . إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، باعترافهم أن الله جل جلاله هو الخالق للسموات والأرض، وبتوحيد الأسماء والصفات، بوصفهم إياه أنه جل وعلا (العزيز العليم)، كل هذا لا يكفي لانعقاد صحة الإيمان إطلاقاً، إذ لا بد من توحيد الألوهية المقتضي أنه سبحانه هو المعبود بحق، الذي تصرف له كل أنواع العبادة لا سواه .

٢- إشارة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

تذليله تبارك وتعالى الأرض للخلق، بكل ما فيها وما عليها، أقدرهم ولا ريب على السعي فيها لتحصيل معايشهم منها، وتحقيق مصالحهم فيها، وعلى استخراج كنوزها الخفية، والانتفاع بثرواتها المتعددة، ولا سيما المطمورة في باطنها .

٣- إشارة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ ﴾ . كلمة (بقدر) دالة على أن كل شيء عنده سبحانه وتعالى بمقدار معين، وبكيفيات وحيثيات محددة، دالة على قدرة حكيمة في التقدير والتصريف والتدبير، قد بين لكل شيء من خلقه كيفية صلاحه في دنياه، وجعل ذلك بقدر معلوم عنده سبحانه .

٤- إشارات : جاء في الآيات (١٣-١٤) قوله تعالى : ﴿ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ . الاستواء على ظهر الدابة دال على التسخير الرباني لها، وكفى بذلك نعمة كبرى تستوجب الشكر . وأخرى الاعتراف بالعجز التام لله جل وعلا يحقق رضوانه ولا شك، ويجلب مزيداً من نعمه، ويضمن استدامتها على العبد .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- بلدة : وبلد وبلاد، مكان عام كبير يجتمع فيه البشر، تتحقق لأهله فيه مقومات الحياة الرئيسية الضرورية، من أمن وأمان واستقرار، وتوافر لكافة أسباب العيش والرزق .

٢- الأزواج : جمع زوج، سبق الإيضاح، ويراد بها هنا الأصناف من كل حي، من حيوان ونبات وكائن ...

﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم

مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ
ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا
مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ۞

– (بيان تضمن ترهيباً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه غاية وقاحة أولئك الكفار، باتخاذهم الشريك له جل وعلا، وما ذاك إلا دليل على غاية عنادهم وكفرهم بربهم العظيم، زاعمين اختياره لنفسه البنات واستحقاقهم هم للبنين، رضوا له ما لم يرضوه هم لأنفسهم، يغتم أحدهم ويحزن ويسودّ وجه حين يرزق بالأنثى، أتستوي خلفة البنات اللواتي تربين في الزينة والدلال، عاجزات عن الدفع عن أنفسهن حال النزاع حياءً، بمن هو قادر على الرد عن نفسه قائم بشؤونها !، فمن أخبر أولئك الكفار أن الملائكة بنات، ولم يشهدوا خلقهم، ولا علم لهم يؤخذ عن مصدر حق، ويل لهم من زور قولهم وكذبه، سيكتب عليهم وعنه يسألون، ثم كيف لهم أن يعبدوهم من دون الله تعالى زاعمين رضاه !، من أعلمهم بذلك، ألديهم كتاب أمر به !، كلا قطعاً، ما حملهم على ذلك القول المنكر إلا تقليدهم لآبائهم والسير على نهجهم، كذلك هو شأن سائر الأمم، يستمسكون بدين آبائهم الأولين، مكذبين ما جاءهم به رسل الله تعالى الذين بعثوا فيهم، وإن كان هو الحق المبين الذي لا مرية فيه، مؤيداً بدلائل ومعجزات قاطعات، وبراهين وحجج دامغات، تؤكد

صدق مبعثهم، ومع ذلك كذبوهم ورفضوا الحق الذي معهم، فاستحقوا العذاب جزاء كذبهم وكفرهم وما كانوا يعملون .

غريب الكلمات :

- كظيم : مهموم مغتمٌّ حزين .
- ينشأ في الحلية : يربى في الزينة، وهن البنات .
- الخصام : النزاع والقتال .
- غير مبين : لا وجود له ولا مكان .
- يخرصون : يظنون، يتحيَّرون في الكذب .

توجيهات الآيات :

١- الحذر من الإشراك بالله تعالى، بأيٍ من صور الشرك، ووجوب تحقيق التوحيد الخالص له .

٢- من غفلة الإنسان أن جعل من خلق الله سبحانه شركاء له، ونظراً له تعبد من دونه جل شأنه، رغم كل الفوارق القائمة، وما ذاك إلا للجهل الذريع الواقع فيه .

٣- زعم الكفار الوقح، أن الله جل جلاله اتخذ لنفسه البنات، وجعل لهم البنين، ارتضوه لربهم و لم يرتضيه أيهم لنفسه، متى بشر بالأنثى اسود وجهه واغتم قلبه، وأسِف على حاله .

٤- وجوب المحافظة على البنات في البيوت، وتربيتهن التربية المناسبة لهن، بزينة ورعاية، حتى لا يفقدن أنوثتهن، بخلاف تربية البنين التي تحتاج لإخراجهم من البيت مع الأب، لكسب الخبرات حتى يشتد عود أحدهم، ولا سيما في الخصومات ومواطن النزاع والخلافات، ليكون أقدر على مجابهة المشكلات ومواجهة معترك الحياة وصراعها .

٥- زعم الكفار أن الملائكة الكرام عليهم السلام بنات، كذباً وزوراً، كيف تأتى لهم ذلك، من غير علم ولا بصيرة، ويل لهم، سيسألون عن ذلك يوم القيامة .

٦- لا يجوز الاحتجاج بالمعصية وإحالة ذلك على القدر، كما فعل الكفار حين عبدوا الملائكة الكرام، وراحوا يقولون لو أراد الله تعالى ما قدر ذلك، فكيف علموا أنه سبحانه قد قدر عليهم ذلك فعلاً، وهم لم يروا القدر بأعينهم، ما قولهم ذاك إلا ظناً سيئاً لا مستند عليه، وليس لديهم عليه كتاب حق يثبت ذلك إطلاقاً .

٧- عقدة التقليد مشكلة حقيقية، حينما يقتفي الأبناء آثار الآباء ولأجداد، حتى فيما يخص الدين، دون النظر في حقيقة ما ورثوه عنهم، ومدى صحة ذلك من فساده، كذلك هو شأن عامة الأمم، وموقفهم من أنبيائهم ورسلهم الكرام عليه الصلاة والسلام .

٨- ما بُعث رسول من عند ربه لقوم، إلا ليصحح ما هم عليه من فساد معتقدهم ومجتمعهم، ومن ثم ليقيم تعاليم الشرع القويم بينهم، وجميعهم

قوبل بالصد والتكذيب والإعراض ورفض دعوته، وتلك سنة الله تعالى في خلقه .

٩- عذاب الله عز وجل محيط بالكافرين لا محالة، فويل للمجرمين من انتقامه وأليم عذابه .

١٠- ورد ذكر اسم (الرحمن) في الآيات الكريمات (٣) مرات، رغم أن لهجة السياق ترهيب وتخويف، فيه دلالة على غاية رحمة الله جل شأنه ولطفه بخلقه وعباده .

١١- النون في قوله تعالى (آتيناهم، أرسلنا، فانتقمنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآيات (١٥-١٨) قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ . لا معنى حقيقي من نسبة الولد إلى الله سبحانه، تحديداً البنات، وعامة الناس يرى في نفسه

تفضيل البنين الذين تربوا على القوة والفتوة، على من تربين في بيوتهن على الجمال والزينة . وإشارة جملة (بما ضرب للرحمن مثلاً)، للتنبيه وإيقاظ الحس للدرجة الأخيرة، حول جزئية كيف رضوا لربهم ما لم يرضوه لأنفسهم !.

٢- إشارة : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ . كل قول نطق به الإنسان وخرج من بين ثناياه، سيسأل عنه يوم القيامة، كما لو كان شهادة أدلى بها . في الحديث النبوي الشريف قوله عن عقبة بن عامر رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال ﷺ : (**أملك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك**)[الترمذي وأحمد] .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٢٠) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ . كثير من الناس يفعل الخطأ بنفسه، وعن عمد منه، ومن ثم يحمِّل الآخرين تبعاته، ويعلقه عليهم .

٤- إشارة : جاء في الآيات (٢٢-٢٣) قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ . في الآية الأولى جاء اللفظ (وإنا على آثارهم مهتدون)، والاهتداء محاولة الاتباع مع اعتقاد الصواب فيمن اتبعه، وجاء في الآية الثانية (وإنا على آثارهم مقتدون)، والاقتداء محاولة الاتباع ما أمكن، تقليداً له وحسب، دون النظر فيما إذا كان على صواب أم لا .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ . من الصعب على الإنسان تغيير نمط حياته، مما ألفه في صغره من أمور، ورأى والديه ومن حوله عليه، لكن ذلك من جملة واقع الحياة الدنيا، فكم من أمور كثيرة، لما كبر الإنسان أيقن ضرورة تغييرها والتحول عنها، وجادل أقرب الناس إليه ليقنعه بوجهة نظره الجديدة، فأين أمر الدين من ذلك، وهو الأهم في حياة الإنسان !.

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الإنسان . بنات . بنين : سبق الإيضاح .

٢- الملائكة . إناثاً : سبق الإيضاح .

٣- أمة . قرية : سبق الإيضاح .

٤- آباءنا . آباءكم : سبق الإيضاح .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾

- (تذكير تضمن بياناً بترهيب وتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى ذكر طرف من قصة الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام، حين تبرأ من أبيه وقومه ومما يعبدون من دون الله جل جلاله، معلناً عبادة من خلقه من عدم، القادر على هدايته للحق، وجعل ذلك الإعلام باقياً في ذريته من

بعده، لعل من ضل عن الحق عاد إلى إرث أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فضل كثيرون ممن جاء من بعده عن المنهج الحق، حتى جاء رسول الهدى ﷺ بالحق المبين، فقال له قومه هذا سحر ظاهر نحن به كافرون، معترضين على نبوته ﷺ، قائلين لو كان نبياً حقاً نزل عليه القرآن الكريم صدقاً، لنزل على رجل عظيم الشأن في قومه، في مكة أم القرى حيث البيت العتيق، أو في الطائف حاضرة المدائن آنذاك، فقل لهم يا رسولنا الكريم أهُم من يملك النبوة، واختيار من يصلح لها من البشر !، أم نحن الذين قسمنا بينهم معايشهم في دنياهم !، وجعلناهم درجات اجتماعية، وسخرناهم لبعضهم، ليتكاملوا فيما بينهم، كلٌ يفيد الآخرين بما يجيده، مما علمه الله تعالى وهيأ له، ومما آتاه من خبرات وقدرات تفيده لنفسه، ومن ثم ينقلها لغيره فيستفيد منها الجميع، رحمة ربانية بالخلق، ليتعاونوا ويتكاتفوا، فتكمل حياتهم فيما بينهم، ولولا ذاك وأن الدنيا دار ابتلاء وفتنة، ويخشى على الصالحين فيها من الافتتان بزينتها وزخرفها إن ميزناهم عن غيرهم، لفرقنا بين أهلها في العطاء، فوهبنا الكفار فيها نعماً ظاهرةً، بجعل سقوف بيوتهم وأبوابها وسررها ومصاعدها التي يرقون عليها، من ذهب وفضة ونقوش وزينة فاخرة، عطاء بلاء وامتحان وحسب، وما ذاك إلا لهوان الدنيا على الله جل جلاله، ثم إنه ليس لهم في الآخرة من عطائها العظيم الخالد الباقي شيء، إن هو إلا للمتقين .

غريب الكلمات :

- فطرني : خلقني وأوجدني .
- باقية في عقبه : مستمرة في ذريته .
- يقسمون رحمة ربك : يوزعون النبوة والرسالة .
- سخرياً : مسخَّرة في العمل .
- ومعارج عليها يظهرون : سلالم ومصاعد عليها يصعدون .
- وزخرفاً : ذهباً خالصاً .

توجيهات الآيات :

١- تبرؤ إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام من عبادة قومه المشركين وإقراره بربوبيه الخالق العظيم، المصرف المدبر للعالمين أجمعين، الهادي إلى سواء السبيل، إذ لا قادر على الهداية إلا هو .

٢- توصيته عليه الصلاة والسلام ذريته من بعده، بالتمسك بكلمة التوحيد الحقة، قول (لا إله إلا الله) والعمل بمضمونها، بعبادته سبحانه وترك ما سواه .

٣- الدنيا دار غرر ومتع وملاهي وفتن كبرى، وعامة الناس فيها غافلون لاهون عن حقيقة ما يراد بهم، كذلك هو شأن الأمم حتى يأتيها داعية الله تعالى يدعوهم للحق المبين، فما خلت من أمة من نبي يرسل إليهم، بمنهج ربهم القويم .

٤- أكبر تهمة ردت بها الأمم عامة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، هو رميهم بالسحر، ولو كان ذلك صحيحاً، لسحر الرسل جميع أقوامهم وليس بعضهم دون بعض .

٥- الاستكبار والاستنكاف من أهم الأسباب التي ردت بها قريش دعوة رسول الهدى ﷺ، حين قالوا لو كان هذا القرآن الكريم حقاً وصدقاً، لنزل على رجل عظيم الشأن في قومه، كالوليد بن المغيرة في مكة المكرمة مثلاً، أو عقبة بن مسعود الثقفي في الطائف، وليس على راعي غنم؛ كما زعموا .

٦- لله سبحانه الملك كله، يخلق ويقسم ويعطي ويمنع كما شاء، وليس للخلق الحق أبداً أن يعترضوا على شيء من ذلك، أو أن يقترحوا ما يخالف أرادة الله جل وعلا .

٧- من غايات التكامل في الحياة الدنيا، أن جعل الله سبحانه الخلق درجات، بعضهم فوق بعض، في حركة تكاملية فيما بينهم، بحيث يبقى الاحتياج من الجميع وللجميع، كلٌ منهم يستفيد من غيره من الناس ما يجيدونه، ويفيدهم هو بما يجيد، فالكل فيها طالب والكل فيها مطلوب لا مفر من ذلك .

٨- ومن غايات التكامل في الحياة الدنيا أيضاً، إخفاؤه جل جلاله حال الناس فيها، حتى لا يفتتنوا ببعضهم، ولا يغتر أيهم بنفسه أو بغيره، ويبقى الجميع ضمن دائرة القبول والرد من ربه الكريم حتى اللحظات الأخيرة

من أعمارهم . في الأثر : (إن الله تعالى أخفى ثلاثاً في ثلاث : أخفى غضبه في معصيته، وأخفى رضاءه في طاعته، وأخفى ولايته في عباده، فلا تحقرن شيئاً من معاصيه فلعله أن يكون فيه غضبه، ولا تحقرن شيئاً من طاعته فلعله يكون فيه رضاؤه، ولا تحقرن أحداً من خلق الله فلعله أن يكون ولياً من أوليائه)[البيهقي في الزهد الكبير] .

٩- متاع الدنيا متاح للجميع، ممن قسم الله تعالى له نصيب منها، أما متاع الآخرة فهو حكر على المتقين خالص لهم، ليس للكافر منه شيء أبداً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين، فقد أحبه، والذي نفسي بيده، لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه، قالوا : وما بوائقه يا نبي الله ؟ قال : غشمه وظلمه، ولا يكسب عبد مالاً من حرام، فينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتصدق به فيقبل منه، ولا يترك خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، إن الله عز وجل لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحو الخبيث**)[أحمد] .

١٠- تقوى الله جل في علاه هو سبيل النجاة والصلاح والفلاح، في الدنيا والآخرة .

١١- النون في قوله تعالى (نحن قسمنا، رفعنا، لجعلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . تحقيق الخليل عليه السلام عقيدة الولاء البراء، في أقرب الناس إليه، دليل على أن الإيمان لا قرابة فيه ولا له، فرب قريب أبعده كفره، ورب بعيد قربه إيمانه .

٢- لطيفة : جاء في الآيات (٢٩-٣٠) قوله تعالى : ﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ . وصف القرآن الكريم بأنه (الحق) في الآيتين، ووصف الكفار له بأنه سحر، دال على أن الإنسان يحكم على الشيء من واقع قناعاته ليس إلا، هي التي توجهه وتحركه .

٣- إشارة : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ . اعتراض قريش لم يكن على رد النبوة فيهم، وإنما على من وقع عليه الاختيار ليكون نبياً لهم، ولو

أنها وقعت على رجل عظيم فيهم لتغير موقفهم، بحسب تصورهم، فيه دليل على أن اعتقادهم وجوب كون النبوة في الأشراف دون الضعفاء، لذا طلبوا من رسول الهدى ﷺ أن يطرد الضعفاء عنه ليخلوا به الأكابر، ويكون لهم الشرف حينها خالصاً . في الحديث النبوي الشريف عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : (**كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل** : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾ ﴾)[مسلم] .

٤- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٣٢) قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ . اختلاف طبقات الناس المعيشية من واقع تكامل حركة الحياة الدنيا، ليتبادلوا المصالح والمنافع والخبرات فيما بينهم، ولو أنهم كانوا كلهم على حد سواء في كل شيء، لاستنكفوا من بعضهم، أيهم التابع فيها وأيهم المتبوع . ولطيفة جملة (سخرية)، ترد في السياقات

كثيراً، وهي على وجهين، الأول خطأ بقول (ومن سُخْرِيَة القدر) نسبة الكلمة هنا إلى السخرية التي هي شقيقة الاستهزاء، وهذا لا يجوز قطعاً، والثاني صواب بقول (ومن سُخْرِيَّة القدر) بالتشديد، نسبة إلى تسخير الشيء، فكل شيء في هذا الكون الفسيح مسخر من الله سبحانه، وهذا صحيح تماماً .

٥- لطيفة وإشارة : جاء في الآيات (٣٣-٣٥) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾ . جملة (ومعارج عليها يظهرون) تشير إلى المصاعد التي ابتكرت في العصر الحديث، والتي صار الناس يرتقون بها إلى عشرات الأدوار والطوابق المسكونة . وإشارة تدل الآيات الكريمات على أن الجزاء الحق والثواب الجزيل المستحق، لا يكون إلا في الآخرة، وللمتقين الذي استحقوا الفوز بالجنة، أما متاع الحياة الدنيا فمهما عَظُم في نظر الناس فحقيقته أنه مجرد ثواب قليل زائل، ولا يخلو من كدر ومنغصات، إذن فليرض المسلم بقدره ويسلم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**)[مسلم] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- إبراهيم : سبق الإيضاح .

٢- أبيه : أب، سبق الإيضاح . ويراد به هنا أبوه آزر بن ناحور .

٣- قومه : قوم، سبق الإيضاح . ويراد بهم هنا قوم إبراهيم عليه السلام (الكلدانيون) .

٤- عقبه : عقب الإنسان ذريته من بعده، الذي يخلفونه على الشيء .

٥- رسول . رجل : سبق الإيضاح .

٦- القريتين : مثنى قرية، وقد سبق الإيضاح، ويراد بهما هنا مكة المكرمة والطائف .

٧- الناس . أمة . المتقين : سبق الإيضاح .

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ

وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

– (بيان تضمن تخويفاً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن القوم الكافرين، مبيناً سبحانه حقيقة من أعرض عن ذكره والإيمان به، بأن هيأ له شيطاناً يلازمه ويصاحبه، يصده عن الحق المبين، ويزين له الباطل من كل وجه ليغرُّه ويضله، حتى يموت ويحشر كافراً، يتمنى حينها لو كان بينهما بُعد ما بين المشرق والمغرب، فبئس القرين له لكان، يدلّه على الشر والسوء والباطل، ولن ينفعه ذلك اليوم الندم والتحسر، قد حاق بهما العذاب سواء كما كانا في الظلم سواء، فاصبر يا رسولنا الكريم فما شأن هؤلاء الكفار في إعراضهم وضلالهم، إلا كشأن أصم لا يسمع، أعمى لا يبصر، وإنَّا منتقمون منهم لا محالة، سواء بعد مماتك أو في حياتك ببعض العذاب المقدَّر عليهم، واستمسك بما أوحينا إليك من الكتاب الحق، وإن كذبوك وكفروا بما جئتهم به بجهلهم وحماقاتهم، فما هذا القرآن الكريم الذي نزل فيهم وبلغتهم وعلى رجل منهم إلا شرف لهم، لو تفطنوا لذلك، وسيسألون عن إيمانهم به لو كانوا يعلمون، فسأل يا رسولنا الكريم من شئت من اتباع الرسل الكرام عليهم جميعاً الصلاة والسلام ممن كانوا من قبلك، أشُرعت عبادة غير الله سبحانه وتعالى على وجه الحقيقة !، كلاً قطعاً .

غريب الكلمات :

- يعش عن ذكر : يُعرض عن ذكر ربه العظيم وينصرف عن مراده .
- نقيض له : نهيئ له ونيسِّر .
- لذكر لك ولقومك : لشرف لكم لو كنتم يعلمون .

توجيهات الآيات :

١- لكل إنسان شيطان قرين له، فالمؤمن له من ربه حافظ حفيظ، والكافر والفاجر يتسلط عليه قرينه بالشر والسوء، ويصده عن الحق حتى يهلكه، ويزين له الباطل حتى يراه حقاً أكيداً .

٢- بمجرد مفارقة الروح للجسد، يدرك الإنسان خبث قرينه ذاك الذي صاحبه، وكان معيناً له على الشر والباطل طوال حياته، يتمنى حينها لو أنه كان بينهما أبعد ما بين المشرقين، وليس ذلك بنافعه شيئاً يوم القيامة مطلقاً، يقرنهم سبحانه في العذاب معاً، كما كانوا في الدنيا معاً .

٣- مهمة الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام البلاغ عن ربهم، وليست هداية الناس، ولا سيما من كان في ضلال ظاهر، فسد أذنيه عن سماع الحق فصار حاله كالأصم، وغطى عينيه عن رؤية الحق فصار كالأعمى .

٤- إحاطة الله العظيم بخلقه في كل أحوالهم، لا راد لهم مما أراد وقدر عليهم، إن شاء عجل عقوبته بهم وأهلكهم ورسولهم يرى ذلك، وإن شاء أخر ذلك عنهم إلى ما بعد موته .

٥- أمره سبحانه وتعالى رسوله الكريم ﷺ بالتسمك بالمنهج الحق، والسير عليه .

٦- تذكيره سبحانه بأن نزول القرآن الكريم على أمة العرب شرف لهم، كما أن نزوله على رجل منهم هو شرف آخر لهم، لو كانوا يعقلون .

٧- سيسأل كل إنسان عما فعل في هذا القرآن الكريم، من تعبد وتدبر وتفكر . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**بئسما لأحدهم يقول : نسيت آية كيت وكيت، بل هو نسي، استذكروا القرآن فلهو أشد تفصياً من صدور الرجال، من النعم بعقلها**)[متفق عليه . تفصياً : انفصالاً . النعم في عقلها : الإبل في مرابطها] .

٨- ما من رسول بعث في قوم إلا وجاء بمراد الله تعالى من قومه، آمراً إياهم بالإيمان والتصديق، والعبادة الحقة كما شُرع لهم، وطاعته عز وجل كما أمر وشرع لخلقه .

٩- لا معبود بحق إلا الله تبارك وتعالى، الرحمن بخلقه في كل شؤونهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن لله مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة**)[مسلم] .

١٠- النون في قوله تعالى (نقيض، جاءنا، نذهبن، فإنا، منتقمون، نرينك، وعدناهم، فإنا، مقتدرون، أرسلنا، رسلنا، أجعلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر

كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآية (٣٦) قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ . الإنسان متى ضل عن طريق الحق، فقد وافق قرينه في الضلال والفسق والفساد، والانحراف عن المنهج الحق . وأخرى ذكر اسم (الرحمن) في سياق الترهيب دال على غاية رحمة الله جل شأنه، ولطفه بخلقه وعباده .

٢- إشارة : جاء في الآية (٤٠) قوله تعالى : ﴿ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ . السمع والبصر، هما وسيلتا الإدراك، ومن فقدهما؛ فَقَدَ التواصل مع من حوله، ولا سيما حاسة السمع .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٤٣) قوله تعالى : ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ﴾ . أمره تبارك وتعالى رسوله الكريم ﷺ بالاستمساك بالمنهج الحق، وتطبيقه، هو أمر له وللأمة من بعده ولا ريب .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٤٥) قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ . ذكر اسم (الرحمن) في سياق الترهيب دال على غاية رحمة الله جل شأنه، ولطفه بخلقه وعباده .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- شيطان . قرين : سبق الإيضاح .

٢- قومك . رسلنا : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ

مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾
فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾
فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

- (إعلام تضمن بياناً بترهيب وتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى ذكر طرف من قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، حين أرسله سبحانه إليهم مؤيداً بالمعجزات الواضحات، كل واحدة منها أظهر من التي سبقتها، فسخروا منه وكفروا بما جاءهم به من حق مبين، فسُلط عليهم عذاب عاجل يسير بعد كل معجزة، لعلهم عن غيِّهم للحق يرجعون، قائلين لموسى عليه السلام يا أيها الساحر سل ربك أن يكشف عنا ما نحن فيه من بلاء، فما أن ينكشف عنهم حتى يعودوا إلى ما كانوا عليه من تكذيب، ناقضين عهدهم مصرِّين على الكفر، ونادى فرعون فيهم مخوفاً إياهم، ألست مالكاً لمصر بما فيها من نعيم، وهذه الأنهار فروع النيل تمر من تحت قصري، لا ينازعني في ذلك أحد أبداً، أأنا خير أم هذا الذي لا مُعز له ولا قوة ولا منعة، بل ولا يُعرف ماذا يقول، لما في لسانه من ثقل، كيف يكون نبياً عظيماً و لم يُحلَّ بالذهب والأساور، و لم تأت معه ملائكة يحوطونه بالهالة والتأييد، فصدَّقه قومه فيما قال، وكذبوا موسى عليه السلام ورفضوا دعوته، وهنا ولما ثبتت عليهم الحجة بالبلاغ، حاق بهم

العذاب وأغرقوا جرَّاء عتوهم وطغيانهم العظيم، وكانوا عبرة وموعظة لكل معتبر؛ ممن جاء من بعدهم من العالمين .

غريب الكلمات :

- ينكثون : يغدرون، مصرِّين على كفرهم .
- مهين ولا يكاد يبين : لا يكاد يفصح ويُعرف ما يقول للثغة لسانه .
- أسورة من ذهب : أساور من ذهب .
- مقترنين : مصاحبين له، مجتمعين معه يصدقونه .
- فاستخف قومه : استمالهم لما يريد فأيدوه على غير بصيرة ولا وعي .
- آسفونا : أغضبونا، حتى أُعذِرنا فيهم .
- سلفاً ومثلاً : قدوة لمن عمل بمثل عملهم الفاسد .

توجيهات الآيات :

١- إرسال موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه، بمنهج وشرع رب العالمين، ورفضهم لدعوته تلك وسخريتهم منها، رغم كثرة المعجزات التي أيد بها، تنزل بهم المعجزة فيرفضونها، فيحل بهم العذاب فترة، فيهرعون إلى موسى عليه السلام ليسأل ربه رفع العذاب، فيرفع فعلاً، فيعودون لما كانوا عليه من عتو ونفور، فتنزل بهم أخرى أشد من سابقتها، وهكذا حالهم، حتى أغرقوا في اليم .

٢- من جهل القوم بحقيقة موسى عليه السلام، وصفوه قائلين : (أيها الساحر) ظناً منهم أن معجزاته تلك، هي من جملة أعمال السحر، المنتشر آنذاك في مجتمعاتهم .

٣- طغيان فرعون في الأرض وعلوه علواً كبيراً، ظاناً بقاء ملكه مطلقاً وأن قصوره تلك وما تحت يده لن يزول عنه، منادياً في قومه لي ملك مصر وما تحتها .

٤- استخفافه بعقول قومه وتصديقهم له، حين قال لهم : أنا خير من موسى الضعيف، الذي لا قوة له ولا حيلة، ولا من ينصره، فقير لا زينة له ولا ذهب يعلو شأنه به، ولا ملائكة ترافقه، فكيف يكون رسولاً من كان هذا شأنه في الضعف والهوان .

٥- إصابة موسى عليه السلام في صغره بحرق في لسانه، أعقب ثقلاً في لسانه ولثغة وثقل، فلا يكاد يعرف ما يقول، لذا طلب من ربه أن يرسل إلى هارون عليه السلام، وسبب تلك اللثغة فرعون الأثيم . في الخبر : (عُجمة بجمرة نار أدخلها في فيه، عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون، حين أخذ موسى بلحيته وهو لا يعقل، قال : هذا عدو لي، فقالت امرأته : إنه لا يعقل)[الدر المنثور] .

٦- إمهال الله جل جلاله للقوم الكافرين حتى أقيمت عليهم كافة الحجج والبراهين، حاق بهم العذاب حينها، جزاء ما كانوا يعملون، فلا عذاب قبل الإمهال والإعذار للدرجة الأخيرة .

٧- بقاء ديار القوم الهالكين، عبرة قائمة لكل من جاء من بعدهم، يراها فيعتبر ويتعظ بها، ويحذر الصيرورة إلى ذات ذلك المصير الوخيم، فما أكثر العبر وما أقل المعتبِر، فعامة الناس قد سيطرت عليهم الغفلة، فلم يعد يهتم لأمر دينه وشرع ربه الكريم .

٨- النون في قوله تعالى (أرسلنا، بآياتنا، بآياتنا، نريهم، أخذناهم، كشفنا، آسفونا انتقمنا، فأغرقناهم، فجعلناهم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٤٧) قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ . الضحك من الحق الظاهر والمعجزات الباهرات، دليل على الاستخفاف بأمر الدين، وغاية الطغيان والعتو والنفور .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٤٨) قوله تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ . حينما ينغلق القلب يفقد الشعور والتأثر، فلا يكاد يعقل أو يميز، حتى المعجزات التي يراها بأم عينيه، مهما كثرت وتعددت وتنوعت، يشكك فيها ولا يصدقها، حار في غيِّه وتاه .

٣- إشارة : جاء في الآية (٤٩) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ . إقرار القوم بما لموسى عليه السلام عند ربه من عهد، دليل على إقراراهم بنبوته وصدق رسالته وما جاءهم به .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٥٠) قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ . عادة أكثر الناس النكوص على العقب، بمجرد تغيير الحال والأحوال، قليلون من يثبتون على الحق، وعلى المبادئ والقيم، فلا يتأثرون بالمؤثرات .

٥- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (٥١) قوله تعالى : ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ . قد يؤثر الحاكم على قومه بما يريد، بخطاب عام يجعلهم يغيرون موقفهم تماماً . وإشارة وردت مصر في القرآن الكريم (٤) مرات، جميعها جاء في سياق الأرض التي حوت الخيرات والأرزاق والطيبات .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٥٢) قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ﴾ . كم من عيي خير عند الله سبحانه

من بليغ فصيح اللسان . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**الحياء والعِيْ شعبتان من الإيمان، والبذاء والبيان شعبتان من النفاق**)[الترمذي وأحمد . والعي : العجز عن الكلام] .

٧- لطيفة : جاء في الآية (٥٣) قوله تعالى : ﴿ **فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾** ﴾ . للمال سلطان على الناس وتأثير كبير عليهم، حتى في مسألة قبول النبوة وردها، كان للكفار في ذلك قول .

٨- لطيفة : جاء في الآية (٥٤) قوله تعالى : ﴿ **فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾** ﴾ . كثير من الناس لا شخصية مستقلة له، عامة أموره يتبع فيها الآخرين، ما أسهل ما يتأثر بهم، فبمجرد أن يستخف بعقله شخص ما؛ إلا وتجده يصدقه ويتبعه مباشرة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا تكونوا إمعة، تقولون : إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا**)[الترمذي . إمعة : لا رأي له، يتبع كل أحد] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- موسى . فرعون . ملأه . رسول : سبق الإيضاح .

٢- الساحر : من يمارس أعمال الشعوذة واستحضار الجن والشيطان، بقصد كشف الغيب، والتأثير على الآخرين لأغراض خبيثة دنيئة منكرة .

٣- قومه : قوم سبق الإيضاح . ويراد بهم هنا الأقباط سكان مصر .

٤- مصر : بلد كبير يحتضن نهر النيل، يقع شمال شرق القارة الإفريقية يطل على البحرين الأحمر والأبيض المتوسط، حوى حضارات كثيرة قديمة جداً منذ آلاف السنين، من ضمنها حضارة الفراعنة التي بعث فيهم موسى عليه السلام .

٥- الملائكة : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

– (استفهام تضمن بياناً بترهيب وتوجيه) : ما زال سياق القصص موصولاً، ذاكراً سبحانه طرفاً من قصة عيسى عليه السلام، حين احتجت قريش بعبادة النصارى له، قائلين جدلاً نرضى أن تكون آلهتنا بمنزلة عيسى عليه السلام المعبود من دون الله تعالى، وقد كذبوا في ذلك ولجّوا في الخصومة، فما عيسى عليه السلام إلا نبي كريم منَّ الله تعالى عليه بالنبوة والرسالة جاء مبلغاً عن ربه الكريم منهجه الحق، بعث في بني إسرائيل مؤيداً بالمعجزات، فارعووا يا هؤلاء وإلا أهلكناكم وبدلناكم بملائكة يمشون على الأرض يحسنون عمارتها، أما عيسى عليه السلام الذي تتحدثون عنه فسينزل آخر الزمان لعمل عظيم، ونزوله علامة كبرى من علامات القيامة التي أنتم بها تكذبون، فآمنوا بربكم خيراً لكم، ولا تنصتوا لوساوس الشيطان الرجيم، فإنه لكم عدو مبين، يعبث بعقولكم بما لا حقيقة له من أمور، أما رسلنا فقد أيدناهم بمعجزات ظاهرات دالة على صدق ما جاءوا به، كما أيدنا عيسى عليه السلام بكبرى المعجزات، وآتيناه كتاباً مبيناً هو الإنجيل، جاء مقرراً المنهج الرباني الحق وإنهاء ما اختلف فيه قومه من بني إسرائيل، قائلاً لهم آمنوا بربكم واتقوه ولا تعصوه، هو ربي وربكم فاعبدوه وحده، واعملوا بشرعه الذي آتاكم، هذا هو الطريق الحق الموصل إلى جنان رب العالمين، فاختلفوا فيه من

بعده، بين مؤمن به مصدق، ومشرك فيه مع ربه، فمن قائل هو ابن الله، ومن قال هو الله، ومن قائل ثالث ثلاثة، ومن قائل هو وأمه إلهان اثنان، فويل لأولئك الظالمين من عذاب يوم أليم، موعدهم القيامة فذرهم، وما كانوا يعبدون .

غريب الكلمات :

- خصمون : شديدوا الخصومة والخلاف .
- تمترنَّ بها : تشككون فيها وتتحيَّرون .
- جئتكم بالحكمة : بالنبوة والكتاب الحق، المنزل من ربكم .
- الأحزاب : الفِرَق والجماعات .

توجيهات الآيات :

١- ضرب الكفار مثلاً لرسول الهدى ﷺ بعبادة النصارى للمسيح، كمسوغ لعبادتهم لآلهتهم، مستدلين بأنه خير من آلهتهم لكونه نبياً مرسلاً، ومع ذلك عُبد من دون الله تعالى، وهم يعلمون أن المسيح عليه السلام لم يأمر اتباعه بعبادته بتاتاً .

٢- حقيقة المسيح عليه السلام أنه عبد لله سبحانه وتعالى كغيره من سائر البشر، أنعم عليه سبحانه بالنبوة والرسالة، وبعثه في بني إسرائيل، فكان رمزاً لهم .

٣- لو شاء سبحانه لجعل الملائكة الكرام عليهم السلام هم ساكنو الأرض وعامروها، بدلاً من البشر الذين يعصونه ويشركون به آلهة أخرى، ولكنها إرادة الله تعالى الابتلاء لخلقه في الدنيا .

٤- مبعث المسيح عليه السلام إحدى علامات الساعة الكبرى، ولنزوله آخر الزمان مهمة عظمى، لا يمكن أن تسند إلا لرسول كريم مؤيد بالملائكة الكرام من حوله . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ﷺ حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**)[متفق عليه] .

٥- دعوة المسيح عليه السلام هي ذاتها دعوة كافة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وهي الدعوة إلى توحيد الخالق العظيم، وتحكيم شرعه وتطبيق منهجه الحق، الذي فيه خير البشرية .

٦- الحذر من تزيين الشيطان الرجيم، وصده عن المنهج الحق، باتباع خطواته ووساوسه .

٧- جاء عيسى عليه السلام بكتاب منزل من ربه، هو الإنجيل فيه شرع ربنا القويم، المناسب لأهل ذلك الزمان والمكان، كما جاء ليزيل الخلاف القائم بين بني إسرائيل آنذاك .

٨- تقوى الله جل في علاه، هي الحبل المتين الموصل إلى رضى رب العالمين، وبأسهل الطرق .

٩- إقرار عيسى عليه السلام بعبوديته لربه الكريم، وأمره بوجوب ابتاعه جل وعلا، ذلك هو الحق المبين والصراط المستقيم لا سواه، قول حق لا مرية فيه .

١٠- اختلاف النصارى بعد عيسى عليه السلام إلى فرق مختلفة، بين مؤمن برسالته، وبين مشكك فيها، وبين من جعله إلهاً، وبين من جعله ابن الله تعالى، وبين من جعله هو وأمه مريم العذراء إلهين اثنين، فويل لمن ظلم نفسه، وكفر به أو أشرك، من عذاب يوم الدين .

١١- يوم القيامة آتٍ لا ريب فيه، وإن كذب به وشكك الكافرون المبطلون، يأتي بغتة، فويل فيه لمن ضاد الله تعالى وخرج عن منهجه الحق، ورفض دعوته التي جاء بها رسله الكرام عليهم الصلاة والسلام .

١٢- النون في قوله تعالى (أنعمنا، وجعلناه، نشاء لجعلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٥٧-٥٨) قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ . علم كفار

قريش بخبر عيسى عليه السلام، وبرسالته إلى قومه وباختلاف النصارى في حقيقته، فما كان لهم أن ينكروا بعثته ﷺ، ويكذبوه ويرفضوا دعوته، وعندهم من خبر الأنبياء السابقين كموسى وعيسى عليهم السلام .

٢- إشارات : جاء في الآية (٦٣) قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ﴾ . رسالة عيسى جاءت مكملة لرسالة موسى، عليهما السلام، كلاهما بعث في بني إسرائيل . وأخرى جاء عيسى عليه السلام ليبين بعض الذي اختلف فيه بنو إسرائيل من أمور وليس جميعها، مما هو من ضمن أصول الدين، والمنهج الرباني الواحد لجميع الخلق، وأما ما لم يبينه فمن باب اختلاف الشرائع بين الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، مما اختلف فيه الإنجيل عن التوراة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- ابن مريم : سبق الإيضاح، هو روح الله تعالى وكلمته، ولد من غير أب، ينزل آخر الزمان لإحياء شريعة الإسلام الخاتمة، ونزوله إحدى علامات الساعة الكبرى، ومن بعده قيام الساعة .

٢- قومك . بني إسرائيل : سبق الإيضاح .

٣- ملائكة . قوم . الساعة : سبق الإيضاح .

٤- الشيطان : سبق الإيضاح .

٥- عيسى : سبق الإيضاح .

٦- الأحزاب : سبق الإيضاح .

﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾
يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ
أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ
وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾
إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ
مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾
لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

- (بيان تضمن ترغيباً وترهيباً بتوجيه) : عاد السياق إلى الحديث عن الكفار، مخوفاً سبحانه من يوم القيامة بأن موازينه تختلف عن الدنيا،

فالأصدقاء فيها المتحابون المجتمعون على الباطل والشر أعداء لبعضهم يوم القيامة، إلا من اتقى ربه واجتمع على الحق والخير والبر، ممن آمن بربه وكان من المسلمين، أولئك لا خوف عليهم يوم القيامة ولا حزن فيها يعتريهم، يدخلون الجنة هم وأزواجهم يسرون فيها ويبتهجون، يسعى عليهم خدمهم بآنية الذهب ممتلئة بما تشتهيه أنفسهم مما لذ للنفس وطاب للعين، من أنواع الطعام والشراب والفواكه والملذات، خالدين فيها جزاء الإيمان والأعمال الصالحات التي كانوا يعملون، أما المجرمون ففي عذاب جهنم خالدون، لا يخفف عنهم منه شيء قد أيسوا من تدارك الرحمة لهم، وما ظلمناهم أبداً، بل ظلموا أنفسهم بكفرهم وإعراضهم وما كانوا من سيئات يعملون، ينادون مالكاً خازن النار أن يسأل ربه أن يميتهم فيرتاحون من العذاب، فيجيبهم بل أنتم فيها خالدون، قد جئناكم بالحق المبين ولكنكم كنتم له كارهين، مفرطون عنه منصرفون، غافلون لاهون ساخرون مستهزئون، فهذا جزاء الكافرين المكذبين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- صحاف من ذهب : جمع صحفة، أواني من ذهب .
- مبلسون : آيسون من الرحمة الإلهية .
- ليقض : ليميتنا لنرتاح .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- كل صداقة في الدنيا قائمة على غير مرضاة الله سبحانه، فهي خسران ووبال على أصحابها يوم القيامة، يعادي بعضهم بعضاً أمام ربهم، لأنهم كانوا أعواناً على الشر والمنكر والرذائل والباطل، فلا خير في صُحبة وصداقة تعقبها ندامة وخسران مبين . في الأثر : (خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فبشر بالجنة فذكر خليله، فقال : اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، وينبئني أني ملاقيك، اللهم فلا تضله بعدي حتى تريه كما أريتني وترضى عنه كما رضيت عني، ثم يموت الآخر فيجمع بين أرواحهما، فيقال : ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : نعم الأخ، ونعم الصاحب، ونعم الخليل، وإذا مات أحد الكافرين بشر بالنار، فذكر خليله فيقول : اللهم إن خليلي كان يأمرني بمعصيتك ومعصية رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير، وينبئني أني غير ملاقيك، اللهم فلا تهده بعدي حتى تريه كما أريتني، وتسخط عليه كما سخطت علي، ثم يموت الآخر، قال : فيجمع بين أرواحهما، فيقال : ليثن كل واحد منكما على صاحبه، فيقول كل واحد منهما لصاحبه : بئس الأخ وبئس الصاحب، ثم قرأ : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾)[البيهقي في شعب الإيمان وغيره] .

٢- يوم القيامة كله خوف وفزع وأهوال، إلا عباد الله جل جلاله، المؤمنين الصادقين، قد أمِنوا أكبر منغصات الدنيا (الخوف والحزن)، كلاهما لا مكان له في الجنة .

٣- لأهل الجنة نعيم لا يوصف، يسعى خدمهم عليهم بكل صوره، بآنية الذهب والفضة، جزاء إيمانهم الصادق وعملهم الصالح، الذي بهما ورثوا الجنة، لا سبيل آخر لذلك، فمن فرط فيهما فقد هلك وخاب وخسر .

٤- ويل للمجرمين من عذاب يوم عظيم، يصلون فيه ناراً شديدة، مستمرة لا يخفف عنهم عذابها أبداً، حتى ييأسوا من حصول ذلك لهم، جرَّاء ظلمهم لأنفسهم في دنياهم والكفر والتكذيب .

٥- يفزع المجرمون في النار لخازنها مالك، ليشفع لهم عند ربهم العظيم ليخفف عنهم من عذابها، أو ليميتهم فيرتاحوا، فيجيبهم أنكم فيها لابثون منها لا تخرجون، وقد سبق الإنذار والإعذار، لكنكم كنتم للحق كارهون وعنه معرضون منصرفون .

٦- الدنيا دار عمل وإمهال، والآخرة دار جزاء لا إمهال فيها، فويل لمن فاته الفوت لا عذر حينها ينفعه ولا عتب، وقد انقضى زمن الإمهال .

٧- النون في قوله تعالى (بآياتنا، ظلمناهم، جئناكم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٦٧) قوله تعالى : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ . الخُلة هي أعلى درجات المحبة، وخُلة الصداقة هي أعلى درجاتها، ومراتبها هي : العلاقة، فالإرادة، فالصبابة، فالغرام، فالوداد، فالشغف، فالعشق، فالتَيْم، فالتعبد، فالخُلة، و لم تتحقق في أحد من الخلق مع ربه إلا لإبراهيم الخليل ولمحمد المصطفى، عليهما الصلاة والسلام . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ألا إني أبرأ إلى كل خلٍّ من خله، ولو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، إن صاحبكم خليل الله**)[مسلم] .

٢- إشارة : جاء في الآية (٦٩) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ . جمعت الآية الكريمة بين مرتبتين اثنتين من مراتب الدين الحق، هما : مرتبة الإيمان ومكانه القلب والتصديق، ومرتبة الإسلام ومجاله الأعمال الظاهرة بالجوارح، تلك هي حقيقة عمل الإنسان، إيمان بقلبه يعقده، يتبعه عمل صالح يصدِّقه .

٣- إشارة : جاء في الآية (٧٠) قوله تعالى : ﴿ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ . مكانة الزوجة لدى الزوج كبيرة ولا شك، في الدنيا بالأنس بها وبحسن صحبتها، وبالأولاد ينجب منها، وفي

الجنة باكتمال فرحة المسلم وتمام سروره بالاجتماع بأهله في دار الرضوان والنعيم المقيم .

٤- إشارة : جاء في الآية (٧٢) قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ . كلمة (أورثتموها) تشعر بأن المسلم استحق الجنة بصفته وريثاً لها من غيره، ولعل ذلك تحقق بالفعل حين ورثها عن الكافر الذي فرط في مكانه فيها، فورثها عنه المؤمن، وكذلك المؤمن بإيمانه وحسن عمله فرط في مكانه في النار فورثه الكافر عنه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم، قال : يأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ " قال : فأما المؤمن، فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله، قال : فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال نبي الله ﷺ : فيراهما جميعاً)، قال قتادة : وذكر لنا أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً، إلى يوم يبعثون**)[مسلم] .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٧٣) قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ . تكرر ذكر الفواكه كثيراً في القرآن الكريم، ليدل على قيمتها الغذائية في الدنيا، وقد أثبت العلم الحديث ذلك بالفعل، كما

أنها من جملة طعام أهل الجنة، يتلذذون بأكلها، وهي صنوف كثيرة وأنواع مختلفة متعددة .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٧٦) قوله تعالى : ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ . كم من ظالم لنفسه بسوء تصرفه، وهو يحسب أنه مظلوم .

٧- لطيفة : جاء في الآية (٧٨) قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ . مقياس الصلاح من الفساد، والخير من الشر، هو حب الخير وأهله؛ من كرههم .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الأخلاء : جمع خِل وخليل، وهو أعز الأصدقاء وأقرب الندماء، وأوفى الخلصاء أصحاب السر، والجلساء ذووا المكانة والميانة .

٢- عدو . المتقين : سبق الإيضاح .

٣- اليوم . مسلمين . المجرمين : سبق الإيضاح .

٤- الظالمين : سبق الإيضاح .

﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ

﴿ ٨١ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٨٢ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ٨٣ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ٨٤ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ٨٥ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ٨٦ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ٨٧ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ٨٨ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٨٩ ﴾

- (استفهام تضمن بياناً بترهيب وتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن القوم الكافرين، مبيناً سبحانه أنه حافظ لرسوله الكريم ﷺ من كل سوء وتدبير ومكر سيء، أدبَّر أولئك الكفار بك يا رسولنا مكراً وأحكموه !، فلا تخف إن مكرنا بهم محكم، ألا يعلمون أنا نعلم سرائرهم وما في ضمائرهم، بل ورسلنا الحفظة لأعمالهم كاتبون، فقل لهم يا رسولنا الكريم إن كان لربنا ولد حقاً فأنا أول العابدين له، إن كان ذلك يرضى ربنا العظيم، تنزه وتقدس رب السموات والأرض عما يقوله المضللون، واتركهم يا رسولنا في أباطيلهم يلعبوا حتى يوم القيامة حيث موعدهم

المحتوم، تعالى ربنا المعبود في السموات وفي الأرض، الحكيم في قضائه وقدره وتصريفه وتدبيره، العليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية من أمر خلقه، وتكاثر خيره وبركته له ملك السموات والأرض بما وبمن فيهما من مخلوقات، له وحده علم القيامة سبحانه، وإليه الخلق راجعون، وبين يده ماثلون، أما ما عُبد من دونه فلا مُلك له ولا علم بشيء، ولا شفاعة لأيهم، منزلة عليا ليست إلا لمن آمن بربه عز وجل وصدق رسله، فكيف يعرضون وعن عبادته ينصرفون، وإذا سألتهم من خلقهم أقروا أنه ربهم الكريم، فطب نفساً يا رسولنا الكريم ولا يسوؤك ما يقولون، وإن لم يؤمنوا بربهم ويصدقوك، واعف عنهم وأعرض عن مزاعمهم وتكذيبهم، وجانب مصادمتهم، حتى يأتيهم ما كانوا يوعدون .

غريب الكلمات :

- أبرموا أمراً : دبَّروا وأحكموا أمرناً سراً، كيداً برسول الهدى ﷺ .
- ونجواهم : مساررتهم فيما بينهم .
- يخوضوا : يتقوَّلوا باطلاً .
- تبارك : تكاثر خير ربنا العظيم .
- يؤفكون : يكذبون ويفترون .
- وقيله يا رب : شكواه ﷺ لربه إعراض قومه وتكذيبهم له .

توجيهات الآيات :

١- مكر الكفار إلى وبال وضلال، فما كان مكرهم ليخفى على مالك الملك العظيم، وخبثهم على أنفسهم، وتخطيطهم دوائره عليهم، والله جل وعلا خير الماكرين، سبحانه يعلم سرهم ونجواهم، لا تخفى عليه خافية .

٢- ما من إنسان إلا ومعه ملائكة كرام، عن يمينه وعن شماله كتبة لعمله، لا يتركونه أبداً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إياكم والتعري فإن معكم من لا يفارقكم إلا عند الغائط وحين يفضي الرجل إلى أهله، فاستحيوهم وأكرموهم**)[الترمذي] .

٣- لو كان لله تعالى ولد حقاً، لما كفر به الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وكانوا أول المؤمنين به، ولكانوا قد أخبروا أممهم بالأمر لا مانع يمنع من ذلك حينها، تنزه ربنا العظيم عما يقولون، رب السموات والأرض ورب العرش العظيم .

٤- ويل للمبطلين المشككين من عاقبة أمرهم، يوم القيامة يرون كل شيء أمام أعينهم حقاً؛ يصلون حينها ما كانوا يوعدون، لأنهم عاشوا دنياهم في تيه وضلال من أمرهم .

٥- لا معبود بحق في الأرض ولا في السماء سواه، الحكيم في كل تصريفه وتدبيره وقضائه وقدره، العليم بكل ما خلق، تكاثر خيره وعمت بركته، له ملك السموات والأرض بما وبمن فيهما، جعل يوم القيامة وقتاً معلوماً عنده، والكل إليه راجع، ليرى عاقبة عمله في دنياه .

٦- لا متصرف في الوجود، ولا مدبر له، ولا معبود فيه بحق، ولا شفيع إطلاقاً، إلا من شهد شهادة الحق قائلاً : (لا إله إلا الله، محمداً رسول الله) موقناً بها، عالماً بحقيقتها، عاملاً بمقتضاها، هؤلاء تقبل شفاعتهم بعد إذن الرحمن، لمن رضي عنه .

٧- الإقرار بتوحيد الربوبية، لا يكفي المسلم، ولا يتحقق به الإيمان الحق، فجميع الخلق يقيناً يعلمون أنه لا مصرف لهذا الوجود على وجه الحقيقة، ولا مدبر له إلا هو سبحانه، فإنهم وإن جحدوا ذلك قولاً، فهم مقرون به قلباً، والنجاة لا تكون إلا بتوحيد الألوهية، بالإقرار الصحيح الصريح قولاً وقلباً وعملاً، بأنه لا معبود بحق إلا الله جل جلاله وتقدست أسماؤه، الخالق الرازق القادر القدير المقتدر .

٨- قد يبلغ الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام درجة التشكي لله تعالى، والتحسُّر من أفعال أقوامهم المعارضة لدعوتهم، ومن قلة أعداد المؤمنين منهم، كل ذلك من باب الحرص عليهم والتحسر على مواقفهم المحزنة الموجبة لهلاكهم، لعدم إيمانهم، والعلاج حينها اجتنابهم وترك معارضتهم، حتى يلاقوا ما كانوا يوعدونه، إما في الدنيا بالهلاك، وإما في الآخرة بالعذاب الأليم .

٩- على الداعية التسلح بالصبر العريض، على كل الممارسات المعارضة لدعوته، تأسياً بعموم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فلنا في قصصهم دروس وعبر ومواعظ نتعلمها منها .

١٠- الوعد والوعيد حق على الله جلت قدرته لكلٍ من المؤمن والكافر، والبر والفاجر، كلٌ بما يستحق، ليبادر المحسن بالعمل الصالح، ويقلع المسيء عن إساءته، ويرجع إلى ربه الكريم .

١١- النون في قوله تعالى (فإنا مبرون، لا نسمع، ورسلنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٧٩) قوله تعالى : ﴿ أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ . الله سبحانه هو الذي يمكر بأعدائه من الكفار والمجرمين، وليس عباده المؤمنين .

٢- إشارة : جاء في الآيات (٨١-٨٢) قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ . هل من يملك السموات والأرض والعرش العظيم، يحتاج لولد فعلاً ! ولماذا ؟ كيف فكر أولئك الناس بمثل هذا التفكير الخديج، فالمحتاج لولد فقير لغيره ولا شك، وحاشاه جل جلاله عن ذلك من كل وجه، وعظمته في الكون شاهدة على ملكه وملكوته، وقيوميته التامة فيه لا سواه .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٨٣) قوله تعالى : ﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ . كيف لعاقل متزن في دنياه، أن يلعب بأمر دينه ويستخف به، ولا يهتم له، إذا كان لا يرضى بذلك لما هو أقل منه شأناً .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٨٤) قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَـٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَـٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ ﴾ . تكرار النكرة عادة في السياق دال على المغايرة، وأن مدلول الأولى غير الثانية، كما في قوله تعالى (في السماء إله وفي الأرض إله)، وأزيل الإشكال بأن كلا النكرتين صلة لموصول واحد معرَّف بقوله عز وجل (وهو الذي) .

٥- إشارة : جاء في الآية (٨٧) قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ . بقليل من التعقل والتفكر والتأمل، يدرك الإنسان الحقيقة مجردة من اللبس، ويعلم حينها أن الأولى بالعبودية، هو الأقدر على الربوبية لا سواه، ومحال أن تصرف لمن لا قدرة له علي شيء في هذا الوجود .

٦- لطيفة : جاء في الآية (٨٩) قوله تعالى : ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ . قد يعمد الإنسان أحياناً في حواراته إلى مبدأ

الانسحاب من النقاش والجدال، متى رأى المصلحة متحققة من ذلك، وأنه لا فائدة مرجوة حينها من الاستمرار، لأنه لربما أحدث مشكلة قد تتفاقم فيما بعد، وكان الأولى وقتها الإعراض عن ذلك والانصراف بهدوء وسلام تامين، لأن الأصل في الحوار الإقناع بالحق، فإن لم يكن ذلك بمتحقق فالانسحاب حينها أولى . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه**)[أبو داود والترمذي وابن ماجة] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- العابدين : جمع عابد، من آمن بالله العظيم، والتزم بمنهجه الحق، عاملاً بتعاليم شرعه القويم .

٢- الساعة : سبق الإيضاح .

۞۞۞

جزء فصلت : الخامس والعشرون :

(٩) سورة الدخان

- مكية بالإجماع .
- آياتها (٥٩) آية مختلف فيه، فقيل (٥٧)، وقيل (٥٦) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ حمٓ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ ﴾ آية واحدة، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ٣٣ ﴾ آية واحدة . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤١ ﴾ آية واحدة .
- كلماتها (٣٤٦) كلمة . وحروفها (١٤٣١) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٦٤) . نزلت بعد سورة الزخرف .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٤) .
- سميت بـــ (الدخان) لورود اللفظ بها . وهي خامسة الحواميم السبعة.
- محور حديث السورة الكريمة : إنزال القرآن الكريم بالحق والتخويف بيوم الدين .
- مجمل موضوعاتها (٦) موضوعات : الحديث عن إنزال القرآن الكريم ليلة القدر المباركة، وموقف المشركين المشككين في ذلك، ذكر طرف

من قصة فرعون وهلاكه، وإنكار مسألة البعث والنشور، التخويف بيوم الدين وذكر بعض أهواله، والتشويق بما للمتقين من نعيم مقيم في جنات النعيم .

- الأحاديث الواردة في السورة . في الأثر : (من قرأ سورة الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له)[أبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان] .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٢٤) مرة .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾

- (إعجاز غيبي تضمن بياناً بإعلام) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة بحرفين من الأحرف المقطعة، الدالة على غاية إعجاز هذا الكتاب، المبين لما فيه من شرائع وتعاليم، الذي أنزله ليلة القدر المباركة، فيها تقدَّر الأقدار والآجال والأرزاق، والذي أوحاه إلى رسول الهدى ﷺ لينذر به وليكون من المرسلين، رحمة بالخلق أن بعث فيهم من يبشرهم وينذرهم، وهو

السميع لهم، العليم بشؤونهم، رب السموات والأرض وما بينهما من ملك وملكوت، فآمنوا بمن لا إله غيره، الذي يحي من العدم، والذي يميت الإنسان لأجله إذا تم، رب كل شيء لا سواه، الأولين والآخرين ومن سيوجد إلى يوم الدين، دلائل قدرة دامغة تستدعي التصديق بها والإيمان، لكنهم اعرضوا عنها مكذبين بها مستهزئين، فاتركهم يا رسولنا الكريم حتى يأتيهم عذابنا يحيط بهم، دخان يغشاهم ليعلموا صدق ما جاءهم، فيؤمنوا حينها به ويرعووا، سائلين كشف العذاب عنهم، فكيف لا يعتبرون ويتعظون وقد جاءهم رسول بالحق الذي لا مرية فيه يدعوهم، فكذبوه منصرفين عنه قائلين تارة معلم من غيره، وتارة مجنون، سنكشف عنهم العذاب إلى حينٍ، رغم إصرارهم على الكفر والتكذيب، إمهالاً لهم، حتى أوان الانتقام الشديد منهم، في الدنيا كما حصل لهم من انكسار وهزيمة يوم موقعة بدر، وفي الآخرة حيث الأخذ الشديد والعذاب الأليم في نار الجحيم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- يفرق : يفصل من اللوح المحفوظ، ويدون في صحائف الكتبة من الملائكة الكرام .
- أمر حكيم : استنساخ الأقدار من اللوح المحفوظ إلى سنة قادمة .
- موقنين : مصدقين .

- فارتقب : انتظر ماذا سيحل بهم .
- الذكرى : التذكر والاتعاظ .
- نبطش : نأخذ بقوة للعذاب .
- البطشة الكبرى : عذاب يوم القيامة .

توجيهات الآيات :

١- وصف القرآن الكريم بالكتاب المبين، لما حوى من بيان عن كل شيء حق، وتعاليم عن المنهج الرباني الصدق .

٢- أول بدء نزول القرآن الكريم كان في ليلة وصفت بأنها مباركة، هي ليلة القدر التي تأتي في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك من كل عام هجري . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**التمسوها في العشر الأواخر – يعني ليلة القدر – فإن ضعف أحدكم أو عجز، فلا يغلبن على السبع البواقي**)[مسلم] .

٣- تنزُّل القرآن الكريم بغرض البشارة والنذارة للبشر، ليؤمنوا ببهم العظيم ويقبلوا منهجه الحق .

٤- في تلك الليلة المباركة، تدون الآجال والأرزاق والأقدار إلى سنة قادمة، تفصل من اللوح المحفوظ وتستنسخ في صحائف الأعمال، أمر بالغ الحكمة من لدن ربنا الحكيم العليم العظيم . في الأثر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق، وقد وقع

اسمه في الموتى، ثم قرأ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾، يعني ليلة القدر، ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل)[الحاكم والبيهقي في شعب الإيمان] . وفي الأثر الآخر قوله رضي الله تعالى عنهما : (إن الله وكَّل ملائكة يستنسخون من ذلك الكتاب كل عام في رمضان ليلة القدر، ما يكون في الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة، يتعارضون به حفظة الله على العباد كل عشية خميس، فيجدون ما رفع الحفظة موافقاً لما في كتابهم ذلك، ليس فيه زيادة ولا نقصان)[الطبراني في الكبير] . وفي الأثر أيضاً قوله رضي الله تعالى عنهما : (يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر، ما يكون في السنة من رزق أو موت أو حياة أو مطر، حتى يكتب الحاج يحج فلان، ويحج فلان)[الدر المنثور] .

٥- ثبوت نبوة رسول الهدى وأنه من جملة المرسلين عليهم الصلاة والسلام، وبيان أن مبعثه ﷺ كان رحمة من الله تعالى للعالمين دون استثناء، قد وجهت لكافة الخلق وإلى يوم القيامة، وبل إلى الإنس والجن سواء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**)[متفق عليه] .

٦- لفت النظر إلى دلائل الإعجاز في هذا الكون الفسيح، بخلق السموات والأرض، وما بينهما من أفلاك عظيمة وعوالم خفية، الله سبحانه بها

العليم، والقدير عليها والمحيط، كل تلك ألسنة حال ناطقة، تدعو إلى التصديق بالحق .

٧- لا قادر في هذا الكون إلا الله جل جلاله، رب الجميع المحيي والمميت، قد استحق بذلك العبودية وحدة لا سواه، إذ لا خالق ولا قادر على التصريف والتدبير إلا هو سبحانه .

٨- عامة الناس في غفلة من أمر دينهم، لاهون في دنياهم، مشككون في حقيقة أمرهم .

٩- العذاب قريب من الكفار المكذبين المشككين، من جملته الدخان يغشاهم ويحيط بهم، وقد حصل ذلك لكفار قريش في حياته ﷺ . في الحديث النبوي الشريف عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (**إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام** – وفي رواية (**الجلود والميتة**)، **فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله تعالى : ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ ﴾، قال : فأتي رسول الله ﷺ –أبو سفيان– فقال له : يا رسول الله : استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، قال : لمضر ؟ إنك لجريء، فاستسقى لهم فسقوا، فنزلت : ﴿ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ ١٥ ﴾، فلما أصابتهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين**

أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾، قال : يعني يوم بدر)[متفق عليه] .

١٠- لا كاشف للعذاب متى حلَّ بقوم، إلا الله جل في علاه، الذي قضاه وقدره على من يشاء، متى شاء، كيفما شاء، بما شاء .

١١- الإنسان بطبعه جزوع متململ، متقلب متغير متبدل، متى رأى العذاب حال الشدة تاب إلى ربه ورجع وأناب، وفي الرخاء يعرض وينفر ويستكبر .

١٢- وصفه ﷺ بأنه رسول مبين، لأن ما جاء به من حق، أبان به كل شيء على حقيقته، رغم إعراض الكفار عنه ورميهم إياه بتهمة أنه معلم من غيره، مجنون في تصرفاته، وهذا قطعاً خلاف ما هو عليه ﷺ من خلق رفيع وصف به بينهم، وعرفت به سيرته العطرة .

١٣- عذاب الدنيا مؤقت، يسلطه سبحانه على قوم بقدر معلوم، ليوقظهم من غفلتهم، وقد يكشفه لمصلحة ما، وكم من غافل نفر عن الحق فلما سُلط عليه العذاب آب، فلما انكشف عنه عاد مرة أخرى إلى ما كان عليه من نفور، لكن عذاب الآخرة دائم لا انقطاع له ولا فيه .

١٤- إن الله جلت قدرته يمهل لحكمة، لكنه لا يهمل عدلاً، والدنيا هي غاية زمن الإمهال، ويوم القيامة تكون البطشة الكبرى، التي لا إمهال فيها ولا بعدها .

١٥- النون في قوله تعالى (إنا أنزلناه، إنا كنا منذرين، عندنا إنا كنا مرسلين، إنا كاشفوا، نبطش، إنا منتقمون) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢) قوله تعالى : ﴿ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ﴾ . هذه السورة الكريمة الثانية من الحواميم السبعة، التي يستفتحها عز وجل بهذه الآية الكريمة، وكانت الأولى في سورة الزخرف .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٩) قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ﴾ . كل شك في شيء ما، من قيم أو مبادئ أو أفكار، يؤدي إلى الاستخفاف بها، والاستهزاء بقيمتها .

٣- إشارات : جاء في الآيات (١٠-١٢) قوله تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ . بالمعصية يحل العذاب، للتخويف أو الإهلاك وقطع الدابر، وبالتوبة والإنابة إليه عز وجل يرفع . وأخرى من علامات الساعة خروج الدخان . في الحديث النبوي الشريف

قوله ﷺ : (**لا تقوم الساعة حتى تكون عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، ويأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، وثلاث خسوف، خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا**)[ابن ماجة وأحمد] .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ **أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾** ﴾ . الذكرى تكون في الشيء الغائب، الذي يستوجب إعمال العقل بالتفكر فيه، وليس مع شيء حق قائم ماثل أمام العين كهذا القرآن الكريم، لذا ذيِّلت الآية الكريمة بقوله (رسول مبين) قد أبان الحق ظاهراً بهذا الكتاب المبين حقاً .

٥- لطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾** ﴾ . رفض الإنسان للشيء، يجعله يتحامل عليه، لدرجة إنكاره ولو كان ظاهراً، هذه مشكلة نفسية قلَّ من يسلم منها، إذ كيف يكون رسول الهدى ﷺ معلماً، ويكون مجنوناً، في ذات الوقت .

٦- إشارة : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾** ﴾ . كلمة (عائدون) في السياق، دالة على أن طبع

الجنس البشري، معاودة عمل الشيء وارتكابه، ولو كان محظوراً وممنوعاً ومحرماً، يحصل هذا كثيراً من البشر، إلا من رحم الله عز وجل .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- ليلة مباركة : هي ليلة القدر التي في شهر رمضان المبارك، تأتي في الليالي الفردية من العشر الأواخر من كل عام .

٢- آبائكم الأولين : جمع أب، سبق الإيضاح .

٣- يوم . الناس . مؤمنون . رسول : سبق الإيضاح .

٤- معلم : يعلمه بشر أو شيطان يوسوس له .

٥- مجنون : سبق الإيضاح .

٦- عائدون : جمع عائد، من نهي عن شيء أو تركه باختياره، ثم عاد إليه مرة أخرى .

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ

مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾
وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا
بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ
ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾
وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞا مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

– (إعلام تضمن تخويفاً ببيان وتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى التذكير بحال من مضى، مخوفاً سبحانه بمصير فرعون الأثيم وقومه، حين جاءهم موسى عليه السلام طالباً منه إطلاق سراح بني إسرائيل من أسره، بعد استعباده لهم سنين طويلة، مخوفاً إياهم بانتقام رب العالمين، ومظهراً تأييده بمعجزات دالة على صدق دعوته لهم، محتمياً بركن ربه العظيم من أن يقتلوه أو يرجموه، سائلاً إياهم الإيمان به أو عدم التعرض له حتى يحكم الله بينهم، فلما أُعذر فيهم دعا ربه عليهم، فأمره سبحانه أن يخرج بقومه ليلاً عابراً بهم البحر وأعلمه أنهم من أعدائهم ملاحقون، فلما وصلوا الساحل أمره بضربه بعصاه فانفلق طرقاً يابسة شتى، فعبره موسى عليه السلام وقومه ونجو، وأمره عز وجل أن يترك البحر ساكناً كما هو ليدخله فرعون بقومه، فلما توسطوه انطبق عليهم فأغرقهم أجمعين، تاركين

خلفهم النعم التي كانوا فيها، الجنات والزروع والعيون، والأنعام والأموال والفواكه، مما كانوا فيها منعمين، أهلكوا غرقاً وورث كل ذلك قوماً آخرين، فما حزن لهلاكهم شيء مطلقاً لفرط سوء ما كانوا يعملون، وما أمهلوا أكثر مما أعذروا به من سنين الكفر والتكذيب، ونجا الله موسى عليه السلام؛ وبني إسرائيل مما كانوا فيه من استعباد وقهر القوم المتكبرين المتجبرين، واختارهم سبحانه لعبادته فكانوا أكثر الشعوب أنبياءً، ومن سواهم كانوا مشركين، وآتى نبيه موسى عليه السلام معجزات ظاهرات، توجب على قومه الإيمان الكامل به والتصديق التام له، بما جاءهم من حق ظاهر، ليبتليهم بها؛ أيثبتوا على الحق أم يكونوا من المعرضين ! .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- أدّوا إلي : سلموا لي بني إسرائيل .
- فأسر : اخرج بقومك ليلاً .
- رهواً : ساكناً على حالة .
- فاكهين : مترفين منعَّمين .
- بكت : حزنت وأسِفت .
- عالياً : جباراً متكبراً طاغياً في عتوه .
- على علم : علم أوتوه ومعرفة وهبوها .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- تخويفه جل وعلا القوم الكافرين بمصائر الأمم السابقة، لأخذ العبرة والموعظة مما حلَّ بهم .

٢- وصفه سبحانه موسى عليه السلام بوصفين اثنين، أنه : رسول كريم، ورسول أمين .

٣- وظيفة موسى عليه السلام الأولى كانت استنقاذ بني إسرائيل من فرعون وقومه، ووصفهم آنذاك بعباد الله، حين كانوا على التوحيد الخالص والإيمان الحق، في حين كان فراعنة مصر وأتباعهم على الوثنية والشرك العظيم .

٤- تخويف موسى عليه السلام فرعون وقومه، ألا يتمادوا في طغيانهم، متحدياً إياهم بما أيده به سبحانه من معجزات ظاهرات .

٥- اللجوء إلى الله تعالى في كل الأحوال، هو الحصن الحصين الذي لا ينهار ولا يتأثر مطلقاً .

٦- استعمال موسى عليه السلام أسلوب التفاوض، بعرضه الإيمان على القوم الكافرين، ومن ثم تركهم ليختاروا، فإن قبلوه فهذا المراد، وإن رفضوه تركوه وشأنه من غير إيذاء .

٧- دعاء موسى عليه السلام على فرعون وقومه، لما أيقن كفرهم التام، لمنع انتشار ضررهم وتفشي أمرهم، واستفحال خطرهم، وقطع دابر الكفر وأهله .

٨- أمره جل جلاله نبيه موسى عليه السلام بالفرار بقومه من فرعون وقومه ليلاً، لأنه وقت الغفلة والسكون، وأعلمه أنهم متبعون من قِبَلِهم فلا تخافوا، وامضوا إلى حيث ما أمرتم به .

٩- لما اجتاز موسى عليه السلام البحر بقومه، أمره سبحانه أن يتركه كما هو على تلك الحالة الغريبة، ليغتر فرعون وقومه بذلك فيلجوه ويغرقهم، فيكون جل شأنه قد أنجى وأغرق بالشيء الواحد، سبحانه القادر على كل شيء لا سواه .

١٠- ما عُصي الله تعالى إلا بنعمه، وكفر النعم يستوجب زوالها، فيا لغباء القوم الكافرين، كيف تركوا خلفهم كل تلك النعم بأنواعها وصنوفها، لكن ذلك يحصل حين يشاء الله تعالى، ويكتب على الكافر والفاجر الشقاء والهلاك بعد النعيم، فيخرجه من كل ما هو فيه، ويستبدله به الخزي والذل والهوان، فويل لمن ضاد الله جل جلال وتقدست أسماؤه .

١١- الدنيا دار تقلب، فكم من عزيز ذل، وكم من ذليل عز، والنعم بيد خالقها، ينزعها ممن شاء، بما شاء، متى شاء، كيفما شاء، ويهبها غيره بما أراد وكيفما أراد، فالملك له والتصرف له، وكل شيء بيده، لو فطن الخلق لذلك وعقلوه .

١٢- للمؤمن قبول في الأرض وفي السماء، يحزن عليه حين يفارقه بموته . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما من مؤمن إلا وله بابان، باب يصعد منه عمله، وباب ينزل منه رزقه، فإذا مات بكيا عليه،**

فذلك قوله عز وجل ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾)[الترمذي وأبو داود في الزهد] . وفي الأثر عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (تبكي الأرض على المؤمن أربعين صباحاً)[النسائي في الكبرى] .

١٣- نجاة بني إسرائيل من العذاب الذي سلط عليهم سنين طويلة، من قِبل فرعون وقومه المتجبرين، واصطفاءهم على عالمي زمانهم، لأنهم كانوا على علاقة بالسماء (الرسالات السماوية)، في حين كان غيرهم على الوثنية والشرك، ثم وهبهم صنوف النعم التي ميزتهم عن غيرهم من الأمم آنذاك .

١٤- كثرة المعجزات الظاهرات الباهرات في بني إسرائيل، ليبتليهم سبحانه وتعالى بها، أيقبلوا الحق بعد كل ذلك !، فيه دليل على أنهم قوم لا يعقلون، قد غلبت عليهم الشهوات والشبهات والغفلات، فاحتاجوا لكل أنواع التذكير والمعجزات، ليدركوا الحق المبين، ورغم ذلك ضل أكثرهم عنه .

١٥- النون في قوله تعالى (فتنا، أورثناها، نجينا، اخترناهم، آتيناهم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (١٧-٢١) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓاْ إِلَيَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُواْ لِي فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ﴾ . في الآية الأولى جاء اللفظ بـــ (رسول كريم) في سياق الرسالة إلى فرعون، حين طلب منه إطلاق سراح بني إسرائيل، وسيتركهم وشأنهم وما هم فيه من النعيم، إن هم أجابوه لذلك، في حين جاء في الآية الثانية اللفظ بـــ (رسول أمين) في سياق الحديث على بني إسرائيل، لأنه أمين عليهم بحق . وأخرى طلب موسى عليه السلام من فرعون وقومه أربعة أمور، مخاطباً إياهم بصيغة الجمع، ختم كل طلب منها ببيان، ليغلق عليهم باب الجدل العقيم والنقاش الذي لا طائل من ورائه، ويفكروا فيما عرضه عليهم بكل هدوء وجدية وحتمية، فقال في الأول : (ردوا إليَّ عباد الله، فإني رسول أمين)، وقال في الثاني : (لا تعلو عليَّ، فقد جئتكم بمعجزات ظاهرة)، وقال في الثالث : (عذت بربنا جميعاً، أن ترجمون)، وقال في الرابع : (إن لم تؤمنوا بما جئتكم به، فاعتزلون)، طريقة خطاب قوية، تمنع من حدوث اللبس .

٢- لطيفة : جاء في الآيات (٢٥-٢٧) قوله تعالى : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . ما أكثر الناس الغارقين في النعم، لا يعرفون قيمتها إلا بعد زوالها، ولو أنهم تعقلوا لحافظوا عليها في الدنيا، وجوزوا بإضعافها في الجنة في أخراهم .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ . لا ملكية استحقاق في الدنيا لأحد مطلقاً، إنما هي نعم الله سبحانه يهبها من شاء متى شاء، وينزعها ممن شاء متى شاء، وينقلها ممن شاء إلى من شاء، يتوارثها الخلق فيما بينهم كما أراد .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ . السماء والأرض من جملة خلق الله سبحانه، تشعران وتفرحان وتتألمان، كل الكون قد انسجم مع منهج الله تبارك وتعالى، الذي وضعه لخلقه، ألم يقل ﷺ في الحديث النبوي والشريف : (**إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير**)[الترمذي وأحمد] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : (**كان النبي ﷺ يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحَنَّ الجذع**

فأتاه فمسح يده عليه)[البخاري . حن : من الحنين] . وفي رواية : (**فسمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العِشَار، حتى جاء النبي ﷺ فوضع يده عليها فسكنت**)[العشار : الناقة] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن**)[مسلم] . كل هذه حيوانات وجمادات ثبت أنها تحس وتشعر كالبشر تماماً .

٥- إشارة : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ . العلو في الأرض يصد عن الحق، ويحمل الإنسان على التجبر والطغيان، والإسراف على نفسه في تجاوز الحدود والمعقولات، كما فعل فرعون حين ادعى الربوبية لنفسه .

٦- لطائف وإشارة : جاء في الآية (٣٢) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ . حصل ذلك الاختيار حين كانوا شعب الله المختار على وجه الحقيقة، باتباعهم الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، فلما خالفوا الحق ورفضوه، صاروا شعباً ملعوناً على لسان أنبيائهم عليهم السلام، فكما حكى القرآن الكريم تفضيلهم في مواضع، حكم باللعن عليهم لسوء فعالهم في مواضع أخرى . وأخرى مهما علا شأن بني إسرائيل تفضيلاً سابقاً، فنحن الأفضل منهم لاحقاً،

لأن رسالة نبيهم موسى عليه السلام كانت مؤقتة في زمانه، وكذلك شأن رسالة عيسى عليه السلام، أما رسالة نبينا محمد ﷺ فعامة وإلى قيام الساعة . في الحديث النبوي الشريف أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقال : يا رسول الله إني أصبت كتاباً حسناً من بعض أهل الكتاب، قال : فغضب، وقال : (**أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب، فوالذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده، لو كان موسى حياً ما وسعه إلا أن يتبعني**)[أحمد وابن أبي شيبة . أمتهوكون : أمتحيِّرون] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم**)[متفق عليه . وإمامكم منكم : يحكم بشرعكم] . وإشارة جملة (على علم) دالة على أنه قد جاءهم العلم بالحق المبين، فأعرضوا عنه جهلاً وغفلاً وحماقة، فقُطِّعوا في الأرض أمماً ممزقة، كما حكى القرآن الكريم ذلك عنهم .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- قوم فرعون : سبق الإيضاح .

٢- رسول كريم . رسول أمين . رسول : سبق الإيضاح . ويراد بهم هنا موسى عليه السلام .

٣- عباد الله : سبق الإيضاح .

٤- مجرمون . عبادي : سبق الإيضاح .

٥- جند مغرقون : جمع جندي، غارق في البحر .

٦- قوم : سبق الإيضاح .

٧- منظَرين : جمع مُنظر، المؤخرون عن العذاب إلى حين .

٨- بني إسرائيل . فرعون . المسرفين . العالمين : سبق الإيضاح .

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ مِيقَٰتُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴿٤٩﴾

﴿ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

– (بيان تضمن ترهيباً وتخويفاً بتوجيه) : بعد التخويف بالقصص، عاد سياق الحديث إلى الكافرين، مبيناً سبحانه موقفهم من البعث والنشور، قائلين ما هي إلا موتة واحدة لا بعث بعدها، طالبين منه ﷺ أن يحي لهم من مات من آبائهم الأولين إن كان من الصادقين، فقل لهم يا رسولنا الكريم أهم أقوى منعة وأكثر عدداً أمن سبقهم، من القرون الأولى !، كقوم تبَّع ومن سبقه من قوم عاد وثمود المكذبين المتجبرين، ألم نهلك المجرمين ! ويل لهم كيف ينصرفون عن الحق، فما خلقنا هذه السموات والأرض وما بينهما من ملك وملكوت عظيم عبثاً ولعباً، ما خلقهما إلا بالحق ولكن أكثر الناس عن أمر دينهم وآخرتهم غافلون، فويل لهم من يوم الفصل بين الخلائق، يوم لا ينفع فيه قريب قريبه ولا يمنعه من العذاب الأليم، إلا من رحم الله تعالى شأنه، العزيز في ملكه، الرحيم بخلقه، أما المكذبون الضالون فويل لهم من النار، طعام الأثيم فيها شجرة الزقوم، ثمرها كزيت متناهي الحرارة يغلي كالماء الحار في البطون، يسحبه ملائكة العذاب بقوة ومهانة إلى وسط الجحيم، ثم يصبون فوق رأسه الماء الحار قائلين له متهكمين به ذق عاقبة كفرك وتكذيبك، فأنت الذي كنت في الدنيا عزيزاً في قومك كريم الجناب، هذا مصيرك اليوم من العذاب، أليس هذا الذي كنت به تكذب وتشكك ! بلى .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- بمنشرين : بمبعوثين .
- مولى عن مولى : قريب عن قريب، وصاحب عن صاحب .
- كالمهل : المعدن المذاب أو الزيت شديد الحرارة .
- الحميم : الماء الذي تناهى في الحرارة .
- فاعتلوه : جروه واسحبوه .
- سواء الجحيم : وسط الجحيم .
- تمترون : تشكُّون .

توجيهات الآيات :

١- إنكار كفار قريش البعث والنشور، والجزاء والحساب والعقاب، وهذه شبهة وقع فيها كثير من الناس للأسف، قديماً وحديثاً .

٢- طلبهم رجوع آبائهم من الموت، وليس ذلك بمتحقق في الدنيا، وإلا لما كان هناك إيمان حقيقي يقوم على التصديق بالغيب، لا المشاهدة .

٣- تخويفه جلت عظمته الكفار بمصير من مضى من الأمم السابقة، كقوم تبع العظيم، ومن جاء من بعده من أمم كانت أقوى، وأعظم وأكثر عدداً، أهلكوا لما كفروا وأجرموا .

٤- لفت النظر لدلائل القدرة الربانية في الكون، والتفكير في حقيقة ما يرى الإنسان من حوله، فمحال أن يكون خلق هذه السموات العظيمات

والأرض بكل ما عليها، لعباً ولهواً مجرداً لا طائل من ورائه، وإذا كان الإنسان نفسه قد رفض اعتبار أن ما يقوم به في دنياه من أعمال ومصالح مهمة، أن تكون لعباً ولهواً مجرداً، فكيف يرضى ذلك في شأن الخالق العظيم سبحانه .

٥- أكثر الناس في هذه الدنيا، على غفلة حقيقية من أمرهم، وفي عامة شؤونهم .

٦- التخويف بيوم القيامة العظيم، حيث الفصل بين الخلائق أجمعين، كلٌ فيه يجازى بعمله لا شفيع ينفعه ولا قريب ينصره، ولا ملجأ فيه لأحد ولا منجى له ولا مهرب، الكل تحت رحمته تعالى شأنه، ورحمته تلك مناطه بالإيمان والعمل الصالح في الدنيا .

٧- التخويف بشجرة الزقوم، طعام أهل النار الآثمين، ثمارها متناهية الحرارة، تغلي في بطون أهل النار، ثم يسحبون على وجوههم إلى وسط الجحيم، حيث يصب خزنة جهنم من فوق رؤوسهم الماء الحار وهم يتهكمون بهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنفاً مشاة، وصنفاً ركباناً، وصنفاً على وجوههم، قيل : يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال : إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم، أما إنهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك**)[الترمذي وأحمد . حدب : المرتفع من الأرض] .

٨- عذاب النار يفوق الوصف والتصور، فيجمع لهم بين إيلام الجسد وإهانة النفس وإذلالها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أُحُد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**)[مسلم] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**ما بين منكبي الكافر في النار، مسيرة ثلاثة أيام، للراكب المسرع**)[مسلم] .

٩- التشكيك في الحق عاقبته وخيمة على الإنسان، ليتبين أمره إذن قبل فوات الأوان .

١٠- النون في قوله تعالى (أهلكناهم، خلقنا، لاعبين، خلقناهما) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٣٤-٣٧) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ . إيراد القرآن الكريم شبهه المكذبين بالحق، أياً كانوا وأياً كانت، ومن ثم الرد عليها، المقصد منه إبطالها بما لا يدع مجالاً للشك فيها . وأخرى ذكر (تبع) باسمه خاصة، وعطف سائر

الأمم عليه عامة دون ذكرهم، لأن كفار قريش كانوا قريبي عهدٍ به، وأخبار اليمن لا تخفى عليهم . وثالثة جملة (قوم تبع) دالة على أن مصيره كان غير مصير قومه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا تسبوا تبعاً؛ فإنه قد كان أسلم**)[أحمد والطبراني في الكبير] .

٢- إشارة : جاء في الآية (٤٢) قوله تعالى : ﴿ **إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾** ﴾ . تعلق الرحمة بصفتين لله جل وعلا، أنه عزيز لا غالب له على شيء، قد يرحم الجميع لا راد له في ذلك، وأنه رحيم قد غلبت رحمته غضبه وسخطه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي**)[متفق عليه] .

٣- إشارة : جاء في الآيات (٤٣-٤٦) قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾** ﴾ . في النار طعام لأهلها، لكنه ليس بغرض التلذذ به أو حتى سد الجوع، وإنما لمزيد من العذاب الأليم، فيه دلالة على أن نار الآخرة لا تميت أهلها، ليبقوا فيها يعذبون .

٤- إشارات : جاء في الآيات (٤٧-٥٠) قوله تعالى : ﴿ **خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾**

ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ . في النار وسط، كساحة كبيرة يجاء بالمجرمين إليها يجرون جراً من كل مكان، وهناك يلاقون فيها عذاباً أليماً لأجسادهم، مهيناً لأنفسهم، يراه كل من في النار، لمزيد من الذل والهوان والنكال . وأخرى لا خير في عزة مؤقتة في الدنيا تعقبها مهانة دائمة في الآخرة، من الغفلة والطيش والحمق السعي وراء إلى ذلك، وتجاهل المصير المحتوم، الذي لا مفر منه، بل الكل ماضٍ إليه شاء أم أبى .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- يوم الفصل : يوم القيامة، حيث الفصل بين العباد .

٢- مولى : النصير والمعين، والحليف، والسيد، والمعتق، والقريب .

٣- الأثيم : مرتكب الآثام الكبيرة المصرّ عليها .

٤- آبائنا : جمع أب، سبق الإيضاح .

٥- قوم تبع : الملك تبع الحميري اليماني، قيل هو أسعد بن مليك، كنيته أبو كرب، ملك حمير واليمن وما جاورها، بلغ حكمه إلى شمال جزيرة العرب، وقومه هم (الحميريون) آخر ممالك اليمن التي قبل الإسلام وأكبرها، ضمت تحت ملكها الممالك الأربعة (سبأ، وحضرموت، وقتبان، ومعين) .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾
يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾
كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ
ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ
ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ
﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ﴾

- (بيان تضمن الترغيب والتشويق) : بعد الترهيب جاء الترغيب، مبيناً سبحانه مآل المتقين في مقام أمين حيث لا خوف عليهم فيه، ولا حزن ولا فزع، في بساتين الجنات من حولهم العيون، يلبسون أنواع الحرير خفيفه وغليظه، في مجالس أُنس متقابلين، قد أكرموا بزوجات؛ حور عين، يسعى عليهم خدمهم بأنواع الفواكه مما لذ وطاب، فلا حزن في الجنة ولا ما يعكر صفوهم فرحين فيها منعَّمين، لا موت يجري عليهم بعد موتتهم الأولى التي انقضت، قد رضي عنهم ربهم وعصمهم عذاب الجحيم، فضلاً منه ومنَّة وكرماً، ذلك ولا ريب هو الفوز العظيم، فذكر قومك يا رسولنا الكريم فإنا قد يسرنا هذا القرآن الكريم وأنزلناه بلسانك العربي المبين، فكان منقبة للعرب، لعلهم يتعظون به ويعتبرون، وانتظر وعدنا لك بالنصر

والظفر بهلاكهم، فإنهم ينتظرون نصرهم بهلاكك، وأنى لهم ذلك لو كانوا يعلمون .

غريب الكلمات :

- مقام أمين : مكان آمن، خالٍ من الخوف والكدر والحزن .
- سندس واستبرق : السندس خفيف الحرير، والاستبرق غليظه .
- زوجناهم بحور: قرناهن، بنساء حسناوات واسعات الأعين .
- يدعون فيها : يطلبون ما شاءوا .

توجيهات الآيات :

١- للمتقين عند ربهم مقام أمين، منازل عليا رفيعة، آمنون فيها، جزاء اتقاءهم ما يغضب الله تعالى وما يوجب النار، بالإيمان والعمل الصالح .

٢- التقوى هي سبيل النجاة الحق، بفعل المأمور، واجتناب المحظور .

٣- نعيم الجنة عظيم لا يمكن تصوره أبداً، حدائق وبساتين، وأنهار وعيون، وملابس فاخرة زاهية، ومجالس أنس بهيَّة، وزوجات في غاية الحُسن والجمال، وفواكه وأطايب، وكل ما من شأنه البهجة والسرور، مما يشتهى ويطرأ على بال أهلها، من شتى صور وصنوف النعيم .

٤- لا موت في الآخرة يكتب على أهلها، لا في الجنة ولا في النار . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يجاء بالموت يوم القيامة، كأنه كبش**

أملح، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم، هذا الموت، قال : ويقال : يا أهل النار هل تعرفون هذا ؟ قال فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم، هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال : ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت، قال : ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾، **وأشار بيده إلى الدنيا**)[متفق عليه] .

٥- أكبر فوز يؤتاه أهل الجنة هو النجاة من النار، هذا في حد ذاته فوز عظيم يظفرون به، وفضل كبير من الله تعالى عليهم، فتحقق لهم أمران : نجاتهم من النار أولاً، وإدخالهم الجنة ثانياً .

٦- تيسير هذا القرآن الكريم بلسان رسول الهدى ﷺ، اللسان العربي، وهذا في حد ذاته رفعةً للعرب لو كانوا يعلمون حقيقة ذلك، لكن الجهل غلبهم، وحمية الجاهلية أعمتهم .

٧- القرآن الكريم حوى كل ما من شأنه تحقق الاعتبار به وحصول الموعظة لمريده، لكن لمن أعمل فيه عقله وتدبر آياته، وتفكر فيها بهدوء، وتأملها بصفاء .

٨- لكل دعوة حق نهاية محتومة، بنصر الحق وعلو شأن أهله، واضمحلال الباطل وخذلان أهله، لكن لذلك وقت مقدر عند الله تعالى، فينبغي عدم

الاستعجال وترك مجريات الأمور بيده سبحانه، ولي المؤمنين وناصر عباده الصالحين .

٩- تربص أهل الباطل بأهل الحق للظفر بهم، أمر معلوم، لعِدائهم للحق أصلاً؛ وقبل كل شيء .

١٠- النون في قوله تعالى (زوجناهم، يسرناه) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٥١-٥٥) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ . جملة (في مَقام) بالفتح تدل على رفعة المكان الإقامة، وجملة (في مُقام) تدل على المكانة والرفعة والمنزلة . وأخرى جملة (وزوجناهم بحور) الباء هنا تتعدى لإيضاح أن التزويج هنا ليكون كلٌ منهما زوجاً للآخر، في مجالس أنس يبتهجون، وليس الأمر كما لو قال : (وزوجناهم حوراً) بغير الباء، الدال على الزواج المراد به التكاثر . وثالثة كل ما ورد في الآيات الكريمات من نعم،

هي كافة صور الاحتياج النفسي للإنسان حقيقة، وهي المكان الآمن، والمأكل والمشرب، والملبس، والتزاوج، والأنس البهيج، وكل ذلك متحقق في الجنة للمؤمنين، لا عن احتياج وإنما لمزيد من النعيم المقيم فيها، يتلذذون بها .

٢- إشارة : جاء في الآية (٥٦) قوله تعالى : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ . جملة (لا يذوقون فيها الموت)، تصوير دقيق لحال الإنسان حال النزع، حين تخرج روحه من حلقومه، كما لو أنه يذوق الموت فعلاً، بل هو كذلك حقاً .

٣- إشارة : جاء في الآية (٥٧) قوله تعالى : ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ﴾ . إقامة شرع الله سبحانه في الدنيا، تحقق للإنسان مصالح عدة ومنافع شتى له، وتحفظه من شرور نفسه والآخرين، وتهيئ لها نعيماً يراه ويحياه في دنياه، وكفى بذلك مكافأة له على إيمانه وتصديقه، الذي وفر له تلك الحياة السعيدة، وهذا في حد ذاته جزاء تام له، لكن فضل الله جل جلاله الكبير على الإنسان بالمزيد، أن كتب له النجاة من النار وهو فضل آخر كبير ولا ريب، ثم هو فضل ثالث أكبر منهما قطعاً بدخول الجنة، ويعلوه فضل رابع هو رؤية رب العالمين في الجنة، وتلك أعظم نعمة على الإطلاق ولا ريب . في الحدي النبوي الشريف قوله ﷺ

: (**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامُّون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها، يعني العصر والفجر، ثم قرأ** ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾)[متفق عليه . لا تضامون : لا تغلبوا] .

٤- إشارات ولطيفة : جاء في الآية (٥٨) قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ . تيسير القرآن الكريم باللسان العربي، لكل قاصد حاجة فيه، حفظاً، أو تذكراً، أو تدبراً، أو تعلماً، أو عملاً، أو تبصراً، وما إلى ذلك، محفز للإقبال عليه والنهل منه قدر المستطاع . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن لله أهلين من الناس، قالوا : يا رسول الله، من هم ؟ قال : هم أهل القرآن، أهل الله وخاصته**)[ابن ماجة وأحمد] . وأخرى نزول القرآن الكريم باللغة العربية سبب في خلودها ولا ريب . ولطيفة لفظ (بلسانك) دال على أن العالمين أجمعين أخذوا هذا القرآن الكريم بالتلقي الدقيق؛ من فم رسول الهدى ﷺ الطاهر، عن جبريل الأمين عليه السلام عن ربه جل في علاه .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المتقين : جمع متقي، المؤمن الحق، الذي اتقى غضب الله تعالى، بفعل ما طلب منه .

٢- متقابلين : جمع متقابل، يجلسون في مجالس أنس الجنة، أمام بعضهم يتجاذبون فيما بينهم الأحاديث .

٣- آمنين : جمع آمن، حيث لا خوف في الجنة مطلقاً، ولا ما يحزنهم فيها أبداً .

٤- يتذكرون : جمع متذكر، من اعتبر واتعظ بالمواعظ والعبر .

٥- مرتقبون : جمع مرتقب، هم المنتظرون موتك أو هزيمتك، أو ذهاب دعوتك .

جزء فصلت : الخامس والعشرون :

(١٠) سورة الجاثية . سورة الشريعة

- مكية بالإجماع .
- آياتها (٣٧) آية مختلف فيه، فقيل (٣٦) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ آية واحدة .
- كلماتها (٤٨٨) كلمة . وحروفها (٢١٩١) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٦٥) . نزلت بعد سورة الدخان .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٥) .
- سميت بـــ (الجاثية) لورود اللفظ بها . وهي سادسة الحواميم السبعة .
- محور حديث السورة الكريمة : تقرير عقيدة البعث والنشور .
- مجمل موضوعاتها (٨) موضوعات : ذكر بعض دلائل القدرة الربانية، وبعض صفات الكافرين وتخويفهم بيوم القيامة، وبعض صور الإعجاز الكوني ودلائل القدرة الربانية، ومنَّة الله تعالى على بني إسرائيل، والتحذير من عمل السيئات، وتخويف من أنكر بالبعث والنشور، وذكر صورة ليوم الحشر العظيم وحال الأمم فيه، وحمد الله تعالى المستحق لذلك سبحانه .
- الناسخ والمنسوخ : الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾،

منسوخة بآية السيف (٢٩) التوبة قوله تعالى : ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (١٤) مرة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾

- (إعجاز غيبي تضمن ترهيباً ببيان) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة بحرفين من الأحرف المقطعة، تلاها بيان رباني بإنزال هذا القرآن الكريم منه عز وجل العزيز في ملكه، الحكيم في تصريفه وتدبيره وقضائه وقدره، فآمنوا به تعالى شأنه ففي السموات والأرض من دلائل القدرة ما يدل على وحدانيته، يدرك ذلك المؤمن بربه المصدق لرسول الهدى ﷺ

دعوته، وفي خلقكم وفي كل الدواب أمثالكم من تلك الدلائل، ما يدرك به الحق كل مصدق متفكر، وفي تقلب الليل والنهار عليكم وفي حياة الأرض بالغيث بعد يبسها وفي تصريف الرياح بما ينفعكم، مثيلاتها من الدلائل لكل ذي لب وعقل فهيم، في كل ذلك؛ وفي هذا الكتاب العزيز الذي نزل يتلى وتدرك معاني آياته حقائق لا شك فيها ولا ارتياب، فإن لم يلتفت الإنسان إلى كل تلك الأمور ويصدق بها، وبما جاء في هذا القرآن الكريم، فبأي شيء سيصدق المشككون المعرضون ! ويل لكل مكذب آثم يسمع آيات الحق تتلى عليه ويتأثر بها، ثم يعرض عنها مستكبراً مستهزئاً منصرفاً، فرحاً بما عنده من علم، ويل له من عذاب عظيم يصلاه في جهنم، أليم للجسد مهين مذل للنفس، لا منقذ له منه لا مال ولا بنون ولا ما كان يعبد من دون الله جل جلاله، هذا هو الحق المبين، فأذعنوا له وارعووا وصدقوا به قبل الصيرورة إلى أشد العذاب الأليم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- وما يبث : ينشر ويفرق منها .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- تنزيل القرآن الكريم من لدن ربنا، بعزة لا يغلبها شيء، وحكمة لا يفوقها شيء .

٢- لفت النظر لإعمال الفكر في هذه السموات والأرض وكيفية صنعهما، وملاحظة دلائل القدرة الربانية التي في ثناياهما، وصولاً للحقائق مجردة للعيان .

٣- ولفت النظر لإعمال الفكر في كيفية خلق الإنسان، وعامة هذه الدواب التي على وجه الأرض، الدالة على القدرة الربانية بما لا يدع مجالاً للشك .

٤- ولفت النظر لإعمال الفكر في تقلب الليل والنهار، وفي نزول المطر من السماء بما ينفع الناس، فيحي الأرض بعد يبسها، وإرسال الرياح لخير العباد، كل تلك دلائل قدرة ربانية شاهدة .

٥- دعوة للتفكر والتدبر والتأمل لآيات هذا القرآن الكريم، بما حوى من خطابات تستحث العقول وتحرك القلوب، لملاحظة الحقائق الماثلة أمام الناس، التي صرفتهم عنها الغفلة للأسف .

٦- سوء عاقبة التكذيب وخيمة على صاحبها، الأمر الذي أوقعه في دائرة الإثم، الذي يغطي القلب، فلا يكاد يدرك الحق بسببه .

٧- آيات القرآن الكريم تخاطب الوجدان وتستثير المشاعر، فويل لمن سمعها ثم أعرض عنها كأن لم يسمعها، معرضاً عنها مستكبراً عليها، ساخراً مستهزئاً بها، أمور عظيمة فظيعة أوجبت له العذاب الأليم المهين .

٨- عاقبة الاستكبار والإعراض والاستخفاف والسخرية بالقرآن الكريم، وخيمة ووبيلة يوم القيامة، حيث لا مهرب فيه من العذاب العظيم .

٩- فساد رأي الكفار الذين عبدوا آلهة من دون الله جل وعز، معتقدين نفعها أو ضررها، منتظرين شفاعتها يوم القيامة وهذا محال، كل ذلك دال على غاية جهلهم وسخافة عقولهم .

١٠- القرآن الكريم الذي نزل على رسول الهدى ﷺ هو الحق المبين، فويل لمن جافاه وأعرض عنه، مستخفاً بما فيه من منهج رباني قويم، جاء لنفع الجميع وخيرهم، لو فطنوا لذلك .

١١- العذاب الأليم لكل من كفر وكذب وأعرض، واستكبر عن آيات الله جلت عظمته .

١٢- النون في قوله تعالى (نتلوها، آياتنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٣-٥) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ . جاء في الآية الكريمة الأولى (آيات للمؤمنين) لتصديقهم بالحق، وفي الثانية (آيات لقوم يوقنون)

لمن تفكر وتأمل فصدق، وفي الثالثة (آيات لقوم يعقلون) لمن نظر لما حوله فأدرك الحق، فجمعت الآيات كافة مناطات العقل، المصدق بالغيب، والمصدق بعد تفكر، والمصدق بعد المشاهدة والإدراك . وأخرى سمى سبحانه المطر النازل من السماء بـــ (الرزق)، لأن به تخرج الأرض خيراتها وطيباتها من الأرزاق والمنافع، بشتى صنوفه وأنواعه .

٢- إشارة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ﴾ . سمي القرآن الكريم حديثاً، وهو خير الحديث، وأصدق الحديث ولا ريب . في الحديث النبوي الشريف عن جابر رضي الله تعالى عنه قال كان ﷺ إذا خطب يقول : (**أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**)[مسلم] . وفي رواية : (**كان رسول الله ﷺ يقول في خطبته : يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول : من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، إن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**)[النسائي وابن ماجة وأحمد] .

٣- لطيفة وإشارة : جاء في الآيات (٨-١١) قوله تعالى : ﴿ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ

ءَايَـٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ .

إذا أُغلق القلب، جحد بالحق ولو كان ظاهراً كالشمس . وإشارة جاء في الآية الكريمة الأولى (عذاب أليم) أي للجسد المادي، وفي الثانية (عذاب مهين) أي للنفس المعنوية، وفي الثالثة (عذاب عظيم) في حقيقة إيلامه مادياً ومعنوياً، وفي الرابعة (عذاب من رجز أليم) شديد لا هوادة فيه، فاجتمعت على المكذب بالحق المعرض عن، كافة أنواع العذاب .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- للمؤمنين . الليل . النهار : سبق الإيضاح .

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

- (بيان تضمن إعجازاً بتشريع) : ما زال سياق الحديث حول دلائل القدرة الربانية، مبيناً جل شأنه أنه هو الذي سخر لكم البحر بما فيه، تجري السفن على ظهره بكل سهولة ويسر، لتبتغوا من واسع فضله وجزيل عطائه وكريم نعمه، مما هيأ لكم فيه من طعام وحُلي، فهلا شكرتموه جل وعلا على كل ذلك، وهو الذي سخر لكم جميع ما في السماوات والأرض من شمس وقمر ونجوم ورياح وسحاب ومطر، وزروع وبنات وشتى الخيرات، ما تحقق به مصالحكم ومنافعكم، فهلا تفكرتم في حقائق كل ذلك، فيا أيها المؤمنون بي المصدقون برسولي هلا أعرضتم عن القوم المكذبين، ممن أساء إليكم وكان من المعرضين، فإنما حسابهم علينا يوم إلينا يرجعون، فيه يجازى كلٌ بعمله، فمن عمل الصالحات بعد صدق إيمان فقد نجى وفاز، ومن عمل بخلاف ذلك فقد خاب وخسر، فاعملوا لذلك اليوم، الذي ستقفون فيه بين يدي ربكم للجزاء والحساب والعقاب .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- هزواً : سخرية .

- رجز أليم : شديد الألم .

- لا يرجون أيام الله : لا يتوقعون وقائع الأيام، وما قد يحيق بهم من عذاب .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- دعوة للتفكر والتدبر والتأمل في هذا الكون الفسيح، ومن ذلك تسخير هذا البحر العظيم للخلق، تجري على ظهره السفن، ويستخرج من باطنه الحلي والجوهر، ويأكل الناس من خيرته المتنوعة، وينتفعون بمخلفات كائناته .

٢- نعم الله عز وجل تستوجب الشكر عليها ولا ريب، وللشاكر عند ربه المزيد والجزاء الحسن .

٣- دعوة للتفكر والتدبر والتأمل في هذا الكون الفسيح، بالنظر إلى السموات والأرض، وما فيهما من مخلوقات وعلامات، مذلَلات للخلق ينتفعون بها في كل شؤون حياتهم، أمور تستوجب شكر الله تعالى عليها، الذي سخرها لعباده .

٤- أمر رباني للمؤمنين من عباده، أن يتجاوزوا عن الكفار، ويصفحوا عمن لا يصدق بأمر دينه، فهو سبحانه المجازي للمؤمنين صدق إيمانهم، والمجازي للكافرين سوء تكذيبهم وفعالهم .

٥- كل إنسان محاسب بعمله، فمن عمل صالحاً أثيب عليه، ومن عمل غير ذلك جوزي به .

٦- الدنيا دار أولى للعمل فيها، تليها دار أخرى، يكون فيها الرجوع إلى الله جل في علاه، للجزاء والحساب والعقاب .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ . جملة (جميعاً منه) شاملة لكل ما يمكن تصوره، من دواب موجودة أو ستوجد مستقبلاً، أو حتى مراكب صناعية فضائية مستحدثة، كل ذلك من جملة فتح الله سبحانه لخلقه، وتعليمهم إياه، وتسخيره لهم .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ . الإيمان في حقيقته بصيرة للإنسان، والكفر حمق وسفه وطيش، والصبر على من كان هذا وضعه وأمره، وتحمل أذاه من باب الرفق به لعله يعقل، أولى من الشدة معه وقطع العلاقات والصلات، لا يتسنى بعدها دعوته للحق واستمالة قلبه إليه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- أفاك : كذاب، مصرٌّ على الكذب .

٢- أثيم : كثير الآثام، معاود لها .

٣- مستكبراً : متكبراً متعالياً طاغياً .

٤- أولياء . الذين كفروا . الذين آمنوا : سبق الإيضاح .

٥- أيام . قوماً . فلنفسه : سبق الإيضاح .

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

- (إعلام تضمن بياناً بترهيب) : بعد سوق دلائل القدرة الربانية جاء القصص، مسلياً به سبحانه قلب رسوله الكريم ﷺ ليتصبر على مواقف قومه المكذبين له المعرضين عنه، بذكر حال بني إسرائيل، حين وهبهم التوراة كتاب مبين، وحين وهبهم حكماً وملكاً عظيماً، وحين أكثر فيهم

النبوات، وحين منحهم من خيرات الأرض وطيباتها ما يفوق غاياتهم، وحين فضلهم آنذاك على العالمين، وحين آتاهم بينات واضحات يفرقون بها بين الحق والباطل دالة لهم، وبعد كل ذلك اختلفوا فيما بينهم لما جاءهم الحق المبين أولاً، وأنكروا بعثة رسول الهدى ﷺ وجحدوا نبوته ثانياً، طلباً لحظوظ الدنيا من مال وجاه ورئاسة، فاتركهم يا رسولنا الكريم، فسنفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه وبسببه يختلفون، وها قد آتيناك شريعة غراء ومنهاج حق سمح يسير، فاعمل بها، ولا تلتفت إلى ضلالات الذين لا يعلمون، فإنهم لن يكفوا عنك شيئاً من العذاب إن اتبعتها، أقوام شر وسوء وباطل، يعادون الحق ويُمالئون عليه وينصر بعضهم بعضاً، لكن الله جل وعلا ناصر عباده الصالحين، ممن امتثل أمره واجتنب نهيه فكان من المتقين، ذلك هو الحق المبين المتضمن اتباع شريعة رب العالمين، المؤيدة بالدلائل والبراهين على صدق محتواها، المحقق للهدى والرحمة لكل من تمسك بها، يدرك ذلك من تفكر بعقله وكان من المصدقين، هي حبل النجاة الأوحد لا سواها، ومحال أن يستوي من آمن وصدق وعمل صالحاً، بمن كذب وكفر واقترف سيئاً، في الدنيا أو في الآخرة، إذ لكل عمل الجزاء الوفاق له، ومن جعلهما سواء فقد أساء في حكمه، فما خلق الله جلت عظمته هذه السموات والأرض إلا بالحق، الذي يقتضي جزاء كل عامل بعمله، لا ظلم عنده أبداً ذلك هو الحق المبين .

غريب الكلمات :

- بينات من الأمر : شرائع واضحات، تفرق بين الحلال والحرام، والحق والباطل .
- جاءهم العلم : مبعثه ﷺ ليقيم الحجة على العالمين .
- شريعة من الأمر : منهاج واضح وتعاليم أمر الدين .
- بصائر للناس : علامات ظاهرات يبصر بها الناس الحق من الباطل .
- اجترحوا السيئات : اكتسبوا الذنوب .

توجيهات الآيات :

١- إيتاء بني إسرائيل، كل أسباب الرفعة في الأرض، من نبوة وكتاب منزل، وحكم على الناس، وطيبات مذللة، وتفضيل على كثير من الأمم، ودلائل واضحات على الحق، فلم يزدهم كل ذلك إلا عتواً ونفوراً من الحق ومحاربة لأهله .

٢- سيقضي سبحانه وتعالى بين عباده يوم القيامة، فيما كانوا فيه من الحق يختلفون .

٣- إيتاء رسول الهدى ﷺ شريعة غراء مهيمنة على كافة الشرائع السماوية السابقة، ومن ثم أمره بالاستمساك بها، والإعراض عن كل ضلالات الجاهلين المكذبين .

٤- لا نافع ولا ضار إلا الله جل جلاله، ولا يغني أحد عن أحد مطلقاً .

٥- الظالمون يتولون بعضهم، وينصرون بعضهم، غايتهم دحض الحق، وغلبة الباطل، والله جل وعلا ولي المؤمنين وناصرهم، مهما كانت الظروف، ومهما تأخر النصر والتمكين، فهو قادم في حينه، الذي يكون فيه أبلغ وأوضح، وأنفع للحق وأهله، وأدحر للباطل وأهله .

٦- حوى هذا القرآن الكريم كل ما من شأنه الهداية والرحمة، والحق الذي لا مرية فيه، لكن لمن تبصَّر وصدَّق وتدبر معانيه .

٧- الناس في الدنيا فريقان، مؤمن قد عمل صالحاً، ومكذب قد اقترف السيئات، واختلاف العمل في الدنيا، حتماً يوجب اختلاف الجزاء في الآخرة .

٨- الصواب في الحكم، لا يدركه إلا من امتلك إنصافاً، وعدلاً واتزاناً، يضبط به رؤيته للأمور .

٩- هول خلق السموات والأرض وعظمهما، محال أن يكون باطلاً أو لعباً ولهواً، الأمر الذي يوجب إعمال العقل في حقيقة ما وراء المنظور .

١٠- لا ظلم يوم القيامة، وكلٌ يؤخذ بعمله، خيراً كان أم شراً، ولا بد من جزاء مستحق على ما قدم الإنسان في دنياه .

١١- النون في قوله تعالى (آتينا، رزقناهم، فضلناهم، آيناهم، جعلناك، نجعلهم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآيات (١٦-١٧) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ . أوتي بنو إسرائيل كل أسباب المجد، من نبوة وملك، وحكم وتفضيل، ومعرفة وعلم، وطيبات الأرض وخيراتها، لكنهم رغم كل ذلك أساءوا التعامل مع ما أوتوه، فانقلب تفضيلهم على رؤوسهم، لعناً ومسخاً وسخطاً إلى يوم القيامة، فيه دلالة على أن أمر الهداية والضلالة لا يتوقف على كل تلك الأمور، بقدر ما يتوقف على توفيق الله سبحانه لمن شاء، ممن علم صلاح سريرته ونيته . وإشارة الاختلاف في الأمور من طبيعة البشر، لا مناص منه إطلاقاً في كثير من الأمور .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ . الناس في الدنيا صنفان : صنف يعلم الحقيقة ويدرك مقاصد الأمور، وما وراء ذلك، وصنف غافل لاهٍ عنها لا يعلم من أمره شيئاً، لا يفكر أبعد من أنفه، مما

يقتضى إسناد الأمور في المهمات ومن ذلك قيادة للمجتمعات، لمن كان مدركاً لأبعادها ومقاصدها، وليس لمن كان غافلاً عنها منصرفاً تائهاً لا يعي حقيقة ما يجري حوله .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٩) قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ . مثل هذه السياقات التي خوطب بها رسول الهدى ﷺ، هي للأمة من بعده من باب أولى ولا ريب، مما يستوجب اللجوء إليه سبحانه بصدق .

٤- إشارة : جاء في الآية (٢٠) قوله تعالى : ﴿ هَـٰذَا بَصَـَٔٓرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ . البصيرة في الأمور لا تتأتّى إلا للمصدقين، الثابتين الراسخين، وليس المشككين المبطلين المكذبين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، ثم قرأ** : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾)[الترمذي والطبراني في الأوسط والكبير] .

٥- إشارة : جاء في الآية (٢١) قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ

﴿ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ . كلمة (اجترحوا) دالة على أن الذنوب والمعاصي والآثام، تترك أثراً سيئاً في خلق المسلم وسلوكه، كما لو كان جرحاً ظاهراً في جسده بالفعل، وهي كذلك في الحقيقة غير أن جرحها في الأخلاق . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله،** ﴿ كَلَّا بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾)[الترمذي والنسائي في الكبرى] .

٦- إشارة : جاء في الآية (٢٢) قوله تعالى : ﴿ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَلِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ . المقصد الرئيس من خلق السموات والأرض، هو مجازاة البشر على أعمالهم، خيرها وشرها، حسنها وسيئها .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- بني إسرائيل . العالمين . يوم القيامة : سبق الإيضاح .

٢- الظالمين . أولياء . المتقين . الناس . قوماً : سبق الإيضاح .

٣- الذين آمنوا . نفس : سبق الإيضاح .

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾

- (استفهام تضمن ترهيباً بإعجاز) : ما زال سياق الحديث حول القوم الكافرين، مبيناً سبحانه عاقبة من اتخذ معبوداً عظَّمه مما وافق هواه، فأضله

عن الحق وعبادة ربه الحكيم، فختم على سمعه مما حال بينه وبين سماع صوت الحق، وعلى قلبه فلم يعد يوقن الصدق، وغشي على بصره فحال بينه وبين رؤية الحقيقة، فمن سيرشده حينها يا ترى بعد كل ذلك، وقد أغلق على نفسه أبواب الإدراك، ألا يعتبر الإنسان بما حوله ويتأثر حين يرى دلائل القدرة، كيف يعرض عنها وينكر البعث والنشور، ويظن أنه سيحيا حياة لا قيمة لها، ومن ثم سيموت موتةً لا حساب بعدها، مرتاباً في حقيقة وجوده، كلما سمع ما يرشده ليرى الحقيقة، ازداد ريبة وطلب عودة من مات من آبائه للحياة ليصدق الأمر، فيا رسولنا الكريم قل لأولئك المرتابين أن الله عز وجل هو الحق المبين، الخالق القادر الذي أحياكم والذي يميتكم، والذي سيجمعكم يوم القيامة للحساب والعقاب، وإن كان أكثر الناس لا يصدقون، سبحانه له ملك السموات والأرض لا سواه، فويل لمن كذب بالساعة من هول يوم عظيم، ترى فيه كل أمة خاضعة لما ينتظرها، تُدعى فيه إلى كتابها الذي حوى منهجها، أقبلته وعملت به أم ردته ! وتدعى إلى كتاب أعمالها وما حوى من حسنات وسيئات يشهد عليها كما دونته الملائكة الحفظة الكرام، فأما من آمن وعمل الصالحات فإلى رحمة ربه الكريم، قد فاز فوزاً مبيناً بنجاته من العذاب، وأما من كفر بالحق واستكبر عنه بعد سماعه الآيات البيات، فقد أجرم في حق نفسه وأوبقها بكفره إلى نار الجحيم .

غريب الكلمات :

- إلهه هواه : معبوده بحسب هواه وما يحب .
- غشاوة : غطاء يحجب عنه رؤية الحق .
- جاثية : خاضعة، والجثو : البروك على الركب .
- نستنسخ : نكتب وندون في صحائف الأعمال .

توجيهات الآيات :

١- آفة العبادة اتخاذ الإنسان آلهة بحسب هواه، فليس الدين بالهوى والتشهي بحسب ميول النفس .

٢- لا هادي لمن أضل الله تعالى، وختم على جوارحه بالضلال والضياع، كيف له أن يتذكر بعدها، وقد أوصِدت دونه كل أبواب الولوج إلى عالم الحق والحقيقة .

٣- البداية تكون من العبد، فمن طلب الهداية هُدي إلى الحق، ومن ضل ولم يهتم للهداية ضل . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم**)[مسلم] .

٤- آفة الضلال إنكار البعث والنشور، لأن الإنسان بعدها لن يبالي بما سيفعل، لاعتقاده أنه لا جزاء عليه ولا حساب ولا عقاب ينتظره، وحتى هذا الاعتقاد لم يستيقنه الإنسان في باطنه حقاً إنما ظنَّه ظناً، فكيف يصدِّق بالظن ويكذب اليقين الذي جاء به الرسل الكرام عليهم السلام .

٥- الاعتراض والاعراض عن آيات القرآن الكريم، هو الضلال بعينه، فويل لمن تغافل عن سماع صوت الحق، والإذعان له .

٦- حجة واهية تذرع بها منكرو البعث، هي إحياء آباءهم السابقين، ليتأكدوا من صدق حقيقة البعث والنشور، والأصل في الإيمان الغيب والتصديق به، وليس المشاهدة عياناً، ولو أن من مات عاد للحياة، لكان حدثاً مشاهداً لا إيمان فيه، ولا يحتاج إلى تصديق حينها .

٧- الله جل وعلا هو المحي وهو المميت، سيجمع الخلائق يوم القيامة للحساب والعقاب، وإن جهل حقيقة ذلك أكثر الناس، لازدرائهم دينهم وحقيقة أمرهم في دنياهم .

٨- لله جل جلاله ملك كل شيء، وما خلق السموات والأرض إلا للعبرة والموعظة، فويل للغافلين المتغافلين عن دينه ومنهجه، من يوم القيامة، فيه يخسر كل مكذب مشكك مرتاب .

٩- لكل أمة كتاب تدعى إليه يوم القيامة، ماذا عملت به، وكتاب آخر سطَّر أعمالها، يومئذ تخضع لربها، لا مهرب لها منه ولا مفر، كلٌ يجازى بعمله .

١٠- ما من عمل يعمله الإنسان إلا ويدوَّن عليه صَغُر أم كَبُر، لا يتخلف منه شيء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**يُدنى المؤمن يوم القيامة من ربه عز وجل، حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه، فيقول : هل تعرف ؟ فيقول : أي رب أعرف، قال : فإني قد سترتها عليك في الدنيا،**

وإني أغفرها لك اليوم، فيعطى صحيفة حسناته، وأما الكفار والمنافقون، فينادى بهم على رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على الله)[متفق عليه] .

١١- تكون النجاة برضى رب العالمين ورحمته، التي تتحقق بالإيمان الصادق، الذي يتحقق بالعمل الصالح، وبالتالي فلا إيمان حق صحيح يصدق بلا عمل صالح، ولا يمكن استجلاب رحمة الله سبحانه ورضوانه بدونهما، وبذلك يكون الفوز المبين بالدخول في رحمته سبحانه .

١٢- الاستكبار هو أكبر أسباب الاعراض عن آيات الله تعالى، والصدَّ عن منهجه الحق، وذلك هو الإجرام بعينه، الموجب لعذاب الجحيم ولا ريب، لذا كان جرماً وخيماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**)[مسلم] .

١٣- النون في قوله تعالى (آياتنا، كتابنا، إنا كنا نستنسخ) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢٣) قوله تعالى : ﴿ **أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً**

﴿ فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ . في الآية الكريمة ذكرت (٤) أمور، اجتماعها يقتضي الضلال التام كيف للإنسان أن يهتدي بعدها، وهي : الأول اتخاذ الإنسان إلهاً متبعاً لهواه، الثاني ضلَّ بذلك عن استحقاق لخبث سريرته، وثالث طبع على سمعه فلا يسمع وعلى قلبه فلا يدرك الحق، ورابع تغشت بصره عتمة أعمته .

٢- لطائف : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ . لم ترض عقول البشر أن يكون شيء من مهام حياتهم هملاً، لا قيمة له ولا طائل من ورائه، فكيف تكون حقيقة الوجود الأول هملاً هكذا وحسب، ولا طائل من ورائه . وأخرى جملة (وما يهلكنا إلا الدهر) تلك هي مقولة الفلاسفة (الدهريون)، الذين قالوا بسرمدية الدهر، فهو أزلي منذ القدم لا بداية له، وأبدي إلى ما لا نهاية له . وثالثة جملة (نموت ونحيا) تقديم الموت على الحياة، دال على أن الأصل العدم، والتقدير العام من مفاد الآية الكريمة : (كنا عدماً، فخرجنا إلى الحياة الدنيا ثم نموت، وحياتنا فيها هملاً وما يقضي علينا إلا طول الزمان) . ورابعة الموت نهاية محتومة لكل حي لا مفر منه، وصروف الدهر تجري على الجميع بخيره وشر، والدهر هو الله جل وعلا، يصرفه ويدبره كيف شاء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**قال الله : يسب بنو آدم الدهر، وأنا الدهر،**

بيدي الليل والنهار)[متفق عليه] . وفي لفظ مسلم : (**يؤذيني ابن آدم يقول : يا خيبة الدهر فلا يقولن أحدكم : يا خيبة الدهر فإني أنا الدهر، أقلب ليله ونهاره، فإذا شئت قبضتهما**) .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٢٥) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ . إحياء الأموات يكون بعد استيفاء موت البشر جميعاً، ليحاسب حينها الجميع على ما عملوا، ليس قبل ذلك .

٤- إشارة : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . حقيقة الوجود عدم مطلق، ثم حياة من عدم للعمل فيها والابتلاء، ثم يكون موت للجميع، ثم حياة بعد موت للجزاء والحساب والعقاب، ثم الخاتمة بالخلود في الجنة أو النار .

٥- إشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . تشمل كلمة (المبطلون) كل من خاض في الباطل ليعلو شأنه ويروج، ليضمحل الحق وينخفض أمره، فويل لكل من كان هذا عمله، من يوم لا باطل يعلو فيه، ولا حق ينخفض .

٦- إشارة : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ . في الآية الكريمة تصوير دقيق لخضوع الأمم التام، بين يدي ربها وخالقها العظيم، خوفاً من مصيرها المنتظر، فالجثو نزول الشخص على الركب خوفاً وهلعاً مما ينتظره .

٧- إشارة : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ . كلمة (ينطق) دالة على أنه كتاب يتكلم، وليس مكتوباً وحسب .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الدهر : من أسماء السنة، ويراد به أحياناً الزمان بطوله .

٢- آبائنا . يوم القيامة . الناس : سبق الإيضاح .

٣- يوم تقوم الساعة : يوم القيامة .

٤- المبطلون . أمة . اليوم : سبق الإيضاح .

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا

وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾
فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

– (تخويف تضمن ترغيباً وامتناناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث حول موقف المشككين في أمر البعث والنشور، وغاية انصرافهم عن الحق، متى قيل لهم احذروا العذاب واتقوا الوعد به يوم القيامة، شككوا واحتاروا وقالوا لا نعلم ما الساعة، وما حقيقة الأمر إلا ظن لا يقين فيه، فاتركهم يا رسولنا الكريم حتى يأتي اليوم الذي يرون فيه سوء عاقبتهم، وحقيقة أعمالهم، وما كانوا به يسخرون، حين يقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون، هي مصيركم ومأواكم تتركون فيها وتنسون، كما تركتم اتباع الحق ونسيتموه في دنياكم، لا ناصر لكم اليوم من العذاب ولا منقذ مطلقاً، هذا جزاء اتخاذكم أمر دينكم لعباً ولهواً وهملاً، واغتراركم بدنياكم وزخارفها ومفاتنها، اليوم تصلون الجحيم حيث لا عذر يقبل منكم، ولا عمل صالح يرضي ربكم يطلب منكم، بعد فوات الأوان في حياتكم، ذوقوا الجزاء الوفاق، والحمد لله رب العالمين، رب السموات والأرضين بما وبمن فيهما، سبحانه بأمره تم صلاح الوجود، وبحكمه استوفى عمله يوم القيامة كل مخلوق، له الحمد كله؛ ذو الجلال والجمال

والكمال في كونه ووجوده، عزيز في ملكه لا غالب له، حكيم في تصريفه وتدبيره وقضائه وقدره، جل جلال ربنا العظيم، وسبحانه وبحمده .

غريب الكلمات :

- بمستيقنين : بمصدقين .
- وحاق : نزل بهم .
- يستعتبون : يطلب منهم ما يزيل عتب ربهم عليهم، ليرضوه .
- الكبرياء : العظمة والعزة، والقوة والقدرة والسلطان .

توجيهات الآيات :

١- التكذيب بيوم القيامة من أكبر أسباب الانغماس في الدنيا، والتغافل عن الآخرة والاستعداد لها تماماً .

٢- لا وجود في عالم الحقيقة لمستيقن لمسألة إنكار البعث والنشور، وكل من قال بذلك فعن ظن وتشكيك، لأن حقيقة ذلك الإنكار، مضاد للفطرة السليمة في الأصل .

٣- كل سيئة اقترفها الإنسان مدونة عليه في سجل عظيم، قد حجب عنه في الدنيا، ويوم القيامة يكشف له ذلك السجل فيرى ما نسيه وازدراه في دنياه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين**

سجلاً كل سجل مثل مد البصر، ثم يقول : أتنكر من هذا شيئاً ؟ أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب، فيقول : أفلك عذر ؟ فيقول : لا يا رب، فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة، فإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول : احضر وزنك، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات، فقال : إنك لا تظلم، قال : فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء)[الترمذي وابن ماجة وأحمد] .

٤- عاقبة الاستهزاء بالدين والاستخفاف به وخيمة ولا ريب، وكان الواجب على الإنسان أن يجعل نُصب عليه أمر دينه، أولى الأولويات والمهام في دنياه .

٥- الجزاء من جنس العمل، فمن نسي دينه وعبادة ربه في دنياه، نسيه سبحانه في آخرته في النار، يصلاها وبئس المصير .

٦- لا ناصر يوم القيامة ولا معين ولا شفيع للإنسان، إلا لمن أذن له الله جل ربنا في علاه .

٧- ويل لمن استخف بآيات الله جل جلاله وأمر دينه، واغتر بدنياه ومفاتنها، متغافلاً عن عبادة ربه العظيم، عاقبة ذلك الخلود في النار، لا قيمة للعتب حينها وتقديم الأعذار، إذا فات الفوت وذهب أوانه .

٨- حيثية استحقاق الحمد الكامل، أنه سبحانه رب العالمين، فله الحمد على نعمة الخلق والإيجاد من عدم، وله الحمد على نعمة العطاء من عُدم، وله الحمد على نعمه التي لا تعد ولا تحصى .

٩- لا رب في الكون الفسيح سواه جل جلاله، رب كل شيء وخالقه، السموات والأرض، والعالمين أجمعين، والعرش العظيم، سبحانه وبحمده .

١٠- تبارك من تكاملت له كل صفات الكمال والجمال والجلال، واحد أحد لا سواه، خالق قادر عزيز حكيم، متفرد في سمائه وأرضه، مصرف مدبر للكون بما فيه من ملك ظاهر وملكوت خفي . وليس لغيره شيء من ذلك بتاتاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته**)[مسلم] . وفي رواية قوله ﷺ : (**الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدا منهما، قذفته في النار**)[أبو داود وابن ماجة] .

١١- النون في قوله تعالى (ننساكم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٣٢) قوله تعالى : ﴿ **وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ**

﴿ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ . الظن يبقى ظناً لا ثبوت له ولا فيه، ولا يغني من الحق شيئاً، وما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام دعوة حق مؤيدة بالمعجزات لا شك فيها، فكيف يتمسك الكفار بظن مرجوح، ويتركون الحق الظاهر الراجح، المؤيد بمعجزات ظاهرات، دامغة الحجة والبرهان .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٣٤) قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ . من فعل شيئاً جوزي بما يناسبه، فالجزاء من جنس العمل .

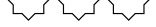

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين آمنوا . الذين كفروا . قوماً . مجرمين : سبق الإيضاح .

٢- الساعة : سبق الإيضاح .

احصاءات عامة

- رقم الجزء : السادس والعشرون .
- اسم الجزء : الأحقاف .
- عدد سوره إجمالاً : (٦) .
- السور التي سنتناولها : (٣) .
- بداية الجزء : سورة الأحقاف .
- نهاية الجزء الذي سنتناوله : سورة الفتح .
- عدد السور المكية التي سنتناولها : (١) .
- عدد السور المدنية التي سنتناولها : (٢) .
- عدد آيات الجزء ضمن النطاق المذكور : (١٠٢) .
- عدد كلمات الجزء ضمن النطاق المذكور : (١٧٤٣) .
- عدد حروف الجزء ضمن النطاق المذكور : (٧٣٨٢) .

جزء الأحقاف : السادس والعشرون :

(١١) سورة الأحقاف

- مكية بالإجماع .
- آياتها (٣٥) آية مختلف فيه، فقيل (٣٤) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ حمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ آية واحدة .
- كلماتها (٦٤٤) كلمة . وحروفها (٢٥٩٥) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٦٦) . نزلت بعد سورة الجاثية .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٦) .
- سميت بـــ (الأحقاف) لورود اللفظ بها . وهي سابعة الحواميم السبعة وخاتمتها .
- محور حديث السورة الكريمة : ترسيخ القرآن الكريم والتخويف بما جاء فيه .
- مجمل موضوعاتها (٩) موضوعات : تقرير عبادة الله تعالى وتعظيمه سبحانه دون شرك، إثبات صدق نبوة محمد ﷺ وتوافق رسالته مع رسالة موسى عليه السلام، ووصية الإنسان بوالديه والتحذير من العقوق، والتخويف بيوم القيامة، وذكر طرف من قصة هود عليه السلام وهلاك قومه عاد، والتحذير من سوء عاقبة الطغيان والاستكبار على الحق، وذكر

حادثة استماع الجن للقرآن الكريم وموقفهم منه، والحديث عن بعض دلائل القدرة الربانية، والخاتمة أمره ﷺ بالصبر على مجال الدعوة كصبر أولي العزم .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (١١) مرة .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾

- (إعجاز غيبي تضمن بياناً بتخويف) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة بحرفين من الأحرف المقطعة، تلاها بيان رباني بإنزال هذا القرآن الكريم منه سبحانه العزيز في ملكه، الحكيم في تصريفه وتدبيره وقضائه وقدره، مؤكداً أن خلق السموات والأرض وما بينهما ما كان إلا بالحق، ولنهايتهما أجل مسمى فيه يزولان ويبدلان، والذين كفروا عن كل ذلك منصرفون مستكبرون، فقل لهم يا رسولنا الكريم آلآلهة التي تعبدون خلقت شيئاً ممن في هذا الكون الفسيح !، في الأرض التي تروها، أم لهم شرك في

السموات العلى !، إن كان شيئاً من ذلك حقاً فآتوني ببرهان عليه، أو آتوني بعلم من نبي أو رسول سابق يشهد بذلك، إن كنتم في دعواكم صادقين، وإن كان غير ذلك فمن أضل ممن يعبد من دون الله عز وجل غائباً لا معنى لعبادته حقاً، ولا يدري ولا يسمع، ولن يستجيب لمن عبده بشيء، غافلاً عنه وعن اتخاذه إلهاً يعبد، ويوم القيامة يأتي عدواً لعابديه منكراً علمه بفعلهم ذاك، وعبادتهم له، فسحقاً لقوم جهلاء ضُلاَّل، متى سمعوا الآيات البينات تتلى عليهم، قالوا هذا سحر مبين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- أثارة من علم : بقية من علم ثابت من صحف أو من نبي أو رسول أو ...

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إنزال القرآن الكريم من لدن ربٍ عظيم، عزيز لا يغلب، حكيم فيما دبَّر وقضى وقدر .

٢- لفت النظر لإعمال الفكر في حقيقة خلق السموات والأرض وما بينهما، من ملك عظيم ظاهر وملكوت مهول خفي، والهدف الأسمى من ذلك، وما يدلان عليه من حق مبين لا مرية فيه، دال على استحالة أن يكون من وراء كل ذلك، الهزل المفرط والعبث المجرد .

٣- لخلق السموات والأرض مدة معلومة عنده سبحانه، قدرها بأجل مسمى هو يوم القيامة العظيم، تبدلان بعدها بما شاء ربنا تبارك وتعالى .

٤- إعراض الذين كفروا عن الحق رغم كثرة دلائل القدرة التي تحيط بهم، دال على غاية انغلاق عقولهم وانصراف قلوبهم، عن إدراكه رغم وضوحه .

٥- لا قدرة على الخلق والإيجاد في هذا الكون الفسيح، إلا لله جل في علاه، فأين من عبد غيره ليذكر لنا ماذا خلق معبوده ذاك !، من شيء في الأرض أو في السماء، ومن زعم ذلك فليأت بدليل على صدق قوله، أو كتاب مدون فيه ذلك العلم، أمور مستحيلة تماماً .

٦- أجهل الناس من عبد غائباً أو جماداً، لا يعي ما معنى العبادة أصلاً، ومحال أن يجيبه فضلاً عن أن ينصره أو يشفع له، لأنه غافل عنه تماماً، لا روح له ولا فيه .

٧- ويل لمن أشرك بربه العظيم معبوداً غافلاً عنه في الدنيا، سيؤتى به يوم القيامة ليتبرأ منه ويكفر بعبادته له، ليزداد حسرة وندامة على سوء فعله .

٨- آيات الحق بينات ظاهرات، لكل من وفق لسماعها وقبولها، لكنها بضد ذلك لمن صرف عنها وغفل عن مرادها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار، ومقعده من الجنة، قالوا : يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل ؟ قال : اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة**

فييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾)[متفق عليه] .

٩- من جملة أكبر الشبهة التي تذرع بها الكافرون المكذبون، عبر الأزمان في عامة الشعوب، إطلاقهم على الحق أنه سحر مبين، والحق بيِّن والسحر بيِّن، وبينهما كما بين السماء والأرض .

١٠- في كل زمان ومكان أعداء للحق والخير والبر والنور والهدى، يعادونه لمجرد وجوده، غلبت شهواتهم وشبهاتهم على نفوسهم المريضة، فنفروا منها لعدم قبولهم لها .

١١- النون في قوله تعالى (ما خلقنا، آياتنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكـــة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢) قوله تعالى : ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾ . هذه هي السورة الكريمة الثانية من الحواميم

السبعة، التي يستفتحها سبحانه بهذه الآية الكريمة، وكانت الأولى في سابقتها سورة الجاثية .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾ . إذا كانت السموات والأرض لها أجل معلوم، فكيف بما سواهما، كل شيء في هذه الدنيا له أجل مسمى، يزول بعده وينتهي أمره، بما أراد الخالق العظيم سبحانه .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ﴾ . غاية التحدي بمثل هذا القول القوي والمفحم، وتجاوزه والتغافل عنه، وعدم الالتفات إليه، هو غاية العناد والجهالة .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ . الدافع الخفي الذي حمل عقولاً على صرف العبادة لمعبودٍ تستهويه كيفما اتفق، هو إرادة التعبُّد المطمورة في النفس البشرية، وكفى

بذلك دليلاً ولسان حال ناطق، يؤكد على ضرورة الدين في حياة الإنسان، وأثره فيه ومدى تأثيره عليه .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ﴾ . إن كان سحراً حقاً ! فلماذا لم يسحر الجميع، وينتهي الأمر !.

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- أجل مسمى : وقت معلوم، ويراد به هنا وقت فنائهما .

٢- الذين كفروا . يوم القيامة . الناس . أعداء : سبق الإيضاح .

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾

– (استفهام تضمن بياناً بترهيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه دواعي الكفار الكاذبة من أنه ﷺ قد اختلق هذا القرآن الكريم، فقل لهم يا رسولنا الكريم إن كنت قد افتريته فمن سيردّ عني عذاب الله تعالى !، العليم بدعوتي بالحق لكم، وبما تقولونه في كتابه من افتراءات وتُهم، والشهيد علينا جميعاً، فآمنوا به خيراً لكم، فهو الغفور الرحيم لمن صدق وآمن وقَبِل منهجه القويم، وقل لهم يا رسولنا الكريم أيضاً لِمَ تكذبوني ولست بأول رسول بعث في قومه !، فما أنا إلا مبلغ رسالة ربي بما أوحاه إليّ، لا أعلم ما سيحل بي ولا بكم، إن أنا إلا نذير لكم مبين للحق لمصلحتكم، فأخبروني إن كان حقاً ما به جئتكم، وشهد على صدقي رجل من بني إسرائيل ممن سبقكم ! لَّما تبيَّن له موافقة ما بين النبوَّتين، فما موقفكم إن آمن بي وهو الأبعد، وكذبتموني وأنتم لي الأقرب، لكن الله جل وعز لا يهدي القوم المستكبرين عن الحق، وكانوا لأنفسهم ظالمين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– تفيضون فيه : تقولون فيه وتصفونه بحسب هواكم .

– بدعاً من الرسل : أول رسول لله تعالى، لم يسبقني بذلك أحد .

– على مثله : كتاب مثله منزل للعمل به، القرآن الكريم كالتوراة .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- من جملة أكبر الشبهة التي تذرع بها الكافرون، زعمهم أن رسول الهدى ﷺ قد افترى هذا القرآن الكريم على الله تعالى، فإن كان ذلك حقاً فمن سيحميه منه إن خالف أمره وكذب عليه !، بالزيادة فيه أو النقصان، أو التغيير والتبديل .

٢- علم الله جل جلاله بما يقول ويفتريه المبطلون المكذبون، سبحانه شاهد وشهيد على أباطيلهم وضلالاتهم، لا تخفى عليه خافية مطلقاً .

٣- رحمة الله تعالى بكل خلقه، فرغم كفرهم وتكذيبهم، وعنادهم وطغيانهم وعتوهم، يغفر لمن تاب إليه وأناب .

٤- نبوة رسول الهدى ﷺ ليست هي الأولى، فقد سبقه إلى ذلك رسل كثر عليهم جميعاً الصلاة والسلام، بعثوا بمنهج الله عز وجل، الموجه لخلقه بما أراد، لا يعلمون شيئاً من أمر ربهم العظيم، وما مهمتهم إلا تبليغ ذلك الوحي الشريف كما أمروا لمن أرسلوا إليهم .

٥- يشهد على صدق نبوته ﷺ وعلى صدق هذا القرآن الكريم وما جاء فيه، شهود من بني إسرائيل من أهل الكتاب، لموافقة ما بين كتبهم وكتبنا من حقائق . في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : بلغ عبد الله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه، فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال : ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي

شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ : (**خبرني بهن آنفاً جبريل، قال : فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ : أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد : فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها، قال : أشهد أنك رسول الله، ثم قال : يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام، قالوا أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا، فقال رسول الله ﷺ : أفرأيتم إن أسلم عبد الله، قالوا : أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله إليهم فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا : شرنا، وابن شرنا، ووقعوا فيه**)[البخاري] .

٦- دين الله تعالى ومنهجه واحد لا يختلف في الأصول أبداً، من آدم عليه السلام وإلى محمد ﷺ، وما الاختلاف إلا في شرائع الأحكام بين الرسالات السماوية، كلٌ بما يحقق مصلحة الزمان والمكان في حينه، وما رسالة موسى عليه السلام ومحمد ﷺ إلا واحدة من حيث وحدة المنهج، ومن هنا شهد شاهد بني إسرائيل لرسول الهدى ﷺ بصدق ما جاء به من حق مبين،

وقف على مثله في كتابهم الذي جاء به موسى عليه السلام، وصدَّق ما جاء في القرآن الكريم وما حواه من شرع وتعاليم .

٧- الاستكبار أول أسباب رد الحق ورفضه، والنفور والاستنكاف عنه .

٨- لن يهدي الله سبحانه من ظلم نفسه بنفسه، باختياره الكفر والتكذيب والإعراض عن الحق، والتصديق والإيمان به والإذعان له .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٨) قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ﴾ . إن كان القرآن الكريم حقاً يمكن أن يفتريه بشر، وقد افتراه ﷺ حقاً، وهو فرد واحد، ولم يجلس إلى معلم قط وكفار قريش يعلمون ذلك يقيناً، فلماذا لا يفترون مثله وهم جماعات كثيرة، وكثير منهم أهل علم ومعرفة ودراية .

٢- إشارة : جاء في الآية (٩) قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ . الآية الكريمة تأتي في باب الرد على من رفع قدر المصطفى ﷺ عن الحد المشروع، زاعماً أن عنده علم اللوح والقلم، وأنه قد كُشف

له الغيب المكنون، وأن الدنيا قد خلقت لأجله، وما إلى ذلك . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله**)[البخاري . تطروني : تفرطوا في مدحي] .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ **قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾** ﴾ . علاقة القرآن الكريم بالتوراة وبني إسرائيل، دالة على وحدة المنهج الرباني، والتوافق في الأصول بين كافة الرسالات السماوية، وأنها من لدن ربنا العظيم .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- شهيداً : سبق الإيضاح . ويراد به هنا من شهد على صدق إنزال القرآن الكريم عليه ﷺ .

٢- الرسل . نذير : سبق الإيضاح .

٣- شهد شاهد : من حضر واقعة ما، وله القدرة على إثبات صحتها من عدمه، كبعض رجال بني إسرائيل، الذين يشهدون بالحق على صدق هذا القرآن الكريم، منهم عبدالله بن سلام رضي الله تعالى عنه .

٤- بني إسرائيل . الظالمين : سبق الإيضاح .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ وَإِذۡ لَمۡ يَهۡتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفۡكٞ قَدِيمٞ ﴿١١﴾ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾

– (بيان تضمن إعلاماً بترغيب) : ما زال سياق الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه موقف الكفار من دعوة الحق، حين قالوا : لو كانت الدعوة حقاً والقرآن الكريم صدقاً، ما سبقنا إلى الإيمان بالله تعالى ضعفاء القوم، فنحن الأعز الأكرم والأولى بكل مكرمة، فاستكبروا وكفروا قائلين عنه : هذا كذب وضرب من أساطير الأولين، فكيف قالوا ذلك، وقد سبق القرآن الكريم كتاب موسى عليه السلام، التوراة التي نما ذكرها إلى مسامعهم، وببعض ما فيها أدركه علمهم، ولمسوا وحدة المنهج الحق في الكتابين المنزَلين، بما تضمناه من الدعوة إليه سبحانه والتصديق بالبعث والنشور، رحمة لمن بعث فيهم من بني إسرائيل، فكان منهج حق يُقتدى به، وهذا القرآن الكريم كتاب حق كذلك، جاء مصدقاً لما جاء في الكتب التي سبقته، بلسان عربي تفقهونه لينذر من ظلم نفسه وكان من جملة الكافرين

المكذبين، ويبشر من صدق به وكان من المحسنين، واستقام على منهج ربه العظيم، أولئك لا خوف عليهم ولا هم فيه يحزنون، خالدين في الجنة جزاء الصالحات التي عملوها، وكانوا إلى مرضاة ربهم يسارعون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- إفك قديم : كذب مسبوق إليه، مأخوذ عن السابقين الأقدمين .
- استقاموا : ثبتوا على الإيمان وتعاليمه، و لم ينحرفوا عنها .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- استكبار الكفار وطغيانهم، وتعاليهم على الضعفاء ممن آمن بالحق من قومهم، والكبر من أبشع الخصال دوماً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**)[مسلم] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه قال : (**كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ : اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال وكنت أنا وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴿٥٢﴾ ﴾**)[مسلم] .

٢- الظفر بالخير توفيق من الله جل وعلا، لا علاقة له بالمكانة الاجتماعية الرفيعة من عدمها، ولا بالمستوى العلمي الرفيع، فكم من جاهل أميٍّ وفق للحق والعمل به، وكم من متعلم بل وعالم متبحر في مجاله، مرموق في مجتمعه، ومع ذلك لم يوفق للحق ولا لقبوله .

٣- ويل لمن أعرض عن الحق، وكذب بالقرآن الكريم، زاعماً أنه ضلال مبين وافتراء قديم .

٤- أوتي موسى عليه السلام كتاباً هو التوراة، وصف بأنها إمامٌ ورحمة، بما حوت من منهج رباني حق لا مرية فيه، لبني إسرائيل، لو أنهم قبلوها وعملوا بما فيها لأفلحوا .

٥- نزل القرآن الكريم باللسان العربي، ليبشر من آمن به وحسُن عمله، وينذر من كذب به وكفر، ومصدقاً لما نزل من قبله من كتب كالتوراة، ليدل على وحدة المنهج الرباني .

٦- الاستقامة على الحق بعد الإيمان بالله جلت قدرته، تؤهل ذويها ليكونوا من الفائزين يوم القيامة، الآمنون فيه من الخوف والفزع، لا يعتريهم ما قد يحزنهم، خالدون في جنات النعيم، يتمتعون فيها بكل صور النعيم المقيم .

٧- لا نجاة إلا بإيمان حق، يصدقه عمل صالح صدق، يوصل إلى رحمة رب العالمين، تلك هي دائرة النجاة المتكاملة .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآيات (١١-١٢) قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ . من طبع الجنس البشري الجدال، متى اقتنع بشيء حشد له كل الحجج والبراهين، ومتى رفضه و لم يقتنع به، ردَّ كل الحجج والبراهين . وإشارة ذكر التوراة قبل القرآن الكريم في سياق آية كريمة واحدة، دال على أنهما من عند إله واحد، له دين واحد، وهدفه من الجميع واحد، ومصير الكل واحد، الفاصل في الأمر مسألة قبوله من رده ورفضه .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ . البداية من الإنسان نحو ربه جل شأنه، يقابلها سبحانه بأضعاف ما بدأه الإنسان من نية حسنة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ هم خير منهم، وإن تقرب مني شبراً،**

تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً، تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[متفق عليه] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين كفروا . الذين آمنوا . موسى : سبق الإيضاح .

٢- الذين ظلموا . أصحاب الجنة : سبق الإيضاح .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ

مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ۖ فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

– (تشريع تضمن ترغيباً بترهيب) : بعد تأصيل القرآن الكريم طاعة الخالق العظيم الموجد الأعلى للإنسان، ثنَّ بوجوب طاعة الوالدين الموجد المباشر له، إحساناً بهما جزاء ما قدماه، ولا سيما الأم التي حملته في بطنها أشهراً عديدة تتقلب في هنات الضعف والمشقة، ومن ثم وضعته وهي تعانق الموت وزفراته، ومن ثم ضمته إلى صدرها مرضعة له بكل حب وحنان، لتكتمل دورته حملاً ورضاعاً في ثلاثين شهراً كاملاً، صغيراً يرعاه والداه، كذلك شأن كل إنسان، ومن بعدها يفترق الناس في دنياهم فريقان، فريق ببلوغه مبلغ الرجال بتمام الأربعين من عمره، يسأل ربه أن ألهمني شكر نعمتك التي تفضلت بها عليَّ وعلى والديَّ، وأعنيِّ أن أعمل صالحاً يرضيك، وأصلح لي ذريتي، ها قد تبت إليك وأنا من المسلمين، أولئك الذين هذا هو شأنهم، نتقبل منهم صالح عملهم ونمحو عنهم سيئاتهم، يدخلون الجنة كما وعدوا فيها ينعمون، وفريق آخر عصا والديه متضجراً من فعالهما، منكراً للبعث والنشور كفَّاراً بربه، وهما يرجوان الله تعالى أن يهديه للحق فيؤمن، ويخوفانه بالعذاب وهو معرض عن كل ذلك،

زاعماً أنها ضلالات السابقين وتخاريفهم، فلا بعث ولا جزاء، هذا وأمثاله قد كتب عليهم العذاب كما كتب على الأمم السابقة المكذبة بالحق المبين، فكانوا هالكين خائبين خاسرين، ولكل فريق من أولئك جزاءه عند ربه، ومراتبه في مصيره، لا ظلم لأيهم أبداً، كلٌ يجازى بعمله، فويل للكفار من يوم عظيم، فيه يعاينون النار قبل ولوجها، فيوقنوا حينها أنهم خاسرون، لأنهم لم يعملوا ما يشفع لهم وينجيهم من عذابها، قد انغمسوا في دنياهم في الشهوات والملذات، فلم يبق لهم يوم القيامة إلا النار يصلون فيها عذاب الخزي والذل والهوان، جزاء كفرهم وتكذيبهم واستكبارهم وفسوقهم، وما كانوا يعملون .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- ووصينا : أمرناه إلزاماً عليه دون تفريط .
- إحساناً : تعاملاً حسناً يناسب وضعهما وعمرهما .
- كرهاً : مشقة وتعب ووهن وضعف .
- وفصاله : فصامه وفطامه من الرضاع .
- بلغ أشده : ذروة القوة البدنية والعقلية .
- أوزعني : ألهمني وأرشدني .
- أف لكما : تباً وقبحاً وبُعداً .
- أن أخرج : أُبعث من قبري حياً .

- يستغيثان الله : يطلبانه الغوث عليه، ويسألانه هدايته .

- عذاب الهون : الخزي والذل والهوان .

توجيهات الآيات :

١- الأمر بالإحسان إلى الوالدين، ولا سيما الأم التي حملت في بطنها ووضعت بمشقة، وحضنت وأرضعت، ورعت وسهرت . في الحديث النبوي الشريف عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : سألت رسول الله ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله ؟ قال : (**الصلاة على وقتها، قلت : ثم أي ؟ قال : ثم بر الوالدين، قلت : ثم أي ؟ قال : ثم الجهاد في سبيل الله**)[متفق عليه] . وفي شأن الأم خاصة وفضلها عن معاوية بن جاهمة السلمي رضي الله تعالى عنه قال : أتيت رسول الله ﷺ فقلت : يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال : (**ويحك، أحية أمك ؟، قلت : نعم، قال : ارجع فبِرَها، ثم أتيته من الجانب الآخر، فقلت : يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال : ويحك، أحية أمك ؟، قلت : نعم، يا رسول الله، قال : فارجع إليها فبرها، ثم أتيته من أمامه، فقلت : يا رسول الله، إني كنت أردت الجهاد معك، أبتغي بذلك وجه الله والدار الآخرة، قال : ويحك، أحية أمك ؟، قلت : نعم، يا رسول الله، قال : ويحك، الزم رجلها، فثَمَّ الجنة**)[ابن ماجة وابن أبي شيبة] .

٢- مجمل مدة الحمل والفصال من الرضاع، ثلاثون شهراً كاملة .

٣- ذروة الرجولة بلوغ سن الأربعين، حيث النضج الجسدي والعقلي .

في الحديث النبوي الشريف عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : (**بعث رسول الله ﷺ، أو أنزل عليه القرآن، وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة، وبالمدينة عشر سنين، قال : فمات رسول الله ﷺ وهو ابن ثلاث وستين**)[أحمد وابن أبي شيبة] .

٤- وجوب شكر الله تعالى على نعمه وآلائه التي لا تعد ولا تحصى، وشكر الوالدين من باب شكر الله جل في علاه .

٥- أهم ما في العمل الصالح أنه يبلغ بالعبد عتبات منازل الرضا من الله جل جلاله، وإلا فلا فائدة منه ولو كثر، فالعبرة في قبول العمل وإن قلَّ وليس في الكثرة .

٦- من واسع رحمة الله تعالى، مجازاة العبد بأحسن ما عمل، كما لو كان سائر عمله كذلك، وليس بتفاوت عمله، الذي قد يتخلله نقص وتفريط، ورياء وسمعة وشبه، وما إلى ذلك .

٧- أهم ما يطلبه الوالدان في حياتهما، ويرجوان تحققه هو صلاح الذرية، التي تعد غاية قرة عينهما، لأن صالح الأولاد عائد على الوالدين بخير أصلاً، في حياتهما ومن بعد مماتهما . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له**)[الترمذي وابن ماجة] .

٨- الإكثار من التوبة مطلب شرعي، فما أكثر ذنوب الإنسان وغفلاته في دنياه، وتحققها يفضي إلى قبول العمل، وتجاوز السيئات، والعقبى الظفر بالجنة، والخلود فيها، جزاء ما كانوا يوعدون .

٩- من البر شكر الإنسان لربه الكريم، لنفسه ولوالديه ولا سيما بعد وفاتهما، وقد كانا أنصح الناس لولدهما حقيقة، ولذلك كان عقوقهما من أبشع الأعمال، التي يبغضها الله تعالى ويعجل العقوبة لصاحبها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أكبر الكبائر : الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وشهادة الزور – ثلاثاً – أو قول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت**)[البخاري] .

١٠- إنكار البعث والنشور، واعتقاد أنها مجرد تخاريف الأولين، خطأ عظيم يجازى صاحبه عليه بالخزي والخسران يوم القيامة، وهذه مسألة قديمة جداً، تعاقبت أجيال كثيرة على توهمها .

١١- غاية حنان الوالدين على ولدهما، وإن كان عاقاً يرجوان من الله تعالى أن يهديه للحق ويصلحه دائماً وأبداً، فالإنسان في دنياه بين طورين، الأول إحسانه لوالديه، جزاء عنايتهما به ودعائهما له بالصلاح من قبل ولادته، والثاني دعاءه لذريته بالخير والصلاح، ليحسنوا إليه ويبروه بعد الكبر، وبعد الممات .

١٢- في الجنة درجات علا، وفي النار دركات سفلى، وكلٌ سيجازى بعمله مما قدم في دنياه، لا ظلم على أحد مطلقاً . في الأثر : (المؤمن

الزاهد، والمملوك الصالح آمنان من الحساب، وطوبى لهم كيف يحفظهم الله في ديارهم، إن الله إذا أحب عبده المؤمن زوى عنه الدنيا ليرفعه درجات في الجنة، وإذا أبغض عبده الكافر بسط له في الدنيا حتى يسفله دركات في النار)[أبو نعيم في الحلية] .

١٣- يجازى الكافر بما عمل من طيبات وصالحات، لا ظلم عليه ولا بخس، لكن ذلك يكون في دنياه مما أتاه سبحانه من خيرات فيها ونعم، جزاء العمل الذي قدم، وليس له يوم القيامة عند ربه من حسنة واحدة يثاب عليها، ليس له فيها إلا العذاب الأليم، جزاء كفره واستكباره عن عبادة ربه العظيم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن، فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقاً في الدنيا على طاعته**)[مسلم] . وفي رواية عنده : (**إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة، لم تكن له حسنة يجزى بها**) .

١٤- عذاب الآخرة عظيم، من أوصافه أنه عذاب ذل وخزي وهوان .

١٥- النون في قوله تعالى (وصينا، نتقبل، نتجاوز) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ . كلمة (إحساناً) دالة على غاية الحسن، ببذل قصارى الجهد في إرضاء الوالدين وإسعادهما، لأنهما السبب في وجود الإنسان في هذه الحياة، اعتنيا به في صغره حباً وحناناً ورعاية وعطفاً . وأخرى جملة (بلغ أربعين سنة قال رب أوزعني) دالة على أن الإنسان قبل الأربعين يختلف عما بعدها، لما يجد من رجاحة ونضج في عقله، وانقضاء وطره من الدنيا والنهم فيها، وتؤدة وروِيَّة في قلبه، تجعل نظرته للأمور أكثر وعياً واعتدلاً واتزاناً، وأبعد عن الطيش والاستعجال والحماس الزائد المنطلق . وثالثة كلمة (أوزعني) دالة على الوزع، وهو المنع، والتقدير امنعني يا رب عن أن أشتغل عن شكر نعمتك عليَّ وعن طاعة والدي، بأي أمر آخر مهما كان .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٧) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ

ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ . التأفف بقول (أف) أقل العقوق، وهي دالة على الضجر والاعتراض على الوالدين، وذلك لا وشك يحزنهما ويؤلمهما .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ . تقتضي الآية الكريمة أن كافة الرسالات السماوية إجمالاً، المتضمنة البشارة والنذارة، كما وجهت للإنس، وجهت للجن، بدلالة قوله سبحانه : (قد خلت من قبلهم من الجن والإنس)، وهذا لا يمنع أن يكون هناك رسالات سماوية خاصة بالجن، قبل وجود جنس البشر على وجه الأرض بخلق آدم عليه السلام، أو حتى بعد ذلك .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٢٠) قوله تعالى : ﴿ وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ . غلب على الناس طلب متع الدنيا، ركضاً خلف شهواتها، وانغماساً في ملذاتها، غفلة عما أمروا به من عبادة وطاعة ربهم العظيم .

الحدود والأحكام :

١- في الآية (١٥) . قوله تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ . جملة (ثلاثون شهراً) دلت على أن أقل الحمل مدة ستة أشهر، إذا ما حسب مع مدة الرضاع عامين كاملين، كان المجموع ثلاثين شهراً، حملاً ورضاعاً .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الإنسان . والديه . أمه : سبق الإيضاح .

٢- ذريتي : سبق الإيضاح .

٣- المسلمين . أصحاب الجنة : سبق الإيضاح .

٤- القرون . الأولين . الجن . الإنس : سبق الإيضاح .

٥- يوم يعرض . الذين كفروا . اليوم : سبق الإيضاح .

﴿ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ ۘ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ

﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ
ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ
أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا
عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ
شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ
﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا
لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ
أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ
بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم
مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ
ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۖ بَلۡ ضَلُّواْ
عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٨﴾

– (إعلام تضمن بياناً بترهيب) : انتقل سياق الحديث إلى حيث القصص، ذاكراً سبحانه قصة هود عليه السلام، الذي أرسل إلى قوم عاد بالأحقاف جنوب جزيرة العرب، منذراً قومه شأنه في ذلك شأن عامة الرسل عليهم الصلاة والسلام ممن سبقه وممن لحقه، داعياً إياهم إلى عبادة الله تعالى

ومخوفهم من عذاب يوم القيامة العظيم، فرفضوا دعوته تلك واتهموه بأن غرضه منها صرفهم عن آلهتهم، مستكبرين عنها متجبرين، بل وتحدوه أن يأتيهم بالعذاب الذي يخوفهم به إن كان صادقاً في تهديده، فأجابهم أن وقت العذاب علمه عند الله عز وجل، وما أنا إلا نذير لكم بما أوحى إليَّ، ولا أرى انصرافكم عن الحق إلا لأنكم قوم جاهلون، فحبس عنهم المطر لفترة، ثم عرض لهم سحاب كثيف في الأفق قادماً نحو ديارهم فظنوه غياثاً لهم، لكنه العذاب الذي استعجلوه، ريح شديدة أتت عليهم فدمرت كل شيء على وجه الأرض، لم يبق منها إلا مساكهم، وذلك جزاء القوم المجرمين، فارعووا يا هؤلاء فقد آتينا عاداً من أسباب القوة والتمكين والأموال والعدد ما يفوق ما أنتم عليه، فلم يُعملوا جوارهم من سمع وبصر وأفئدة في الحق ليدركوه، بل جحدوا وتجبروا، فأخذناهم بالعذاب جزاء ما كانوا يكذبون وبه يستهزئون، وأهلكنا من بعدهم كذلك قرى وأمماً كثيرة ممن حولكم أفلا تنظرون، ونوَّعنا لكم المواعظ والعبر لعلكم تتعظون، فأين آلهة تلك الأمم التي اتخذوها من دون الله جل وعلاه وعبدوها، لِمَ لَمْ تنصرهم، كذبوا في قولهم، وزعموا باطلاً أنها تشفع لهم، فغابت عنهم وقت الشدة حيث الحاجة إليها، وانكشف زيف أباطيلهم، فكان جزاء كذبهم على أنفسهم، أنها لم تغن عنهم شيئاً مما كانوا يزعمون، وهلكوا جزاء ما كانوا يعملون .

غريب الكلمات :

- الأحقاف : جمع حِقف، وهو تل الرمال الملتوية في الصحراء .
- لتأفكنا : لتصرفنا .
- عارضاً مستقبل : سحاب معترض في الأفق يستقبل أوديتهم .
- مكناهم : قويناهم وأقدرناهم .
- صرفنا الآيات : بيناها بأنواع الحجج والبراهين .
- قرباناً آلهة : قرابين لآلهتهم المعبودة من دون الله تعالى .
- إفكهم : كذبهم وافتراءهم .

توجيهات الآيات :

١- تذكيره سبحانه بقصة قوم عاد وما كان من شأنهم، القوم الأشداء الذين سكنوا جنوب جزيرة العرب، في منطقة الأحقاف من أرض اليمن بحضرموت .

٢- يُبعث النبي في قومه، وهو منهم كأخٍ لهم، ليستشعروا غاية حرصه على هدايتهم .

٣- سبق هود عليه السلام أنبياء ورسل، ولحقه كذلك أنبياء ورسل كثير، عليهم الصلاة والسلام، وجميعهم كانوا دعاة من الله تعالى وإليه سبحانه، دعوتهم واحدة، هي عبادة الله جل في علاه، والتخويف بالعذاب الأليم يوم القيامة العظيم .

٤- عقدة تقليد الآباء على ما ماتوا عليه، وإن كانوا على خطأ ظاهر، حاصلة في كل قوم وشعب، قلَّ من ينفك منها، كما قال قوم عاد ذلك لنبيهم هود عليه السلام، بل وطلبوا منه تعجيل العذاب إن كان ما يقوله حقاً، كما يعتقدون . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**)[البخاري . جدعاء : مقطوعة الأنف أو الأذن] .

٥- مهمة الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، هي البلاغ عنه سبحانه، أما أمر العذاب والانتقام فبيده جل شأنه، متى شاء سلطه على من شاء، متى شاء كيفما شاء بما شاء .

٦- قد يكون العذاب بما ظاهره الرحمة، كما كان شأن السحاب الذي عرض لهم فظنوه للخير وإذا به للعذاب . في الحديث النبوي الشريف عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء، أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه، فعرَّفته عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ : (**ما أدري لعله كما قال قوم، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾**)[البخاري . فعرفته :سألته عن ذلك . مخيلة : سحابة] .

٧- تأتي الرياح بالخير العميم، لأنها تهب من كل الاتجاهات، تتوازن بها دورة الهواء، بخلاف الريح التي تكون للهلاك والدمار، لأنها تهب من جهة واحدة فقط فتقتلع كل ما يقف أمامها وتدمره . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**نصرت بالصَّبا، وأهلكت عاد بالدبور**)[متفق عليه . الصبا : ريح تهب من جهة المشرق] .

٨- بقاء الديار بعد هلاك أهلها، شاهد على ما آل إليه أمرهم، من دمار وسوء عاقبة .

٩- تمكين الأمم السابقة في الأرض، ومدهم بأسباب القوة والمنعة والتأثير فيها، أكبر بكثير ممن جاء من بعدهم من الأمم اللاحقة .

١٠- الجوارح والأعضاء نعم من الله سبحانه، وجب شكره عليها باستعمالها في الخير، وحجزها عن الشر، ومن لم يستعملها في الحق وإدراك الحقائق، فشأنه كشأن من حرمها تماماً، بل وكانت وبالاً عليه، لأنه لم يستفد منها رغم سلامتها .

١١- الجحود والاستكبار والاستهزاء، أمور فظيعة مريعة، تصم الآذان، وتعمي الأبصار، وتصرف القلوب، عن الحقائق وإدراكها .

١٢- عذاب الله جل في علاه محيط بالكافرين المجرمين، لا مفر لهم منه ولا مهرب أبداً .

١٣- وجوب الاعتبار بمصائر الأمم السابقة وبهلاكهم، والحذر من الصيرورة إلى ذات المصير .

١٤- لا ناصر من دون الله جلت قدرته، وكل ما عُبِد من دونه فخبال لا نفع فيه ولا له بتاتاً .

١٥- الكذب والافتراء على الله جل وعز، يحيق بأهله ويهلكهم، ولن يحقق لهم شيئاً أبداً .

١٦- النون في قوله تعالى (مكناهم، مكناكم، جعلنا، أهلكنا، صرفنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٢٢) قوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ . المعلومة التي تسبق إلى عقل الإنسان أولاً، تحتل الأولوية في العلم، لذا من الصعب عليه تغييرها بسهولة، من غير اقتناع تام وأكيد .

٢- لطيفة وإشارة : جاء في الآيات (٢٤-٢٥) قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَاۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

ليس كل ما يستقبلك يأتي بخير لك، وليس كل ما يستدبرك يأتي بشر لك، والعكس صحيح أيضاً . وإشارة كلمة (أصبحوا) دالة على أن نهاية الريح كانت صباحاً، ليتبين هلاك القوم بكل وضوح، فتكون العبرة أقوى وأظهر للناظرين .

٣- إشارة : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ . وسائل الإدراك والتواصل ثلاثة، سمع ينصت به الإنسان، وبصر يرى به، وقلب يعقل به ويتأمل ويقارن بين الأمور ويتبصر في الحقائق، من فقدها عجز عن التواصل مع الآخرين من حوله .

٤- إشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ . كلمة (القرى) و(القرية)، دالة على وحدة الفكرة والثقافة التي اجتمع عليها أهلها، وعادة ما تأتي في القرآن الكريم، لتصف قوماً، اجتماعهم كان على الشر والسوء والباطل والمنكر .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- أخا : الأخ هو إما شقيق للإنسان، من أب واحد وأم واحدة، وإما أخ من أبيه فقط، أو من أمه فقط، وقد يراد به أخوة النسب من غير الشقيق، وهو المراد به هنا هو هود عليه السلام .

٢- عاد : سبق الإيضاح .

٣- قومه : سبق الإيضاح .

٤- النُذر : جمع نذير، ويراد به هنا الرسول إلى قومه .

٥- يوم عظيم . المجرمين : سبق الإيضاح .

٦- مساكنهم : جمع مسكن، بيوتهم التي تأويهم .

٧- القرى : جمع قرية، سبق الإيضاح .

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ

بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِۦَ ٱلْمَوْتَىٰۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ بَلَـٰغٌۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

– (تذكير تضمن إعلاماً بتخويف) : بعد ذكر جانب من قصص الإنس، ذكر سبحانه جانباً من قصص الجن مع رسول الهدى ﷺ، ذاكراً حادثة استماعهم للقرآن الكريم وموقفهم منه، حين حضر نفر منهم قراءته ﷺ، متواصين بالإنصات له، فلما فرغ ﷺ من القراءة، هرع الجن إلى قومهم منذرين به، قائلين لهم يا قومنا قد سمعناً كتاباً منزلاً من بعد موسى عليه السلام، مصدقاً لما سبقه من كتب سماوية، يهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، فيا قومنا آمنوا به وصدقوا نبي الله تعالى وما جاء به، يغفر لكم سيئاتكم وينجيكم من العذاب الأليم، فإن كذبتم فما أنتم لربكم بمعجزين، ولا مهرب لكم منه ولا ملجأ إلا إليه، ولا ولي من دونه للخلق ولا نصير، وما سبيل من أعرض إلا في ضلال مبين، ألا يرى من أعرض عن الحق أن الذي خلق السموات والأرض و لم يعجز عن شيء من ذلك، قادر على إحياء الموات !، قطعاً قادر وهو على كل شيء قدير، فويل

للكفار من يومٍ يعرضون فيه على النار، فيقرون حينها بأن ما كفروا به من قبل كان هو الحق حقاً، أما اليوم فذوقوا العذاب جزاء ما كنتم يعملون، واتركهم يا رسولنا الكريم واصبر كما صبر سادات الرسل، من ذوي الهمم العالية والصبر الكبير في مجال الدعوة إلى الله تعالى، ولا تستعجل لعذاب قومك، فإنه يوم يأتيهم سيتقالُّون أعمارهم في الدنيا لطول العذاب، كما لو كان مكثهم فيها ساعة من نهار ليس إلا، هذا بلاغ نذارة فاسمعوه، جاء به الرسول الصدق بالكتاب الحق، ولا يهلك إلا من حاد عنهما وكذب بهما، وخرج عن حدود منهج ربه، وكان من الفاسقين .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- ولم يعي بخلقهن : لم يعجزه ويتعبه .
- بلاغ : إنذار عام يجب تبليغه للجميع .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إخبار الله جل في علاه نبيه الكريم ﷺ بأمر الجن، الذين استمعوا لقراءته، وما كان من أمرهم وحرصهم على الاستماع والانتفاع، ومن أول مرة انطلقوا إلى قومهم دعاة مصلحين لقومهم . في الحديث النبوي الشريف عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : (**كنا مع رسول الله**

ﷺ **ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا : استطير أو اغتيل، قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال : فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال : أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله** ﷺ **: فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم)**[مسلم . واستطير : طارت به الجن] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه لما سئل : (**من آذن النبي** ﷺ **بالجن ليلة استمعوا القرآن ؟، فقال : آذنت بهم شجرة)**[متفق عليه . وآذنت : أعلمته ﷺ بحضور الجن] .

٢- كان أولئك الجن على الديانة اليهودية، لقولهم : ﴿ كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

٣- لمس أولئك الجن وحدة المنهج الرباني الحق، لما سمعوه من آيات تتلى وافقت مضمون ما علموه من رسالة موسى عليه السلام وتعاليم شريعته، فجميعها رسالات دعت إلى توحيد الخالق وعبادته، لقولهم : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

٤- شهادة الجن لرسول الهدى ﷺ بأنه داعي الله حقاً، وإدراكهم أن الإيمان الصادق يستوجب مغفرة الذنوب والإجارة من العذاب الأليم، لقولهم : ﴿ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾ .

٥- يقين الجن أنه لا معجز لربنا سبحانه إطلاقاً، ولا مولى للعبد يتولاه وينصره غيره، فمن اعتقد ذلك فهو قطعاً في ضلال مبين، لقولهم : ﴿ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ .

٦- لفت النظر لإعمال الفكر في دلائل القدرة الربانية في هذا الكون الفسيح، وملاحظة خلق هذه السموات والأرض بعظمهما، وخالقهما ولا ريب أعظم منهما، لم يعجزه شيء في كونه، أفيعجز عن إحياء الموات !، وهو القادر على كل شيء سبحانه .

٧- يعاين الكفار النار يوم القيامة فيقروا بأنها حق، وأن وعده سبحانه في الدنيا كان حقاً، فيدخلونها يصلونها جزاء كفرهم، وعتوهم وعنادهم وطغيانهم، وما كانوا يعملون .

٨- أمره جل في علاه رسول الهدى ﷺ بالصبر العظيم كأولي العزم من الرسل، وهم خمسة : (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد)، الذين كان صبرهم في مجال الدعوة يفوق صبر من سواهم من الأنبياء والمرسلين

عليهم جميعاً الصلاة والسلام، وقد جمعتهم آيتان في القرآن الكريم، آية سورة الأحزاب قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ . وآية سورة الشورى قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ .

٩- أمره سبحانه رسوله الكريم ﷺ بترك الاستعجال في أمر قومه، والعجلة والاستعجال مذمومة في كل شيء وفي كل الأحوال، والتأنّي مطلوب في كل شيء وفي كل الأحوال .

١٠- أمد الدنيا قصير، واليوم عند ربنا سبحانه يفوق ما يعدُّه البشر من ساعات وأيام كثيرة .

١١- حوى هذا القرآن الكريم الذي نزل على رسول كريم ﷺ بلاغاً حقاً للعالمين أجمعين، فيا سعد من تنبه له وعمل بموجبه، ويا ويل من غفل عن مضمونه وانصرف و لم يعبأ به .

١٢- لا نجاة للقوم الفاسقين من عذاب ربهم العظيم، يوم يرونه ويصلونه جزاء ما كانوا يعملون .

١٣- النون في قوله تعالى (صرفنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٣٠-٣٢) قوله تعالى : ﴿ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ . جملة (أنزل من بعد موسى) دالة على أنهم على علم برسالة موسى عليه السلام، كما لو كان فعلاً قد أرسل لهم؛ كما أرسل للإنس، لذا وصفوا رسول الهدى ﷺ بأنه (داعي الله) مرتين .

٢- إشارة : جاء في الآية (٣٣) قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ . الكفار حقاً لو يروا خلق السموات والأرض، بل ولم ير أحد من الخلق ذلك، والتقدير هنا (ألم يعلموا)،

واستعمل لفظ (يروا) ليدل على أن إخبار الله سبحانه بشيء ما، هو أصدق للإنسان من علمه به، كما لو كان قد رآه حقاً .

٣- إشارة : جاء في الآية (٣٥) قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٣٥ ﴾ . جملة (ساعة من نهار)، دالة على أن أمد الدنيا قصير مهما عاش الإنسان فيها، ورغم ذلك سيكتب له الخلود في الآخرة، إما في النعيم إن فاز بالجنة، وإما في الجحيم إن هلك في جهنم .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الجن . منذرين . قومهم . قومنا : سبق الإيضاح .

٢- موسى عليه السلام : سبق الإيضاح .

٣- داعي الله : المبلغ للدين الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، ويراد به هنا رسول الهدى ﷺ .

٤- أولياء : سبق الإيضاح .

٥- الموتى : جمع ميت، سبق الإيضاح .

٦- يوم يعرض : سبق الإيضاح .

٧- الذين كفروا . الرسل : سبق الإيضاح .

٨- أولوا العزم من الرسل : أصحاب الميثاق الغليظ من الأنبياء والمرسلين، وأصحاب الشرائع الكبرى، وهم خمسة : (نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد) عليهم جميعاً الصلاة والسلام، هذا هو القول الأشهر، وهناك قول على أن وصف (أولوا العزم من الرسل) يراد به عامة الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً الصلاة والسلام، الذين تحملوا أعباء النبوة والدعوة إلى الله تعالى .

٩- ساعة من نهار : جزء من الوقت أو اليوم، قدرت حديثاً (٦٠) دقيقة، والدقيقة (٦٠) ثانية، وفي اليوم الواحد (٢٤) ساعة .

١٠- القوم : سبق الإيضاح .

١١- الفاسقون : جمع فاسق، هو الخارج عن حدود الله تعالى وشرعه القويم، المعتدي على محارمه التي حرمها .

جزء الأحقاف : السادس والعشرون :

(١٢) سورة محمد . سورة القتال

- مدنية بالإجماع .
- آياتها (٣٨) آية مختلف فيه، فقيل (٣٩) آية، والفاصلة عند ورش قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ آيتان .
- كلماتها (٥٣٩) كلمة . وحروفها (٢٣٤٩) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (٩٥) . نزلت بعد سورة الحديد .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٧) .
- سميت بـــ (محمد) لذكر الاسم الشريف فيها .
- محور حديث السورة الكريمة : الجهاد وأحكامه ومواقف الناس من الدين الحق .
- مجمل موضوعاتها : (٦) موضوعات : ذكر بعض أحكام الجهاد، الأمر بطاعته وتوليه سبحانه والتحذير من عصيانه، وبيان مآل الكافرين

والمؤمنين، والحديث عن المنافقين وموقفهم في السلم والحرب وتآمرهم مع اليهود، وتخويف من ضاد الله تعالى، والحث على مواصلة الجهاد في سبيله بالنفس والمال والمواقف نصرة للدين الحق .

- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٥) مرات .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾

– (بيان تضمن تشريعاً بتوجيه وتخويف) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة، بتحفيز المؤمنين بأمرين اثنين، الأول خذلانه لأعدائهم الكافرين ممن صدَّ عن منهجه تعالى وحارب أولياءه، لاتباعهم الباطل ورفضهم الحق، والثاني تكفير سيئات من آمن به وعمل صالحاً، وصدق ما أنزل على رسول الهدى ﷺ من قرآن كريم، فأصلح سرائرهم لاتباعهم الحق الذي جاءهم من ربهم، كلٌ جوزي بعمله مما استحقه، آمراً جل وعلا

المؤمنين الصادقين بالجهاد في سبيله على وجه يقطع به دابر القوم الكفار، بضرب رقابهم بلا هوادة حال القتال، حتى يضعف أمرهم ويقلَّ عددهم، لا بأس حينها بأسرهم محكمين قيودهم، حتى يحكم الله فيهم إما بالعفو عنهم دون عوض، وإما بعوض يؤخذ منهم، بحسب المصلحة القائمة حينها، قطعاً لبواعث الحرب ومثيراتها، فجِدّوا في الأمر، فلو شاء سبحانه لانتقم منهم من دونكم، ولكنه أراد هزيمتهم بأيديكم، ليتخذ منكم شهداء ممن قتل في سبيله، أولئك لهم أجر كثير وخير وفير، وسيوفقهم لكل خير في الدنيا، ويدخلهم الجنة في الآخرة .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- فضرب الرقاب : اضربوا أعناقهم .
- أثخنتموهم : أضعفتموهم بكثرة القتل فيهم .
- فشدوا الوثاق : أحكموا قيدهم وربط وثاقهم .
- مناً : إطلاق السراح بلا عوض .
- فداءً : طلب فدية لخلاصهم من الأسر .
- تضع الحرب أوزارها : تنتهي الحرب وتتلاشى بواعثها .
- لانتصر منهم : لانتقم منهم .
- يصلح بالهم : يقوِّم شأنهم ويهدِّي سريرتهم .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إضلال كل من حارب الله تعالى ورسوله الكريم والمؤمنين، وكفى بذلك نصرة للحق وأهله .

٢- الإيمان الحق وعمل الصالحات، وتصديق ما جاء به رسول الهدى ﷺ، كل تلك أمور توجب تكفير السيئات وإصلاح البال والحال، وحلول الطمأنينة والسكينة .

٣- لا حق إلا ما كان من عند الله تبارك وتعالى، مما جاء على لسان أنبيائه ورسله الكرام، عليهم جميعاً الصلاة والسلام .

٤- النصرة في الدنيا والنجاة في الآخرة، قائمة على مسألة اتباع الحق، والعكس بالعكس، فالهزيمة في الدنيا والهلاك في الآخرة، سببه اتباع الباطل، ومضادة شرع الله جل جلاله .

٥- ضرب المثل للخلق، من الله تعالى ليفرقوا بين الحق والباطل بما لا شك فيه ولا لبس .

٦- الأمر بالجهاد في سبيله سبحانه، بكل بسالة وجسارة، بضرب رقاب العدو، لإضعاف قوتهم وكسر شوكتهم ما أمكن الأمر لا بأس بعدها بأسرهم، بحسب المصلحة الحاصلة في حينه، كل ذلك بغرض إنهاء الحرب وقطع دابرها، حتى لا تنبعث من جديد .

٧- أحكام الأسر، إما بالعفو عنهم دون أخذ مقابل، وإما بطلب مقابل على كل أسير، بحسب تقدير المصلحة القائمة .

٨- لو شاء الله تعالى لانتقم من الكفار بتسليط ما شاء عليهم، ولكنه يريد هزيمتهم بأيدي المؤمنين، فيهزم اتباع الباطل، وينتصر اتباع الحق، ويظهر ذلك للعيان .

٩- كل من مات في سبيل الله جل شأنه، مات شهيداً له عند ربه الكريم ميزات ليست لغيره . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**للشهيد عند الله ست خصال : يغفر له في أول دفعة – من دمه –، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**)[الترمذي وابن ماجة] .

١٠- الهداية الحقة وراحة البال، وصفاء الذهن والعقل من المشغلات، من أهم الأمور التي يطلبها المؤمن في حياته، لتطمئن نفسه ويستكين قلبه ويهدأ فكره ويرتاح باله .

١١- الغاية الكبرى للمؤمن في دنياه، هي دخول الجنة في أخراه والخلود فيها، كلٌ يعرف مكانه بمجرد دخولها . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**)[متفق عليه] .

١٢- قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴿٢﴾ ﴾ . هذه هي الآية الكريمة الثالثة، التي ورد فيها ذكر اسمه الشريف ﷺ صريحاً، بعد آية سورة آل عمران قوله سبحانه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴿١٤٤﴾ ﴾ . وآية سورة الأحزاب قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآيات (١-٣) قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ﴾ . الدنيا صراع كبير بين الحق والباطل لا ينتهي إلا بنهايتها، ولكل فريق منهج حياة، وطريقة لكيفية التسيُّد فيها، بحسب قناعاته، وهي صولات وجولات بينهما، يعلو الحق تارات وتارات أخرى يعلو الباطل، والخاتمة للحق واضمحلال الباطل وزهوقه لا محالة .

٢- لطيفة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ . كسر الشوكة في الحقيقة يهدف إلى إذهاب القوة الغاشمة، الظالمة المتسلطة المستبدة، مما يعني تجفيف منابع النزاع، ومنع تجدد أسباب الخلاف، لذا كان الهدف الأسمى والمقصد الرئيس من القتال في شريعة الإسلام، حين اندلاع ثورته العارمة، هو محاولة منع نشوبه مرة أخرى، وفي كل وقت وحين بين البشر، قطعاً لدابره تماماً ما أمكن ذلك .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٥) قوله تعالى : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ . صلاح البال، يقتضي صلاح العقل وارتياحه، وصلاح القلب وطمأنينته، وصلاح النفس وسكينتها، كل تلك أمور مفضية إلى استقامة الجوارح وانضباط السلوك العام .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٦) قوله تعالى : ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ . منازل الجنة محجوزة لذويها قبل أن يولدوا في دنياهم، تنتظرهم لا تتعداهم لغيرهم أبداً، لكل مقامه . في الحديث النبوي الشريف عن

عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : دعي رسول الله ﷺ إلى جنازة صبي من الأنصار، فقلت : يا رسول الله طوبى لهذا، عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء و لم يدركه، قال : (**أو غير ذلك، يا عائشة إن الله خلق للجنة أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً، خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم**)[مسلم . أو غير ذلك : الأولى التوقف في الحكم] .

۞۞۞

الحدود والأحكام :

١- في الآية (٤) . قوله تعالى : ﴿ **فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾** ﴾ . وردت الآية في سياق العموم، آمرة بالقتال وعدم الأسر، حتى كسر شوكة العدو، يكون حينها المنّ بإطلاق السراح، أو الفداء المشروط، بحسب المصلحة الحربية القائمة، والمتحققة في حينه .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين كفروا . الذين آمنوا . الناس : سبق الإيضاح .

٢- محمد : هو سيد ولد آدم عليه السلام، ابن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم، القرشي الهاشمي، بعث في قومه قريش في مكة المكرمة، وعمره (٤٠) سنة، ومكث فيهم (١٣) سنة، ثم هاجر إلى طيبة الخضراء وعمر (٥٣) سنة ومكث بها (١٠) سنوات، ثم التحق بالرفيق الأعلى ودفن في مسجده الشريف في المدينة المنورة، وعمره (٦٣) سنة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع**)[مسلم] . وقد رد ذكر اسمه الشريف في القرآن الكريم صراحة ﷺ (٥) مرات فقط، منها (٤) مرات بلفظ (محمد)، قوله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴿١٤٤﴾** ﴾ . وقوله تعالى في سورة الأحزاب : ﴿ **مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴿٤٠﴾** ﴾ . وقوله تعالى في سورة محمد : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴿٢﴾** ﴾ . وقوله تعالى في سورة الفتح : ﴿ **مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴿٢٩﴾** ﴾ . ومرة واحدة بلفظ (أحمد)، قوله تعالى في سورة الصف : ﴿ **وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴿٦﴾** ﴾ . وخوطب ﷺ في

القرآن الكريم بالضمير، من غير ذكر اسمه الشريف صراحة (٢٦٧٢) مرة، في (١٠٧٢) آية[١].

[١] اشتقاق اسم (محمد/أحمد) من كثرة (الحمد الواقع عليه) فهو دوماً محمد، والذي هو في الأصل صيغة مبالغة من محمود، والمعنى أن الرجل إن فعل ما يستوجب الحمد عليه سمي محموداً، ومتى تكررت منه تلك الفعال سمي عندها محمداً، لكثرة ما يحمد عليه، فالحمد هنا يقع عليه كثيراً من غيره من الناس .

أما اسم (أحمد) فمشتق من كثرة (الحمد الحاصل منه) فهو أحمد، والذي هو في الأصل صيغة مبالغة من حامد، والمعنى أن الرجل متى حمد ربه سبحانه سمي حامداً، ومتى تكرر منه ذلك الحمد وحصل منه كثيراً سمي أحمداً، لكثرة الحمد الصادر عنه، أي أن الحمد يحصل منه كثيراً .

إذن محمد وأحمد وجهان لفعل واحد هو (الحمد) ولكل اسم منهما وجه ومقام لصاحبه عند الله جلت عظمته، ولذلك فحين سمى ربنا جل في علاه نبيه الكريم ﷺ أراد أن يجمع له بين كلا المقامين مقام الحمد الواقع عليه من غيره، والحمد الصادر منه، ليكون بذلك ﷺ خير من حُمد في الأرض بما جاء به من دين خاتم وشريعة سمحة، فكان مبعثه ﷺ رحمة للعالمين .

وفي نفس الوقت هو خير من قام بمقام الحمد بين يدي ربه عز وجل في الدنيا، وخير من سيقوم بمقام الحمد بين يديه سبحانه في الآخرة يوم القيامة إن شاء الله تعالى كما أخبر بذلك ﷺ بقوله : (...آتي **تحت العرش وأخر لله ساجداً ويفتح علي بمحامد لا أحصيها الآن فيدعني ما شاء أن يدعني ثم يقول يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع**)[متفق عليه] .

إذن فالاسمان كلاهما لرسول واحد كل اسم ورد منها أوضح صفة له ﷺ إحداهما تقع عليه من غيره وهي أنه (محمد) ولا يوجد من هو محمد بحق واستحق كل دلالات الاسم والصفة واستغراقها تماماً إلا رسول الهدى ﷺ .

وأما الصفة الأخرى فهي تصدر منه وهو أنه أحمد ولا يوجد من هو أحمد بحق وصدق وأولى بالاسم والصفة منه ﷺ كيف وهو صاحب مقام الحمد في الدنيا والآخرة، وعليه فقد أراد الله تعالى أن يصف نبيه الكريم ﷺ بكلا الاسمين لأن كل اسم يدل على مقام له ﷺ فمقام النبوة والاصطفاء يدل عليه اسم أحمد، ومقام الدعوة والمجاهدة يدل عليه اسم محمد ﷺ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن

وعلى ذلك فلا تعارض أبداً بين الاسمين، لأنهما بمعنى واحد ولفعل واحد ولكن بوجهين اثنين بحسب الاشتقاق، فكل اسم يبين لنا حالة من حالاته ﷺ الأولى حاله مع الناس، وهو أنه محمود منهم دوماً فهو محمد فيهم، والأخرى حاله مع ربه عز وجل وهو أنه حامد له دوماً فهو أحمد لله عز وجل .

وأمر آخر وهو أن كلا الاسمين لم ينفك أحدهما عنه ﷺ فهو في الدنيا محمد بحق، وهو في الآخرة أحمد ولا ريب، كيف وهو سيد الثقلين وكل فعاله ﷺ تستحق الحمد له بعد حمد الله عز وجل، وكل تصرفاته الصادرة منه تتضمن الحمد لربه سبحانه دوماً وأبداً .

وأمر آخر هو أن البشارة الواردة في التوراة عن رسول الهدى ﷺ باسمه، لم تكن باسم محمد ولا باسم أحمد بالنص، وإنما كانت بلفظ يستغرق الاثنين معاً، وهو لفظ (الفارا قليط) وهذا اللفظ يعني (كثير الحمد) . فتحقق كونه ﷺ كثير الحمد، سواء الواقع عليه فهو محمد، أو الصادر منه فهو أحمد .

اللهم صلِ على خير الورى كما تحب وترضى وأوردنا حوضه الكوثر الفياض واسقنا منه شربة لا نظمأ بعدها أبداً .

قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٤﴾

– (نداء تضمن بياناً بترهيب وتوجيه) : ما زال سياق الحديث حول الفريقين، واعداً سبحانه عباده المؤمنين الصادقين بالنصر على الأعداء، وتثبيت الأقدام حال اللقاء، إن هم نصروه حقاً وجاهدوا في سبيله صدقاً، بخلاف أولئك الكفرة فتباً لهم وضلالاً لسعيهم، جرَّاء كفرهم وتكذيبهم وإعراضهم، ورفضهم ما نزل من الحق على من بُعث فيهم، فلا قبول لأي من أعمالهم بلا إيمان، ألم يمرُّوا في أسفارهم على ديار الهالكين من قبلهم فيعتبروا ويتعظوا، فويل لهم من ذات المصير المهلك إن لم يرعووا، فالله تعالى ناصر المؤمنين، ولا ناصر للكفار المجرمين، هذا في الدنيا، أما في الآخرة فمآل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات لهم فيه أنواع النعيم، الأنهار تجري من تحت قصورهم منعَّمين، وأما الذين كفروا ممن همهم ملء بطونهم ومتعة فروجهم ليس إلا، شأنهم شأن البهائم، فالنار مصيرهم ومستقرهم ومثواهم، فليحذر أولئك المكذبون فليسوا بأقوى من الجبابرة الأُوَل ممن سبقتهم، أهلكهم الجبار سبحانه وما كان لهم من ناصرين، فلينظروا في حقيقة أمر دينهم، فليس من هو على برهان من ربه ومنهج حق واضح ظاهر، كمن زين له الباطل وهو متبع لهواه، حائر في قرارة نفسه هائم لا يدري ما الحق وما الباطل .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- تعساً لهم : خيبة وخسران ووبال وهلاك .

توجيهات الآيات :

١- مبادرة العبد لنصرة دين الله تعالى، توجب نصره سبحانه وتأييده له، في كل شؤون حياته، وتثبيت الأقدام حال الحرب والقتال، وهذا من أهم الأمور في مثل تلك الظروف ولا ريب .

٢- ضلال سعي الكافر أينما توجه وشقاءه في دنياه، لأنه قبل أن يعادي المؤمن عادى ربه الكريم، بكفره وجحوده وعدم الانقياد باتباع منهجه .

٣- لا قبول لأي عمل وإن كان صالحاً طيباً، قبل الإيمان بالله تعالى، وكل من كره المنهج الحق، فعمله حابط، وفي كل الأحوال باطل .

٤- وجوب أخذ العبرة والموعظة من رؤية ديار الهالكين، كيف آل أمرهم بعد عتو ونفور وطغيان، حتى لا يصير الإنسان إلى ذات المصير .

٥- وحدة العمل الفاسد بين السابقين واللاحقين، توجب وحدة العذاب والهلاك مثلهم .

٦- الله سبحانه ولي المؤمنين، ناصراً ونصيراً، ومعيناً ومؤيداً، وليس للكفار من ذلك شيء .

٧- مصير المؤمنين إلى الجنة، ينعمون فيها بكل أنواع النعم، ومصير الكفار إلى الجحيم يصلونها .

٨- لا همّ للكافر في دنياه سوى متعة شهوتي البطن والفرج، كالبهيمة تماماً، فلا عبادة تشغله ولا طاعة تهمّه .

٩- لا معجز لله سبحانه في هلاك القوم الظالمين المعرضين المكذبين، مهما كانت درجة قوتهم وعتوهم ونفورهم، فكم من قوم اغتروا بذلك، أهلكوا بأهون الأسباب الظاهرة، وليست قريش بأقوى ممن سبقهم قطعاً .

١٠- يجب على الإنسان التبصر في أمر دنياه، وحقيقة وجوده فيها، لئلا يعيش حياة الفوضى، فليس أمر الدين فيها اختياراً محضاً وحسب، وإنما ضرورة لا نجاة بدونها .

١١- تزيين العمل الفاسد مشكلة كبرى حقيقة، وجب التفطن لها بالنظر في مواقف الناس وعواقب أمورهم، فالغالب أن الناس لا يجتمعون على ضلالة، وإن اجتمعوا هلكوا جميعاً .

١٢- اتباع الهوى أكبر المضلات في الدنيا، وأقوى أسباب الضياع فيها .

١٣- النون في قوله تعالى (أهلكناهم) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآيات (٨-٩) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ

﴿ ۝٩ ﴾ . التعاسة في حياة الإنسان سببها الرئيس، ترك منهج الله عز وجل والتولي عنه، والإعراض عنه، اعتقاداً أن الخير يكمن في غيره، فقد تكون كل أسباب السعادة متوافرة مادياً للناس، ومع ذلك التعاسة موجودة في النفوس والعقول والقلوب، متمثلة في اضطرابات ووساوس وحيرة وضياع، فلا طمأنينة ولا سكينة هذا هو المهم .

٢- إشارة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ۝١٠ ﴾ . السير في الأرض بتفكر وتأمل، يكسب الإنسان منفعة متحققة، وخبرات وتجارب ولا شك، توقفه على أمور حتماً سيستفيد منها في مستقبل حياته .

٣- إشارة : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ۝١١ ﴾ . لا بد للإنسان من ولي يتولاه في دنياه، ويعينه على أموره وحاجياته فيها، وإلا عاش ضعيفاً نكداً، تتسلط عليه الشياطين، والوساوس والهموم، ولن يجد من يخفف عنه، لا مادياً بكشفها، ولا معنوياً باللجوء إليه لتطمئن نفس الإنسان . في الحديث لنبوي الشريف قوله ﷺ : (**إذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال : يقال حينئذ : هديت،**

وكفيت، ووقيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول له شيطان آخر : كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي ؟)[أبو داود والترمذي] .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٢) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾ ﴾ . محال أن تكون حياة البشر هملاً وعبثاً، لا قيمة لها ولا طائل من ورائها، العقل البشري يرفض ذلك، ويرفض أن يعيش الإنسان حياة الفوضى العارمة، التي لا هدف لها، وإذا كانت حياة الكفار منظمة بما يكفي وصولاً لما يسعون إليه، فما الفائدة من ذلك إن لم يكن للحياة هدف أسمى لوجود الإنسان فيها، كان يكفي أن نعيش فيها بلا منهج ولا نظام لتتفق مع الفكرة الرئيسة، أنه لا هدف لها ولا منها، وهذا محال قطعاً ترفضه كل العقول تماماً .

٥- لطيفة : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ فَلَا نَاصِرَ لَهُمۡ ﴿١٣﴾ ﴾ . القرية مجتمع واحد، تحوم فيه فكرة واحدة تطوف برؤوس أهلها، غالباً ما تتفق عليها عقول ذويها .

٦- لطيفة : جاء في الآية (١٤) قوله تعالى : ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٤﴾ ﴾ . لا مساواة بين الذين

يعلمون والذين لا يعلمون، ولا الذين يعملون والذين لا يعملون، فرق كبير بينهما في كل شيء .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الكافرين . الذين كفروا : سبق الإيضاح .

٢- الذين آمنوا : سبق الإيضاح .

٣- مولى : سبق الإيضاح .

٤- ناصر : معين يساعد الإنسان، ولا سيما وقت الضعف والحاجة .

٥- قرية : سبق الإيضاح .

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ

﴿ ١٨ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩ ﴾

- (ضرب مثل تضمن ترغيباً وبياناً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث موصولاً مشوقاً سبحانه عباده المتقين بذكر بعض صور نعيم الجنة، مما فيها من أنهار المياه العذب الزلال، وأنهار اللبن الصافي النقي، وأنهار الخمر الطاهرة اللذيذة، وأنهار العسل الشهد المصفى، ومن أنواع الثمرات والأطايب، وفوق كل ذلك مغفرة من ربهم الرحيم، هل من كان هذا مكانه ومآله فيها كمن هو خالدٌ في النار، يسقى ماءً متناهٍ في الحرارة يقطع الأمعاء في البطون !، كلا قطعاً، فما لأولئك القوم لا يعقلون، وإذا حضروا حديثك يا رسولنا الكريم له يستمعون، فما أن يخرجوا من عندكم حتى عنه أهل العلم يسألون، قائلين متهكمين مزدرين، ماذا قال الرسول في مجلسه أولاً، قد خُتم على قلوبهم لانصرافهم عن معناه واتباع أهوائهم، أما أولئك المهتدين فازدادوا بصيرة وهداية، ومعرفة بأولئك المنافقين المنصرفين عن الحق، ويل لهم من القيامة، التي قد ظهرت بعض علاماتها، والتي متى جاءت فقد فات أوان الاتعاظ والاعتبار، فاعلم يا رسولنا الكريم يقيناً أنه لا إله إلا الله، فاثبت عليها، واستغفر لذنبك، وللمؤمنين والمؤمنات، فهو سبحانه العليم بأحوالكم، وتقلبات أموركم، جل جلاله وتقدست أسماؤه .

غريب الكلمات :

- آسنٍ : راكد منتن، متغير الأوصاف .
- آنفاً : سابقاً .
- طبع : ختم وألزم، وكتب عليها .
- بغتة : فجأة وحين غِرة .
- أشراطها : جمع شَرَط، علاماتها .
- مثواكم : مستقركم في ليلكم، وحين منامكم .

توجيهات الآيات :

١- في الجنة من النعيم المقيم ما يفوق الوصف والتصور، وكل ما ذكر في الآيات الكريمات مجرد تصوير لما لا يمكن تخيله حقيقة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**قال الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين**)[متفق عليه] .

٢- مغفرة الرحمن الرحيم ما كان من العبد، توجب الظفر بالجنة ونعيمها، وهذا أكبر فضل يؤتاه المسلم، إذ به يحل رضوان الله تعالى عليه، وبالرضوان يدخلها ويتمتع بنعيمها العظيم .

٣- كل صور العذاب المذكورة، الغرض منها التخويف للدرجة الأخيرة من النار وجحيمها .

٤- من جملة صور النفاق، حضور مجالس العلم، ومن ثم الازدراء بها وبما ورد فيها، كما كان شأن المنافقين أيام رسول الهدى ﷺ .

٥- يطبع الله عز وجل على قلوب المتبعين لأهوائهم، من المنافقين والمشككين والمبطلين .

٦- الهداية تزيد وتنقص، بحسب عمل الإنسان وقوة إيمانه وثباته على ذلك، وأهلها يزدادون هدىً وتقوى كلما رأوا الحق وعلاماته، ويزدادون بصيرة بالمنافقين ومعرفة بالمرجفين .

٧- التخويف بيوم القيامة العظيم، وبمجيئه بغتة إذ لا يعلم موعده سواه سبحانه، له علامات كثيرة، منها الصغرى ومنها الكبرى التي قبيل قيام الساعة، لا قيمة للتذكر حينها، والتوبة والإنابة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت من مغربها آمن الناس كلهم أجمعون فيومئذ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴿١٥٨﴾﴾**)[متفق عليه] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**)[الترمذي وابن ماجة] .

٨- لزوم شهادة التوحيد والاستغفار، سبيلا النجاة، ومفتاحا الجنة .

٩- من جملة مهام الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الاستغفار لأممهم، ودعاء الله جل وعز لهم . في الحديث النبوي الشريف عن عائشة

رضي الله تعالى عنها قالت : لما رأيت من النبي ﷺ طيب نفس قلت : يا رسول الله ادع الله لي، فقال : (**اللهم اغفر لعائشة ما تقدم من ذنبها وما تأخر ما أسرت وما أعلنت، فضحكت عائشة حتى سقط رأسها في حجرها من الضحك قال لها رسول الله ﷺ : أيسرك دعائي ؟، فقالت : وما لي لا يسرني دعاؤك فقال ﷺ : والله إنها لدعائي لأمتي في كل صلاة**)[ابن حبان] .

١٠- ذنوب الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، ليست سيئات، وإنما تأتي من باب الغفلات والنسيان، فلا كامل إلا وجهه العظيم، كما تأتي من باب رفعة الدرجات لهم، فبالاستغفار يدركون كمال العبادة لربهم، وذلك في حد ذاته تعليم لأممهم ليقتدوا بهم، فإذا كان سادات البشر يستغفرون ومأمورون بذلك من ربهم وبصفة مباشرة، فكيف بمن سواهم من عامة الناس ولا سيما المذنبين، الاستغفار في شأنهم ولا ريب أولى وأوجب وأحق .

١١- لا تخفى على الله تعالى خافية أبداً، حافظ حفيظ للخلق أجمعين .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ **مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ**

خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ . الماء واللبن (الصافيان)، والخمر والعسل (النقيان)، أول أشربة أهل الجنة، أنهار تجري بها من تحت قصور أهلها لا تتوقف . وأخرى ما قبل كلمة (كمن) يختلف عما بعدها، للمقارنة بين نقيضين في كل شيء، إذن على الإنسان أن يختار أيهما شاء، ومن ثم العمل بما يؤهله لاختياره ذاك .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ ﴾ . العبرة في العلم والمعرفة، لا تتحقق بالحضور والسماع فقط، وإنما بالتعقل والوعي ومدى الاستفادة من ذلك . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع**)[البخاري] .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٧) قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ . هداية الله جل في علاه لعبده نوعان : الأولى هداية توجيه وإرشاد، وهي موجهة لجميع الخلق دون استثناء، فمن قبلها من ربه الكريم، أعطاه الثانية، وهي هداية المعونة على العمل الصالح، ومن رفض الأولى حرم الثانية .

٤- إشارة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ .

من جملة علامات الساعة مبعثه ﷺ داعياً إلى ربه الكريم، بالحق والذكر الحكيم . في الحديث النبوي الشريف عن سهل بن سعد رضي الله تعالى عنهما قال : (**رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا، بالوسطى والتي تلي الإبهام، بعثت والساعة كهاتين**)[البخاري] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المتقون : سبق الإيضاح .

٢- الذين أوتوا العلم : العلماء ومن في حكمهم من أهل المعرفة .

٣- الذين اهتدوا : الذين منّ الله تعالى عليهم بالصلاح والاستقامة، على منهجه الحق .

٤- الساعة : سبق الإيضاح .

٥- المؤمنين والمؤمنات : جمع مؤمن ومؤمنة، سبق الإيضاح .

﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ
لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟
فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ
فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ
أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾

– (بيان تضمن ترهيباً بتخويف) : انتقل السياق إلى الحديث عن المنافقين، مبيناً سبحانه تبرمهم من رجاء المؤمنين نزول سورة تنص على الجهاد صراحة، آمرة بقتال الكافرين، فكرهوا ذلك لجبنهم، ولميلهم إلى الكفار في الخفاء، قوم سفهاء من شدة خورهم تراهم ينظرون إليك كالذي أوشك على الموت، وكان الأحسن لهم طاعة ما شرعه الله تعالى، وقولٌ حسن بدلاً من نفاقهم وكذبهم، ومتى فرض الجهاد، فلو صح إيمانهم لهان عليهم حينها أمر القتال، فماذا عساهم فاعلين إن تولوا عن الحق وأعرضوا !، أيعودون كفاراً كما كانوا ويفسدوا في الأرض ويقطعوا الأرحام !، بُعداً عن رحمة الله عز وجل إذن لمن فعل ذلك، قد صُمت آذانهم عن إدراك الحق وعميت أبصارهم عن مشاهدته، مما حال بينهم وبين تدبر معاني القرآن الكريم، وإدراك مضامين آياته، كأن على قلوبهم أقفالاً أغلقتها بالفعل .

غريب الكلمات :

- سورة محكمة : آياتها قائمة معمول بها، غير منسوخة .
- المغشي عليه : المُغمى عليه .
- عزم الأمر : وجب القتال .
- أقفالها : جمع قفل، أغلالها، فلا تكاد ترى الحق والنور .

توجيهات الآيات :

١- حرص المؤمنين على نزول سورة محكمة التشريع، يفرض فيه الجهاد في سبيل الله تعالى، وتلك دالة على صحة الإسلام وصدق الإيمان .

٢- الجهاد نوعان : الأول جهاد دفع عن النفس والدين، وكان هذا أول أمر الإسلام، والثاني جهاد طلب وهو الفتوحات الإسلامية التي ساحت في الأرض، لإعلاء كلمة الله تعالى العليا في كل بقاع الأرض، لإخراج العباد من طاعة العباد إلى طاعة رب العباد سبحانه .

٣- وصف المنافقين بأنهم قوم في قلوبهم مرض، لفسادها وانطوائها على خلاف ما يظهرون، قوم جبناء، حريصون على الحياة يكرهون الجهاد، والقتال في سبيل الله تعالى .

٤- علامات الإيمان الحق التزام طاعة الله تعالى، وقول حسن ينم عن انقياد صحيح له سبحانه والتمسك بمنهجه، تلك هي دلائل صلاح إسلام المرء من عدمه، التي تمنحه قوة حقيقية، تجعله يتمنى الموت في سبيل الله

جل جلاله بصدق حقاً، لأنه ذروة سنام الإيمان . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا، وأن له ما على الأرض من شيء، غير الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع، فيقتل عشر مرات، لما يرى من الكرامة**)[متفق عليه] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**ذروة سنام الإسلام الجهاد في سبيل الله**)[أحمد والطبراني في الكبير] .

٥- النفاق يدفع الإنسان إلى التولي والانصراف عن المنهج الحق، الأمر الذي يحمله على الفساد والإفساد في الأرض، وقطع صلات الأرحام والقرابات .

٦- كل من ترك المنهج الحق، وتولى عنه إلى غيره ففسد وأفسد، خرج عن دائرة الإسلام، وبهذا يكون قد خرج من دائرة الرحمة الربانية، التي تدرك المؤمنين، ولا تنال القوم الكافرين .

٧- السمع والبصر وسيلتان للإدراك، فمن لم يستعملهما في الخير كانتا وبالاً عليه وشقاءً، كأنما صمَّت أذناه وعميت عيناه، فلا يكاد يسمع أو يرى الحق إلا باطلاً والباطل إلا حقاً، قد اختل عنده ميزان القيم والأخلاق والمبادئ .

٨- تدبر القرآن الكريم على الوجه المطلوب، وإدراك معاني آياته ومقاصدها كما ينبغي، أمور تحتاج إلى قلب حي، وسمع نقي، وبصر صافٍ، مادياً ومعنوياً .

٩- القلب متى أظلم، فكأنما أحاطت به أقفال تحول بينه وبين إدراك الحقائق، وبفساده تفسد كل الجوارح والأعضاء . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**)[متفق عليه . مضغة : قطعة لحم] .

اللطائف والإشارات :

١- لطائف : جاء في الآيات (٢٠-٢١) قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُۙ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠ طَاعَةٞ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ٢١ ﴾ . مرض القلوب يعكس ميزان القيم والمبادئ، ويحول دون رؤية الحقائق الماثلة، فلا يراها إلا أباطيل، التي يراها هي الحقائق . وأخرى صدق النية أو فسادها، يسبق صدق العمل أو فساده، ويجازى المرء بنيته الفاسدة مرة، ويجازى على عمله الفاسد بعدها إن صدر منه، مرة أخرى . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**إنما الدنيا لأربعة نفر، عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقي فيه ربه،**

ويصل فيه رحمه، ويعلم لله فيه حقاً، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً فهو صادق النية يقول : لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقاً، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً فهو يقول : لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان فهو بنيته فوزرهما سواء)[الترمذي وابن ماجة وأحمد] . وفي الأثر أيضاً : (ملاك هذه الأعمال النيات؛ فإن الرجل يبلغ بنيته ما لا يبلغ بعمله)[ابن المبارك في الزهد] .

٢- إشارة : جاء في الآيات (٢٢-٢٣) قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾ ﴾ . كلمة (عسيتم)، تفيد التوقع، والتقدير : لعلكم إن توليتم عن الحق والإيمان وطاعة ربكم، أن ترجعوا كما كنتم في الجاهلية، فتفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، فاستحقيتم اللعن على ذلك .

٣- إشارة : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ . تدبر القرآن الكريم أنواع : الأول تدبر

معاني الآيات الكريمات، ليخشع القلب وتستقيم من وراء ذلك الجوارح، والثاني تدبر أحكام التشريع وغاياتها السامية ومقاصدها النبيلة، والثالث تدبر القصص والسير لأخذ المواعظ منها والعبر، والرابع تدبر آيات الإعجاز بكل أوجهه وصوره، لتعميق الإيمان في نفس الإنسان، والخامس تدبر المقاصد العليا من نزوله وتلقي تعاليمه، لإدراك الإنسان الغاية العظمى من وجوده في هذه الحياة الدنيا .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين آمنوا : سبق الإيضاح .

٢- الذين في قلوبهم مرض : من اختلط عليه الأمر بالشبهات والشهوات، أخذته الشكوك كل مأخذ، فيحار قلبه ويتوه عن رؤية الحقائق مجردة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ

أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم
بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ
لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾

- (بيان تضمن ترهيباً وتخويفاً بتوجيه) : ما زال سياق الحديث عن المنافقين، مبيناً سبحانه ارتدادهم عن الإيمان بعدما ظهر لهم الحق، قد حسَّن الشيطان لهم سوء عملهم، بسبب ميلهم إلى المشركين واليهود ممن كره منهج الله تعالى الذي جاء على لسانه ﷺ، ومما لآهم في الخفاء في بعض شؤونهم، كتثبيط المؤمنين عن القتال، والله جل جلاله مطلع على ما في صدروهم، فويل لهم حين تتوفاهم الملائكة الكرام فتضرب وجوههم وأدبارهم، لكرههم الحق ومنهجه، واتباعهم ما أسخط ربهم جل وعلا، أفيعتقدون أنا لا نستطيع فضحهم وكشف أحقادهم وعداواتهم !، ولو أردنا لأعلمناكهم بأسمائهم، ولكنك حتماً ستعرفهم بزلات لسانهم ومقاصد ما فسد من أقوالهم، التي سيجازون بها، كما سنفضحهم بتشريع الجهاد، ليُعلم حينها الممتثل للأمر من المعرض عنه، فيظهر أمرهم للجميع، المؤمن الحق من المنافق عياناً، فطب نفساً يا رسولنا الكريم فكل من تحزَّب

عليكم من مشركين ويهود ومنافقين ممن ضاد الله جل جلاله وصدَّ عن سبيله وخالف منهجه الحق، كل أولئك لن يضروا الله تبارك وتعالى، ولا المؤمنين شيئاً، فهم جميعاً في قبضتنا، سننتقم منهم متى شئنا، وسنحبط أعمالهم .

غريب الكلمات :

- سوَّل لهم : زين لهم وحسَّن .
- أملى لهم : منَّاهم ومدَّ في آمالهم .
- أضغانهم : أحقادهم .
- بسيماهم : علامات وجوههم التي تظهر عليهم، تدل على كذبهم ونفاقهم .
- لحن القول : زلات اللسان، الدالة على ما حوت صدورهم من مقاصد خبيثة .
- شاقوا الرسول : خالفوه وحاربوه .

توجيهات الآيات :

١- لا ضمان للإنسان في دنياه ولا ثبات له على شيء فيها أبداً، فرب رجل أمسى مؤمناً وأصبح كافراً، وبالعكس أيضاً، ورب مقتنع بأمر ما؛ أمسى عليه أصبح على غيره تماماً، مما يوجب على العبد سؤال الله تعالى

الثبات دائماً وأبداً . في الحديث النبوي الشريف عن أم سلمة رضي الله تعالى عنها قالت : (**قلت يا رسول الله : ما لأكثر دعائك يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ؟ قال : يا أم سلمة إنه ليس آدمي إلا وقلبه بين أصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ**)[الترمذي وأحمد] .

٢- الحذر من تتبع خطوات الشيطان، وما قد تفضي إليه من تزيين للباطل والضلال، وما تحدثه من تغيير قناعات الشخص .

٣- من صور النفاق الأكبر أن يظهر الإنسان خلاف ما يبطن من عقيدة، وأن يمالئ ويميل بقلبه إلى أعداء الله سبحانه، وأن يكره المنهج الحق الذي نزل من السماء، وأن يبغض المؤمنين الصالحين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**)[أحمد وابن أبي شيبة والطبراني في الثلاثة] .

٤- ويل للكافر والفاجر من عذاب الله عز وجل، حين يفجأه الأجل وتلقاه الملائكة الكرام بشَرٍّ ما يحب وما كان يؤمل، فتضربهم حال الموت على وجوههم وظهورهم، لذا عامة الكفار يكرهون الموت، لأنهم سيجدون ما كانوا يوعدون . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه، فقلت عائشة : يا نبي الله أكراهية الموت ؟ فكلنا نكره الموت، فقال :**

ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه)[متفق عليه] .

٥- لا عمل صالح يقبل من غير إيمان صادق، وكل من عمل بخلاف شرع الله جلت قدرته، قد كره الحق وأحب الباطل، فتلك ردة صريحة، ويل لهم من عذاب أليم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)**[متفق عليه] .

٦- القلب متى مرض، خرج عن دائرة الاعتدال والاتزان، وتخبط في دوامات الهواجس والوساوس والاضطرابات النفسية، تلعب به من كل اتجاه، فينقلب معيار الأمور عند الشخص، فيرى الحق باطلاً، ويرى الباطل حقاً، قد التبست عليه الحقائق .

٧- الأمور بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، يحول بين المرء وقلبه، فيخرج منه ما كتم من خفايا، ومتى شاء فضح من شاء على رؤوس الأشهاد . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : **(يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله)**[الترمذي وأحمد والبيهقي في شعب الإيمان] .

٨- من سعة رحمة الله تعالى ستره على كثير من المنافقين وعدم فضحهم، لعلهم يتوبوا وينيبوا، وما تخويفهم إلا بقصد مراجعة أنفسهم، ليؤوبوا إلى الحق، ويقلعوا عما هم فيه من نفاق .

٩- مهما استخفى الإنسان بما في سريرته، من خفايا وخبث نوايا، سيفتضح أمره بين الناس مع الوقت بزلات لسانه، وفلتات كلماته، فكل إناء بما فيه ينضح .

١٠- الدنيا دار بلاء وابتلاء حقيقي، الغرض منها غربلة الناس وتصفيتهم، ليتنبهوا من غفلتهم إذن، وليعوا حقيقة أمرهم، ويحسنوا عبادة ربهم، ومن أرادها بلا بلاء فذاك جاهل، والبلاء فيها على قدر الإيمان ولا ريب . في الحديث النبوي الشريف لما سئل ﷺ : أي الناس أشد بلاءً قال : (**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**)[الترمذي وابن ماجة] .

١١- فضل المجاهدين والصابرين كبير جداً ولا ريب، فالمجاهد يصابر الكفار على القتال، والصابر يجاهد نفسه قبل مجاهدة الآخرين، ولكل منهما منزلة عليا عند ربه الكريم .

١٢- الكفار ثلاث درجات، منهم من كفر بنفسه وحسب، ومنه من كفر بنفسه وصد عن سبيل الحق منفراً منه، ومنهم من كفر به وصد عنه

وحارب الرسول، ظلمات بعضها فوق بعض، والكل ضمن دائرة رد العمل السيء وبطلانه، لأنه لا إيمان له .

١٣- ليست العبرة في الوقوف على الحق، وإنما الثبات عليه، فكم من أناس كثيرون تبين لهم الحق، لكن لم يوفقوا لقبوله، وبعضهم قبله فعلاً ثم عاد ورفضه، هنا مربط الفرس .

١٤- لا حاصل في كون الله جل جلاله إلا ما أراد، وقضى وقدر، وكل من رفض منهجه وحاربه وضاده، فمصيره إلى وبال وزوال، لكنه سبحانه جعل لكل شيء أجلاً ينقضي فيه وينتهي أمره، والعاقبة للتقوى، وللمتقين قطعاً وحتماً ولا ريب .

١٥- النون في قوله تعالى (نشاء لأريناكهم، ولنبلونكم، ونبلوا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآيات (٢٥-٢٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾ . تزيين

الشيطان الرجيم يتوافق مع ما يغضب الله سبحانه، وكره المنهج الحق ورفضه يتوافق مع تزيين الشيطان الرجيم . وأخرى جملة (سنطيعهم في بعض الأمر) دالة على أن أهل الباطل فيما بينهم مختلفون، لكنهم يجتمعون على محاربه أهل الحق وذويه، قد اجتمعوا على الشر والمكر السيء .

٢- إشارة : جاء في الآية (٢٨) قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ . الباطل مضادة لمنهج ربنا تبارك وتعالى، ورفضاً لدينه ورداً لشريعته، قبل مضادة من اتبع ذلك المنهج الحق من المؤمنين، فالمشكلة هنا مع المشرِّع سبحانه، وليس مع من طبق شرعه القويم .

٣- إشارة : جاء في الآيات (٢٩-٣٠) قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾ . سبحانه يحول بين المرء وقلبه، فيُنطقه بما أراد ولو لم يرد المرء ذلك، ويجعله يفعل ما شاء ولو عارض الإنسان من نفسه ذلك، يفضحه بقوله وفعله أمام الناس، متى شاء كيفما شاء، لا راد لما أراد .

٤- لطيفة : جاء في الآية (٣١) قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾ . الجهاد والصبر من

أشد الأمور على النفس، لا يطيقها كل أحد، والبلاء فيها شديد، كلاهما يحتاجان إلى إيمان صادق، وثبات راسخ على الحق، وكل منهما يحتاج الآخر، فلا صبر بلا مجاهدة للنفس، ولا جهاد بلا صبر على العدو .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين ارتدوا على أدبارهم : الذين رجعوا كفاراً، بعدما تبين لهم الحق وآمنوا به .

٢- الشيطان : سبق الإيضاح .

٣- الذين كرهوا ما نزل الله : كل من رفض منهجه و لم يؤمن به .

٤- الملائكة . الذين في قلوبهم مرض : سبق الإيضاح .

٥- المجاهدين : جمع مجاهد، كل من قتل محارباً في سبيل الله تعالى، مدافعاً عن دينه .

٦- الصابرين : جمع صابر، كل من تحمل المصائب والبلاءات، و لم يضجر بما حصل له .

٧- الذين كفروا . الرسول : سبق الإيضاح .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن

يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾

– (نداء تضمن تشريعاً وبياناً بتوجيه) : انتقل سياق الحديث إلى المؤمنين، آمراً سبحانه إياهم بطاعته وطاعة رسوله الكريم ﷺ، وتجنب كل مبطلات الأعمال الصالحات، كالنفاق الأكبر والرِدة إلى الكفر، ومخوفاً الكفار بأن من مات منهم على كفره صاداً عن منهجه فلن يغُفر له أبداً، فاثبتوا أيها المؤمنون على إيمانكم وجاهدوا في سبيله تعالى، ولا تضعفوا في مقاتلة أعدائه، وأنتم الأعلى شأناً، استمساكاً بمنهجه الحق وولايته عز وجل لكم، مؤيداً ونصيراً ومعيناً، سيوفيكم حينها أجوركم ولن ينقصكم شيئاً من أعمالكم، ولا تغتروا بالدنيا فإن حقيقتها دار فتنة وزينة خداعة تغر بزخرفها، فتفطنوا لذلك واتقوه يؤتكم أجور صالحاتكم، ولا يطلبكم من أموالكم شيئاً حتى لا يفتنكم بطلبها، فتبخلوا بإنفاقها، وقد دعيتم للإنفاق في سبيله فبخل بعضكم وما بُخله إلا على نفسه، وهو سبحانه الغني المغني،

وأنتم الفقراء إليه دائماً وأبداً، أوجدكم من عدم ورزقكم من عُدم، واستخلفكم على أموالكم التي آتاكم، فلو شاء ربنا الكريم لأذهب كل البشر، وجاء بخير منهم، يأمرهم فيمتثلون، ويعطيهم فينفقون، جل جلال ربنا الكريم .

غريب الكلمات :

- تهنوا : تضعفوا .
- يتركم : ينقص من أعمالكم .
- فيحفكم : يلح ويصرَّ عليكم .

توجيهات الآيات :

١- الأمر بطاعته سبحانه وطاعة رسوله الكريم ﷺ، المبلغ عن ربه منهجه الحق . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني**)[متفق عليه] .

٢- الحذر من الأعمال التي تبطل العمل الصالح، وهي كثيرة، كالنفاق، والرياء والسمعة، والغل والحقد والحسد، والبخل والشح، وقطيعة ذوي القربى، وإدمان شرب الخمر، وإتيان الكهنة والعرافين، وإيواء المحدث، وأمور كثيرة غيرها محبطة للعمل، ومن أهمها ولا ريب ترك صلاة العصر

خاصة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**)[البخاري] .

٣- الموت على الكفر يوجب عدم مغفرة الذنوب، الأمر الذي يفضي إلى الخلود في النار . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**)[متفق عليه] .

٤- الأمر بمجاهدة الكفار المحاربين، ممن ألَّب على المؤمنين وحرَّض عليهم، ومن غير هوادة، وعدم اللجوء إلى السلم من غير مصلحة قائمة، تقتضي ذلك في حينه .

٥- المؤمنون هم الأعلون شأناً في كل شيء، وليهم الله تعالى، ناصرهم ومؤيدهم، وموفيهم أجورهم كاملة تامة، في الدنيا والآخرة، فما عساهم يريدون بعد ذلك، أما الكفار فلا مولى لهم .

٦- الدنيا دار غرر وجب الحذر من فتنتها، والإيمان والتقوى هما أساسا الفلاح فيها، وسببا النجاة في الآخرة، فليحذر المؤمن إذن من كل السُبُل التي تعرِّضه للفتن والافتتان؛ وليجتنبها .

٧- الإنسان بطبعه بخيل عما في يده من حيث العموم، إلا من رحم الله جل في علاه، والمال يعد أكبر فتن الدنيا، وكثير من الناس من يسقط فيه ولا يحسن التصرف، رغم تقواهم وصلاحهم، لا يسلم من ذلك إلا من حقق الصلاح فعلاً والفلاح واقعاً في حياته صدقاً . في الحديث النبوي

الشريف قوله ﷺ : (**نعم المال الصالح للرجل الصالح**)[أحمد والبخاري في الأدب المفرد] .

٨- الإنفاق في سبيل الله جل جلاله من أفضل القرب، وهو من صور الجهاد في سبيله (بالمال) .

٩- من أمسك المال وبخل بإنفاقه فبخله على نفسه، لأنه سيضيِّع عليها فرصاً كثيرة من فرص الخير والبر، عوائد أجورها وفضائلها عليه، والله تعالى غني عن العالمين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ما من يوم يصبح العباد فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً**)[متفق عليه] .

١٠- لا غنى للناس عن ربهم الكريم، ورحمته وفضله ونعمه ونعيمه، ومتى تولوا عنه تركهم يتخبطون ويهلكون، واستبدل غيرهم ممن هو خيراً منهم، سبحانه له مقاليد كل شيء .

١١- الكون كله تفضّل من الله جل ربنا في علاه على خلقه، يفعل بهم ما يشاء، وما حقيقة أمرهم إلا عبيد له سبحانه، قد أحسن إليهم وأكرمهم في الدنيا، ووعد من عبده وأطاعه بالكرامة الكبرى في الآخرة .

۞۞۞

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة : جاء في الآية (٣٣) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ . طاعة الله سبحانه تكون

بقبول منهجه الحق من حيث العموم، وطاعة رسول الهدى ﷺ تكون بتطبيق الأحكام والتشريعات والتعاليم، مفصلة مبينة كما جاء بها ﷺ عن ربه الكريم، فهو المبلغ لدينه، شأنه شأن عامة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام .

٢- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (٣٥) قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾ . إن لم تكونوا أنتم الأعلون واقعاً، فلا بأس بمهادنة الكفار ومسالمتهم، بحسب المضرة المدفوعة، أو المصلحة القائمة . ولطيفة جملة (ولن يتركم أعمالكم) أي لن ينقصكم منها شيئاً، فهل الأصل إنقاص العمل أم الأجر المترتب على العمل !، والمعنى أن من حقق مراد الله جل جلاله فسيقبل منها عمله كاملاً وإن نقص، ومن ثم يثيبه عليه بأتم أجر وأعظم مثوبة، وذلك من واسع رحمة الله العظيم الكريم الحليم .

٣- لطيفة : جاء في الآية (٣٦) قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ﴾ . الحياة الدنيا لعب ولهو حقاً فيما يخص المقام فيها، والركون إليها، والرضا بزينتها، وزخرفها الملهي، ومتاعها الفاتن، لكنها دار عمل حثيث لا بد منه، من حيث الاهتمام والمسؤولية، وعدم التفريط فيه، فيما يخص الجزاء على الأعمال، والعواقب يوم القيامة .

٤- إشارة : جاء في الآية (٣٧) قوله تعالى : ﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكْكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾ . المال أكبر الكواشف عما في النفوس، ومكنون الصدور، حين يبخل الإنسان عن الإنفاق، فينكشف زيف إيمانه من تقواه .

٥- لطيفة : جاء في الآية (٣٨) قوله تعالى : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ﴾ . مبدأ الاستبدال ممكن في الحياة الدنيا، في كل شيء، لا ثبات إلا على الحق المبين، وما سوى ذلك، فيمكن إبداله بما هو خير منه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين آمنوا . الذين كفروا : سبق الإيضاح .

٢- الرسول : سبق الإيضاح .

جزء الأحقاف : السادس والعشرون :

(١٣) سورة الفتح

- مدنية بالإجماع .
- آياتها (٢٩) آية باتفاق .
- كلماتها (٥٦٠) كلمة . وحروفها (٢٤٣٨) حرفاً .
- ترتيبها في النزول (١١٢) . نزلت بعد سورة الصف .
- رقمها في المصحف الشريف (٤٨) .
- سميت بـــ (الفتح) لحديثها عن الفتح .
- محور حديث السورة الكريمة : البشارة بالفتح المبين وانتشار دين الله تعالى .
- مجمل موضوعاتها : (٧) موضوعات : البشارة بفتح مكة المكرمة قبل وقوعه، بيان مآل المؤمنين والكافرين، الحديث عن بيعة الرضوان، وعن المخلفين عن القتال، والوعد لأصحاب البيعة بالنصر، وعن فتح مكة المكرمة العظيم، والحديث عن بعض صفات الصحابة الكرام عليهم كامل الرضوان .
- ذكر نون العظمة في السورة الكريمة (٧) مرات .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بترغيب وترهيب) : استفتح سبحانه هذه السورة الكريمة ببيان مهم، أشاع به نور دين الإسلام، بفتح مبين ترتبت عليه أموراً مهمة، أبان بها عز وجل الحق ظاهراً جلياً وأطفأ بها كافة صور الكفر والشرك والشر والباطل، فتكامل بذلك أمر الإسلام وعلا شأنه، ونال ﷺ منزلة عليا بغفران سائر ذنوبه، وبتمام النعمة عليه بالتمكين في الأرض والظفر لما سيستقبل، وبهدايته إلى إكمال منهج الحق القويم،

وبنصره على أعدائه نصراً مؤزراً ظهرت علامات بركته على المؤمنين، الذين ربط جل وعلا على قلوبهم بالطمأنينة والثبات على الحق، ليزدادوا به إيماناً ويقيناً، الذي له جنود السموات والأرض، وهو العليم بشؤون خلقه، الحكيم في تدبيره، قد رضي عن أهل الإيمان وأدخلهم الجنات، تجري من تحت قصورهم الأنهار العظيمات، بعد أن كفَّر عن سيئاتهم، وكفى بذلك فوزاً عظيماً، أما أهل النفاق والشرك ممن ظنوا به ظن سوء، فقد جوزوا به، واستحقوا سخطه عز وجل فطردهم من دائرة رحمته، فلهم جهنم يصلونها وبئس المصير، سبحانه قادر مقتدر، له جنود السموات والأرض، وهو العزيز في ملكه، الحكيم في تصريفه وقضائه وقدره .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- فتحاً مبيناً : صلح الحديبية الذي ترتب عليه لاحقاً فتح مكة العظيم وأمور أخرى كلها خير .
- السكينة : الثبات والطمأنينة .
- دائرة السوء : عاقبة الحوادث، من هزيمة وخسران ووبال وعذاب .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- انتشار دعوة الإسلام الصادقة، وتغلبه على سائر أعدائه الكفار المناوئين له، من مشركي قريش وقبائل العرب، واليهود، بفتح مكة المكرمة

العظيم، ودخولها ضمن دائرة الإسلام وتطهير البيت العتيق، من رجس الأوثان والجاهلية العمياء .

٢- بتمام ذلك الأمر، غفر الله عز وجل لرسوله الكريم ﷺ ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأتم نعمته عليه بتحقق وعده وإعلاء كلمته، ونصرته وجنده المؤمنين، النصر العزيز الذي لا هزيمة فيه أو بعده أبداً، والهداية إلى منهجه القويم والثبات عليه .

٣- تأييد المولى جل وعلا عباده المؤمنين، وهدايتهم بالربط على قلوبهم بالطمأنينة، لتزداد إيماناً، وثباتاً على الحق، فالإيمان ليس شيئاً ثابتاً في القلب، وإنما يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ويضعف بالغفلة، ويقوى بالذكر ونزول السكينة على أصحابه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يقعد قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده**)[مسلم] .

٤- لله جلت عظمته جنود السموات والأرض، لا يحصيهم إلا هو، يسلطهم على من شاء متى شاء كيفما شاء، سبحانه هو العليم بكل شيء من أمور خلقه وكونه، العزيز في ملكه لا يغلب، الحكيم في قضائه وقدره وتصريفه وتدبيره .

٥- تفضله تبارك وتعالى بإدخال عباده المؤمنين الجنة دار النعيم، تجري من تحت قصورهم الأنهار العظيمة، خالدين فيها، قد كفر سيئاتهم ورضي عنهم، وذلك ولا ريب هو الفوز العظيم .

٦- مجازاته جل جلاله بإدخال المشركين والمنافقين النار دار الهوان، جزاء ظنهم السيء بربهم الكريم، فدارت عليهم بكفرهم وسوء ظنهم عواقب الأمور، وسخط ربهم عليهم وأخرجهم من دائرة رحمته الواسعة، وأعد لهم النار يصلونها وبئس المصير .

٧- ورد في الآيات الكريمات ذكر (لام) التعليل (٣) مرات، ترتب عليها ذكر (٨) جمل، أصيلة ومتفرعة عنها .

٨- النون في قوله تعالى (إنا فتحنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارات : جاء في الآية (١) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ ﴾ . جاء لفظ الآية بصيغة المخاطب المفرد بقوله : (فتحنا لك) وليس (لكم) للمؤمنين، ليدل على أن الفتح تحقق لدعوة الحق فعلاً، التي قام بها سيد الخلق ﷺ، بغض النظر عن أشخاصه الناصرين له، الذين وإن قصروا أو تقاعسوا في النهوض عن القيام بمهام تبليغ الدعوة للعالم أجمع، فسيبقى الفتح المبين قائماً وإلى قيام الساعة، بشيوع رسالته ﷺ وذيوع دعوته عبر الآفاق، فالدين دين الله جل ربنا في علاه، وقد تكفل بنشره وحفظه وانتشاره عبر أصقاع الأرض وأقطارها .

٢- لطائف : جاء في الآية (٢) قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ . مغفرة كافة ذنوبه ﷺ ما تقدم منها وما تأخر، دليل على تشريفه، وأنه قد بلغ منزلة الكمال البشري، باستقامته على منهج ربه في كل أحواله، كما يحب ربنا ويرضى وعلى الوجه المطلوب، فكان خير البرية . وأخرى تمام النعمة بتذليل كل ما هو صعب مما كان منغلقاً قبل ذلك، وبالفعل ترتب على صلح الحديبية أموراً كثيرة كلها خير كبير، فأول الأمر صار للإسلام دولة ذات كيان تفاوض على مصالحها، وفتحت خيبر بعد ذلك بقليل، وغنم منها المسلمون غنائم كثيرة، وتوادع ﷺ مع قريش مما هيأ له إرسال البعوث فدخل الناس في دين الله تعالى أفواجاً، وفتحت مكة المكرمة وطهرت من رجس الأوثان، وشاع بذلك نور الإسلام في كل أرجاء الجزيرة العربية وخارجها، كل تلك نِعَم كبرى تمت بعد الصلح .

٣- إشارة : جاء في الآية (٣) قوله تعالى : ﴿ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ﴾ . جاء لفظ الآية بصيغة المخاطب المفرد بقوله : (وينصرك) وليس (وينصركم) للمؤمنين، ليدل على تحقق نصرته ﷺ دائماً وأبداً، ولو انهزم المسلمون لتقصيرهم في التمسك بدينهم، فستبقى راية الإسلام عالية، ومنهجه قائماً، لا قدرة لأحد على استئصاله، أو الذهاب بهيبته، أو كسر شوكته أبداً .

٤- إشارة ولطيفة : جاء في الآيات (٥-٦) قوله تعالى : ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ . كان يكفي إيراد الذكور دون الإناث، ولكن جاء اللفظ بذكر الجنسين معاً، ليؤكد استغراق الحكم وشموليته للجميع لا ينفك منهم أحد، بقوله (المؤمنين والمؤمنات)، وقوله (المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) . ولطيفة جملة (دائرة السوء)، دالة على أن الأيام ليست حالاً واحداً، وإنما أحوال تعقبها أحوال، ليوطن الإنسان نفسه على ذلك إذن، فالدنيا دار تقلبات وأغيار .

٥- إشارة : جاء في الآية (٤) قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ﴾ . ذيلت هذه الآية الكريمة بقوله : (عليماً حكيماً)، وجاء في الآية (٧) قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ﴾ . وذيلت بقوله : (عزيزاً حكيماً)، فأظهرت الآيتان أن الذي له جنود السموات والأرض، من أوصافه أنه

عليم بكل شيء، عزيز على كل شيء، حكيم في كل شيء، فلا قدرة لأحد على الخروج؛ عمن كان هذا شأنه، جل جلال ربنا العظيم وتقدست أسماؤه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المؤمنين . المؤمنات . جنود : سبق الإيضاح .

٢- المنافقين والمنافقات : جمع منافق ومنافقة، والنفاق هو إظهار الشخص خلاف ما يبطن، ويراد به هنا كل من أظهر الإسلام وأبطن الكفر .

٣- المشركين والمشركات : جمع مشرك ومشركة، والشرك هو اتخاذ ند أو نظير لله تعالى في العبادة والطاعة، وصرف العبادة كلها أو بعضها لذلك الشريك، الذي لا يستحق منها شيئاً .

﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٨﴾ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ فَمَن
نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيۡهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤۡتِيهِ
أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلۡمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ
أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي

قُلُوبِهِمۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَاۚ بَلۡ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٤﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بترغيب وترهيب) : انتقل سياق الحديث إلى المؤمنين، مبيناً سبحانه أنه قد أرسل رسول الهدى ﷺ، شاهداً على أمته بالبلاغ، ومبشراً بالجنة من آمن به وصدق وعده، ومنذراً من النار من عصاه وأعرض عن منهجه، فآمنوا يا هؤلاء بربكم، وانصروا دينه ونبيه، وعظموا أمرهما وسبحوا ربكم آناء الليل وأطراف النهار، وصدقوا رسوله الكريم ﷺ المبايع عن ربه عز وجل، الذي يده فوق أيديكم يمضي البيعة ويباركها، فمن نقضها فضرره على نفسه، ومن ثبت على البيعة فله الأجر العظيم في الجنة، أما أولئك البدو ساكني أطراف المدينة المنورة، الذين تخلفوا عن السير معه ﷺ إلى مكة المكرمة، ثم جاءوا يعتذرون طالبين الاستغفار لهم، قائلين ما منعنا من الصحبة إلا رعاية مصالحنا، فقد كذبوا

فما انطوت عليه سرائرهم خلاف ما يظهرون، قل لهم يا رسولنا الكريم قد علم الله سبحانه ما في نفوسكم، أما أنا فلا أملك لكم منه شيئاً، إن أراد بكم الخير أو الشر، وما حقيقة أمركم إلا سوء المعتقد بربكم الكريم، ظانين عدم نصرته لجنده وأوليائه، متصورين هلاكهم جميعاً وعدم رجوعهم إلى أهليهم، فأنتم الهالكون بسوء ظنكم ذاك أيها الكافرون، ويل لكم من عذاب السعير، يوم تقفون بين يدي من له ملك السموات والأرض، فيغفر لمن شاء بإدخاله الجنة وهم عباده المؤمنون، ويعذب من شاء بإدخاله النار وهم عبيده الكافرون، سبحانه غفور لخلقه ذنوبهم، رحيم بهم في كل أحوالهم وشؤون حياتهم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- تعزروه : تنصروا الله سبحانه وتعالى، بنصرة دينه الحق، ومؤازرة رسوله المبعوث بالصدق .
- توقروه : تعظموه وتقدسوه جل ربنا في علاه، هو ورسوله الكريم ﷺ بتأييده وموافقته .
- نكث : نقض بيعته، وترك العمل بها .
- أوفى : أتم في عطائه، وأكمل في هبته .
- قوماً بوراً : هلكى لا خير فيهم ولا لهم .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- إثبات رسالته ﷺ، وأنه قد بعث مبشراً بالجنة، ومنذراً من النار، وشاهداً على أمته بالبلاغ .

٢- إثبات أن رسالته ﷺ المقصد العام منها، تحقيق الإيمان بالله تعالى، وبرسوله الكريم الداعي إلى ربه العظيم، ونصرهما، وتعظيمهما، وتسبيح ربنا الكريم آناء الليل وأطراف النهار .

٣- مبايعة النبي الأكرم ﷺ للمؤمنين، في حقيقتها مبايعة لله تعالى فهو المفوض عن ربه في ذلك، يد الله فوق الجميع، يبارك أعمالهم ويمضي صدق نواياهم . في الحديث النبوي الشريف عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : (**كنا يوم الحديبية ألفاً وأربع مائة، فبايعناه ﷺ وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، وقال : بايعناه على أن لا نفر، ولم نبايعه على الموت**)[مسلم] .

٤- نقض العهد ونكث البيعة بعد إمضائها، خسران كبير لمن فعل ذلك، أما من أوفى بيعته فله من الله جلت قدرته الثواب العظيم والأجر الجزيل، في الدارين .

٥- اعتذار الأعراب بأن سبب تخلفهم عن رسول الهدى ﷺ كان سببه انشغالهم بأهليهم وأموالهم، وهذا ليس العذر الحقيقي لتخلفهم عن مرافقته ﷺ ومصاحبته، يكذبون ويقولون ما ليس في قلوبهم، والله سبحانه عليم بمكنونها، سيجازيهم بحقيقة ما فيها .

٦- لا يعلم الغيب إلا الله جل جلاله، لا نبي مرسل ولا ملك مقرب مطلقاً، ولا يملك التصرف والتدبير للأمور، إلا الله جل في علاه .

٧- سوء ظن المنافقين بالله عز وجل، واعتقادهم عدم نصرته لرسوله الكريم ﷺ والمؤمنين، وظنهم هلاكهم وعدم الرجوع إلى أهليهم في المدينة المنورة، زُين لهم سوء فعلهم ذاك .

٨- ويل لم كفر بربه العظيم، وكذب رسوله الكريم، من عذاب السعير يوم القيامة .

٩- لله جل جلاله ملك السموات والأرض، يغفر ذنوب من علم صلاحه، ويعذب من علم فساده، وهو الغفور الرحيم أبداً .

١٠- النون في قوله تعالى (إنا أرسلناك، فإنا أعتدنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- لطائف : جاء في الآية (٩) قوله تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ . يكمل الإيمان الحق بربنا العظيم ورسوله الكريم ﷺ بتحقق ثلاثة أمور هي : نصرهما بالدفاع عن الدين الحق، وتعظيمهما بالانقياد للمنهج الحق،

وتسبيحه جل وعلا في كل وقت وحين، إظهاراً لمدى قبول منهجه والعمل به . وأخرى تعظيم الله سبحانه لاستحقاقه المطلق لذلك، وتعظيم رسوله الكريم ﷺ لأنه المبلغ عن ربه، المفوض منه، الواسطة بينه وبين خلقه، يجب عدم تعدي ذلك برفعه إلى مستوى الربوبية، والاستحقاق المطلق كربنا الكريم .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٠) قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ . البيعة تقتضي تسليم الروح والجسد لله سبحانه، كما أمر به عباده، وفي كل شيء تماماً، بتطبيق منهجه وتعاليم شرعه .

٣- إشارات : جاء في الآية (١١) قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ﴾ . الأهل (الزوجة والولد) والمال، هي أكبر مشغلات الإنسان في دنياه . وأخرى استغفار الرسول الأكرم ﷺ للمذنب موجب للمغفرة مباشرة، كان ذلك في حياته ﷺ، أما بعد مماته فتبقى الصلاة والسلام عليهم هي سبب المغفرة

للذنوب . في الحديث النبوي الشريف عن أبي بن كعب رضي الله تعالى عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : (**يا أيها الناس اذكروا الله اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه، قال أبي : قلت : يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال : ما شئت، قال : قلت : الربع، قال : ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت : النصف، قال : ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال : قلت : فالثلثين، قال : ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت : أجعل لك صلاتي كلها قال : إذا تكفى همك، ويغفر لك ذنبك**)[الترمذي وأحمد] . وفوق ذلك فالإكثار من الصلاة على النبي ﷺ لها فضل كبير، وهي قربة منه يوم القيامة . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة**)[الترمذي وابن أبي شيبة وابن حبان] .

٤- لطيفة : جاء في الآية (١٢) قوله تعالى : ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ﴾ . تصورات الإنسان التي في باطن عقله، تعكس قناعاته وطريقة تفكيره، وبموجب تلك التصورات يتصرف مع الآخرين من حوله بموجبها، فتنكشف للناس حقيقة مكنون قلبه، وسريرة نفسه .

٥- إشارة : جاء في الآية (١٣) قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾ . الإيمان بالله سبحانه لا يكمل إلا بالإيمان برسوله الكريم ﷺ، المبلغ عن ربه العظيم منهجه، وبمبعثه لا رسالة سماوية تقبل إلا رسالته ﷺ الباقية، وكل ما سواها منسوخ، وعليه من زعم تمسكه بديانة سابقة كاليهودية والنصرانية، ولم يؤمن بمحمد ﷺ فهو كافر لا يقبل منه إيمانه ذاك إطلاقاً . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**)[مسلم] .

۞۞۞

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- رسوله . الرسول . نفسه : سبق الإيضاح .

٢- المخلفون : جمع مُخلَّف، الذين تركوا الخروج مع رسول الهدى ﷺ إلى مكة المكرمة .

٣- الأعراب : جمع أعرابي، البدو، الذين يسكنون البادية وأطراف المدن، بخلاف الحضر سكان المدن أو الحواضر، وهم موصوفون بالغلظة والفظاظة، والمعارضة الشديدة لدعوة الحق .

٤- أهلونا : جمع أهل، سبق الإيضاح .

٥- المؤمنون : سبق الإيضاح .

٦- قوماً . الكافرين : سبق الإيضاح .

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾

- (إعلام تضمن توجيهاً ببيان) : ما زال سياق الحديث، مبيناً سبحانه موقف المخلفين، حين انطلق رسول الهدى ﷺ والمؤمنين إلى مغانم خيبر، التي وعدهم عز وجل إياها، وخصها بمن شهد الحديبية، فأراد أولئك الخروج معهم فمُنعوا لتخلفهم، يريدون أن يغيروا وعد الله تعالى، فقالوا للمؤمنين ما منعتمونا إلا حسداً لنا، قوم خبث لا علم لهم ولا دراية

بحقائق الأمور، فقل لهم يا رسولنا الكريم ستدعون عن قريب إلى قوم أشداء، إما أن يسلموا وإما أن تقاتلوهم، فإن أطعتم أمر ربكم في ذلك، فلكم الغنيمة في الدنيا والجنة في الآخرة، وإن توليتم كتوليكم سابقاً، فويل لكم من القتل والأسر في الدنيا، ومن النار في الآخرة، لا يعذر من ذلك أحد أبداً، إلا الأعمى الذي عَذَره عماه، والأعرج الذي عذره عرجه، والمريض الذي عذره مرضه، ومن يؤمن بربه العظيم ورسوله الكريم ويطعهما فيما أمرا فله الجنة يدخلها، ينعَّم فيها، تجري من تحت قصورهم الأنهار العظيمة، ومن يعرض عنهما ويتولى، فويل له من العذاب الأليم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- ذرونا نتبعكم : اتركونا نخرج معكم .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١- حرص المخلفين على الغنائم، وليس على بلوغ رضوان الله تعالى، ولو وصل الأمر بهم إلى حد تبديل أمر الله سبحانه حتى .

٢- مَنَع المؤمنون المخلفين من اتباعهم، لأنهم خالفوا أمر ربهم عز وجل أولاً، فحرموا الغنائم بسبب ذلك التخلف . في الحديث النبوي الشريف عن مجمع بن جارية رضي الله تعالى عنه قال : (**قسمت خيبر على أهل الحديبية، لم يدخل معهم فيها أحداً إلا من شهد الحديبية، فقسمها**

رسول الله ﷺ على ثمانية عشر سهماً، وكان الجيش ألفاً وخمس مائة، فيهم ثلاث مائة فارس، فأعطى الفارس سهمين، وأعطى الراجل سهماً)[أبو داود وأحمد] .

٣- خبث المنافقين، لرميهم المؤمنين بالحسد لهم، لمنعهم من اتباعهم للظفر بالغنائم .

٤- إخباره ﷺ المخلفين من الأعراب، بلقاء قوم أقوياء أشداء، فاستعدوا لقتالهم إن لم يسلموا، وأطيعوا ربكم خيراً لكم، وإن توليتم كسابق أمركم، فلكم العذاب الأليم .

٥- لا حرج على أصحاب الأعذار، كالأعمى والأعرج والمريض، ومن كان في حكمهم .

٦- طاعة الله جل جلاله ورسوله الكريم ﷺ توجب الفوز بالجنة والظفر بنعيمها المقيم، وويل لمن تولى وكفر وكذب وأعرض واعترض .

اللطائف والإشارات :

١- لطيفة وإشارة : جاء في الآية (١٥) قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

. حرص كثير من الناس، على لذة الدنيا العاجلة، ولو كان في ذلك غضب الله جل وعلا . وإشارة الإنسان بطبعه لجوج، يرد عن نفسه التهمة والسقطة، ولو كان هو المخطئ فعلاً وواقعاً .

٢- لطيفة : جاء في الآية (١٦) قوله تعالى : ﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ﴾ . جملة (تقاتلونهم أو يسلمون)، دالة على أن المقصد العام من الجهاد في سبيله عز وجل، هو إعلاء كلمته سبحانه العليا، وليس إزهاق الأرواح لمجرد القتل وحسب . في الحديث النبوي الشريف عن بريدة رضي الله تعالى عنه قال : (**كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميراً على جيش، أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال : اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال، فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على**

المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله، وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله، ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا)[مسلم] .

٣- لطيفة : جاء في الآية (١٧) قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ .

يرفع الحرج عن المعذور فعلاً، متى حقق إيمانه بربه العظيم ورسوله الكريم، وأطاعهما كما ينبغي، وليس من تذرَّع بعذره وهو مفرط في الطاعة حقيقة .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المخلفون . الأعراب . قوم . الأعمى : سبق الإيضاح

٢- الأعرج : من كان في إحدى رجليه قصور عن الأخرى، تجعل مشيته غير معتادة .

٣- المريض : السقيم المعتل المتألم، الذي بجسمه خلل أخرجه عن الحالة الاعتيادية .

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾

– (بيان تضمن توجيهاً بإعلام) : عاد السياق إلى الحديث عن المؤمنين، مبشراً سبحانه بحلول رضاه على من شهد بيعة الرضوان تحت الشجرة، قد علم صدق ما في قلوبهم، فتغشتهم الطمأنينة، ووعدهم الفتح القريب ومغانم كثيرة يظفرون بها، وهو العزيز لا غالب له، الحكيم فيما قضى وقدر، ومغانم أخرى عن قريب سيظفرون بها غير الذي عجِّلت لهم، فضلاً عن أنه عصم دماءهم بالصلح الذي تم مع أعدائهم، كل تلك علامات على نصرهم وتمكينهم في الأرض، وثباتاً لهم على صراطه المستقيم، ووعدهم أيضاً مغانم لم يقدروا عليها وقتئذ سيمكنهم منها في حينه، سبحانه هو القادر على كل شيء لا راد لما أراد، ولو أن الصلح لم يتم وقاتلهم كفار قريش لفروا من أمامهم لا نصير لهم ولا معين، سنة الله عز وجل في خلقه باقية مستمرة لا تبديل لها؛ أن النصر لأوليائه وجنده في كل زمان ومكان، قد حفظ رسوله الكريم ﷺ لما حاول بعض الكفار غرَّته أثناء الصلح، فأمكن منهم ثم عاد وتركهم، فكف أيدي بعضهم عن بعض و لم يقع القتال وتم الصلح، سبحانه لا تخفى عليه خافية، يقدِّر لخلقه ما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، وإن جهلوا ذلك وتنكروا له .

غريب الكلمات :

– سنة الله : طريقته في نصرة أوليائه، وخذلان أعدائه .

– كف أيديهم : منعكم منهم، فلم يقاتلوكم و لم تقاتلوهم .

- أظفركم عليهم : أقدركم عليهم، فقبضتموهم .

توجيهات الآيات :

١- سبب بيعة الرضوان وصول رسول الهدى ﷺ إلى مكة المكرمة لأداء شعيرة العمرة هو والمؤمنين معه، فصدته قريش عن ذلك في موقع يدعى الحديبية، فأرسل عثمان رضي الله تعالى عنه يفاوض على دخول مكة، فكانت البيعة . في الحديث النبوي الشريف عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال : (**كانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى : هذه يد عثمان، فضرب بها على يده، فقال : هذه لعثمان**)[البخاري] .

٢- حلول رضوان الله تعالى على من بايع بيعة الرضوان، من الصحابة الكرام رضوان الله تعالى عنهم، والأجر العظيم الذي أدركهم . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**لا يدخل النار إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها**)[مسلم] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر أن عبداً لحاطب بن أبي بلتعة رضي الله تعالى عنه جاء رسول الله ﷺ يشكو حاطباً فقال : يا رسول الله ليدخلن حاطب النار، فقال رسول الله ﷺ : (**كذبت لا يدخلها، فإنه شهد بدراً والحديبية**)[مسلم] . وفي رواية قوله ﷺ : (**إني لأرجو ألا يدخل النار أحد، إن شاء الله تعالى ممن شهد بدراً، والحديبية**)[ابن ماجة والطبراني في الكبير] .

٣- نزول السكينة على المؤمنين، لأنهم صدقوا الله تعالى فصدقهم، ووعدهم الفتح القريب، وهو فتح مكة المكرمة المبين . في الحديث النبوي الشريف عن البراء رضي الله تعالى عنه قال : (**تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية**)[البخاري] .

٤- وهبهم عز وجل مغانم كثيرة ومتعددة، منها العاجلة (فتح خيبر) فتمت بمجرد رجوعهم إلى المدينة المنورة، ومنها الآجلة (فتح مكة المكرمة) فكانت بعد مدة ليست ببعيدة من الصلح، ومنها مغانم لاحقة فيما بعد، مما سيغنموه من الفتوحات الإسلامية بعد التحاقه ﷺ بالرفيق الأعلى . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**قد مات كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**)[متفق عليه] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر قوله ﷺ : (**إن الله تعالى زوى لي الأرض، حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأعطاني الكنزين الأحمر والأبيض**)[مسلم . زوى : جمعها فرأيت أطرافها] . وفي الحديث النبوي الشريف الآخر عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنهما قال : (**أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال : وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاول، قال : فشكوها إلى رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، قال : وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ**

المعول فقال : بسم الله، فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال : بسم الله، وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال : بسم الله، وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)[أحمد وابن أبي شيبة وأبو يعلى] .

٥- حصول صلح الحديبية مع قريش، وما تحقق به من مغانم كثيرة باردة من غير قتال، وما تحقق من مصالح عامة لهم، منها إرسال البعوث للملوك، ومنها دخول الناس في الإسلام أفواجاً . في الأثر : (انصرف رسول الله ﷺ راجعاً، فلما أن كان بين مكة والمدينة نزلت عليه سورة الفتح من أولها إلى آخرها ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾، فكانت القضية في سورة الفتح وما ذكر الله من بيعة رسوله تحت الشجرة، فلما أمن الناس وتفاوضوا لم يُكلم أحد بالإسلام إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين في الإسلام أكثر مما كان فيه قبل ذلك، وكان صلح الحديبية فتحاً عظيماً)[البيهقي في الكبرى والصغير] .

٦- هدايته سبحانه لعباده المؤمنين الصادقين، وتوفيقهم لما فيه مصلحتهم ومنفعتهم، وإن كان ظاهر الأمر خلاف ذلك . في الحديث النبوي

الشريف عن سهل بن حنيف رضي الله تعالى عنه قال : (**لقد كنا مع رسول الله ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، وذلك في الصلح الذي كان بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، فجاء عمر بن الخطاب، فأتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله، ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : بلى، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى، قال : ففيم نعطي الدنية في ديننا، ونرجع، ولما يحكم الله بيننا وبينهم، فقال : يا ابن الخطاب إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً، قال : فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر، فقال : يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال : بلى، قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى، قال : فعلام نعطي الدنية في ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيعه الله أبداً، قال : فنزل القرآن على رسول الله ﷺ بالفتح، فأرسل إلى عمر، فأقرأه إياه، فقال : يا رسول الله، أو فتح هو ؟ قال : نعم، فطابت نفسه ورجع**)[متفق عليه . نعطي الدنية : نقبل بشروط كلها ضعف، ونرج دون أن نعتمر] .

٧- نصرته جل وعلا عباده المؤمنين، وتأييدهم بالنصر، فلو قاتلهم الكفار لانهزموا فارين، إذ لا ناصر لهم ولا معين، سنة الله جل جلاله في خلقه أن العاقبة للمتقين .

٨- كفايته عز وجل عباده المؤمنين القتال، بكف أيدي الفريقين عن بعض بعضاً، وهم ببطن مكة المكرمة، من بعد أن ظفر المؤمنون بالكفار . في الحديث النبوي الشريف عن أنس رضي الله تعالى عنه قال : (**أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غِرَّة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل** : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾)[مسلم . استحياهم : عفا عنهم وتركهم أحياء] .

٩- علم الله جل شأنه كل شيء، فهو البصير بكل شيء، سبحانه لا تخفى عليه خافية .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطيفة : جاء في الآية (١٨) قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ . سرعة الامتثال لأمر الله تعالى بالبيعة أفضت إلى حلول رضوانه سبحانه عليهم، ونزول السكينة، والوعد بالفتح القريب . ولطيفة المبادرة للشيء تهيء الظفر به غالباً .

٢- إشارة : جاء في الآيات (١٩-٢١) قوله تعالى : ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ . تعدد ذكر الغنائم في الآيات الكريمات، ليطيِّب سبحانه بذلك خواطر المؤمنين، حين منعوا من أداء شعيرة العمرة آنذاك، وهم بالقرب من الحرم الشريف وقد جاءوا من مسافة بعيدة، وليستبشروا بما قد كتب لهم من بعد ذلك المنع، من خير كبير كثير ينتظرهم، فكم من مانع جرَّ هبات شتى من بعده على الإنسان، والعكس صحيح أيضاً، فكم من عطاءات جرَّت منعاً من بعدها على الإنسان .

٣- إشارة : جاء في الآيات (٢٢-٢٣) قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ . تأييد المولى تبارك وتعالى جنده المؤمنين، حال مجاهدتهم العدو، الذي ما كان له أن ينتصر عليهم أبداً، متى استمسكوا بالمنهج الحق على الوجه المطلوب، حكماً

ثابتاً من ربنا العظيم جل جلاله، ووعداً لعبادة المؤمنين، ما كان له أن يتبدل مطلقاً .

٤- إشارة : جاء في الآية (٢٤) قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ . جملة (بطن مكة)، دالة على أن حدثاً ما؛ تم بمكة المكرمة وليس بالحديبية، وهو ما كان من شأن الأعراب الذي باغتوا رسول الهدى ﷺ على حين غِرَّة، في (التنعيم) شمال مكة المكرمة، فأمكنه الله جل شأنه منهم .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- المؤمنين . الناس . الذين كفروا : سبق الإيضاح .

٢- تحت الشجرة : تمت البيعة تحت شجرة (سمر)، وسميت ببيعة الرضوان، من العام السادس للهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، في مكان يدعى الحديبية، يبعد عن الحرم المكي الشريف مسافة (٢٤) كيلو، ويبعد عن حد الحرم مسافة (٢) كيلو فقط، ويسمى اليوم (الشميسي) من طريق مكة القديم المتجه إلى جدة، ويوجد حالياً مكانها مسجد مشهود، وفي خلافة عمر رضي الله تعالى عنه تم قطع تلك الشجرة، خشية أن تُعبد من دون الله تعالى .

٣- مكة : أم القرى، ومهبط الوحي، حيث البيت العتيق، والكعبة المشركة أول بيت وضع للناس .

﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾

– (إعلام تضمن بياناً بتوجيه) : ما زال الحديث موصولاً، مبيناً سبحانه موقف كفار قريش من المؤمنين، حين منعوهم عن دخول البيت العتيق لأداء العمرة، ومنعوا الهدي أن يبلغ الحرم لنحره نسكاً، وتلك رحمة من الله تعالى أن مُنعوا وقتئذ، لوجود مستضعفين في مكة المكرمة رجالاً ونساءً، لا يعلم المؤمنون بأمرهم ولا تعرفونهم، فلو أنهم دخلوا عليهم عنوة لربما وقعوا قتلى وأسرى، ولوقع المؤمنون حينها في حرج ومسُبَّة ومشقة بقتلهم من هم على دينهم، بغير علم منهم، فرحمهم وكف أيديهم، ليدخلهم جل شأنه في رحمته بعد أن كانوا في حكم الأسرى، ولو أنهم تميزوا فعُرف الكافر من المؤمن، لعذبنا الكافرين منهم بالقتل أو الأسر، وهم أصحاب الأنفة المذمومة والجاهلية العمياء، حين خافوا أن تعيِّرهم العرب إن دخل عليهم المؤمنون مكة المكرمة بالقوة، فرفضوا دخولها، وألقى الله على قلوب المؤمنين الطمأنينة والتؤدة و لم يستفزهم فعل الكفار ذاك، والتزموا بمنهج كلمة لا إله إلا الله محمداً رسول الله، المقتضية تعظيم الحرم وعدم المقاتلة فيه وانتهاك الحرمات، وكانوا أهلاً لذلك حقاً، مستمسكين بها صدقاً، والله سبحانه العليم بكل ذلك، فصدق رسوله الكريم ﷺ بتحقيق رؤيته التي رأى في منامه وأخبر بها صحبه الكرام، بدخول الحرم إن شاء الله تعالى، منهم المحلقون لرؤوسهم ومنهم المقصرون، آمنين على أنفسهم، فكان ذلك بعد عام من الصلح، الذي ترتبت عليه مصالح عظيمة ومكاسب عديدة، كان أحدها فتح مكة

المكرمة القريب، وعد حق من ربكم العظيم، الذي أرسل رسوله الكريم ﷺ بالدين الحق ليشع في أقطار الأرض مهيمناً على ما سواه من أديان ومعتقدات أخرى، فآمنوا وصدقوا فقد شهد ربكم على تحقق ذلك لا مخلف له، وكفى به شهيداً، سبحانه وبحمده .

۞۞۞

غريب الكلمات :

– الهدي معكوفاً : البُدن والأنعام التي سيقت لإتمام النسك، محبوسة لتقديمها قرابين .

– أن يبلغ محله : مكان النحر في الحرم .

– أن تطؤهم : تهلكوهم إن حاربتم الكفار، لعدم علمكم بهم .

– معرة بغير علم : حرج مسُبَّة وعيب ومنقصة وخطأ ومغرم .

– لو تزيلوا : لو تميزوا، فأمكن التفريق بين المسلمين منهم والكفار .

– الحمية : الأنفة والعزة والشموخ .

– حمية الجاهلية : أنفة الكفر ومعزته المذمومة، لأنها في الباطل والشر ومعاداة الحق وأهله .

۞۞۞

توجيهات الآيات :

١– رد الكفار للمؤمنين ومنعهم من دخول المسجد الحرام لأداء شعيرة العمرة، وقد ساقوا الهدي، بما يؤكد حرصهم على أداء المناسك ولا رغبة

لهم في القتال مطلقاً، ومع ذلك منعوا من دخول الحرم الآمن، لكن ذلك عاد عليهم بنفع كبير .

٢- رحمة الله تعالى بالمؤمنين أن ربط على قلوبهم، حين منعهم الكفار عن الدخول فلم يقابلوا فعلهم ذلك بالمثل ويحدثوا قتالاً، لوجود رجال ونساء مؤمنين مستضعفين، فلو أنهم اقتحموا المسجد الحرام عليهم لربما وقع أولئك المستضعفون في القتل أو الأسر، وهم لا يعلمون بأمرهم، إذ لم يتميز المؤمن من الكافر، ولو أن ذلك حصل لوقعت مسُبَّة في حقهم بقتلهم مؤمنين أمثالهم .

٣- لا نجاة للكفار من العذاب الأليم، جزاء كفرهم وصدهم المؤمنين عن بيت الله الحرام .

٤- تحرك حمية الجاهلية في صدور الكفار، حملهم على منع المؤمنين من الدخول عليهم ذلك العام، فردوهم وحصل بينهم صلح الحديبية، وتلك مصلحة تحققت للمؤمنين فعلاً وواقعاً .

٥- التزام رسول الهدى ﷺ والمؤمنين معه بالمنهج الحق، ومقتضيات كلمة التقوى (لا إله إلا الله محمداً رسول الله)، بتعظيمهم البيت العتيق وعدم انتهاك حرماته، وترك القتال فيه، فكانوا بحق أهلاً لتلك الكلمة، مؤمنين صدقاً، حماة عن الدين ومقدساته حقاً .

٦- لله جلت عظمته الأمر كله، من قبل ومن بعد، سبحانه لا تخفى عليه خافية، ولا راد لما أراد، له حكم شتى في كل ما قضى وقدر .

٧- تحقق رؤيا رسول الهدى ﷺ بدخول البيت الحرام لأداء شعيرة العمرة، وهم آمنون على أنفسهم، محلقين رؤوسهم ومقصرين، فكان ذلك في عمرة القضاء، من العام التالي لصلح الحديبية، ورؤيا الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام حق، تتحقق كفلق الصبح لا تتخلف .

٨- هيأ صلح الحديبية الذي كان في السنة السادسة من الهجرة، لفتح مكة المكرمة المبين، بما ترتب عليه من أحداث أفضت إلى الفتح في العام الثامن من الهجرة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، ليدل على أن الأمور بيد الله تعالى يقلبها كيف يشاء، بقدرته يحول الضعف إلى قوة، والهزيمة إلى نصر، والانكسار إلى شوكة وعزيمة .

٩- الهدف الأسمى والمقصد الرئيس من بعثته ﷺ، إرساله بالهدى العام والدين التام، والرسالة الخاتمة، المهيمنة على كافة الرسالات السماوية السابقة، قضاء الله عز وجل الذي حكم به وشهد عليه .

١٠- النون في قوله تعالى (لعذبنا) للتعظيم، وإلا فالأمر كله لله سبحانه وحده، وإن كانت مباشرة الفعل من الملائكة الكرام عليهم السلام .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة : جاء في الآية (٢٥) قوله تعالى : ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ وَلَوْلَا

رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾ . المصلحة والمنفعة لها وقت تكون فيه أنسب ما تكون، مما ينبغي عدم الاستعجال في طلب تحصيلها، بحسب تقديرات الإنسان، وترك الأمور بيد الله جل شأنه، وتدبيره الحكيم، وتصريفه القدير .

٢- لطائف : جاء في الآية (٢٦) قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ ﴾ . الحمية في الخير مطلوبة حين يدافع الإنسان عن دينه وقيمه ومبادئه، لكنها في الشر منبوذة، حين تكون في العنصرية والنعرات والتحزُّب واحتقار الآخرين . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية**)[أبو داود والبيهقي في الآداب] . وفي رواية لما سئل ﷺ : (**يا رسول الله أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ قال : لا، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم**)[ابن ماجة وأحمد والبخاري في الأدب المفرد] . وأخرى

الأحق بالشيء أهلٌ له وللظفر به، ومن لا فلا، حكمة بالغة لمن وعى وفي أمره تفكر .

٣- إشارة : جاء في الآية (٢٧) قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ . الأمن والأمان مهم في حياة البشر، لا تكتمل النعم إلا به . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا**)[الترمذي وابن ماجة] .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- الذين كفروا . المؤمنين : سبق الإيضاح .

٢- رسوله : سبق الإيضاح .

٣- رجال مؤمنين . نساء مؤمنات . أهلها : سبق الإيضاح .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ

فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

– (إعلام تضمن بياناً بتوجيه) : ختمت السورة الكريمة، بوصف للصحب الكرام رضوان الله تعالى عنهم، بادئاً جل وعلا بإثبات مبعث رسوله الخاتم، محمد ﷺ الذي يعرفونه لا يجهله منهم أحد، أما صحبه الكرام فهم قوم غلاظ على الكفار، ذوو صلابة في تعاملهم معهم، لكنهم متوادون فيما بينهم متعاطفون، تجدهم دوماً راكعين ساجدين، يطلبون رضوان الله سبحانه وثوابه، تعلو وجوههم علامات الهداية والسمت والوقار والهيبة وآثار السجود وأنواره، أوصاف ذكرت في القرآن الكريم، وذكرت في التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام أيضاً، أما أوصافهم في الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام، فشأنهم كنبات خرج فرعه منه، ثم صار مع الوقت قوياً غليظاً كفاية، فاستقام على أعواده، يقوي بعضه بعضاً، يعجب كل من نظر إليه من المزارعين، هذا هو شأن المؤمنين في تعاونهم وتكاتفهم في كل الأحوال، كشأن ذلك الزرع تماماً، متماسكون فيما بينهم تغضب قوتهم الكفار وتزعجهم، وعد الله جل جلاله الذين آمنوا وعملوا الصالحات من أولئك الصحب الكرام، مغفرة ذنوبهم فلا يؤاخذون بها، وثواباً عظيماً في الجنة، دار الرضوان والنعيم والمقيم .

۞۞۞

غريب الكلمات :

- سيماهم : علامات الوجه، الظاهرة عليهم .
- أخرج شطأه : أخرج ساقه، وفرعه منه .
- فآزره : قوَّاه وثبته .
- فاستغلظ فاستوى : غلُظ واستقام .
- على سوقه : على سيقانه .
- يعجب الزراع : المزارعين الذي زرعوه .

توجيهات الآيات :

١- ثبوت أن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب، الذي تعرفه قريش بهذا الاسم هو رسول الله جل جلاله إلى خلقه، بمنهجه الحق ورسالته الخاتمة الخالدة الباقية .

٢- ورد في الآية الكريمة (٥) صفات للمؤمنين الصادقين، وهي : الأولى أنهم شديدون على الكفار لكفرهم وإعراضهم عن الحق، والثانية رحيمون فيما بينهم، والثالثة كثيروا العبادة ركوعاً وسجوداً، والرابعة يطلبون فضل ربهم ورضوانه، والخامسة على وجوههم علامات الصلاة والصلاح والتقوى .

٣- ورود صفات المؤمنين تلك، المذكورة في القرآن الكريم، في التوراة المنزلة على موسى عليه السلام أيضاً .

٤- ورود صفات أخرى في الإنجيل، تختلف عما ورد في القرآن الكريم وفي التوراة، تصف تعاونهم وتكاتفهم فيما بينهم، بزرعة نبتت ضعيفة ثم أشتد ساقها حتى قويت، واستقامت بذاتها .

٥- ثبوت ورود صفات المؤمنين في الكتب الثلاثة : التوراة والإنجيل والقرآن الكريم، دليل على أن الصلاح مطلوب في كل الرسالات السماوية السابقة .

٦- حنق الكفار على المؤمنين، حين يرون قوتهم، وتماسكهم فيما بينهم على الحق .

٧- وعده سبحانه وتعالى عباده المؤمنين الصادقين مغفرة ذنوبهم، وثواباً عظيماً في الجنة .

٨- الإيمان الصادق والعمل الصالح هما رأس مال المسلم، ولا نجاة ولا فوز ولا فلاح بلا إيمان صادق، ولا إيمان صادق يتحقق بلا عمل صالح يصدقه، يكون موافقاً للشرع المطهر، بلا زيادة فيه أو نقصان منه . في الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ : (**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**)[متفق عليه] .

٩- قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴿٢٩﴾ ﴾ . هذه هي الآية الكريمة الرابعة، التي ورد فيها ذكر اسمه الشريف ﷺ صريحاً، بعد آية سورة آل عمران قوله سبحانه : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴿١٤٤﴾ ﴾ . وآية سورة

الأحزاب قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

وآية سورة محمد قوله جل ذكره : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴿٢﴾ ﴾ .

اللطائف والإشارات :

١- إشارة ولطائف : جاء في الآية (٢٩) قوله تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴾ .

حال المؤمن ليس واحداً في كل وقت وحين، مع المؤمنين له حال ومع الكفار له حال، مُوجهه في تلك الأحوال إيمانه، ليس شيئاً آخر إطلاقاً . ولطيفة الشدة والغلظة التي مع الكفار دافعها إعراضهم عن الحق المبين، أما من لم يعرض منهم فالأولى في شأنه ملاطفته ومعاملته بالحسنى، استمالة لقلبه للحق . وأخرى جملة (يبتغون فضلاً) سعياً للظفر بخير الدنيا المادي،

وكلمة (رضواناً) سعياً للظفر بنعيم الجنة الأخروي . وثالثة جملة (سيماهم في وجوههم) دالة على أن الوجه مفتاح الشخصية، قد ينبئ عما بداخل صاحبه ويدل عليه .

الأزمنة والأمكنة والأعلام :

١- محمد : سبق الإيضاح .

٢- الكفار : سبق الإيضاح .

٣- الذي آمنوا : سبق الإيضاح .

تم بحمد الله تعالى

الملك العلام

المصادر والمراجع :

أولاً- كتب التفسير (٣٠) :

١- الألوسي . محمود بن عبدالله الحسيني (ت : ١٢٧٠هـ) . روح المعاني . المحقق : علي عبدالباري عطية . الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت . ط١، ١٤١٥هـ . الأجزاء : ١٦ .

٣- ابن تيمية . أحمد عبدالحليم عبدالسلام الحراني (ت : ٧٢٨هـ) . التفسير الكبير . تحقيق وتعليق : د عبدالرحمن عميرة . الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت . الأجزاء : ٧ .

٨- ابن عطية . عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت : ٥٤٢هـ) . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز . المحقق : عبدالسلام عبدالشافي محمد . الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت . ط١، ١٤٢٢هـ . الأجزاء : ٥ .

٩- ابن القيم الجوزية . محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت : ٧٥١هـ) . التفسير القيم للإمام ابن القيم . المحقق : مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان . الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت . ط١، ١٤١٠هـ .

١٠- ابن كثير . إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي (ت : ٧٧٤هـ) . تفسير القرآن العظيم . المحقق : محمد حسين شمس

الدين . الناشر : دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت . ط١، ١٤١٩هـ . الأجزاء : ٨ .

١١- أبو بكر الجزائري . جابر بن موسى بن عبد القادر . أيسر التفاسير . الناشر : مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م . الأجزاء : ٥ .

١٢- البغوي . الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت : ٥١٠هـ) . معالم التنزيل في تفسير القرآن . المحقق : عبد الرزاق المهدي . الناشر : دار إحياء التراث العربي، بيروت . ط١، ١٤٢٠هـ . الأجزاء : ٥ .

١٣- السعدي . عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله آل سعدي (ت : ١٣٧٦هـ) . تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان . المحقق : عبدالرحمن بن معلا اللويحق . الناشر : مؤسسة الرسالة . ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

١٤- السعدي . عبد الرحمن بن ناصر (ت : ١٣٧٦هـ) . تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن . الناشر : وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية . ط١، ١٤٢٢هـ .

١٥- السيوطي والمحلي . جلال الدين محمد أحمد المحلي وجلال الدين عبدالرحمن السيوطي . الجلالين . الناشر : دار الحديث، القاهرة . ط١ .

١٦- السيوطي . عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت : ٩١١هـ) . الدر المنثور . الناشر : دار الفكر، بيروت . الأجزاء : ٨ .

١٧- الشافعي . محمد بن إدريس بن العباس . (ت : ٢٠٤هـ) . تفسير الإمام الشافعي . جمع وتحقيق ودراسة : أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه) . الناشر : دار التدمرية، المملكة العربية السعودية . ط١، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م . الأجزاء : ٣ .

١٨- الشربيني . محمد بن أحمد الخطيب الشافعي (ت : ٩٧٧هـ) . السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير . الناشر : مطبعة بولاق الأميرية، القاهرة . ط١، نشر ١٢٨٥هـ . عدد الأجزاء : ٤ .

١٩- الشعراوي . محمد متولي (ت : ١٤١٨هـ) . تفسير . الناشر : مطابع أخبار اليوم . عدد الأجزاء : ٢٠ .

٢٠- الشنقيطي . محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني (ت : ١٣٩٣هـ) . أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن . الناشر : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت . نشر : ١٤١٥هـ/١٩٩٥م . الأجزاء : ٩ .

٢١- الشنقيطي . محمد محمد المختار . تفسير سورة النور . سلسلة مفرغة . الدرس السادس .

٢٢- الشوكاني . محمد بن علي بن محمد بن عبدالله (ت : ١٢٥٠هـ) . فتح القدير . الناشر : دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت . ط١، ١٤١٤هـ . الأجزاء : ٥ .

٢٣- الطاهر ابن عاشور . محمد الطاهر بن محمد بن محمد التونسي (ت : ١٣٩٣هـ) . التحرير والتنوير . الناشر : الدار التونسية للنشر، تونس . نشر : ١٩٨٤هـ . الأجزاء : ٣٠ .

٢٤- الطبري . محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (ت : ٣١٠هـ) . جامع البيان في تأويل القرآن . المحقق : أحمد محمد شاكر . الناشر : مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م . الأجزاء : ٢٤ .

٢٥- العثيمين . محمد بن صالح (ت : ١٤٢١هـ) . تفسير الفاتحة والبقرة . الناشر : دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ . الأجزاء : ٣ .

٢٦- القاسمي . محمد جمال الدين بن محمد سعيد (ت : ١٣٣٢هـ) . محاسن التأويل . المحقق : محمد باسل عيون السود . الناشر : دار الكتب العلمية، بيروت . ط١، ١٤١٨هـ . عدد الأجزاء : ٩ .

٢٧- القرطبي . محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي (ت : ٦٧١هـ) . الجامع لأحكام القرآن . تحقيق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش . الناشر : دار الكتب المصرية، القاهرة . ط٢، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م . الأجزاء : ٢٠ .

٢٨- الماوردي . علي محمد حبيب البصري . (ت : ٤٥٠هـ) . النكت والعيون في تفسير القرآن الكريم . راجعه وعلق عليه : السيد عبدالمقصود عبدالرحيم . الناشر : دار الكتب العلمية . بيروت . ط٢، ١٤٢٨هـ . عدد الأجزاء : ٦ .

٢٩- الهرري . محمد الأمين عبدالله الأرمي العلوي الشنقيطي . حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن . إشراف ومراجعة د هاشم محمد علي مهدي . الناشر : دار طوق النجاة، بيروت . عدد الأجزاء : ٣٣ .

٣٠- المختصر في تفسير القرآن العظيم . تصنيف جماعة من علماء التفسير . إعداد مركز تفسير للدارسات القرآنية . ط٣، ١٤٣٨هـ . عدد الأجزاء : ١ .

ثانياً- كتب علوم القرآن الكريم (٣٣) :

١- الأبياري . إبراهيم بن إسماعيل (ت : ١٤١٤هـ) . الموسوعة القرآنية . الناشر : مؤسسة سجل العرب . ط ١٤٠٥هـ .

٢- إسماعيل . د محمد بكر . قصص القرآن . نشر : دار المنار، مصر . ط٢، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م .

٣- ابن قاسم . عبدالرحمن بن محمد العاصمي القحطاني النجدي (ت : ١٣٩٢هـ) . حاشية مقدمة التفسير . ط٢، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

٤- ابن القيم . محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت : ٧٥١هـ) . الأمثال في القرآن . الناشر : مكتبة الصحابة، طنطا . المحقق : أبو حذيفة إبراهيم بن محمد . ط١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .

٥- أبو موسى . د محمد محمد . خصائص التراكيب دراسة تحليلية . مكتبة وهبة القاهرة . ط٤، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .

٦- جبريل . محمد السيد . عناية المسلمين بإبراز وجوه الإعجاز في القرآن الكريم . نشر:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة .
٧- الجربوع . عبدالله بن عبدالرحمن . الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله . الناشر : عمادة البحث العلمي الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م . عدد الأجزاء : ٣ .
٨- الجنباز . د محمد منير . قصص القرآن الكريم . مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية . ط١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م .
٩- حبنكة . عبدالرحمن حسن الميداني . قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عز وجل . دار القلم، دمشق . ط٤، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م .
١٠- الخالدي . د صلاح عبدالفتاح . القصص القرآني . دار القلم، دمشق . ط٢، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م .
١١- الخطيب . عبدالكريم . القصص القرآني في منطوقه ومفهومه . الناشر : دار المعرفة، بيروت، لبنان .
١٢- الخطيب . محمد درويش . معجزة القرآن الكريم تتحدى البشر إلى الأبد . دار القلم العربي، دار الرفاعي . ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م .
١٣- الخلف . سعود عبدالعزيز . دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي ﷺ . الناشر : غراس للنشر والتوزيع .
١٤- الدهلوي . أحمد الفاروقي (ت : ١١٧٦هـ) . الفوز الكبير في أصول التفسير . الناشر : عالم الكتب، بيروت . ط٢، ١٤٠٣هـ .

١٥- الديلمي . عبدالوهاب بن لطف . معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم . مكتبة الإرشاد، صنعاء . ط٢، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م .

١٦- الرافعي . مصطفى صادق . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية . دار الكتاب العربي، بيروت . ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .

١٧- الرومي . د فهد عبدالرحمن . خصائص دراسات في علوم القرآن الكريم . ط السابعة عشر ١٤٣٢هـ/٢٠١١م .

١٨- الرومي . د فهد عبدالرحمن . اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر . الناشر : رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد، الرياض . ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م . الأجزاء : ٣ .

١٩- الزرقاني . محمد عبدالعظيم (ت : ١٣٦٧هـ) . مناهل عرفان في علوم القرآن . الناشر : مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . ط٣ . الأجزاء : ٢ .

٢٠- الزركشي . محمد بن بهادر بن عبدالله (ت : ٧٩٤هـ) . البرهان في علوم القرآن . قدم عليه وعلق عليه وخرج أحاديثه : مصطفى عبدالقادر عطا . الناشر : دار الكتب العلمية، بيرت . ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٨م . الأجزاء : ٤ .

٢١- السيوطي . عبدالرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ) . الاتقان في علوم القرآن . المحقق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م . الأجزاء : ٤ .

٢٢- السيوطي . عبدالرحمن بن أبي بكر (ت : ٩١١هـ) . تناسق الدرر في تناسب السور . تحقيق : عبدالله محمد الدرويش . الناشر : عالم الكتب، بيروت . ط٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م .

٢٣- شحاته . د عبدالله محمود . أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم . الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب . ط٣، ١٩٨٦م . الأجزاء : ٤ .

٢٤- الشعراوي . (ت : ١٤١٨هـ) . الإعجاز العلمي في القرآن الكريم . أعده وعلق عليه مقدماً عبدالرحيم محمد الشعراوي . المكتبة التوفيقية .

٢٥- عباس . د فضل حسن وسناء فضل . إعجاز القرآن الكريم . دار النفائس للنشر والتوزيع . ط٧، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م .

٢٦- عباس . د فضل حسن . قصص القرآن الكريم . دار الفرقان، الأردن . ط١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م .

٢٧- عبدالفتاح محمد محمد سلامة . أضواء على القرآن الكريم (بلاغته وإعجازه) . الناشر : الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة . ط : السنة ١٢، العدد السادس والأربعون، ١٤٠٠هـ .

٢٨- د . عبدالقادر محمود . أصول وشواهد النظر العقلي في القرآن والفكر الإسلامي . نسخة إلكترونية .

٢٩- علي علي صبح . التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية . ناشر: المكتبة الأزهرية للتراث .

٣٠- مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف . التعريف بالقرآن الكريم . نسخة إلكترونية .

٣١- د . محمد عبدالمنعم القيعي . الأصلان في علوم القرآن . الناشر : حقوق الطبع محفوظة للمؤلف . ط٤، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م .

٣٢- مطاوع . د سعيد عطية علي . الإعجاز القصصي في القرآن . الناشر : دار الآفاق العربية، القاهرة . ط١، ٢٠٠٦م .

٣٣- المطعني . د عبدالعظيم إبراهيم . خصائص التعبير القرآني . مكتبة وهبة القاهرة . ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م .

الفهرس

- المقدمة ٥

ترتيب السور	اسم السورة	الصفحة
١	يس	١٠
٢	الصافات	٨٨
٣	ص	١٨٣
٤	الزمر	٢٥٧
٥	غافر	٣٣٢
٦	فصلت	٤٠٨
٧	الشورى	٤٥٥
٨	الزخرف	٥١٠
٩	الدخان	٥٦٩
١٠	الجاثية	٦٠٣
١١	الأحقاف	٦٣٥
١٢	محمد	٦٧٨
١٣	الفتح	٧٢٢

- المصادر والمراجع ٧٦٤

- الفهرس ٧٧٣

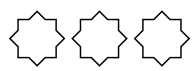

انتهى الجزء الثاني من التفسير

بحمد الله تبارك وتعالى

ويليه الجزء الثالث

القول الباعث في إيجاز معاني

تتمة الثلث الثالث

من سورة العنكبوت إلى سورة فاطر